إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدكتور عدنان النحوي وجهوده العقدية والدعوية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

اسم الطالب/ة: موسى سليمان الرقيبة
التوقيع:
التاريخ: 6 / 02 / 2016

Student's name:
Signature:
Date:

الجـــامعـــــة الإسلاميـــة – غـــزة
شئون البحث العلمي والدراسات العـليا
كـــلـــيـــــة أصــــــول الـــديـــن
قســـم العقيدة والمــذاهب المعاصـــرة



الدكتور عدنان النحوي وجهوده العقدية والدعوية

Doctor Adnan Al-Nahwi and his efforts in Creed and Da'wa

إعداد الطالب
موسى بن سليمان بن سلمان الرقيبة

إشراف الأستاذ الدكتور
سعد عبد اللّه عاشور

قُدمت هذه الرسالة لاستكمال الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

1437هـ – 2015م





الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا   هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref

التاريخ: 2016/01/20 Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **موسي سليمان سلمان الرقيبة** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

الدكتور عدنان النحوي وجهوده العقدية والدعوية

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الأربعاء 10 ربيع الآخر 1437هـ، الموافق 2016/01/20م الساعة العاشرة صباحاً بفرع الجنوب، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. سعد عبدالله عاشور	مشرفاً و رئيساً	....
د. محمد حسن بخيت	مناقشاً داخلياً	....
د. عدنان أحمد البرديني	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم العقيدة الإسلامية**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقايِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ ﴾

(الزمر : 9)

من أسس الإيمان والتوحيد

إن من أسس الإيمان والتوحيد التبرؤ من العصبيات الجاهلية كلها، ليكون الولاء الأول لله وحده، والعهد الأول مع الله وحده، والحب الأكبر هو لله ورسوله، لينبع كل ولاء وموالاة في الدنيا من الولاء الأول لله، وكل عهد في الدنيا من العهد الأول مع الله، وكل حب في الدنيا من الحب الأكبر لله ورسوله، فتقوم بذلك أخوة الإيمان، وتقوم الأمة المسلمة الواحدة، وتقوم الدعوة الإسلامية الواحدة في الأرض.

الشيخ الدكتور عدنان النحوي – رحمه الله.



الإهداء

- إلى أمتي الميمونة المعصومة، إلى الأمة الإسلامية جمعاء،،،
- إلى عائلة الشيخ الدكتور عدنان النحوي رحمه الله،،،
- إلى روح أبي الذي فقدته منذ نعومة أظفاري،،،
- إلى أمي الغالية المباركة، أطال الله عمرها وحسَّن ختامها،،،
- إلى عائلتي الغالية التي انشغلت عنها كثيراً،،،
- إلى إخواني أبي محمد وأبي رامي وأبي حاتم وأبي الياسين حفظهم الله تعالى،،،

إليهم جميعاً أهدي هذا البحث

شكر وتقدير

طمعاً في الاستزادة من فضل الله ﷻ فهو القائل: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ (إبراهيم: 7)، واقتداءً بقول سليمان عليه السلام ﴿ **رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ** ﴾ (النمل:19)، ورغبةً في أن أكون من القليل الذي مُدح في قول الله جل وعلا ﴿ **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ (سبأ:13)، أتوجه إلى الله تعالى أولاً بالشكر والخضوع والخشوع والاعتراف بنعمه الوفيرة الوافرة عليَّ، فقد كان فضل الله عليّ عظيماً، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسأل الله الثبات حتى الممات.

ثم طاعةً لحبيبي محمدٍ ﷺ إذ قال:" **مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ**"(1) فإنني أتوجه بالشكر والاعتراف بالفضل لصاحب العلم والفضيلة، ومشرفي الذي شرفني، وأثَّر فيَّ وأثرى بحثي، صاحب العبارة القوية السديدة المحفزة، الذي لم يألُ جهداً، ولا ضنَّ بوقت سعياً إلى أن يصل هذا البحث نهايته، فضيلة الأستاذ الدكتور/ سعد عبد الله عاشور، حفظه الله ورعاه، وسدد على الحق خطاه، ونفع بعلمه الأمة.

كما لا أنسى قمري العلم، الذين زادوا هذا البحث قيمة، فأثروا سليمه، وقوموا سقيمه، وتفضلوا عليَّ بمناقشة هذه الرسالة.

فضيلة الدكتور/ محمد حسن بخيت حفظه الله ونفع به.

وفضيلة الدكتور/ عدنان أحمد البرديني. حفظه الله ورعاه.

ولا أنسى صاحب الفضل والخلق الأخ الدكتور/ محمد أبو شعبان (أبو رضوان) الذي وفَّر لي جميع كتب الدكتور / عدنان النحوي – رحمه الله، أترك جزاءه على الله سبحانه، وأسأل الله أن يطيل في الصالحات عمره ويحسِّن عمله.

---

(1) سنن أبو داود – كتاب الأدب – باب في شكر المعروف – مكتبة المعارف – الرياض – رقم/ 4811 – وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم/ 417.

أما الرجل الذي حمل همي وأرقه تعبي، الرجل الذي أحسست بأنس دعواته في السجود، فإن كلماتي تنوء أن توفيه حقه، أخي وخليلي وقرة عيني الشيخ / إسماعيل أبو حيش **(أبو محمد)** لله دره وعلى الله أجره، والحمد لله الذي رزقني أخوته.

كما أشكر كل من ساهم في إخراج هذا البحث في هذه الصورة التي أمامكم، إذ أن بعضهم آثر الخفاء، نحسبهم من الأتقياء الأنقياء، فجزاهم الله خيراً.

وصلَّ اللهم على محمد صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين،،،

المقـــدمـــة

الحمد لله تعالى الذي أكمل لنا الدين وأتمَّ علينا النعمة، وجعل أمتنا – ولله الحمد – خير أمة، وبعث فينا رسولاً منا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة، أحمده سبحانه على نعمه الجمة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تكون لمن اعتصم بها خير عصمة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبي الرحمة، الذي أعطي جوامع الكلم فبانت جوامعه في كل كلمة، فصلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الميامين وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، صلاة تنير لنا كل ظلمة.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ (آل عمران:102).

وقال أيضاً: ﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَنِساءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَساءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ (النساء:1).

وقال أيضاً: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾(الأحزاب:70-71).

إن من فضل الله على الأمة الإسلامية أن جعل لها من أبنائها علماءَ أفذاذاً وطلبةَ علم نجباء، ورثة للأنبياء، حصناً للأولياء، وبأساً على الأشقياء؛ فهم الذين يجلون عن الأمة النوائب والمدلهمات، ويبددون عنها الظلمات، ويدفعون عنها فتن الشهوات والشبهات، حتى مدحهم الله بقوله ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾(المجادلة:11). وهم لأمة محمد ﷺ صمامُ أمان، وحِرزٌ لعباد الرحمن، وأَعْلامُ فسطاط الإيمان، وهم حرَّاس الدين الذين "**يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ**"(1).

ومن هؤلاء الأفذاذ الذين خلفوا وراءهم تراثاً عظيماً في العقيدة والفكر والدعوة والشعر والأدب ومناوءة الخصوم الشيخ الدكتور عدنان بن علي رضا بن محمد النحوي – رحمه الله

(1) **كتاب الشريعة:** محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ – تحقيق: عبد الله بن عمر الدميجي – دار الوطن – السعودية – الطبعة الثانية – 1420هـ – 1999م، ص: 268/1. والحديث صححه الألباني في مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله التبريزي – تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – لبنان – الطبعة الثالثة – 1985م، برقم/ 248.

تعالى- والذي أوقف حياته للدعوة إلى الله، فرسم خريطة للدعاة على أساس متين من النصوص الشرعية، وأنزلها بفهم ووعي تامين للواقع الذي تحياه الأمة بكل ما فيه.

ويعرِّف – رحمه الله – الدعاة أهمية مسؤولياتهم وخطورتها فيقول:" إن بناء عمارة مهما عظمت يسهل إذا قيس ببناء الإنسان على قواعد الإيمان والتوحيد وعلى قواعد المنهج الرباني، فتلك مهمة يقوم بها المهندسون والفنيون، أما بناء الإنسان وإعداده وتدريبه فهي مهمة بعث الله من أجلها الرسل والأنبياء الذين خُتموا بمحمد ﷺ، ثم جعلها مهمة الأمة المسلمة الواحدة الممتدة مع الزمن".[1]

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1- إظهار جهود الشيخ الدكتور عدنان النحوي في الذب عن العقيدة والدعوة من قبل المناوئين للأمة.

2- فهم الواقع المعاش فهماً دقيقاً بسبب قرب وفاة الشيخ، ثم غزارة مؤلفاته واهتمامه بما يستجد على الساحة الإسلامية والعالمية.

3- الوفاء للشيخ الدكتور عدنان بن علي النحوي على جهوده الدعوية المباركة، ومسيرته الطويلة في التأليف والكتابة، وخدمة قضايا الأمة الإسلامية.

3- يرى الباحث – حسب ظنه وبعد بحثه في المكتبات وعلى شبكة الانترنت – أن دراسة عقيدة الشيخ ومنهجه في الدعوة لم يكتب فيها باحث من قبل، لذا لزم هذا في دراسة خاصة.

4- الشيخ – رحمه الله – رائد في الفكر الإسلامي وصاحب قلم سيَّال فقد خطَّتْ يمينُه أكثرَ من مائة وثلاثين كتاباً، ومئات المقالات والمحاضرات، وحَضَرَ عشرات المؤتمرات، وسافر إلى أكثر من ثلاثين بلداً عربياً وأجنبياً داعياً إلى الله سبحانه.

5- تميز أسلوب الشيخ بالأصالة المستمدة من الكتاب والسنة، وإنزال ذلك على القضايا التي تحياها الأمة، فوفَّر بذلك نوعاً من الكتابات ندر وجودها وسط إفراط الغالين وتفريط المنتفعين.

6- الشيخ عدنان النحوي فلسطيني المولد، هاجر منها عام 1948م، وقد أثَّر حنينُه لوطنه على كتاباته كثيراً ورسم رؤيته الخاصة لتحرير فلسطين، فكان لزاماً على طلبة العلم في فلسطين إبراز هذه الرؤية ودراستها.

---

(1) الموجز الميسر عن مدرسة لقاء المؤمنين: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1426هـ – 2005م – ص: 11.

أهداف البحث:

1- بيان مكانة الدكتور عدنان النحوي العلمية والدعوية ككاتب ومفكر بارز من كبار مفكري الأمة عامة، وفلسطين خاصة.

2- تعريف الأجيال بسيرته الطويلة في الدعوة وأعماله الكثيرة في شتى المجالات وفكره الوسطي الأصيل بلا دخلٍ ولا دخنٍ.

3- إبراز جهود الشيخ الدعوية في ترسيخ أهمية قضية فلسطين ودفع الشبهات التي تدور حول هذه القضية المهمة.

4- بيان منهج الدكتور عدنان النحوي في الدعوة إلى الله، وفهم واقع الدعوة ومقوماتها وسبل إنجاحها ومعوقاتها وكيفية التغلب على تلك المعوقات من خلال مؤلفاته الكثيرة.

الدراسات السابقة[1]:

أولاً: الدراسات التي تمت حول أدبه وفكره ومنهجه والتي قُدمت للمؤتمرات :

1- **الموقف السياسي في شعر عدنان النحوي** للدكتور موسى إبراهيم أبو دقّة المحاضر بكلية التربية الحكومية بغزة (جامعة الأقصى حالياً) وهو بحث مقدّم لمؤتمر " قضايا الأدب والتحديات المعاصرة " المنعقد في الجامعة الإسلامية بغزة.

2- **نظرية دراسة القرآن الكريم وتدبره في مدرسة الإمام العلامة الدكتور عدنان النحوي المعاصرة، ودورها المنشود في بناء الجيل المؤمن وتنميته.** للأستاذ الدكتور عبد السلام حمدان اللوح، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية في غزة. وهو بحث مقدم للمؤتمر العلمي الرابع بعنوان " دور الجامعات في التنمية " بجامعة الأقصى بغزة عام 2011م.

3- **البناء اللغوي لنموذج من شعر الغربة الإسلامي، النموذج : ملحمة الغرباء للدكتور: عدنان النحوي.** للدكتور / سعد أبو الرضا، قدم هذا البحث في مؤتمر " الأدب الإسلامي " في جامعة عين شمس في القاهرة بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية ورابطة الأدب الإسلامي. وقد عُقد هذا المؤتمر في الفترة (24 - 1413/4/27هـ الموافق 20 - 1993/10/23م).

(1) يأتي تفصيل هذه الدراسات في الفصل الأول، المبحث الثاني، المطلب الرابع من هذه الرسالة.

4- **الصورة الشعرية الإسلامية عند الدكتور الشاعر / عدنان علي رضا النحوي.** للدكتور محمود الدغيم. وقدم هذا البحث في " ندوة الأدب الإسلامي " التي أقامتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالتعاون مع مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية والتي عقدت يوم الاثنين 22 ربيع الأول 1415هـ الذي وافق 19 آب 1994م.

5- **صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان علي رضا النحوي، الداعية والمفكر والأديب،** للدكتور نعيم كامل شبير عام 2008م.

ثانياً: الدراسات الجامعية التي قدمت حول أدبه وفكره ومنهجه :

1- **الحداثة في النقد الإسلامي المعاصر:" عدنان النحوي ناقداً، أدونيس نموذجاً"** للباحثة أشليح حفيظة . بإشراف الأستاذ المقريء الإدريسي أبو زيد 1991 - 1992م، بجامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية - ابن مسيك، شعبة اللغة العربية وآدابها، بالمملكة المغربية.

2- **ملحمة ربا الأقصى للدكتور عدنان علي رضا النحوي في ضوء نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني** للباحثة نعيمة بردوني بإشراف الدكتور سعيد الغزاوي عام 1993م بجامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - شعبة اللغة العربية وآدابها، في الدار البيضاء بالمغرب. قدمت هذه الرسالة لنيل الإجازة في الأدب.

3- **قصيدة الغرباء للشاعر عدنان علي رضا النحوي،** للباحثة ثيمونت السباعي وإشراف الدكتور عبد الرحمن حوطش بجامعة محمد الأول في المغرب . وهي رسالة ماجستير بكلية الآداب والعلوم الإنسانية لنيل الإجازة في اللغة العربية وآدابها عام 1997م .

4- **الاغتراب والملحمية في شعر عدنان النحوي،** للباحث عيسى بودوخة وإشراف الدكتور حسن كاتب . قدمت كرسالة ماجستير في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في قسنطينة بالجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية والدراسات القرآنية، عام 2002م .

5- **الاتجاه الإسلامي في شعر عدنان علي النحوي، دراسة تحليلية فنية.** للباحثة ليلى عبده الشبيلي، بإشراف الدكتور صلاح المية، أستاذ الأدب والنقد في كلية التربية للبنات بجازان في المملكة العربية السعودية عام 2002م. والدراسة عبارة عن رسالة ماجستير مقدمة في الدراسات الأدبية المتخصصة في الأدب والنقد.

6- **جمالية الفن عند الدكتور عدنان علي رضا النحوي قراءة في الدلالات والمقومات والسمات،** للباحث عبد الجبار البودالي بإشراف الدكتور سعيد الغزاوي عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية. قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - شعبة اللغة العربية وآدابها في جامعة الحسن الثاني المحمدية بالمملكة المغربية عام 2008م.

7- **عدنان علي رضا النحوي ومنهجه في تحقيق قضايا عصره** : للباحثة مريم عبد الوافي، بإشراف الأستاذة سلمى تليلاني، سنة 1424هـ - 2002م. وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من جامعة الحسن الثاني – كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمغرب.

منهج البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي والذي يقوم على جمع المادة من مظانها في كتب الشيخ وتحليلها ونقدها لإبراز عقيدة ودعوة الشيخ النحوي ومنهجه في الرد على المخالفين.

طريقتي في البحث:

1- تخريج الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية، وتمييز الآية بهلالين ﴿ ﴾.

2- تخريج الأحاديث من كتب السنة؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، اكتفى الباحث بذكر اسم الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث. وإن لم يكن الحديث في الصحيحين، ذكر الباحث حكم علماء الحديث عليه.

3- كتابة الحديث بخط غامق حتى يتميز عن غيره من الكلام.

4- توثيق المرجع أو المصدر كاملاً عند وروده لأول مرة في الرسالة، وذلك بذكر اسم الكتاب، واسم المؤلف، واسم المحقق – إن وجد – ثم دار النشر واسم البلد ورقم الطبعة وسنة التأليف، ثم رقم الجزء والصفحة. أما في حالة عدم وجود بعض هذه المعلومات في المصدر، فإن الباحث يستثنيها من التوثيق.

5- عند ذكر الكتاب مرة أخرى في الرسالة، فإن الباحث يكتفي بذكر اسم الكتاب والصفحة فقط.

6- إذا كان لكتابين نفس الاسم ميَّز الباحث بينهما بذكر اسم المؤلف.

7- عند الاقتباس النصي يتم وضعه بين علامتي تنصيص "   "، وتوثيقه في الحاشية بدون قول: انظر، أما عند الاقتباس بالمعنى أو بالتلخيص فلا ترسم علامات تنصيص حينئذٍ، وتكتب هنا كلمة انظر.

8- في حالة الاقتباس النصي، وحذف جزء من النص؛ فإن كان المحذوف دون سطر، يتم كتابة ثلاث نقط مكان الحذف ...، وإن كان الحذف أكثر من سطر، يتم وضع خمس نقاط ..... مكانه.

9- أما في حالة الاقتباس من الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)، يتم التوثيق بذكر اسم الموضوع ثم اسم كاتبه ثم تاريخ الولوج إلى الموقع، وأخيراً الرابط للموضوع المقتبس منه.

10- بيان معنى بعض الكلمات التي يعتقد الباحث أنها مشكلة فهماً.

12- الترجمة لبعض أعلام الرسالة المؤثرين والمجهولين، وذلك بالرجوع إلى كتب التراجم المعتمدة.

13- وضع فهارس عدة لتيسير الاستفادة من البحث وسهولة الوصول للمعلومة، وذلك على النحو التالي:

أ. فهرس الآيات القرآنية، وترتيبها حسب ورودها في المصحف.

ب. جمع أطراف الحديث، وترتيبها حسب الأحرف الأبجدية.

ت. فهرس الأعلام، مرتبة أسماؤهم حسب الحروف الأبجدية.

ث. فهرس المصادر والمراجع.

ج. فهرس موضوعات الرسالة.

خطة البحث:

جاءت الخطة مكونة من مقدمة، وأهمية الموضوع، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وطريقة البحث، ثم أربعة فصول وكل فصل فيه مباحث ثم مطالب على النحو التالي:

الفصل الأول

عصر عدنان النحوي وحياته

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عصر عدنان النحوي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحياة السياسية.

المطلب الثاني: الحياة العلمية والثقافية.

المطلب الثالث: الحياة الاجتماعية.

المبحث الثاني: حياة عدنان النحوي، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سيرة عدنان النحوي الشخصية .

المطلب الثاني: حياة عدنان النحوي العلمية.

المطلب الثالث: مؤلفات عدنان النحوي.

المطلب الرابع: الدراسات التي تناولت كتابات عدنان النحوي.

الفصل الثاني:
موقف عدنان النحوي من قضايا العقيدة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: قضية الإيمان والتوحيد عند عدنان النحوي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عقيدة عدنان النحوي في أركان الإيمان.

المطلب الثاني: عقيدة عدنان النحوي في أقسام التوحيد.

المطلب الثالث: أهمية قضية الإيمان والتوحيد عند عدنان النحوي.

المبحث الثاني: مظاهر وأسباب الانحراف عن التوحيد عند عدنان النحوي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مظاهر الانحراف عن التوحيد عند النحوي.

المطلب الثاني: أسباب الانحراف عن التوحيد عند النحوي.

المطلب الثالث: جهود النحوي في محاربة الانحراف عن التوحيد.

المبحث الثالث: موقف عدنان النحوي من قضية خلق أفعال العباد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عقيدة السلف في قضية أفعال العباد.

المطلب الثاني: مسئولية الإنسان مع قضاء الله وقدره عند النحوي.

المبحث الرابع: عقيدة النحوي في الولاء والبراء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الولاء والبراء في الإسلام.

المطلب الثاني: عقيدة النحوي في الولاء والبراء.

الفصل الثالث:
منهج عدنان النحوي في إصلاح الفرد والجماعة والأمة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج النحوي في إصلاح الفرد المسلم، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بناء الفرد فكرياً.

المطلب الثاني: فهم الفرد للواقع.

المبحث الثاني: منهج النحوي في إصلاح عمل الحركات الإسلامية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب الخلل في عمل الجماعات الإسلامية عند النحوي.

المطلب الثاني: سبل إصلاح واقع الحركات الإسلامية كما يراها النحوي.

المبحث الثالث: منهج النحوي في إصلاح الأمة الإسلامية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سبيل إصلاح الأمة من خلال (النظرية العامة في الدعوة الإسلامية).

المطلب الثاني: رأي عدنان النحوي في قضية فلسطين خاصة وسبيل علاجها.

الفصل الرابع

جهود عدنان النحوي في الرد على المخالفين

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: جهوده في الرد على العلمانية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف بالعلمانية.

المطلب الثاني: جهود النحوي في الرد على العلمانية.

المبحث الثاني: جهود النحوي في الرد على الديمقراطية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف بالديمقراطية.

المطلب الثاني: جهود النحوي في الرد على الديمقراطية.

المبحث الثالث: جهوده في الرد على حقوق الإنسان في القوانين الوضعية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حقوق الإنسان في القوانين الوضعية ونقدها.

المطلب الثاني: حقوق الإنسان كما يراها النحوي.

المبحث الرابع: نظرة النحوي إلى حوار الأديان، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم حوار الأديان.

المطلب الثاني: نظرة النحوي إلى حوار الأديان.

المبحث الخامس: جهود عدنان النحوي في قضايا المرأة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقف عدنان النحوي من قضايا المرأة.

المطلب الثاني: جهود عدنان النحوي في الرد على المخالفين في قضايا المرأة.

الخاتمة، وتشتمل على:

أولاً- النتائج.

ثانياً- التوصيات.

وأخيراً: الفهارس وهي:

أولاً- فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً- فهرس أطراف الأحاديث النبوية.

ثالثاً- فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً- فهرس المصادر والمراجع.

خامساً- فهرس الموضوعات.

والله سبحانه أسأل أن يكون عملي هذا في ميزان حسناتي
يوم يقوم الناس لرب العالمين،،،



الفصل الأول

الشيخ عدنان النحوي، عصره وحياته

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: عصر عدنان النحوي.

المبحث الثاني: حياة عدنان النحوي.



المبحث الأول
عصر عدنان النحوي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحياة السياسية.

المطلب الثاني: الحياة العلمية والثقافية.

المطلب الثالث: الحياة الاجتماعية.

المطلب الأول
الحياة السياسية

تعيش الأمة الإسلامية اليوم حالة من الضياع والتشتت والتنازع، تعيش على ضفاف الحياة البشرية وترفرف في سمائها رايات العلمانية والوطنية، ويحكم أبناؤها بالقوانين والدساتير الوضعية، وتفصل بينها الحدود الجغرافية، وتدور بها الدوامات الدولية السياسية، فلا تملك نفسها عن الدوران، بل ولا تختار المدار الذي تريد أن تدور فيه. والمسلمون اليوم يفقدون سيادتهم على أرضهم، ويفقدون أمنهم، وطمأنينتهم، واستقرارهم، أضحوا قصعة مستباحة للقاصي والداني، للعزيز والذليل، بعد أن كانت أمة عظيمة مهابة تنصر بالرعب مسيرة شهر. وانتشرت في أمة القرآن والسنة ثقافات غريبة هدامة ليست من الإسلام في شيء، يحسب المؤمنون بها أنهم على الحق المبين، وأنهم باتباعها يحسنون صنعاً. وانتشرت في الأمة التبعية السياسية بعد أن ترك المستعمر له أذناباً تتكلم بلغة القرآن، لكنها تحاجُّ وتحادُّ الرحمن، وتعادي منهج النبي العدنان، وتوالي عبيد الشيطان، وتسوق العوام تحت سياط أفكارهم وبنادقهم كالقطعان، فالصادح بالحق مهان، تلقى إليه تهم التخوين والبهتان، فكان مصير حال الأمة لا يخفى على أحد من الضعف والتبعية والخسران. وغابت مهابة الأمة وسيادتها ووحدتها بإسقاط خلافة رسول الله ﷺ، إذ كانت صمام أمان – بالرغم مما انتابها من ضعف – للبلاد والعباد.

يقول الدكتور عدنان النحوي:" بعد سقوط الخلافة الإسلامية تمزق العالم الإسلامي وتناثرت أجزاؤه، وتابع المجرمون خطتهم التي أسقطوا بها الخلافة، ليمارسوها في كل بلد، واستخدموا جميع الوسائل والأساليب لمتابعة محاربة الإسلام، فمحاربة الإسلام وتصفيته هي قضيتهم الأولى وهمهم الأكبر، يُسَخِّرون لها كل إمكاناتهم، وهي القضية التي يلتقون عليها مهما اختلفوا على الغنائم. وامتدت المأساة والفواجع حتى اليوم، وما زالت ممتدة في كل بلد مسلم، مشكلات آخذة بالازدياد".(1)

ويذكر الدكتور علي جريشة أثر غياب الخلافة في أنه بسقوطها غابت الدولة الحاكمة بشرع الله، وغابت الدولة التي تظل المسلمين وتجمع شملهم في وحدة حقة قائمة على وحدة العقيدة، وغابت الدولة التي كانت ترهب عدو الله وعدوهم، وكانت القوة العالمية تحسب لها ألف حساب

(1) ملحمة التاريخ! قيام الدول الإسلامية وسقوطها: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1427 هـ – 2006 م، ص: 157.

حتى بعد ضعفها ومرضها، وكذلك الدولة التي عرف اليهود وتأكدوا أنه لا سبيل لهم إلى فلسطين إلا بتحطيمها.[1]

وأصبح رجل أوروبا المريض في بداية الأمر غنيمة باردة للرجل الغربي القوي، فنهب ثرواته وصادر قراراته، وعاش على نفقاته عيشة هنية، اكتنفها التقدم العلمي الهائل في مجال التسلح والاقتصاد والخدمات، فأصبح مثله الأعلى. ثم أصبح هذا الرجل المريض عبئاً ثقيلاً على كاهل سيده الصحيح، فما لبث أن اقتسم الورثة تركته، فاحتُلت البلاد واستُعبد العباد، ورأى المسلمون بعد العز أياماً شداداً من الاحتلال وأذنابه.

فبريطانيا استعمرت ماليزيا وشبه جزيرة الهند وسواحل الخليج العربي والجنوب العربي ومصر والسودان والعراق وشرق الأردن وفلسطين، وفرنسا استعمرت مالي وتشاد والنيجر والمغرب والجزائر وتونس وجيبوتي وسوريا ولبنان، أما إيطاليا فكان نصيبها ليبيا وجزءاً من الصومال وأرتريا، واستعمرت روسيا بلاد القفقاس(القوقاز) والأراضي الإسلامية في آرال، والباقي قسمته دول مستعمرة ثروات لها، مثل أسبانيا وهولندة والبرتغال وبلجيكا.[2]

وبعد أن نهب الغازي الثروات الطائلة من العالم الإسلامي، في غفلة عجيبة من المسلمين، عمد إلى تقسيم العالم العربي باتفاقية ما سميت ب"اتفاقية سايكس بيكو"[3]، فقطع جسد المريض إلى قطع صغيرة، وقسم أرض الإسلام العظيم إلى مناطق وأقاليم على قاعدة " فرِّق تسد ".

فالخطوط العامة للاتفاقية – إلى جانب الاعتراف باستقلال شبه الجزيرة العربية – تقسيم العراق وسوريا – باستثناء فلسطين – إلى أربع مناطق: فمنطقة ألف: فيها سوريا الداخلية، وتشمل مدن دمشق وحمص وحلب غرباً لتصل إلى الموصل شرقاً. ومنطقة باء: وهي المنطقة الواقعة إلى الجنوب من منطقة ألف وهي من غزة غرباً إلى العقبة شرقاً، وإلى الخليج العربي جنوباً، وبلاد

---

(1) انظر: حاضر العالم الإسلامي: علي جريشة – دار المجتمع للنشر والتوزيع– السعودية – الطبعة الرابعة – 1410 هـ – 1989 م، ص: 72-73.

(2) انظر: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة: جميل المصري – كلية الدعوة وأصول الدين – السعودية – بدون سنة التأليف، ص:81-82.

(3) تفاهم سري استعماري بين بريطانيا وفرنسا متمم لاتفاق رئيسي بين بريطانيا وفرنسا وروسيا لتقسيم السلطنة العثمانية والاستيلاء على المشرق العربي في أعقاب دخول الأتراك الحرب إلى جانب ألمانيا. وسايكس هو عضو مجلس العموم البريطاني والمكلف بإدارة الأراضي العربية سنة 1915م، وبيكو هو القنصل الفرنسي في لبنان آنذاك. موسوعة السياسة: عبد الوهاب الكيالي – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – مصر – الطبعة الأولى – 1410 هـ – 1989 م، 120/3.

فارس شمالاً. والمنطقة الزرقاء: وتشمل مقطاعة سيليسيا في آسيا الصغرى إلى سواحل سوريا غرب المنطقة ألف. والمنطقة الحمراء: وتشمل المساحات الممتدة من بغداد إلى البصرة.[1]

ولما ثقلت على المستعمر الشقة، ووجد في إدارة أملاك المريض مشقة، أخذ يزرع له أذناباً تضمن له أن يبقى المسلمون في فرقة، وبلادهم مفرقة ممزقة، حتى فاقت هذه الأذناب سيدها في غيه، وكم من تلميذ فاق أستاذه! وكم من خادم علّم أسياده!

هذه الأذناب وهؤلاء الأتباع كان تأتيهم – وما زالت – القرارت جاهزة من الغرب السيد، تُنفذ بحذافيرها في أرض الإسلام، لسان حالهم ومقالهم في السر والعلن (سمعنا وأطعنا) في حكم جبري بالحديد والنار لا يملك أحد مخالفته، وإلا كان المصير في غياهب السجون أو لقيا المنون.

عن حذيفة ﷺ قال رسول الله ﷺ:" **تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ** " ثُمَّ سَكَتَ".[2]

يقول الدكتور علي جريشة تحت عنوان (صناعة الزعيم): " إن ما كان الغرب الصليبي يضحي من أجله بأرواح أبنائه وأموالهم ويلقى المقاومة من جموع الشعوب إما دينياً أو وطنياً، راح ينفذ على يد الزعيم المصنوع بغير هذا ولا ذاك، بل على العكس بترحيب جموع الشعوب المخدوعة في زعيمها المصنوع، وكانت أول تجربة لصناعة الزعيم في المنطقة مصطفى كمال أتاتورك[3]".[4]

إذاً، لما خرج الغرب من بلاد العرب وهو يترك وراءه ما يمكن تسميته بالاستقلال المزيف، الذي يخدر المشاعر والأحاسيس لتنتشي بالانتصار الموهوم، ترك وراءه نواباً أخلصوا له الولاء، وسببوا للمسلمين وأرضهم البلاء، ألسنتهم وألبستهم عربية، لكنهم يملكون قلوباً عامرة بالحب والولاء

(1) انظر: موسوعة السياسة، 3/ 120.

(2) رواه الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني في مسنده – تحقيق: أحمد محمد شاكر – دار الحديث – مصر – الطبعة الأولى – 1416هـ – 1995م. مسند الصحابي نعمان بن بشير ﷺ– 355/30 – رقم/ 18406، والحديث حسَّنه الألباني في مشكاة المصابيح برقم/ 5378.

(3) مصطفى كمال أتاتورك(1881–1938م) قائد الحركة الوطنية التركية، ألغى الخلافة الإسلامية، وأسس دولة تركيا العلمانية، وجعل عاصمتها أنقرة. انظر: مصطفى كمال أتاتورك، الموسوعة الحرة، 2015/12/12م، https://ar.wikipedia.org/wiki/

(4) حاضر العالم الإسلامي، علي جريشة، ص: 74–75.

للغرب، رباها الاستعمار على عينه، فلم يتغير الحال في أرض الإسلام كثيراً بعد أن تركه المستعمرون.

لذا " أعطى المستعمرون للبلاد التي خرجوا منها ما سمي " بالاستقلال المزيف"؛ وذلك أنهم سلموا الحكم لفئات تعلمت في مدارس إرسالياته، وتشربت حضارته ومبادئها العربية المادية، فنشأت غريبة عن وسطها الإسلامي، بعيدة عن إرثها الحضاري الإسلامي، علمانيون في أفكارهم، غربيون في توجهاتهم، محاربون لعقيدة أمتهم الإسلامية بشتى السبل، وعندما سلم المستعمرون لأولئك مراكز القيادة والتوجيه، لم تتغير الحال كثيراً بعد الاستقلال المزيف، بل ظلت البلاد تعاني آثار الغزو الفكري، والتسلط السياسي والاقتصادي".[1]

في هذا الواقع، تعلق كثير من المسلمين بالغرب وأتباعه فاعتقدوا أن الحضارة والتقدم رهين البعد عن الدين، حتى سُمي المتمسكون بدينهم أصوليين أو رجعيين، تمسكوا بنصوص لا قدم لها الآن ولا ساق، فكان الصالحون غرباء في وطنهم، ألفتهم الزنازين والمعتقلات، وعرفتهم جدران السجون، ونُفي بعضهم من بلده ومسقط رأسه إلى بلاد الغربة، فزادت غربتهم.

لكن هؤلاء الغرباء ما كان لهم أن يصمتوا على هذا، ولا أن يعيشوا هم وأمتهم حياة الدون إلى الأبد؛ فانطلقت حركات وجماعات عدة علها تجمع شتات المسلمين، وترد كيد أتباع المستعمر المستكبرين، وتعيد للإسلام العظيم عزه على رؤوس الأشهاد من العالمين، فشهد القرن الثالث عشر الهجري انطلاق الدعوات المباركة للعودة إلى الحياة الإسلامية، إلى العودة للكتاب والسنة، إلى مصدر العز والتمكين.

" فرغم هذه الحلقات المتتابعة من التآمر والكيد للإسلام والمسلمين، فقد شهد الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري صحوة إسلامية مباركة، ورجوعاً إلى الله، بعد أن أصاب العالم الإسلامي اليأس والقنوط، وأصابته خيبة الأمل في تجارب الفكر الأوروبي الفاشلة، من ديمقراطية واشتراكية وتقدمية وقومية ووطنية. وانكشف أمام المسلمين مادية أوروبا المفرطة وخواؤها الروحي، وعجزها عن تقديم الحلول المقنعة لمشكلات الناس في هذه الحياة، فبدأ المسلمون يرون أن المستقبل لهذا الدين الإسلامي".[2]

وإذا قام المسلم لله سبحانه على منهاج قويم وانبرى، خاف منه غيره وولى وانزوى، فما كان من الغرب وأتباعهم في البلاد العربية – وكذلك اليهود – إلا أنهم حاولوا إجهاض هذه الحركات في

(1) حاضر العالم الإسلامي: تاج السر أحمد حران – إشبيليا للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1422هـ – 2001م،، ص: 55–56.

(2) المصدر السابق، ص: 132.

مهدها، فامتلأت سجونهم وزنازينهم بالصالحين، وسيم المخلصون سوء العذاب، وشوه الإسلام العظيم في الإعلام الرسمي ليل نهار على ألسنة رويبضة الأنظمة المستبدة.

يقول الدكتور علي جريشة: " تفجرت في العالم العربي بعد إلغاء الخلافة حركات إسلامية كثيرة، حملت أسماء عديدة والتقى أكثرها على مفهوم الإسلام الشامل، وما أن تعاظم دور هذه الجماعات والحركات حتى بدأ ضربها من بعض الحكام، وكشفت وثائق نشرت أو عرضت أمام القضاء عن وقوف بعض الدول الغربية ثم بعض الدول الشرقية وراء ضرب هذه الجماعات والحركات. ثم كشفت بعض الكتابات أن اليهود أنفسهم وراء ضرب الحركات الإسلامية. وكانت طريقة الضرب هو اصطناع القضايا، والإعلان عنها، وتعبئة أجهزة الإعلام المختلفة بالدعاية ضد الجماعة أو الحركات الإسلامية، ثم محاولة استئصالها عن طريق الإعدام أو التعذيب أو السجن و التضييق على المسجونين والمعتقلين".[1]

لقد أدرك أعداء الإسلام خطورة تنامي الصحوة الإسلامية على أنظمتهم الجاهلية واستعبادهم للشعوب المسلمة وعلى وجود ربيبتهم دويلة إسرائيل في ديار الإسلام، وعلى مصالحهم المتعلقة بوجود عملائهم في العالم الإسلامي، فتعاونوا في جهد مشترك لوقف مسيرة الإسلام، وللقضاء على الصحوة الإسلامية ومظاهرها مسترشدين بالروح العدائية الصليبية واليهودية للإسلام والمسلمين. فصرخ قادة الغرب واليهود بأعلى أصواتهم: "دمِّروا الإسلام وأبيدوا أهله"[2]. ولقد جاء هذا المعنى على لسان كثير من هؤلاء القادة.[3]

وبالتوازي مع الحل الأمني في التعامل مع الحركات والأفكار الإسلامية، كان الغرب يبثون حلاً آخر هو أخطر بكثير؛ إنه ضرب العقيدة الإسلامية الصافية بنشر عقائد باطلة لا صلة لها بالإسلام إلا الادعاء والتسمية، دخلت هذه المعتقدات بأسلوب ناعم كملمس الهوام، وانساق وراءه السذج والعوام، ودافعوا عنه وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

---

(1) حاضر العالم الإسلامي، علي جريشة، ص: 78-79.

(2) ولذلك أَلَّف الشيخ جلال العالم = عبد الودود يوسف الدمشقي كتاباً أسماه " قادة الغرب يقولون دَمِّرُوا الإِسْلاَمَ أَبِيدُوا أَهْلَهُ "، رداً على تلك القولة الخبيثة، يستعرض المؤلف في هذا الكتاب المقولات الظالمة التي يتكلم بها الغرب ضد الإسلام، كما يدلل على ذلك لما حدث لمسلمي الأندلس والحبشة ومصر وغيرهم، والكتاب في حد ذاته استنهاض لهمم المسلمين عموماً ومن سيطر عليهم الغزو الثقافي في اعتبار كل ما هو غربي فهو صادق، وعادل، وتبيين لحقيقة الطرف الآخر تجاه ما هو إسلام وحضارة إسلامية. انظر: قادة الغرب يقولون دَمِّرُوا الإِسْلاَمَ أَبِيدُوا أَهْلَهُ: جلال العالم، عبد الودود يوسف الدمشقي، 1395هـ - 1974م - بدون بيانات أخرى.

(3) انظر: واقعنا المعاصر والغزو الفكري: صالح الرقب - مكتبة الطالب الجامعي - فلسطين - الطبعة الجديدة - 1431هـ- 2010م،، ص: 300.

" ففي فترات الضعف التي مر بها تاريخ المسلمين مني العالم الإسلامي بجماعات من أعداء الإسلام عجزوا عن مقاومته وهم خارج دائرته، فتظاهروا بالدخول فيه ليحاربوه من الداخل، فذلك أيسر لهم وأحرى ألا يثير ثائرة المسلمين ضدهم، وكان حربهم في هذه المرة حرباً عقائدية فنفثوا سمومهم ونشروا ضلالاتهم متظاهرين بأنهم يحقون الحق وينيرون السبيل، وقد كثر هؤلاء في شبه القارة الهندية، كالقاديانية والبهائية والبابية وغيرها".[1]

أما على الصعيد العسكري، فلما تنامت جيوش بعض الدول العربية والإسلامية كان القرار قد صدر من واشنطن بضربها والإجهاز عليها، فالتقت أطماع الغرب واليهود على إضعاف الجيوش العربية ونهب الأرض لإقامة أرض إسرائيل الكبرى، فجاءت الضربة الخاطفة التي شنتها إسرائيل على الدول العربية عام 1967م، وتمكنت بسببها من تحقيق انتصار عسكري واستراتيجي، ومن خلاله التهم اليهود المزيد من أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة وشبة جزيرة سيناء المصرية ومرتفعات الجولان السورية وتغيير مجرى نهر الأردن، وكان هذا العدوان هو أخطر عدوان على الأمة.[2]

وبعد هذه الهزيمة التي لحقت بالدول العربية وما أحدثته من خسائر مادية ومعنوية، وبعد أن ظهر الفشل الذريع في مفاوضات السلام بين إسرائيل والدول العربية، قررت مصر وسوريا اتخاذ موقف مشترك بالهجوم المضاد على الكيان الصهيوني، وتكونت قيادة عسكرية مشتركة من مصر وسوريا والأردن. وكان هدف الحرب كسر الجمود المهيمن على المنطقة العربية منذ حرب 1967م، وانتهت الحرب بانتصارات عسكرية عربية، وانهزام للجيش الصهيوني الذي – حسب زعمهم – لا يقهر.[3]

حينها شعر العرب والمسلمون بنشوة الانتصار وفرحة الظفر، وكان الكيان الصهيوني في خطر حقيقي لأول مرة، فقد أصبح محاطاً بثلاث دول تنصب له العداء وتتربص به. ودب في عقول المسلمين مفهوم تحرير فلسطين، فارتعدت فرائص يهود فعمدوا إلى إضعاف الموقف الموحد للعرب والمسلمين، فعملوا على إبرام اتفاقية السلام مع جمهورية مصر العربية عام 1979م التي اعتبرت أول خرق للموقف العربي من إسرائيل؛ حيث تعهدت الدولتان بموجب هذه المعاهدة على إنهاء حالة الحرب وإقامة علاقات ودية بينهما تمهيداً للتسوية! كما انسحبت إسرائيل من سيناء التي احتلتها عام 1967م، بل وفتحت إسرائيل بعدها ذراعيها لمحيطها لتلحق بركب السلام. وفيما يلي نص الاتفاقية:

---

(1) حاضر العالم الإسلامي: فرغلي علي الهريدي – العلم والإيمان للنشر والتوزيع – مصر – الطبعة الأولى – 2010م، ص: 25.
(2) انظر: موسوعة السياسة، 207/2.
(3) انظر: المصدر السابق، 208/2-209.

" إن حكومتي جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل اقتناعاً منهما بالضرورة الماسة لإقامة سلام عادل وشامل ودائم في الشرق الأوسط وفقاً لقراري مجلس الأمن 242 و338 إذ تؤكدان من جديد التزامهما "بإطار السلام في الشرق الأوسط المتفق عليه في كامب ديفيد" المؤرخ في 17 سبتمبر (أيلول) 1978م، وإذ تلاحظان أن الإطار المشار إليه إنما قصد به أن يكون أساساً للسلام ليس بين مصر وإسرائيل فحسب، بل أيضاً بين إسرائيل وأي من جيرانها العرب – كل فيما يخصه– ممن يكون على استعداد للتفاوض من أجل السلام معها على هذا الأساس، ورغبة منهما في إنهاء حالة الحرب بينهما وإقامة سلام تستطيع فيه كل دولة في المنطقة أن تعيش في أمن، واقتناعاً منهما بأن عقد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل يعتبر خطوة هامة في طريق السلام الشامل في المنطقة والتوصل إلى تسوية للنزاع العربي الإسرائيلي بكافة نواحيه، وإذ تدعوان الأطراف العربية الأخرى في النزاع إلى الاشتراك في عملية السلام مع إسرائيل".[1]

ثم جاءت اتفاقية العاصمة النرويجية أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين يهود عام 1993م، وذلك على إثر الضربات الموجعة التي وجهتها المقاومة في الانتفاضة الأولى لقوات الاحتلال، فتحول مسار القضية الفلسطينية كثيراً عن مسار المقاومة والجهاد إلى مسار التسوية السلمية عن طريق طاولة المفاوضات، وطمع المؤمنون بها بأن يعيش الشعبان جنباً إلى جنب في سلام، ونبذ العنف ورفض وملاحقة الإرهاب الخارج عن القانون والاتفاقيات الدولية والتنسيق الأمني الكامل من أجل حفظ الأمن وضمان تطبيق بنود الاتفاقيات، وذلك بعد أن أصبحت منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، كما يدعون.

وفي عام 1994م وقع اليهود والأردنيون معاهدة السلام والتي سميت بـ " معاهدة وادي عربة " على الحدود الفاصلة بين البلدين والتي تمر بوادي عربة، فطبَّعت الأردن علاقاتها بعد ذلك مع إسرائيل، وفتحت الحدود للسياح اليهود لتتجول آمنة في المملكة الأردنية الهاشمية. وأعلن حينها رئيس الوزراء الأردني عبد السلام المجالي " نهاية عصر الحروب "، وبالمقابل أعلن شمعون بيريز – رئيس دولة يهود آنذاك – أن " الوقت قد حان من أجل السلام ".[2]

ثم تلاحقت الاضطرابات والقلاقل في العالم العربي والإسلامي، فاضطربت علاقات الدول العربية مع بعضها البعض بعد هذه الاتفاقيات؛ فمنهم من أيَّد مطلقاً ومنهم من أيَّد ولكن بتحفظ على بعض البنود، والبعض رفضها من حيث المبدأ.

---

(1) الموسوعة التاريخية: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف – موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net – 1433 هـ، 291/10.

(2) انظر: معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية، موقع ويكيبيديا، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D.

ثم جاءت الحرب الأمريكية على أفغانستان بعد أحداث ضرب برجي التجارة العالمي في نيويورك، فشنت الحرب على العراق، حتى وصل عصر " الربيع العربي " الذي رأى فيه البعض بصيص أمل للوضع الراهن، وقالوا إن هذا هو أوان التخلص من التبعية الغربية، وقيام الدولة الإسلامية، ويأتي مقابلاً للطرف الأول ومضاداً له الذين أفرطوا في التشاؤم من هذه الأحداث ونتائجها فشككوا في كل شيء ولم يروا أن شيئاً قد تغير ولم يعيروا اهتماماً بالخير الذي ظهر من هذه الأحداث ولا إلى الشر الذي خفت واضمحل، ووقفوا خصوماً للقائمين عليها ومَن تعاطف معهم. وفريق ثالث وسط بين الأولين وهم الذين استبشروا من هذه الأحداث خيراً، ففرحوا بما فتح الله فيها من أبواب الخير وارتفاع صوت الإسلام، وفرحوا بما أغلق بها من أبواب الشر والظلم وسقوط الظالمين.(1)

لكن سرعان ما مرت على هذا (الربيع العربي) السنون وبدأت الخيوط المتشابكة تتفكك، وتتسرب الأسرار، وتتكشف المؤامرات ضد شعوب الوطن العربي من الخارج والداخل، ليتبين الأمر وتنزل الصاعقة على الجميع، وليدرك الكل أنه ما كان ربيعاً وما كان عربياً، ويدرك أخرون أنه سرق من أتباع الأنظمة القديمة أو تم القفز عليه، ويرى آخرون أنه كان خريفاً تساقطت فيه مع الأنظمة كل الأقنعة التي ادعت الثورية، كما تساقط الأمن والأمان وانحدرت القيم والأخلاق، فحلت أسوأ ما في أخلاق الشعوب بسبب هذه الثورات من الفوضى وانعدام الأمن وتعطل الإنتاج، بما خلق مناخاً من الواقع المر اضطر معه المواطن أن يترحم على أنظمة استبدت بحريته وكرامته وقوته، إلا أنها وفرت له ولعرضه الأمن فعاش في أمان، وتمنى لو تعود يوما هذه الأنظمة.(2)

في هذه الأجواء السياسية التي يعيشها كل مسلم، ويتأثر بها أيما تأثر، عاش شيخنا النحوي – رحمه الله – فقد هاجر من أحب البلاد إليه، هاجر من مسقط رأسه، هاجر من صفد، ومن فلسطين. لذا فإن المتتبع لكتابات النحوي الجمة يجد هذا التأثر الشديد بهذه الأوضاع التي تحياها فلسطين المسلمة، لكن هذا التأثير لم يكن سلبياً على الشيخ، فقد تحدى هذا الواقع بقلمه ودعوته، لعله يسهم في تغييره. ولقد كان النحوي مقوماً ومتتبعاً لثورات الشعوب وحركات الإصلاح والأحداث التي تمر بالأمة، وهذا الذي بان من مؤلفاته الكثيرة وتعدد مواضيعها.

---

(1) انظر: تأمُّلات شرعية في ظل الربيع العربي، عبدالله الناصر، 2015/11/2م،
https://saaid.net/arabic/638.htm

(2) انظر: الربيع العربي في الميزان، حاتم محمد عبد القادر، 2015/11/2م ،
http://www.al-forqan.net/articles/3467.html.

المطلب الثاني
الحياة العلمية والثقافية

الفكر ركيزة هامة في حياة الأمم ودليل على حيويتها وتقدمها أو على جمودها وتخلفها في جميع المجالات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. والأمة القوية هي التي يجتمع أبناؤها على عقيدة واحدة ومبادئ واحدة، فتكون لها وجهة نظر واحدة، هذه هي التي تتمتع بوحدة الفكر.

هذا، وتعتبر وحدة الفكر من أبرز ظواهر التاريخ الإسلامي، فقد انتظمت مختلف طبقاته بفكر واحد وثقافة واحدة، فبقيت الرابط المشترك الأعظم بينها مهما اختلفت أقطارها ودولها وأنظمتها. هذا الفكر هو روح الجماعة الإسلامية، والمحرك الأساسي، والقالب الذي تشكلت فيه مختلف القيم والمفاهيم والتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

لذا، كان الأمن الفكري للأمة راسخاً في الدعوة الإسلامية منذ أن انطلقت، فالداعية الأول ﷺ كان يحيط أتباعه بسياج أمني – خصوصاً في بداية الدعوة – للفكر حتى لا تتناوشه الأفكار المنحرفة فتعكر صفاء التوحيد الذي تربى الأتباع عليه.

وقبل أن يكون هذا المنهج منهجاً نبوياً كان منهجاً ربانياً؛ فقد نهى الله سبحانه رسوله ﷺ – وهو أرسخ الناس عقيدة وأعظمهم ثباتاً على الحق – أن يخوض في آيات الله سبحانه؛ لأن الشُّبَه خطافة، والقلب ما سمي قلباً إلا لكثرة تقلبه.

قال تعالى:﴿**وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾(الأنعام: 68).

فنهى الله سبحانه النبي ﷺ أن يبقى مع القوم الذي خاضوا في آيات الله سبحانه بغير علم ولا بصيرة، خوفاً من أن تلقى في قلبه شبهة تغير صفاء العقيدة في قلب أفضل الخلق وأخشاهم لله.

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ وَقَالَ: " **أَمُتَهَوِّكُونَ**[1] **فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا**

(1) التهوك: السقوط في هوة الردى، والتهوك: التحير، الأهكاء: المتحيرون، وهاكاه إذا استصغر عقله، والمتهوك: الذي يقع في كل أمر. انظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن على ابن منظور – دار صادر – لبنان – الطبعة الثالثة – 1414 هـ، 508/10.

بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي".[1]

" لقد كان الإسلام في ذاته يحمل من الأصالة ما يجعل فكره متميزاً عن فكر أي أمة أخرى، هذه الأصالة مستمدة من وحي السماء، ورسالة النبوة، وكلمات الله المنزلة.

ولقد كانت البداية تهدف إلى: إخراج المسلمين والعرب من مقومات فكرهم، المقومات التي أمدتهم في كل أزمة، وما تزال وستظل تمدهم بالقوة والصلابة والصمود في وجه كل غزو وإزاء كل قوة خارجية. وما دام المسلمون مستمسكين بمقومات فكرهم التي استمدوها من القرآن أساساً، فإن أي قوة غازية أو مسيطرة تعجز عن أن تقف في وجههم". [2]

ولما تطاولت على الأمة الإسلامية الأزمنة والعصور، وتباعدت بها الأيام عن ذلكم النور، وعطِّل تحكيم الكتاب المسطور، وأصبح هدي محمد ﷺ من المحصور والمهجور، هنالك وقع الانحراف المحذور؛ فاتبعوا مختارين أو مجبرين كل كافر ومنافق ومغرور، وتلاعبت بالأمة دواهي وأمور، وغزت عقول أبناء الأمة كل عادة وفكر مأجور.

ومن أجل هذا الهدف الكبير سُطرت بالليل المخططات، وأغدقت عليه النفقات، ورسمت من أجله الأفكار والنظريات.

" فمن أخطر ما تكشف في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية، تلك المخططات الاستعمارية الصهيونية السرية الرامية إلى تدمير المجتمعات الإسلامية، وخاصة المجتمع الإسلامي العربي عن طريق طرح العديد من النظريات والمذاهب الوثنية والمادية المتصلة بالنفس الإنسانية، والأخلاق والعقائد والتاريخ واللغة، ومقارنات الأديان والتربية. وقصدت هذه المخططات إلى محاولة تغريب العرب والمسلمين، وتفريغ الفكر الإسلامي العربي من مقوماته وقيمه وذاتيته في بوتقة الفكر العالمي الوثني المادي، وإخراج المسلمين والعرب من قيمهم ومقدراتهم وتذويبهم في الأممية والعالمية".[3]

ولا شك أن المتدبر في آثار الغزو الفكري والعسكري يجد أن الأول أكثر فتكاً وتدميراً وتحقيقاً لأهداف القوم من الثاني، إذ أن الغزو العسكري يتفق الجميع على محاربته والتصدي له، حَمِيَّةً لطين أو دين، لكن الغزو الفكري هو الذي يفرق العقول، ويشتت الجهود.

---

(1) مسند الإمام أحمد، مسند جابر بن عبد الله، 23/ 349، رقم/ 15156، وحسَّنه الألباني في الإرواء رقم/ 1589.

(2) قضايا العصر ومشكلات الفكر في ضوء الإسلام: أنور الجندي- مؤسسة الرسالة – لبنان – الطبعة الأولى – 1401هـ – 1981م، ص: 147-148.

(3) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص: 146.

" والغزو الفكري يتميز بالشمول والامتداد؛ فهو حرب دائمة لا يحصرها ميدان، بل تمتد إلى شِعاب الحياة جميعهاً، وتسبق حروب السلاح وتواكبها حتى تستمر بعدها لتكسب ما عجز السلاح عن تحقيقه، فتشل إرادة المهزوم وعزيمته حتى يلين ويستكين، وتنقض تماسكه النفسي حتى يذوب كيانه فيقبل التلاشي والفناء في بوتقة أعدائه أو يصبح امتداداً لهم".[1]

ولقد اتخذ الغزو الفكري أنواعاً كثيرة من المطايا، جاء على صهوتها إلى بلاد الإسلام، وما وفر الغرب الغازي في أن يستخدم كل طريقة ليصل لمأربه.

فلقد اعتمدت اليهودية الماكرة والنصرانية الحاقدة في حروبهم الفكرية ضد المسلمين محاور متعددة، وصوراً شتى، بل استخدموا كل وسيلة وطريقة وجدوا فيها محوراً نافعاً في صراعهم ضد الإسلام، لقد تعددت وسائل الغزو الفكري، وتكاثرت سبله حتى كاد الباحث المسلم يعجز عن تحديدها وحصرها، ولقد جاءت طلائع الغزو الفكري – كما هو الحال في سبل الشيطان– متعددة الشعارات، متباينة الاتجاهات ،عليها من البهرجة والبريق ما يكفي لتضليل وإغراء أمة منبهرة مهزوزة. لقد جاء التبشير والاستشراق، وجاءت الاشتراكية، والقومية والوطنية، والديمقراطية، والحرية، والعلمانية، وفلسفة التطور اللادينية وغيرها من المسميات والشعارات.[2]

واتخذ أعداء الأمة في حربهم الفكرية وسائل عدة، وامتدت أيديهم الآثمة إلى مجالات كثيرة وحساسة؛ مجالات تعتبر حصن الأمة الأول من الانحراف الفكري. وأول هذه المجالات غزواً هو نظام التعليم، فأصبحت المناهج في الدول العربية متخمة بمواد تناقض ما جاء به القرآن والسنة، من نظريات ومفاهيم وعادات وولاءات وأفكار غريبة عن المجتمع الإسلامي. وفُرضت هذه المناهج بقوة الحكومات التي ارتبطت مع الغرب بمصالح شخصية وحزبية.

" فقد كان الاستعمار حريصاً على أن يرافق الفتح السياسي فتحٌ معنويٌ بحيث يتقرب أهالي المستعمرات من المستعمرين إلى أن يندمجوا فيهم اندماجاً كبيراً وذلك بنشر لغة المستعمر، وتعليم الأهالي تعليماً ينشئ في نفوسهم حب المستعمر، فيستسلمون له طواعية، فذلك هو الهدف الأكبر. ويتصل به هدف آخر وهو القضاء على الثقافة العربية، وذلك بالطعن فيها وإثارة الشكوك من حولها والشبهات في أعماقها حتى ينظر المواطن نظرة الازدراء والاحتقار، ويعلي عليها ثقافة المستعمر التي تقدم له في قالب براق، وتعرض عليه عرضاً حافلاً بالبطولة والقوة".[3]

---

(1) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص: 128.

(2) واقعنا المعاصر والغزو الفكري، ص: 38.

(3) العالم الإسلامي والاستعمار السياسي: أنور الجندي– دار الكتاب – لبنان – الطبعة الثانية — 1983م، ص: 334.

ولتحقيق هذه الغاية فتحت الساحات لبناء مدارس أجنبية في بلاد الإسلام، يظهر تميزها على المدارس الأخرى من حيث التجهيز والنفقات والمدرسين، بينما همشت المدارس الرسمية، فأصبح حلم الطالب وولي أمره أن يلتحق ولده بهذه المدارس لما لها من ميزات كثيرة، وكذلك فإن التخرج منها يفتح له أبواب الجامعات العالمية. ومن خلال مناهج هذه المدارس دس سم القوم من قدح في العقائد، واستهتار بالثوابت.

"أما المدارس الأجنبية في العالم الإسلامي فقد حرصت على أن تقصي طلابها عن الإسلام واللغة العربية والتاريخ الإسلامي جميعاً، وعمدت إلى إذاعة تاريخ نابليون وفرنسا وبريطانيا واللغات الإنجليزية والفرنسية وآدابها، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك، فقد قدمت لطلابها كتباً تتناول الهجوم والتشكيك في مختلف القيم الإسلامية والعربية".[1]

وكذلك كان من سبل الغزو الفكري تهميش المعاهد والجامعات الدينية؛ فمنذ وقت غير بعيد كان لا يعترف بالجامعات الإسلامية حين التوظيف، فيحرم خريجو هذه الجامعات من تقلد المناصب والوظائف.

"فقد حرص النفوذ الاستعماري على تجميد المعاهد الإسلامية الكبرى: كالأزهر الشريف وأنشأ نظاماً آخر مستقلاً عنه، له طابعه الغربي الخالص، وجعل مدارسه ومعاهده هي التي توصل إلى المناصب والنفوذ والثورة، في حين أبقى خريجي المعاهد الإسلامية في درجة منخفضة".[2]

وكذلك طال التهميش والازدراء مادة التربية الإسلامية في المدارس؛ فلا يشترط لها تخصص مستقل لتدريسها، بل يمكن أن يعلمها من لا يفقه شيئاً في الفقه والعقيدة وأحكام التجويد والسيرة. وأخرت حصص التربية الإسلامية إلى آخر الدوام، ولم تحسب علامتها في نهاية العام، مما جعل الطلاب لا يعيرون لها اهتماماً بمقابل الاهتمام الكبير بالمواد الأخرى.

"عُرضت مناهج الدين والتاريخ الإسلامي عرضاً منفراً يجعلها على هامش المنهج الدراسي، مما يغرس في نفوس الناشئة عدم الاهتمام بهما، ويجعلهم يعتقدون بعدم جدواها دراسياً، لكونها مواداً غير أساسية في متطلبات الشهادات الثانوية وغيرها، وغير أساسية في متطلبات الدخول إلى مواد الجامعات، فيبقى الدين في أذهانهم سلوك، وعبادات فقط، والتاريخ الإسلامي تاريخ ماض لا مكان له في عصرنا الحاضر".[3]

---

(1) العالم الإسلامي والاستعمار السياسي ، ص: 337.
(2) المصدر السابق، ص: 342.
(3) حاضر العالم الإسلامي، تاج السر، ص: 65.

يقول المنصِّر هنري حبيب: "إن التعليم إنما هو واسطة إلى غاية فقط في الإرساليات المسيحية، هذه الغاية قيادة الناس إلى المسيح، وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية، ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه، وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخير الجراحين والأطباء في سبيل الزهو العلمي، فإنّنا لا نتردد في أن نقول: إنّ رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي إلى مدى علماني محض، إلى مدى علمي دنيوي".[1]

لكن الله أدرك الأمة بصحوة إسلامية كفأت قدور الغزو الفكري التي كانت تطبخ فيها أفكارٌ خبيثة، واقتلعت خيامهم التي كانت تجتمع فيها شياطين الإنس مع شياطين الجن ليوحي بعضهم لبعض بما يفسد فكر وتراث الأمة.

وظاهرة الصحوة الإسلامية القائمة اليوم من المبشرات بأن المستقبل للإسلام، وهي حدث تاريخي له دلالته الواقعية، فهي تجيء من جهة بعد الجهد الكبير الذي بذلته القوى الصليبية والصهيونية على مدى ما يقرب من قرنين من الزمان لزحزحة الأمة المسلمة عن دينها وسلخها منه، وتجيء من جهة أخرى والبشرية في أحد منعطفاتها التاريخية، وقد بدأت تيأس من حضاراتها المادية الجافة، وبدأت تتطلع إلى المخلص والمنقذ الجديد.[2]

إن المسلمين اليوم مكلفون بإيجاد بدائل لما يعرضه الغرب من مادة إعلامية وتعليمية للأجيال المسلمة، هذه المادة يجب أن تضاهي في جِدتها ما تميزت المادة الغربية، لتتشكل الشخصية الإسلامية الواعية من جديد، وهذا الأمر منوط بالحكومات بكافة وزاراتها وخصوصاً وزارتي التربية والتعليم والإعلام، وكذلك برجال الأعمال وأصحاب الأموال لإيجاد الدعم اللازم لهذا البديل المتميز. كما أن ولي الأمر راع في أهل بيته وهو مسؤول عنهم يوماً بين يدي الله سبحانه، فيجب عليه أن يحصن أهل بيته مما يعرض في الإعلام المتلفز والإنترنت من عادات وعقائد تخالف الشرع، بل يعمل على زرع الفكر الصحيح القويم المستمد من سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام، حتى يصبح المثل الأعلى للأبناء هو محمد ﷺ وأتباعه بإحسان، بدل أن يكون المثل الأعلى لهم لاعب كرة، أو مغنٍ تحلل من الأدب والالتزام.

---

(1) التبشير والاستعمار في البلاد العربية: مصطفى خالدي وعمر فروخ – المكتبة العصرية – بنان – الطبعة الخامسة – 1973م، ص:66-67.

(2) انظر: واقعنا المعاصر: محمد قطب– دار الشروق – مصر – الطبعة الأولى – 1418هـ– 1997م، ص: 12.

المطلب الثالث
الحياة الاجتماعية

إنّ الحياة الاجتماعية في أي بلد هي الانعكاس الحقيقي والتمثيل العملي للوضع السياسي في ذلك البلد؛ إذ كلما كانت الحياة السياسية طبيعية ومستقرة كانت الحياة الاجتماعية مستقرة مزدهرة والناس في رَغَدٍ وهناء، وكلما اضطربت الحياة السياسية تَبِع ذلك اضطراب في الحياة الاجتماعية؛ فتسود الفوضى، ويَعم الظلم والجور والانحلال والفساد، فقوّة البلد سياسياً تستلزم قوّة المجتمع وترابط أفراده واستقرار نظامِهِ، وكلما كان البلد ضعيفاً سياسياً انعكس ذلك سلباً على الحياة الاجتماعية في ذلك البلد.

وإن كانت العوامل التي تربط الأفراد كثيرة في المجتمعات غير الإسلامية مثل الوطن والأرض واللغة والقرابة ووحدة التعليم والثقافة وغيرها من العوامل، فإن المجتمع المسلم يتفوّق عليها بعامل أهم بكثير، يزيد من تماسكه وانسجامه؛ هذا العامل هو العقيدة والدين والنصوص من الكتاب والسنة التي تحث على التكافل الاجتماعي، وحقوق المسلم على أخيه المسلم، ووجوب نصحه وشد أزره ونصرته ظالماً أو مظلوماً، وموالاته ومعاداة من حاربه وقاتله، وإفشاء السلام عليه، والبعد عن تجريحه سواء بالغيبة أو النميمة والحسد والبغض، ووجوب الإنفاق عليه بالزكاة والصدقة إن كان فقيراً، وغيرها من المعاني الاجتماعية التي تجعل المؤمنين كالبنيان المرصوص، ليس فيهم دنيء، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم. وهذه المعاني بأسرها لا تجدها إلا في مجتمع مسلم عرف الكتاب والسنة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " **حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**" قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟، قَالَ: " **إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**".[1]

فالمجتمع المسلم هو ذاك المجتمع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة وقوانينه السماوية، وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة ويتجهون إلى قبلة واحدة. ولهذا المجتمع – وإن تكوَّن من أقوام متعددة وألسنة متباينة – خصائص مشتركة وأعراف عامة وعادات موحدة ففيه مقومات المجتمع القوي المتماسك المنسجم؛ فلو أن إنساناً سار في العالم الإسلامي من جاكرتا شرقاً إلى طنجة غرباً لوجد الظواهر الاجتماعية تكاد تكون واحدة.[2]

(1) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – لبنان. كِتَابُ الجَنَائِزِ – بَابُ الأَمْرِ بِاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ – 1705/4 – رقم/2162.

(2) انظر: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص: 159–160.

يقول الدكتور صالح الرقب[1]: "المجتمع الإسلامي ينضبط أفراده في سلوكهم وتصرفاتهم مع شريعة الله تعالى؛ ذلك أنّ العقيدة المغروسة في وجدانهم جعلتهم يقولون لشرع الله: سمعنا وأطعنا، وتكاد المعاصي والجرائم الخلقية تغيب عن هذا المجتمع، وقد يكون فيه أناس يرتكبون المعاصي من الزنا وشرب الخمر ونحوها، ولكنهم قلة لا يأبه بها أحد، فضلاً من أن أحكام الله تعالى تطبق عليهم، وقد يسعى هؤلاء إلى الحاكم المسلم طالبين إيقاع العقوبات المقررة شرعاً في حقهم."[2]

ولما طالت السنون بالمسلمين، وابتعدت تاريخياً عن معين الكتاب والسنة الصافيين، ابتعدت وجدانياً كذلك عن كثير مما فيهما من معانٍ اجتماعية، غابت عن بال كثير من المسلمين اليوم معاني الإخوة والمحبة والنصرة والولاء والتآزر وحفظ دينه وماله وعرضه. وما كان هذا ليحدث إلا لأن المسلم نفسه تخلى عن نصوص الكتاب والسنة، ثم حدث هذا بفعل الغزو الفكري التي تعرض له المجتمع المسلم – وما زال – بعد انتهاء الغزو العسكري والذي يعتبر أخف ضرراً بكثير.

يقول النحوي – رحمه الله : "تسلل مع الغزو العسكري الغزو الفكري ومعه الفتنة إلى ديار المسلمين تكتسب كل يوم جنوداً لها منتسبين إلى الإسلام. وكما فشل المسلمون في صد الغزو العسكري، فشلوا كذلك في صد الغزو الفكري، حتى عمَّ العالم الإسلامي حركات منظمة تجاهر بحرب الإسلام، وحركات تتخفى وراء زخارف لتنفث سمومها، وحركات هجمت على نصوص الكتاب والسنة، وتنشر فتاواها وتلبس على الناس دينهم، وتلقي بينهم قضايا تشغلهم عن مجابهة الخطر الحقيقي الذي يهدد الأمة كلها".[3]

ويهدف هذا الغزو الفكري والثقافي الذي اجتاح المجتمع الإسلامي إلى تغيير شخصية المسلم وتفكيره، وسلخه من المعاني سالفة الذكر من حب وود وولاء.

---

(1) الأستاذ الدكتور صالح حسين الرقب، حاصل على درجة الأستاذية في العقيدة والمذاهب المعاصرة، والمحاضر في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة، له العديد من الأبحاث المحكمة مثل: ليس لليهود حق ديني في فلسطين و موقف الشيعة الإثنى عشرية من الصفات الإلهية، كما أن له العديد من المؤلفات في العقيدة مثل: واقعنا المعاصر والغزو الفكري والبشائر بنصرة الإسلام غيرها. وتقلد الدكتور – حفظه الله– أكثر من منصب مثل: وزير الأوقاف والشؤون الدينية في فلسطين، وعضو مؤسس لجمعية أهل السنة أنصار آل البيت والأصحاب. انظر: موقع الدكتور صالح الرقب، http://www.drsregeb.com/.

(2) واقعنا المعاصر والغزو الفكري، صالح الرقب، ص: 14

(3) بين الارتجال وبين النهج والتخطيط والإعداد والبناء: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1433هـ – 2012م، ص: 136.

فالغزو الثقافي الذي يجتاح الأمة الإسلامية تبعٌ للغزو العسكري الذي جاس خلال ديارها منذ بضعة قرون والذي زاد من الهزائم التي أصابتنا وألحقت بنا خسائر مادية ومعنوية فادحة. والأعداء إذا شنوا غارة على بلد ما، فهم لا ينزلون به سائحين عابرين، ولا زائرين متفرجين، وإنما ينزلون به مستبيحين بيضته، وكاسرين شوكته. فإن كانوا طلاب مغانم استنزفوا خيره ولم يدعوا لأهله إلا الفتات، وإن كانت لهم أغراض دينية أو اجتماعية وضعوا الخطط القريبة والبعيدة لمحو شخصية الأمة وتغيير ملامحها، وكما ينقل النهر من مجرى إلى مجرى آخر، تنقل الأمة رويداً رويداً من مجراها العقلي الأول إلى مجرى آخر يرسمه خصومها ويدفعونها إليه دفعاً.[(1)]

ومن العوامل التي ساهمت في الغزو الفكري وقبول الأفكار الغربية لتحل محل الإسلامية منها الانهزام النفسي الذي مني به المسلمون بعد خوض الحروب المتتالية والخروج منها بالهزيمة، فاغتر الناس بالحضارة الغربية وبكل ما فيها، ومن المعلوم في علم الاجتماع أن القوي مُتَّبَعٌ، والظالم تميل له قلوب الذي ينتفعون من عطاياه.

" بدأ احتكاك المجتمع الإسلامي المنحرف عن الإسلام بالمجتمع الغربي الشارد عن الدين في القرن التاسع عشر الميلادي ومنذ اللحظة الأولى أحس الغرب – المغرور بتقدمه المادي – بتفوقه الاجتماعي على العالم الإسلامي الذي لا شك أنه كان لديه من الفضائل ما يفتقده الغرب، لكن نظرة الغالب إلى المغلوب لا تسمح بالرؤية الصحيحة عادة لا سيما والروح الصليبية الحاقدة كانت من ورائها. وبالمقابل أحس المجتمع الإسلامي بالانبهار القاتل واستشعر النقص المرير، وهكذا كان الطريق مفتوحاً لمهاجمة القيم الإسلامية وتدمير مقومات المجتمع من خلال مهاجمة ذلك الواقع المتخلف الذي لا يمثل الإسلام".[(2)]

وبالإضافة إلى الانهزام النفسي السالف الذكر الذي ساهم في نجاح الغزو الفكري، فقد عملت ما بات يعرف بالعولمة فعلها في العالم كله عامة وفي العالم الإسلامي خاصة؛ إذ غزت العقول بالأفكار الغربية المعلبة، تفد تباعاً إلى بلاد المسلمين عبر وسائل الاتصال الحديثة على اختلاف أنواعها المسموعة والمقروءة والمرئية. ومن المؤسف أن بعض المثقفين من المسلمين تحمس لفكرة العولمة ورأى أنها سبب للتقدم العلمي والاجتماعي، وأخذ يدعو لها في المجلات والقنوات ومواقع الشبكة العنكبوتية (الانترنت).

يقول الدكتور صالح الرقب تحت عنوان (الأهداف والآثار الاجتماعية والخلقية للعولمة): "كرست النزعة الأنانية لدى الفرد، وتعميق مفهوم الحرية الشخصية في العلاقة الاجتماعية، وفي علاقة الرجل بالمرأة، وهذا بدوره يؤدي إلى التساهل مع الميول والرغبات الجنسية، وتمرد الإنسان

(1) انظر: الغزو الثقافي: محمد الغزالي – دار نهضة – مصر – الطبعة الأولى– بدون سنة تأليف، ص: 36.
(2) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص: 164.

على النظم والأحكام الشرعية التي تنظم وتضبط علاقة الرجل بالمرأة. وهذا بدوره يؤدي إلى انتشار الإباحية والرذائل والتحلل الخلقي وخدش الحياء والكرامة والفطرة الإنسانية".[1]

نعم، هذه الآثار التي ذكرها الرقب حدثت في الغرب بجلاء ووضوح، لكن المخيف هو أن سبب انتشارها هو الفكر العلماني والقوانين التي سنها المؤمنون بها، وهكذا فإن الأمة الإسلامية إذا اتجهت بكليتها إلى الأخذ بهذا الفكر، واتبعت سَنن القوم حذو القذة بالقذة، فإنه سيلحقها ما لحقهم، ويحل بها ما حل بهم.

ولم يكن الإعلام الرسمي بعيداً عن هذا التدهور في الحياة الاجتماعية، إذ كان له الأثر الأكبر في رسم شخصية الأجيال المسلمة، في مقابل إعلام إسلامي ضعيف لا يملك القدرة على جذب إعجاب الجماهير كما هو الحال في الإعلام المضلل. فاستوردت من خلاله أفكاراً لا علاقة لها بالإسلام، وانتشرت المسلسلات التركية الهابطة، والمسلسلات الهندية الخليعة، وأخذت ألباب الصغار والكبار من والذكور والإناث.

ولم تسلم مناهج التعليم التي تبني شخصية الأجيال من خيوط الغزو الفكري؛ فامتلأت بنظريات وعلوم مخالفة للعقيدة الصحيحة، فنظرية داروين التي عفا عليها الزمن، وثبت فشلها عند أهلها من علماء الغرب وأهل الاختصاص، ما زالت تدرس في بعض مناهج التعليم العربية. كما أتخمت هذه المناهج بتمجيد أهل الكفر والفسق والبدع من الأدباء والرؤساء والقادة الذين تربوا في أحضان الغرب الصليبي.

يقول الدكتور علي جريشة: " وعاون على الغزو الفكري إعلام فاجر لا يرعى الله ولا الأخلاق والقيم، ويحقق للصهيونية والصليبية كل ما تبغيه، عقيدة وخلقاً وسلوكاً. كما ساعد على ذلك تعليم متفلت أو يزرع التفلت من قيم الإسلام، ليعلي قيماً غير إسلامية، وليقر مناهج غير إسلامية في مجال الطبيعيات والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وليزري عن عمد أو عن جهل بالدين ورجاله وعلمائه فيزري بالتالي قيمه وأحكامه".[2]

ولأن الغرب يعلم يقيناً أن المسلمين لن يتركوا دينهم أبداً، دسَّ سمَّه الزعاف فيما تسيل له اللعاب، وألبس باطله وخبثه بلباس بهي يأخذ بالألباب والعيون؛ فغير ثوابت المسلمين من خلال مصطلحات جذابة ومحببة إلى النفوس وخادعة للسُّذج، مثل: تحرير المرأة، والعدالة الاجتماعية، والمساواة، وحقوق الإنسان، والحرية الشخصية، والتطور والموضة والتمدن، وتحرير وتنوير العقول وتفجير الطاقات، والحق في المشاركة السياسية، وغيرها من الألفاظ اللامعة.

---

(1) واقعنا المعاصر والغزو الفكري، صالح الرقب، ص: 182

(2) حاضر العالم الإسلامي، علي جريشة، ص:89.



المبحث الثاني

حياة عدنان النحوي

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سيرة عدنان النحوي الشخصية.

المطلب الثاني: حياة عدنان النحوي العلمية.

المطلب الثالث: مؤلفات عدنان النحوي.

المطلب الرابع: الدراسات التي تناولت عدنان النحوي وكتاباته.

المطلب الأول
سيرة عدنان النحوي الشخصية

اسمه ونسبه:

عدنان بن علي رضا بن محمد بن عبد الغني بن محمد بن عبد الغني، ثم يمتد نسبه إلى الشيخ العالم شهاب الدين أحمد الخفاجي(1)، ثم فقدت شجرة نسبه لهجرة العائلة من فلسطين بسبب الاحتلال اليهودي لها، وذلك بفقد تراث وكتب العائلة.

ولفظ النحوي أطلقه والي عكا على أحد أجداده عندما مر بها هذا الجد راجعًا من القاهرة، متخرجًا من الأزهر، لا يتكلم إلا بالعربية الفصحى، فسمي بالنحوي ووُلِّي القضاء في صفد.(2)

مولده:

يقول الدكتور عدنان النحوي – رحمه الله – عن مولده :" ولدت في مدينة صفد، في فلسطين، في الأرض المباركة، في 1346/7/23هـ – الموافق 1928/1/15م".(3)

نشأته:

نشأ في بيت دين وعلم، وفقه وأدب، وعطاء وجهاد، فوالده هو المجاهد السياسي علي رضا النحوي، وأجداده وأعمامه علماء وقضاة، ومفتون ورجال قانون وإدارة، وأدباء وشعراء، لذا نشأ النحوي في جو من العلم منذ طفولته، وترعرع في مكتبة آل النحوي، وهي مكتبة شهيرة زارها العلماء من مصر وسوريا ولبنان وفلسطين وغيرها. كذلك استفاد النحوي من ثقافة أضياف العائلة من العلماء والأدباء ورجال السياسة، فنشأ نشأة الإيمان والعلم والأدب، فنظم الشعر وهو ابن أربع عشرة سنة، وجاءت كتاباته زاخرة بهذه النشأة.(4)

---

(1) شهاب الدين الخفاجي المصري: قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة. نسبته إلى قبيلة خفاجة. ولد ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم، واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلانيك، ثم قضاء مصر. ثم عزل عنها فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر وولي قضاءً يعيش منه فاستقر إلى أن توفي. انظر: الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي– دار العلم للملايين – مصر – الطبعة الخامسة عشر – 2002م، 238/1.

(2) انظر: صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان علي رضا النحوي: نعيم شبير – دار أطلس الخضراء – السعودية – الطبعة الأولى – 1429هـ – 2008م، ص: 23.

(3) ديوان مهرجان القصيد: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية– الطبعة الأولى – 1414 هـ – 1993 م، ص: 13.

(4) انظر: صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان علي رضا النحوي، ص: 23.

كما تأثر النحوي بمدينة صفد وتاريخها العريق، وعلمائها الأفذاذ مثل صلاح الدين الصفدي وهو الجد الأول لآل النحوي في صفد، وشهاب الدين أحمد بن موسى بن خفاجة الصفدي المتوفى سنة 750هـ، والذي له مسجد في صفد يسمى باسمه "جامع الخفاجي" وغيرهما.

وتأثر النحوي بجمال مدينة صفد حيث المناظر الخلابة من جبال الجليل وخصوصًا جبل الجرمق وجبال سوريا ولبنان، وبحيرة الحولة وطبريا ونهر الأردن والسهول الممتدة والتي تُذَكِّر بجهاد الأولين وعزة الإسلام ومسيرة الأنبياء.[1]

يقول النحوي: "صفد تعتبر من أجمل بلاد الشام، تشرف من ناحيةٍ على جبال سوريا ولبنان وعلى الغور وبحيرة طبريا، ومن ناحيةٍ أخرى تشرف على جبال الجليل وعلى جبل الجرمق الذي هو من أعلى جبال فلسطين، ومن أعلى جبال بلاد الشام".[2]

وكذلك تأثر النحوي بالثورات المتتابعة في فلسطين منذ طفولته المبكرة، فشحذت الأحداث مشاعره، وعضَّد ذلك ما كان يزود به في أهله وبيته وبيئته، فانتقل من مسكنه في صفد إلى عكا ثم إلى غيرها، وهذا أورثه وعيًا جغرافيًا وسياسيًا وأمنيًا مبكرًا، والتعرف على أحوال المسلمين من المناطق المختلفة، ففهم عدوه آنذاك "الإنجليز واليهود" تمامًا. [3]

هجرته:

تنقل النحوي من بلد إلى آخر كحال مئات الآلاف من الفلسطينيين الذي هُجِّروا من بلادهم سنة 1948م، فمن فلسطين إلى سوريا ثم الكويت ثم مصر ثم عاد إلى سوريا حتى استقر في المملكة العربية السعودية.

يقول – رحمه الله: "أقمت في فلسطين بحدود عشرين عاماً، مضت من خلالها ثورات متتابعة ضد الانكليز واليهود، ثم غادرنا فلسطين مرتين: الأولى خلال ثورة سنة 1936م إلى دمشق لنلحق بوالدي. والثانية كانت سنة 1948م، عام مأساة الهجرة واللجوء، فأقمت في دمشق خمس سنوات، ثم أقمت في الكويت ثلاث سنوات، وفي مصر خمس سنوات، وعدت إلى سوريا حيث أقمت ثلاث سنوات، أتيت بعدها إلى المملكة العربية السعودية في 1964/7/20م، ومنذ ذلك الوقت أنا مقيم في المملكة في مدينة الرياض، ومنحت الجنسية السعودية سنة 1978م."[4]

---

(1) انظر: ديوان مهرجان الصيد، ص: 13

(2) من مقابلة أجرتها معه قناة المجد الفضائية في برنامج "صفحات من حياتي" د : 8.
https://www.youtube.com/watch?v=upoK3p4q0Og.

(3) انظر: صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان علي رضا النحوي، ص:24.

(4) ديوان مهرجان القصيد، ص: 13 – 14.

هاجر أبوه علي رضا النحوي[1] إلى دمشق سنة 1936م، مع أعضاء اللجنة المركزية التي تقود ثورة سنة 1936، وهي لجنة عَمِلَ الإنجليز على ملاحقتها لإجهاض الثورة حيث كانت سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي آنذاك، وكان الانتداب مراقباً يومياً لِلَّجنة، فلحق الشيخ عدنان النحوي هو ووالدته وإخوته بوالده سنة 1937م، ثم عاد إلى صفد بعد توقف الثورة، دون السماح بعودة أبيه، فوجد بيته قد نسف في وسط مدينة صفد إلا جدارًا واحداً، فظلت الحجارة في مكانها إلى سنة 1948م شاهدة على التآمر والإجرام. وذكر النحوي هذا المشهد في ديوانه الأرض المباركة قائلًا:

"مَجْـدٌ تَهَـدَّمَ إلَّا حَائِطًـا هَرِمَـاً وَالَمجْـدُ أَخْلَـدُهُ مَـا عَهْـدُهُ القِـدَمُ

وَقَفْـتُ أَسْـتَنْطِقُ الأَحْجَـارَ أَسْـأَلُهَا وَالصَّـخْرُ يَتْلُـو حَـدِيثاً كُلُّـهُ حِكَـمُ

حتى قال:

وَسْـطَ اَلمَدِينَـةِ دَارٌ قَـدْ زَهَـتْ شَـرَفَاً وَزانَهَـا الـدِّينُ وَالأَخْـلَاقُ وَالشِّـيَمُ

فِدَىً لِدِيني وأَوْطَانِي ذَهَبـتِ فَـلَا حُـزْنٌ عَلَيْـكِ وَلَا دَمْـعٌ وَلَا أَلَـمُ"[2]

أقام شيخنا في بيت العائلة، والذي كان يسمى بيت القضاء، لإقامة أجداده القضاة فيه، ثم سُمح لأبيه بالعودة لفلسطين، فانتقلت العائلة إلى عكا، وأصبح أبوه مديرًا للأوقاف، ثم جاءت الهجرة سنة 1948م من عكا إلى دمشق فرافق والدته المريضة التي توفيت سنة 1949م، وبقي أبوه وإخوته في عكا، حتى سقوط المدينة.

ثم انتقل النحوي إلى دولة الكويت، فمُنع أن يلتحق بجامعات مصر لأن شهادته مرَّ عليها أكثر من سنتين، فأنهى امتحان التوجيهية الكويتية بمرتبة الشرف، فدخل الجامعة في مصر، ثم عاد إلى سوريا، واستقر في مدينة حمص، ثم عاد إلى السعودية بعقد عمل في وزارة الإعلام بالرياض، كمسؤول عن محطات الإرسال.[3]

---

(1) علي رضا النحوي ولد في صفد وتخرج من جامعة استانبول، كان من المؤسسين في الحزب العربي الفلسطيني عام 1935م، ومدير أوقاف اللواء الشمالي والذي كان مركزه عكا، وأحد الرجال الذين عملوا مع المفتي الحاج أمين الحسيني، والذي أشرف على تكوين خلايا الجهاد المقدس في شمال فلسطين من 1931–1935م، وعضو للمجلس التأسيسي لحكومة عموم فلسطين. انظر: رابطة أدباء الشام، علي رضا النحوي، موقع رابطة أدباء الشام، 2015/9/21م، –http://www.odabasham.net/85/61329.

(2) انظر: ديوان الأرض المباركة: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1418هـ – 1998 م، ص: 43

(3) مع الداعية النحوي، موقع عدنان النحوي، 2015/9/22م،

http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=63

يقول النحوي: "ولقد كان لهذا البلد المسلم الذي أصبحت مواطنًا فيه فضل عليّ كبير ففيه أنجزتُ كل عطائي الفكري والأدبي والدعوي، ومن هنا نمت خبرتي ونمى علمي، ومن خلال عملي زرت عدة بلدان وحضرت عدة مؤتمرات، وأرجو أن أكون قد قدمت خلال إقامتي هنا ما يرضي الله سبحانه وتعالى في أكثر من ميدان".[1]

المناصب التي تقلدها:

تدرج الشيخ عدنان النحوي في المناصب حسب نشاطه العلمي إلى ما يمكن تلخيصه على النحو التالي:

- مدرس لمدة ثماني سنوات في سوريا والكويت.
- مدير محطة الإرسال الإذاعية في حمص بسوريا.
- مدير المشاريع الإذاعية في وزارة الإعلام في المملكة العربية السعودية لمدة خمسة عشر عامًا.
- عمل مستشارًا فنيًا لوكالة الأنباء الإسلامية.
- ثم مستشارًا فنيًا للحرس الوطني في المملكة.
- تقلد بعدها المدير العام لمؤسسة البشريات للتجارة والمقاولات.
- وعمل أيضًا مديرًا عامًا لدار النحوي للنشر والتوزيع في المملكة العربية السعودية.[2]

وفاته:

وافت المنية الشيخ الدكتور عدنان النحوي في يوم الأحد 1436/3/20هـ، الموافق 2015/1/11م بمدينة الرياض في المملكة العربية السعودية عن عمر يقارب تسعين سنة، وقد أديت عليه صلاة الجنازة في مسجد الراجحي في مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية.

وقد نعاه الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين[3]، وكذلك نعته رابطة الأدب الإسلامي العالمية[4]، ونعته جريدة الأيام الفلسطينية في عددها الصادر 2015/1/13م[5]، ونعته الشاعرة الفلسطينية أماني حاتم بسيسو:

---

(1) ديوان مهرجان القصيد، ص: 17.

(2) انظر: صفحات مشرفة من حياة الدكتور عدنان علي رضا النحوي الداعية، ص:29.

(3) انظر: نعي، الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، 2015/4/9م، http://www.qaradawi.net/new/takareer?start=84

(4) انظر: وفاة الأديب الدكتور عدنان النحوي، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، 2015/4/9م، http://www.adabislami.org/news/1716

(5) انظر: تعزية، مجموعة دعاة من فلسطين، الأيام، فلسطين، بتاريخ: 2015/1/13م.

"لا لـمْ تمـتْ عمـاهُ أنـتَ مجاهـدٌ ... بـــاقٍ بـــذكركَ، إنـــه أجـــلٌ جديـــدْ

لا زال شـعرك فـي ضـميري قائـدًا ... للعـــزمِ للأمجـــادِ للبـــذلِ الفريـــدْ

أنــا لــم أزل مترنمــاً بقصـــــائد ... الـــــأرضِ المباركـــةِ أُعيـدُ وأسـتعيدُ

ذكـرى جـوادٍ شـاعرٍ مـنحَ العـلا ... عمـــراً وبعـــضُ العمـــر لـــيس يبيـــدْ

يـا ربِّ ألهمنـا عـزاء الصابريـــن ... يـــا ربِّ أبلغـــهُ رحابـــكَ يـــا مجيـــدُ

أســكنه مرضـــياً فســيح جنانـــك ... الـــكبرى بظلـكَ يـا إلهـي يـا معيـد"[1]

رحم الله الشيخ الدكتور عدنان النحوي، وتغمده بواسع رحمته، وطيب الله ثراه، وقدس روحه، وجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء لما قدمه للأمة من فكر أصيل مبناه على الكتاب والسنة، ونسأل الله تعالى أن يلحقه بنبيه ﷺ في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر!

---

(1) وفاة الأديب الدكتور عدنان النحوي، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، أماني بسيسو، 2015/9/15م، http://www.adabislami.org/news/1716

المطلب الثاني
حياة عدنان النحوي العلمية

لقد كانت الحياة العلمية للدكتور عدنان النحوي مثالاً للعالم العامل، ساعده في ذلك ظروف شتى وعوامل جعلت البيئة التي عاشها منذ صغره بيئة علمية لا يمكن إلا أن تنتج هذا العالم، فأبوه علي رضا النحوي كان مديراً للأوقاف، ومجاهداً عمل مع الحاج أمين الحسيني(1) منذ بدايات الثورة، وكذلك أعمامه وأخواله منهم القاضي والداعية والشاعر، نشأ في مكتبة العائلة الكبيرة بين الكتب في شتى العلوم، رعته عائلته رعاية خاصة لما فطنوا فيه من الذكاء وسرعة الحفظ.

"أنهى الدكتور عدنان النحوي دراسته الابتدائية والثانوية بين صفد وعكا، ثمّ اختير ليُتِمَّ دراسته في دار المعلمين بالقدس (الكلية العربية)، والتي كان يُختار لها الأوائل من كل مدينة في فلسطين.

وفي دار المعلمين تعدّدت أبواب الدراسة : علوم التربية وأصول التدريس وعلم النفس، وعلوم الرياضيات وتاريخها والفيزياء والكيمياء، واللغة العربية وفقه اللغة، ونحوها وصرفها، والبلاغة والعروض، والأدب العربيّ في عصوره المختلفة ابتداء من العصر الجاهلي، وقليل من اللغة اللاتينية، والمنطق، وتاريخ اليونان والرومان بتفصيل واسع، وتاريخ أوروبا، ثم تاريخ إنجلترا بصورة موسعة ومفصلة كثيراً، واللغة الإنكليزية وتاريخها وآدابها ومذاهبها الأدبية بصورة موسَّعة جداً.

وكان في الكلِّيَّة العربية مكتبة غنية، فحبِّبت إليه المطالعة، فعكف على مطالعة أهم الروايات العالمية، وأهم الكتب الفكرية والأدبية والتاريخية، يملأ بها وقت فراغه". (2)

وبالرغم أن الانتداب البريطاني كان يمسك بزمام أمور التعليم في فلسطين، ويحاول من خلال هذا الجانب الهام طمس القضية الفلسطينية، وإخراج جيل يجهل عقيدته وقضيته، ممهداً لإقامة دول يهود على الأرض المباركة، لكن النحوي حفظه الله من خلال العائلة المثقفة المجاهدة، فحفظ القرآن وقرأ التفسير ودرس السنة والفقه واللغة.

---

(1) محمد أمين (أو الحاج أمين) بن محمد طاهر بن مصطفى الحسيني: زعيم فلسطين السياسي في عصره. ولد وتعلم بالقدس، وأقام سنتين بين الجامع الأزهر ودار الدعوة والإرشاد التي أنشأها محمد رشيد رضا بمصر. وتخرج ضابطاً احتياطياً في إسطنبول (1916) وضم إلى الفرقة 46 في إزمير. وعاد إلى القدس بعد الحرب. ونسبت إليه اضطرابات في بيسان (1920) فطلبه الإنكليز، ففر إلى دمشق وما لبث أن عاد إلى بلده. وتوفي أخوه مفتي فلسطين (1922) فانتخب بدلاً منه بلقب (مفتي فلسطين الأكبر). انظر: الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي – دار العلم للملايين – مصر – الطبعة الخامسة عشرة – 2002م، ص: 45/6.

(2) مع الداعية النحوي (السيرة الموسعة)، موقع النحوي، بتاريخ : 2015/4/22م، http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=63

"وخلال هذه السنوات درس التاريخ الإسلامي بصورة موجزة في المدارس، التي كان يقرر مناهجها الانتداب البريطاني المحتلّ، المكلف بإكمال خيوط المؤامرة على فلسطين، ولكن البيت والأهل كانوا يسدّون جزءاً غير قليل من هذا النقص في دراسة الإسلام في المعاهد الرسمية الحكومية، ومن خلال هذه النشأة ومسيرة الحياة والعوامل المؤثرة كلها حفظ القرآن الكريم ودرس تفسيره وتجويده وعلومه، ودرس السنّة من الصحاح والسنن والمسانيد، ومصطلح الحديث، كما درس الفقه من كثير من كتبه في المذاهب المختلفة، وأصول الفقه، وتابع دراسة اللغة العربية وآدابها. وظلت الدراسة الجادة جزءاً رئيساً في حياته في مختلف العلوم، تخضع إلى منهج محدَّد يمضي عليه حياته كلها، وكذلك أُسرته وكلٌّ من رغب في المنهج والتزمه. ذلك هو المنهاج الفرديُّ الذي هو جزء من النهج العام الذي يدعو إليه: "نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن".[1]

وكان شغوفاً بالهندسة والرياضيات، ويحلم أن يكون مهندساً، فسافر إلى مصر ثم إلى أمريكا يدرس الهندسة وفروعها، ودرس أكثر من لغة مما يتطلبه هذا المجال.

ونال درجة البكالوريوس في الهندسة الكهربائية من قسم الاتصالات بدرجة جيد جداً مع مرتبة الشرف الثانية من مصر، ودرجة الماجستير والدكتوراه في نفس الاختصاص العلمي من أمريكا، ودرجة الزمالة من إنجلترا. كما أخذ دورات تدريبية في هذا التخصص في فرنسا لدى أكبر شركاتها المتخصصة، ودورة تدريبية في الدراسات العليا في الهندسة الكهربائية في جامعة الملك سعود، ودرس اللغة الفرنسية في دورة عامة في جامعة بيزانسون في فرنسا.[2]

ومع مسيرة الحياة، كان يتابع دراسة الواقع والأحداث السياسية، كجزء رئيس من المنهج الثابت الذي يمضي عليه في حياته، وكانت دراسة الواقع والفكر السياسي عنده تتم من خلال أهم الكتب التي تصدر باللغتين العربيّة والإنكليزية، والمجلات المتخصصة في أبحاثها، بالإضافة إلى وسائل الإعلام المختلفة، والصلات التي توفرها له بيئته وأهله.

ونمت هذه الدراسات وأخذت ميادين متعددة حين انطلق في الدعوة الإسلامية في باكورة شبابه، ونمت معها الخبرة ونما الزاد من العلوم المختلفة. كما زادته مهنة التدريس، ثم عمله في الحقل الهندسي ومسؤولياته الكبيرة، ثم العمل في المؤسسات التي أنشأها مرحلياً، والرحلات والسفر إلى بعض بلدان أوروبا وأمريكا وآسيا، والندوات والمؤتمرات، هذه كلها زادته خبرة وعلماً، ينضم إلى ما سبق اكتسابه في مراحل مختلفة، ليكوّن مع الأيام تصوراً واضحاً، ينمّي رؤية غنيَّة.[3]

---

(1) صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان علي رضا النحوي، ص: 27-28.

(2) انظر: مهرجان القصيد، ص: 13.

(3) صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان علي رضا النحوي، ص: 29.

الدول التي زارها :

زار خلال هذه المسيرة أقطاراً متعددة في العالم من خلال نشاط علمي أو دعوي أو فكري، أو أدبي، وحضر مؤتمرات متعدّدة. ومن أهم الأقطار التي زارها : سويسرا، ألمانيا، إنجلترا، فرنسا، بلجيكا، السويد، إيطاليا، اليونان، كندا، أمريكا، الكويت، قطر، البحرين، الإمارات العربية المتحدة، العراق، الهند، باكستان، تركيا، مصر، ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، وغيرها.[1]

ميدان الدعوة الإسلامية وميدان الحياة :

قضى في هذا الميدان قرابة ستين عاماً، ينهل ويعطي، ولقد تعهّد أجيالاً وربى ناشئة، واكتسب من خلال ذلك خبرة تنضم إلى دراسته في التربية وعلم النفس وممارسته التدريس ثماني سنوات، وسائر خبراته التي عرضناها.

ولا يخفى على أحد ما لاقاه العمل الإسلامي خلال هذا القرن، وبصورة خاصة في النصف الثاني منه، وما كان فيه من ابتلاء وتمحيص، وعقبات ومشكلات، وفتن ونكبات، سواء أكان ذلك في الصف الداخلي أم من الخارج.

"ولقد قدّم نصحه بصورة مستمرة من خلال دراسات وأبحاث، مع توافر الحجة والبيّنة من الكتاب والسنة. وتكوَّن لديه من خلال ذلك تصور واضح رأى ضرورة عرضه بصورة جادّة حازمة. فكان المنهجُ الذي يدعو إليه كلَّ مسلم وكلَّ أسرة وكلَّ جماعة ولكل داعية وعالم : نهجاً يحمل النظرية العامة للدعوة الإسلامية، والدراسات التفصيلية لبنودها وعناصرها، والمناهج التطبيقية، والنماذج العملية، والدراسات الأدبية والملاحم والقصائد، ودراسات موسعة في قضايا الواقع من خلال منهاج الله، والنظام الإداري، وتحديد الأهداف الربّانية الثابتة، والأهداف المرحليّة، ليكون كلُّه نابعاً من الكتاب والسنة، ملبياً لحاجة الواقع، معيناً للمسلم على النجاة من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة، وعلى المساهمة في تحقيق الأهداف الربانية الثابتة في الحياة الدنيا، والمضيّ على صراط مستقيم، ذلك كله بمشيئة الله وفضله، لمن صدقت نيَّته وصحَّت عزيمته".[2]

---

(1) انظر: مهرجان القصيد، ص: 15

(2) الاتجاه الإسلامي في شعر عدنان علي النحوي(رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الأدبية) : ليلى الشبيلي – إشراف صلاح الميه – كلية التربية للبنات بجازان – السعودية – 1424 هـ – 2003 م، ص : 10.

ولقد قدَّم في ميدان الدعوة الإسلامية وقضاياها وقضايا العالم الإسلامي دراسات جادَّة مفصَّلة في كتب تقارب مائة وثلاثين كتاباً، تمثل كلها – مع كتب الأدب والشعر والملاحم – النهج الذي أشير إليه أعلاه. وقدَّم من خلاله نظريات متعددة مثل : النظرية العامة للدعوة الإسلامية، نظرية المعرفة في الإسلام لتقابل نظرية المعرفة لدى الغرب، وقانون الفطرة، ونظرية النهج الإيماني للتفكير، ونظرية التربية في الإسلام ومناهجها، نظرية الوسع الصادق والوسع الكاذب، وقدّم تجديداً في الفكر الإسلامي وتطبيقه في الواقع وفي الدعوة الإسلامية، وغيرها... ليكون كلّه نابعاً من أسس الإيمان والتوحيد، ومن منهاج الله ومن مدرسة الدعوة النبوّية الخاتمة، ومن وعي الواقع من خلال منهاج الله.

نشاطه في ميدان الأدب بعامة والأدب الإسلامي بخاصة :

لقد كان الأدب من أهم ميادين نشاط النحوي منذ صباه، فمنذ أن أصبح عمره أربع عشرة سنة بدأت أنامله تكتب شعراً هادفاً، فجمع قصائده الأولى في " ديوان الأرض المباركة "، ثم توالت دواوينه وملاحمه الشعرية، ثم امتدَّ نشاطه الأدبي في ما قدَّمه من دراسات ومقالات نشرتها صحف متعدِّدة ومجلات في العالم العربي والإسلامي، وفي كتب ومؤلفات تجاوزت تسعة دواوين شعرية، وأربع عشرة ملحمة، وفق النظرية التي يعرضها للملحمة الإسلامية، تتناول بعض قضايا العالم الإسلامي. وفي هذه الدراسات قدَّم نظرية الأدب الملتزم بالإسلام، ونظرية النقد الذي اقترح تسميته بـ " النصح الأدبي "، ونظرية الجمال في الإسلام، ونظرية الملحمة في الأدب الملتزم بالإسلام لتفارق التصور الوثني اليوناني، ونظرية تولد النص الأدبي، وغير ذلك من الدراسات النامية المتطورة على أسس ثابتة راسخة وجذور ممتدَّة. وردَّ على المذاهب الأدبية الغربية : كالحداثة والبنيوية والتفكيكية والأسلوبية، وغيرها. ودرس موضوع الشعر المتفلّت بين النثر والتفعيلة، وبيَّن رأيه بوضوح الحجة والبينة برفض هذا النوع من الكلام في ساحة الشعر، فحسنُهُ نثر لا صلة له ولا نسب مع الشعر، وذلك في عدد من كتبه : النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء، الحداثة في منظور إيماني، الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة وخطره، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، وبيَّن خطر ذلك على اللغة العربية. وارتبطت دراساته هذه مع دراساته للمذاهب الفكرية والسياسية الغربية وردِّه عليها، مثل : الاشتراكية والديمقراطية والرأسمالية والعلمانية والعولمة وغيرها، وبيَّن عظمة النهج الإسلامي وحاجة البشرية كلها إليه، وإعجاز المنهاج الرباني – قرآناً وسنَّة ولغة عربية، وقدرته على تلبية حاجة الإنسان في جميع العصور وجميع الميادين وجميع الأماكن

والأحوال، وكانت حجَّته وبيِّنته من الكتاب والسنَّة، ومن الواقع الذي يردُّه إلى الكتاب والسنَّة رداً أميناً، فجاءت كتبه تمثِّل نهجاً واحداً متماسكاً، وفقهاً ممتدّاً يقوم على الركنين الأساسيين : المنهاج الرباني والواقع.[1]

ولقد تميزت أعمال النحوي الدعوية والأدبية بالأصالة والانضباط بالقرآن والسنة، بعيداً عن التيارات الفكرية التي كانت تعصف بالعالم عامة وبالعالم الإسلامي خاصة، بل حارب هذه التيارات والأفكار التي تخالف منهاج الله سبحانه.

يقول الدكتور موسى إبراهيم أبو دقة: "لا يمكن لأي دارس للأدب الإسلامي المعاصر أن يتجاهل إنجازات النحوي النقدية والشعرية، التي اتخذت سمتاً خاصاً، يختلف عن شعراء الحداثة، بل يرد– غالباً – فكر الحداثة، التي استقت أصولها من الغرب، فأصبحت تعزف بمزاميره، وتنسج نظمها على منواله، حياته لم تكن ذات إرث متناقض من الأهواء والتنقلات المذهبية والفلسفية والأيدولوجية التي عصفت بالمنطقة العربية منذ بداية الأربعينيات إلى يومنا هذا".[2]

هذا، وقد تقلد الدكتور النحوي عدداً من المناصب سواء فيما يخص العلم الشرعي والدعوة، أو الشعر الإسلامي الهادف، أو في مجال تخصصه الهندسي، فجمع في المناصب التي تقلدها بين المراكز العلمية والفكرية والأدبية ما يمكن تلخيصه على النحو التالي:

- عضو بدرجة زميل في معهد المهندسين في لندن.
- عضو في مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية في عمان، الأردن.
- عضو في الندوة العالمية للأدب الإسلامي، لكهنو، الهند.
- عضو مؤسس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو مجلس الأمناء ونائب رئيس مكتب البلاد العربية سابقاً.
- عضو رابطة الأدب الحديث في القاهرة، مصر.
- عضو الهيئة العربية العليا لفلسطين.
- عضو اتحاد الناشرين العرب.
- عضو جمعية الناشرين السعوديين. [3]

---

(1) انظر: مع الداعية النحوي (السيرة الموسعة)، بتاريخ : 2015/4/22م بتصرف، الرابط:
http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=63

(2) الموقف السياسي في شعر عدنان النحوي، دراسة مقدمة لمؤتمر قضايا الأدب والتحديات المعاصرة المنعقد في الجامعة الإسلامية: موسى أبو دقة – كلية التربية – غزة – 2007م، ص: 4.

(3) انظر: صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان علي رضا النحوي، ص: 29.

المؤتمرات والندوات العلمية والفكرية والأدبية التي شارك فيها :

وقد شارك الدكتور النحوي في العديد من المؤتمرات والندوات التي ربا عددها على الثلاثين مؤتمراً وندوة، تنوعت في هدفها وموضوعها ما بين الشعر الهادف والقضايا الفكرية التي تمس الأمة، وأخرى تتعلق بتخصصه.

ومن أبرز هذه المؤتمرات: مؤتمر: "دراسات في الأدب الإسلامي وإنشاء الندوة العالمية للأدب الإسلامي" والذي عُقد في الهند سنة 1401هـ / 1981م، ومؤتمر بعنوان: "حوار أدبي وفكري وسياسي" في الكويت سنة 1407هـ/ 1987م، وندوة المدائح النبوية بعنوان: "المدائح النبوية تاريخها وأساليبها" في الهند سنة 1409هـ/ 1989م، ومؤتمر: "الجامعة الصيفية للصحوة الإسلامية" في المغرب سنة 1411هـ/ 1990م، ومؤتمر بعنوان: المشروع الإسلامي بين النظرية والتطبيق في باكستان سنة 1992م، وغيرها.[1]

---

(1) انظر: صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان علي رضا النحوي، ص: 35-40.

المطلب الثالث
مؤلفات عدنان النحوي

لقد رحل الشيخ عدنان النحوي عن هذه الدنيا مخلفًا وراءه إرثًا علميًا ضخمًا من الكتب والمقالات والندوات والمؤتمرات والمقابلات والدواوين والملاحم الشعرية بما يربو على مئة وثلاثين إصداراً تناولت مجالات عدة شرعية وأدبية وغيرها، وهذا يدلك على غزارة علمه، وثراء قريحته واجتهاده في خدمة المكتبة الإسلامية خاصة، وخدمة الإسلام العظيم من جهة عامة.

وللحديث عن مؤلفات عدنان النحوي، سينتظم ذلك في النقاط الثلاثة التالية:

أولاً: سمات كتابات النحوي:

تميزت كتابات عدنان النحوي بسمات عدة، منها:

1- سهولة الأسلوب:

فقد كان أسلوبه -رحمه الله- يتسم بالسهولة والدقة والجمال في الألفاظ وحسن اختيارها، وفي نفس الوقت قوة المعاني ووضوحها، ويبتعد عن الألفاظ الغريبة المهجورة، وإن ضمنها بحثه يشرح معناها شرحًا وافيًا في الحاشية، فجمع أسلوبه بين سهولة الألفاظ وأصالة الكتابة.

لكن القارئ ربما يجد أحيانًا صعوبة في فهم بعض العبارات، لا لغرابتها وندرتها، لكن للغة الضعيفة عند القارئ التي لا تعينه على الفهم، أو قراءة مصطلح استخدمه النحوي لأول مرة بدون معرفة مدلوله. وقد فطن النحوي – رحمه الله – لهذا، فألَّف كتاباً خاصاً جمع فيه مصطلحاته الخاصة أسماه: النهج في موضوعاته ومصطلحاته.

2- الاستدلال بالقرآن والسنة:

فالنحوي كان شديد الارتباط بالكتاب والسنة واللغة العربية، يدلل على كل فكرة يطرحها مهما كانت جديدة، ولو لم تكن لها أصل أو أشباه في كتب القدامى، لكنه يستنبط لها دليلًا من الوحي ويبين وجه الدلالة من الآية أو الحديث.

يقول رحمه الله: "وفي جميع القضايا وجدنا أن كتاب الله والسنة وفرا لنا كل حجة قاطعة نريدها لترد ردًا حاسمًا على أعداء الله في القضايا الجديدة، وفي كل ما يعرض لنا في مسيرة الدعوة الإسلامية، ونؤمن أن منهاج الله غني ومعجز في غناه، يمد العصور كلها، والأحداث كلها، والأماكن كلها، بالحق الذي تحتاجه". [1]

---

(1) النهج في موضوعاته ومصطلحاته: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الرابعة – 1425 هـ - 2004 م، ص: 132.

3- التكرار:

وهذه سمة واضحة جلية في كتاباته، يُبَرِّرُ هذا بأن ما تكرر تقرر، فأحيانًا يكرر الفكرة في الكتاب نفسه في أكثر من فصل أو باب، أو يكررها في كتاب آخر فيجعل لها بابًا كبيرًا بعد أن كانت مقالًا أو مطلبًا صغيرًا، وأحيانًا أخرى تكون الفكرة في كتيب صغير فيعود لتأليف كتاب آخر بنفس الاسم والفكرة وقد توسع في عرضها وترتيبها.

يقول -رحمه الله تعالى:" التكرار ضرورة في ميدان التربية والبناء، وتجده ميزة ظاهرة في كتاب الله والأحاديث الشريفة. والتكرار ضروري أحياناً لربط فصل في الكتاب بفصل آخر، أو باب بباب آخر. وتدعو أهمية الموضوع إلى ضرورة التكرار والإعادة، وخاصة وأن الكتاب الواحد لا يطبع منه إلا عدد محدود نسبياً من النسخ، مما يجعل الإعادة والتكرار في كتاب آخر تعطي فرصة أوسع للاطلاع."[1]

ومن أكثر المواضيع التي كررها النحوي النظرية العامة في الدعوة الإسلامية[2]، وقضية الإيمان والتوحيد[3]، ومنهاج الله – قرآناً وسنة ولغة عربية.[4]

يقول الدكتور نعيم شبير: "أحيانًا قد يلجأ كاتبنا للتكرار المقصود، من أجل تسهيل العرض، وتثيب الفكرة، أو الربط بين الأفكار والقضايا ببعض، فالتكرار يكون للفائدة، فقدوته الرسول محمد ﷺ الذي كان يعيد الكلمة ثلاثًا حتى يعيها كل من يسمعها، وكذلك كتاب الله يؤكد القضية الهامة ويعيدها ويكررها على قدر أهميتها وخطورتها". [5]

4- استخدام مصطلحات خاصة به:

فقد كتب كتابًا كاملًا أسماه "**النهج في موضوعاته ومصطلحاته**" جمع فيه مصطلحاته المبثوثة في كتبه والتي استخدمها في نهجه الدعوي والأدبي، لذلك قال: "المصطلحات تأتي ثمرة

(1) النهج في موضوعاته ومصطلحاته، ص: 151.

(2) انظر: بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية– الطبعة الرابعة– 1417هـ – 1997 م، ص: 75، وانظر: كيف تلتقي الجماعات الإسلامية: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع– السعودية– الطبعة الرابعة – 1413 هـ – 1992م، ص: 87، وانظر: نهج الدعوة وخطة التربية والبناء: عدنان النحوي– دار السلام للنشر والتوزيع– السعودية – الطبعة الثانية – 1414 هـ – 1993 م، ص: 51.

(3) النهج في موضوعاته ومصطلحاته، ص: 203.

(4) المصدر السابق، ص: 207.

(5) صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان النحوي، ص: 78.

للبحث والجهد، والدراسة والتوفيق، والوفاء بالحاجات المتجددة والحالات المتبدلة في العلوم وتجاربها، ونموها وتطورها، وإفراغ ذلك في قالب خاص في اللغة المستعملة".[1]

ويبرر استخدام هذه المصطلحات وظهورها بالسعي والبحث الذي يؤدي إلى جديد، فيكشف جواهر كانت منسية، ويخترق كنوزًا كانت مطوية، وهذا ما كان عليه حال علماء المسلمين في وضع مصطلحات جديدة في ميادين كثيرة في الفقه، واللغة العربية والرياضيات والطب والفلك مما يدل على صورة رائعة لنمو الجهد البشري المؤمن وتطوره.[2]

ومن المصطلحات التي استخدمها النحوي كثيرًا في مؤلفاته: الوسع الصادق والوسع الكاذب، الطبقة العائمة، قانون الفطرة، ولادة النص الأدبي، الموازنة الأمينة، الممارسة الإيمانية، الحقيقة الكبرى، العهد الأول مع الله، الولاء الأول لله، الحب الأكبر، النظرية العامة في الدعوة الإسلامية، المنهاج الرباني، المنهاج الفردي أو الذاتي، الدراسة النامية، التدريب المنهجي الفوري والدوري والمرحلي والمستمر، الخطة اليومية، والخطة الأسبوعية، والخطة السنوية، خطة السفر، المسلم العامل، والمسلم القاعد، والمسلم المؤازر، والمسلم الصديق وغيرها.[3]

5- ندرة الاقتباس:

نادرًا ما يقتبس النحوي –رحمه الله– من كتاب إلا من القرآن الكريم وكتب السنة، وهذا ليس قدحًا في كتاباته، فلا شك أن الاقتباس من كتب العلماء يزيد المادة ثراءً وقوة، والنحوي دائمًا يمدح علماء الأمة ويثني عليهم، لكنه يبرر قلة اقتباسه للأسباب التالية:

أ- أن القضايا التي يطرحها قضايا فيها نصوص ثابتة في القرآن والسنة، فلا اجتهاد مع النص.

ب- القضايا التي يعرضها النحوي في كتاباته قضايا تمس الواقع الجديد لم يكن لها وجود في العصور الماضية، مثل: الحداثة والبنيوية والتفكيكية والأسلوبية وغيرها.[4]

ج- يعرض النحوي نظريات جديدة في ميدان التطبيق النظري التي لم تكن في كتابات العلماء السابقين مثل: النظرية العامة في الدعوة الإسلامية، قانون الفطرة، نظرية المنهاج الفردي.

---

(1) النهج في موضوعاته ومصطلحاته، ص: 197.

(2) انظر: المصدر السابق، ص: 197-198.

(3) لمزيد إيضاح لهذه المصطلحات، انظر كتاب: النهج في موضوعاته ومصطلحاته.

(4) انظر: النهج في موضوعاته ومصطلحاته، ص: 245.

د- النحوي يطرح تصورات تطبيقية أوسع لقواعد إيمانية ثابتة في الكتاب والسنة وفي الدراسات الفقهية السابقة مثل: النية وبعدها الإنساني في الإسلام، حرية الرأي في الإسلام وضوابطها، الشورى وممارستها الإيمانية.[1]

6- الترابط بين المؤلفات:

ويتضح الترابط من خلال كثرة إحالة النحوي في كتاباته إلى كتابات أخرى له، يحدد فيها الباب والفصل والعنوان مستعينًا في ذلك بالحاشية، يحيل لما فيه تفصيل أكثر للفكرة المطروحة، أو منهج عملي لتطبيقها، أو نموذج خاص لممارستها.

ومن ناحية أخرى يتضح الترابط بين مؤلفاته من خلال السلاسل التي ألفها مثل: لقاء المؤمنين (أسسه وقواعده) الجزء الأول، ولقاء المؤمنين (الأهداف) الجزء الثاني، وقبسات من الكتاب والسنة (تدبر وظلال) الجزء الأول ثم الثاني ثم الثالث وغيرها.

7- التنوع في التأليف:

كتب النحوي في موضوعات عدة ومتنوعة، بل المتتبع لمؤلفاته يلحظ تعدداً وتنوعاً بين مواضيع تلك المؤلفات، وهذا يدل على سعة الاطلاع واتقاد القريحة والقدرة السريعة على تنظيم الأفكار في قالب واحد.

ويقدم -رحمه الله- لنا السبب في ذلك فيقول: "كنت إذا أردت معالجة موضوع ما، أبحث أولًا عن كل ما كُتب عنه، فأقرؤه، فإذا وجدت أن ذلك كافٍ وليس عندي شيء جديد، اكتفيت بتلك الكتب، أو اعتمدت أحدها، فإن وجدت أن لدي شيئًا جديدًا أضفته، أو أنه لدي فكرة جديدة، أو أن الموضوع لم يطرق سابقًا، عندئذ أعزم لأكتب، ليكون الكتاب جزءًا من النهج، يساهم في بنائه والدعوة إليه... لذلك كله لست مؤلفًا أبحث في موضوع محدد في علم واحد، إن لي موضوعًا واحدًا هو نهج الدعوة الإسلامية وما تحتاجه من دراسات في ميادينها المختلفة، لمعالجة الخلل في واقعنا".[2]

ومن أهم الموضوعات التي كتب فيها النحوي: التوحيد، النهج العام والنظرية العامة للدعوة الإسلامية، القضايا الفكرية في الواقع الإسلامي، أهم الأحداث على الساحة الإسلامية والعالمية، الأدب الملتزم والنقد الأدبي، قضايا الشعر ودواوينه وملاحمه، كتب في الدعوة الإسلامية باللغة الإنجليزية، كتب عن الموجات الإلكترومغناطيسية وعشرات الندوات والمؤتمرات في شتى المواضيع العلمية والشرعية والأدبية.

---

(1) انظر: النهج في موضوعاته ومصطلحاته، ص: 131-132.

(2) المصدر السابق، ص: 157-158.

ثانياً: أسماء مؤلفات الدكتور النحوي:

تعددت مؤلفات الدكتور عدنان النحوي وتكاثرت حتى ربت على المائة والثلاثين كتاباً وكتيباً، في العقيدة والدعوة والأدب واللغة والملاحم الشعرية وغيرها بالإضافة إلى عشرات المحاضرات والمقالات والندوات.

ويعرض الباحث بداية أهم الكتب التي استعان بها في الرسالة، مبيناً أهم ما احتوته من موضوعات، مقتبساً من بعضها بما يخدم توضيح الفكرة التي يدور عليها الكتاب.

وبعد ذلك، التزم الباحث في تصنيف مؤلفات الدكتور النحوي بتصنيف الكاتب نفسه خصوصًا أنه كان – رحمه الله– يذيل كل كتاب يؤلفه بقائمة الكتب التي سبق له تأليفها بنفس هذا التصنيف الموضوعي لها، مع شرح بسيط لبعض المؤلفات التي استفاد منها الباحث في هذه الدراسة، فجاءت مؤلفاته موزعة على عشرة بنود:

أولاً: أهم الكتب التي استعان بها الباحث في الرسالة:

1. كيف تلتقي الجماعات الإسلامية.

كتيب من حوالى مائة وخمسين صفحة يحاول إلقاء الضوء على واقع العمل الإسلامي في ظل الجماعات والحركات التي تباينت نظرتها للعمل للإسلام. ركز النحوي في هذه الدراسة على الواقع المعاش وضرورة فهمه ليكون تحرك العاملين ذا جدوى.

يقول رحمه الله – :" نؤمن أن دراسة الواقع واجب إيماني يفرضه منهاج الله على الفرد والجماعة والأمة والمعاهد والمؤسسات الإيمانية".[1]

2. حتى نغير ما بأنفسنا.

يصدح النحوي في الباب الأول من هذا الكتاب بالموعظة والنصيحة لكل مسلم بأن يعرف نفسه، ثم بالمسلمين ليأخذوا دورهم في الريادة والقيادة قائلاً :" أيها الإنسان، وهبك الله القدرة على التفكير، فلم لا تفكر؟ لِمَ لا تسأل نفسك لماذا خلقت في هذه الحياة الدنيا؟ هل خلقت لتعيش كما تعيش الأنعام؟"[2]

ثم طرح بعد ذلك نظرته لمفهوم التغيير، واقعه والمأمول منه، حقيقته ونهجه، امتداده وحدوده، وتطبيقاته في الواقع الذي يحياه المسلمون.

(1) كيف تلتقي الجماعات الإسلامية، ص: 61.

(2) حتى نغير ما بأنفسنا: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1423 هـ – 2002 م، ص: 23.

3. إيثار الدار الآخرة على الدنيا في قبسات من الكتاب والسنة.

يقيم الكتاب مقارنة وموازنة بين الدنيا والآخرة اعتماداً على نصوص الكتاب والسنة، ويرصد عوامل الزهد في الدنيا والتطلع للآخرة، ثم يذكر بهادم اللذات وتأثيره على هذا الإيثار.

4. إسلام رباني لا إسلام ديمقراطي.

يرد الشيخ في هذا الكتيب على من قال أن الديمقراطية ونظامها هي من صميم الدين الحنيف، فيعرض جملة من المفارقات بينهما ليدلل بما لا يدع مجالاً لشبهة أنه لا صله بين منهاج الله والمناهج البشرية القاصرة. ثم يشن – رحمه الله – غارة مباركة بذكر الحصاد المر والتراجع الواضح الذي تعرضت له البشرية ببعدها عن دين الله سبحانه.

5. التوحيد وواقعنا المعاصر.

هذا الكتاب من أهم كتب النحوي في العقيدة الإسلامية لما شمله من مواضيع هامة مثل: أسس التوحيد ومظاهر الانحراف عنه، وضح النحوي فيه أن التدين – أي دين وإن كان باطلاً – هو الحقيقة الكبرى في الكون والقضية الأولى للإنسان، وعرف النحوي فيه توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ثم وضح معنى الفطرة ومدى ارتباطها بالتوحيد، وتحدث النحوي أيضاً عن أركان الإيمان: الإيمان بالرسل والكتب المنزلة واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبين أنه لا تعارض بين مشيئة الله في الكون ومسؤولية الإنسان يوم القيامة، وشرح بعض أنواع العبادة كالخشوع والرجاء والتضرع والدعاء.

6. الحقيقة الكبرى في الكون والحياة.

عرض هذا الكتاب أهم القضايا الرئيسة في الدعوة إلى الإيمان والتوحيد، ولم هذه القضية هي أخطر قضية في حياة الإنسان وأكبر حقيقة في الكون كله، واستعرض الشيخ فيه الأسباب التي وفرها الله للبشرية لتهتدي بها إلى التوحيد، ثم بين أن هذه القضية الهامة لها مصادرها الثابتة من قرآن وسنة وإجماع، ولا تقبل العقائد إلا من خلال الوحي، وبين – رحمه الله – أهم مظاهر الانحراف عن التوحيد الصحيح وأسباب هذا الانحراف مقدماً العلاج لإصلاح هذا الخلل، ثم بين كيفية الدعوة إلى الله ورسوله والدعوة إلى تصحيح عقيدة الناس من خلال دراسة محكمة أسماها " النظرية العامة للدعوة الإسلامية" .

يعتبر – رحمه الله – هذا الكتاب جزءاً من النهج العام للدعوة الإسلامية، وواحداً من كتب الدعوة التي جعلت شعارها إلى لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن، وهو يوجز قضية الإيمان والتوحيد في خطواتها التطبيقية في الميدان، وهو عون للداعية ليتدرب ويدرب على هذه

القضية الهامة، والكتاب يلح على المسلم أن يسرع إلى منهاج الله ويقبل عليه إقبال رغبة وخشوع، ورهبة وجلال، إقبال جد وعزيمة.(1)

7. النية في الإسلام وبعدها الإنساني.

كتيب صغير الحجم عظيم النفع في طرح قضية النية من جميع جوانبها، فالنية على ارتباط وثيق بالإيمان والتوحيد وهي القوة الموجة لطاقات المؤمن، وهي التي تحدد أهداف المؤمن وتضبطها وتهذبها من شوائب الرياء والشرك، ثم ذكر الشيخ نماذج وضح فيها توازنها واستقامتها أو انحرافها، استدل من خلال كل هذا بقبسات من الكتاب والسنة وحياة الصحابة، ثم وضع للمؤمن منهجاً ليتدرب على إخلاص النية لله سبحانه.

8. الولاء بين منهاج الله والواقع.

عرض هذا الكتاب قضية الولاء من جميع جوانبها من حيث: ميادين الولاء بين المؤمنين مستدلاً بالكتاب والسنة، وصور الانحراف عن الولاء في حياة المسلمين اليوم، وكيف يكون الولاء عاملاً لوحدة الأمة، ثم عرج على بعض المخالفات في قضية الولاء في واقع المسلمين اليوم وكيفية علاج هذا الخلل ليكون الطريق للقاء المؤمنين.

كما وفنَّد النحوي في هذا الكتاب بعض الشبهات التي تثار حول عقيدة الولاء والبراء، وقضية الجهاد لمن اعتبرها اعتداء على حرية الآخرين، والفرق بين البر والقسط وموقف المسلم من أهل الكتاب والمشركين.

9. الخشوع.

وضح النحوي في هذا الكتيب معنى الخشوع ومحله مدعماً هذا بآيات من القرآن والسنة، ذكر فيه أن كل الكائنات خاشعة لله سبحانه مع ذكر الأدلة، ثم ذكر كيف كان الخشوع سمة واضحة في حياة الصحابة والتابعين، وكيف كان سبباً في ظهور الأمة على الأمم الأخرى، وختم الكتاب بأنواع الخشوع وأبرزها الخشوع في الصلاة.

10. الصحوة الإسلامية إلى أين ؟!

هذا الكتاب من أهم كتب النحوي في الدعوة الإسلامية، ذكر فيه أنواع الصحوة الصادقة والكاذبة والآنية والممتدة، ثم حدد أمارات الصحوة الحقة والعوامل الضرورية اللازمة لنجاحها، ولم يغفل النحوي العوامل المعيقة لقيام صحوة إسلامية صادقة تؤتي ثمارها.

---

(1) انظر: الحقيقة الكبرى في الكون والحياة: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1416 هـ – 1996 م، ص: 11 – 12.

ورسم الشيخ خطة للقاء الحركات الإسلامية لتكون العامل الأهم لبناء الصحوة المنشودة وذلك من خلال نظريته الخاصة الموسومة بالنظرية العامة للدعوة الإسلامية.

11. التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتماء الصادق إلى الإسلام.

تحدث النحوي فيه عن المجتمعات المسلمة وغير المسلمة والتحديات التي تواجه المسلم – خصوصاً الملتزم بدينه – إذا عاش في المجتمعات غير المسلمة الأوروبية أو الأمريكية، وبين الأحكام التي تلزم المسلم هناك، وحذر من نظرة الغرب إلى الإسلام النظرة العدائية والتعامل مع المسلمين على أساس هذه النظرة، وبين سبب هذه النظرة وهذا العداء، ووضع نظريته "النظرية العامة للدعوة الإسلامية" حلاً لما قد يواجهه المسلم في تلك المجتمعات.

12. واقع المسلمين أمراض وعلاج.

ناقش النحوي في هذا الكتاب الأمراض التي انتشرت بين المسلمين والتي كان لها عظيم الأثر على مسيرة الدولة الإسلامية والتي منها: حب الدنيا والإقبال عليها، والعصبيات الجاهلية، وغلبة العادات المنحرفة واتباع التقاليد الضالة والتصورات الخاطئة، كما ذكر الاختلاط بين الرجال والنساء في الزيارات العائلية، والوقت الضائع سدىً في حياة المسلمين.

وعرج النحوي على واقع العمل الإسلامي واضطرابه وأسباب ذلك الاضطراب، وتشتت العمل بين الأحزاب والجماعات التي تتبنى رؤى تختلف عن بعضها كثيراً، وأخيراً رسم الطريق نحو معالجة هذه الأمراض كلها من خلال النهج والتخطيط والنظرية العامة للدعوة الإسلامية.

13. بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية.

يرصد النحوي في مقدمة هذا الكتاب الأسباب التي دفعت الغرب لحرب الإسلام وأهله، وما أنتجت من ويلات ودمار وفقر ومجازر، ثم عرج على واقع المسلمين المعاش وكيفية علاجه من خلال منهاج الله كتاباً وسنة، واعتبر أن تفرق العمل الإسلامي بين الجماعات عامل رئيسي لتأخر الدعوة، وقدم نظريته الخاصة التي أسماها النظرية العامة للدعوة الإسلامية، وبسط القول في شرح مفرداتها وأركانها وعناصرها، ليرسم طريقاً للفرد والجماعة والأمة لإعادة العز المفقود.

14. المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية.

هذا الكتاب من أروع وأشمل ما كتب الشيخ في الرد على العلمانية وحقوق الإنسان التي يتغنى بها الغرب ويطالب بها الشرق، فرصد النحوي العوامل والمراحل التاريخية لهذا الفكر في بلاده وكيف عاش الغرب في غياهب الظلم وتسلط الكنيسة ثم الانقلاب عليها والانفلات التام عن

كل دين أو خلق، وأبدع النحوي عندما رد على بعض الكتَّاب الذين روجوا أنه لا فرق بين العلمانية والإسلام العظيم فذكر أسس الاختلاف والافتراق بين دين الله سبحانه وبين العلمانية التي صاغتها عقول بشرية ناقصة.

وحتى يعالج الظاهرة من أساسها عدد النحوي الأسباب التي مهدت للعلمانية للتسلل لبلاد المسلمين، ثم النتائج المترتبة على وصول هذا الفكر إلى بلاد الإسلام.

أما عن حقوق الإنسان فقد فنَّد – رحمه الله – المزاعم التي تثار من أن حقوق الإنسان المعلنة هي التي عند المسلمين، حيث وضح أن هناك افتراقاً كبيراً بين المفهومين، وأن حقوق الإنسان في الإسلام أشمل وأضبط، وذكر الأدلة والأمثلة على ذلك.

15. على أبواب القدس.

عرض النحوي في هذا الكتاب أهم المحطات التي مرت بها مدينة القدس في التاريخ، وما تعرضت له من احتلال طويل ومتعدد والأطماع التي حامت حولها والتي كانت سبباً لهذا الاحتلال، ثم أتى على ذكر أحداث الفتح الإسلامي لمدينة القدس وامتداد جهاد المسلمين بملامحه المتعددة إلى يومنا هذا.

وقد بين النحوي أسباب ضياع مدينة القدس واحتلالها بذكر الأسباب الخارجية والداخلية التي عززت احتلال المدينة المقدسة، ثم رسم للعاملين طريق العودة والتحرير.

16. فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع.

يعرض الكاتب في هذا الكتاب مقارنة بين واقع فلسطين وحجمها وثقلها في دين الله سبحانه، وبين مكانتها التي أراد البعض أن ينزلها إياها سلخاً لها عن ذلكم المعين الجامع للمسلمين، ويلح النحوي أن توحيد التصور الإيماني والنظرة الإسلامية البحتة لقضية فلسطين هي من أهم خطوات حل القضية.

يقول النحوي – رحمه الله: "لقد عرف تاريخ هذه القضية تصورات متباينة متناقضة متصارعة، في واقع العالم العربي نفسه، وفي واقع العالم الإسلامي، وامتد التباين حتى برز في داخل الإطار الإسلامي، وتناقضت الشعارات في الميدان الواحد".(1)

(1) فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الرابعة – 1414 هـ – 1993 م، ص: 19.

17. الدعوة الإسلامية بين الأحزاب والجماعات.

يلقى الكتاب الضوء على حقيقة الدعوة الإسلامية وجوهرها من خلال منهاج الله، ويقارن هذا بواقع الدعوة الحاضر. يناقش خصائص ونهج وأهداف الدعوة البعيدة والقريبة، ويبين أن أعظم صلة بين المؤمنين والجماعات هي صلة الأخوة في الله ليبتعد الجميع عن التناحر والتفرق، ويبقى ما بينهم من قواسم مشتركة. يضع النحوي في نهاية هذا الكتاب طريق العلاج لما بسطه من خلل في الواقع الذي تحياه الدعوة، يبنى هذا العلاج على مقولة يذكرها كثيراً " يجب أن نتعاون في كل ما أمر الله أن نتعاون فيه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما أجاز الله لنا الاختلاف فيه".[1]

18. تمزّق العمل الإسلامي بين ضجيج الشعارات واضطراب الخطوات.

كتاب صغير هام زاد على المائة صفحة بقليل، بيَّن الأمراض التي تطال العمل الإسلامي، ومواضع الخلل في عمل الحركات والجماعات. ويقترح الشيخ خطوات عملية لرأب الصدع وتحقيق الوحدة.

19. ملحمة فلسطين.

استعرض – رحمه الله – في كتابه هذا قضية فلسطين وتاريخها وصراع المسلمين الطويل مع اليهود، ورصد الدروس والعبر من هذا الطريق الطويل، وأبان – بعد ذلك – الطريق لتحرير فلسطين. وختم الكتاب بما فاضت به قريحته الشعرية ليغرد عن الأقصى ورباه، وأرض فلسطين وقدسيتها، ثم آلام مخيمات اللجوء في لبنان وغيرها، وانتفاضة الحجارة، ويرسم أخيراً بأبياته العذبة المعبرة الطريق للعودة إلى تلك الروابي، لتنتهي معاناة المشردين المظلومين.

يقول النحوي في قصيدته ملحمة فلسطين:

" وتنـــزل للمـيـدان أمـة أحـمـد ... لـهـا فـي الوغـى عـهـد لازمُ

تدور على الميدان أعراس أمة ... وتطوى مآسٍ عندها ومآتمُ"[2]

---

(1) الدعوة الإسلامية بين الأحزاب والجماعات: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1425 هـ – 2004 م، ص: 114.

(2) ملحمة فلسطين: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة السادسة – 1419 هـ – 1998 م، ص: 278.

ثانياً: كتب توجز النهج العام والنظرية العامة للدعوة الإسلامية:

20. موجز النهج العام للدعوة الإسلامية وأساس لقاء المؤمنين.
21. موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين.
22. أضواء على طريق النجاة.
23. النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية.
24. الموجز الميسر لنهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن.

ثالثاً: كتب تفصل النهج العام والنظرية العامة في الدعوة الإسلامية:

25. دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية.
26. منهج المؤمن بين العلم والتطبيق.
27. النظرية العامة للدعوة الإسلامية نهج الدعوة وخطة التربية والبناء.
28. منهج لقاء المؤمنين.
29. لقاء المؤمنين – الجزء الأول.
30. لقاء المؤمنين – الأهداف – الجزء الثاني.
31. العهد والبيعة وواقعنا المعاصر.
32. قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال – الجزء الأول.
33. قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال – الجزء الثاني.
34. قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال – الجزء الثالث.
35. الفقه امتداده وشموله في الإسلام بين المنهاج الرباني والواقع.
36. الإسلام أركان وبناء – تذكير ونصح.
37. فقه الإدارة الإيمانية في الدعوة الإسلامية.
38. المسؤولية الفردية في الإسلام : أسسها وتكاليفها وتميزها.
39. التربية في الإسلام النظرية والمنهج.
40. النهج الإيماني للتفكير.

41. عهد الله والعهد مع الله بين التفلت والالتزام.
42. حتى نتدبر منهاج الله.
43. لؤلؤة الإيمان فريضة طلب العلم ومسؤولية المسلم الذاتية.
44. النهج في موضوعاته ومصطلحاته.
45. الموازنة وممارستها الإيمانية.
46. الاختلاف بين الوفاق والشقاق.
47. مواجهة المشكلات والأخطاء والتقصير.
48. مصارحة ونصيحة : مراجعات دعوية ووقفات إيمانية.
49. لتكون كلمة الله هي العليا.
50. التجديد في الفكر الإسلامي مفهومه وضوابطه وغايته.
51. إن الدين عند الله الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل.
52. اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم.

رابعاً: كتب تعرض أهم قضايا التوحيد في واقعنا المعاصر والنهج للدعوة والبلاغ والبيان:

53. النية إشراقة في النفس وجمال.
54. الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام.
55. النبي العظيم والرحمة المهداة محمد ﷺ.
56. إشراقة الإيمان والتوحيد.

خامساً: كتب تدرس بعض القضايا الفكرية في الواقع الإسلامي وأهم أحداثه وتعتبر الملاحم جزءاً من دراسة الواقع:

57. الشورى وممارستها الإيمانية.
58. الشورى لا الديمقراطية.
59. المرأة بين نهجين الإسلام أو العلمانية.
60. فلسطين واللعبة الماكرة !
61. عبد الله عزام أحداث ومواقف.

62. حوار الأديان – دعوة أم تقارب أم تنازل.
63. الانحراف.
64. كيف ضُيعت الأمانة التي خُلقنا للوفاء بها.
65. حرية الرأي في الميدان.
66. هذا هو الصراط المستقيم فاتبعوه.
67. المسلمون بين الواقع والأمل.
68. الربا وخطره في حياة الإنسان.
69. هوان المسلمين أمام الواقع وتعدد المواقف والاتجاهات والاجتهادات.
70. العولمة والإسلام.
71. الشريعة والحياة المعاصرة.
72. فقه الاستشهاد في سبيل الله.
73. المرأة والأسرة المسلمة والتحديات في واقعنا المعاصر.
74. الإسلام والحريّة وحرية المعتقد.
75. المرأة ومساواتها بالرجل ونزولها إلى العمل السياسي.
76. وقفات مع كتاب المسلم مواطناً في أوروبا.
77. الإنسان بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات الدولية.
78. الأمة المسلمة بين الدعوة الإسلامية والأدب.
79. أين المعركة ؟! أين ساحة الجهاد ؟! ماذا يجري في فلسطين ؟
80. الأزمة الفلسطينية الداخلية وأبعادها على قضية فلسطين.
81. رسالة المسجد الأقصى للمسلمين نجوى وشكوى وحنين.
82. فلسطين وصلاح الدين.
83. مع مصطلح الاختلاط.
84. على طريق التحرير وبشائر النصر.
85. بين الارتجال وبين النهج والتخطيط والإعداد والبناء.

86. الثبات على الحق بين الابتلاء والصبر.

سادساً: كتب تدرس الأدب الملتزم بالإسلام منزلته ونهجه وخصائصه الإيمانية والفنية:

87. الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته.
88. الأدب الإسلامي في موضوعاته ومصطلحاته.
89. النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء.
90. أدب الوصايا والمواعظ في الإسلام منزلته ونهجه وخصائصه الإيمانية والفنية.
91. أدب الأطفال الإسلامي وأثره في تربيتهم العقدية الصحيحة.
92. التجديد في الشعر بين الإبداع والتقليد والانحراف.
93. لماذا اللغة العربية ؟
94. الحداثة في منظور إيماني.
95. تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها.
96. الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام.
97. الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية.
98. الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة وخطره.
99. تجربتي الشعرية وامتدادها.
100. قراءة في قصيدة مهرجان القصيد أو الأدب الإسلامي.
101. الملحمة بين التصور الإيماني والتصور والوثني.
102. اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء.
103. أهم الأخطاء الشائعة اليوم في اللغة العربية.

سابعاً: الدواوين الشعرية:

104. ديوان الأرض المباركة.
105. ديوان موكب النور.
106. ديوان جراح على الدرب.
107. ديوان مهرجان القصيد.

108. ديوان عبر وعبرات.

109. أكثروا ذكر هادم اللذات – أب يرثي ابنه.

110. درة الأقصى.

111. ديوان حرقة ألم وإشراقة أمل.

112. ديوان أين الجنى ؟!

113. ديوان حنين وأمل.

ثامناً: الملاحم الشعرية وتعتبر جزءاً من دراسة الواقع وأحداثه:

114. ملحمة الأقصى.

115. ملحمة الجهاد الأفغاني.

116. ملحمة البوسنة والهرسك.

117. ملحمة الإسلام في الهند.

118. ملحمة القسطنطينية.

119. ملحمة الغرباء.

120. ملحمة أرض الرسالات.

121. ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين.

122. لهفي على بغداد !

123. ملحمة أفغانستان.

124. ملحمة بين سجن أبو غريب ورفح.

125. ملحمة الطوفان (تسونامي) .

126. ملحمة التاريخ ! قيام الدول الإسلامية وسقوطها.

127. ملحمة غزة مجزرة بين قسوة الحصار ولهيب النار وهول الدمار.

ثامناً: كتب في الدعوة الإسلامية باللغة الإنجليزية:

128. خطة الداعية The Caller's Plan

تاسعاً: كتب في علوم أخرى:

129. دراسة الموجات الإلكترومغناطيسية – باللغة الإنجليزية.

عاشراً: كتب ترجمت إلى لغات أخرى:

130. لقاء المؤمنين الجزء الأول – ترجم إلى اللغة التركية.

131. فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع – ترجم إلى اللغة التركية.

132. فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع – ترجم إلى اللغة الإنجليزية.

133. لماذا اللغة العربية؟ – ترجم إلى اللغة الأردية.

ثالثاً: ثناء الكتَّاب على مؤلفاته:

بداية، يثني الدكتور عدنان النحوي على مؤلفاته قائلًا: "وهذه الكتب معروضة في جميع أبوابها، وقد تجاوزت ثلاثة وثمانين كتابًا[1]، ولا تجد فيها بإذن الله كتابًا هابطًا، أو كتابًا ضعيف الفكر والمستوى، كلها فتحت أبوبًا جديدة في الفكر الإسلامي والعمل الإسلامي على ترابط وتناسق".[2]

ولقد نشأ النحوي بين المفكرين وعلماء الأمة وقادة الحركات الإسلامية، يربطه بهم الود والتعاون، فما ذكروه إلا بخير، ولا يُعرف أن أحدًا ممن عرفهم وعرفوه قال شيئًا في فكره ومؤلفاته ونظرياته، وقد تلقى النحوي رسائل كثيرة من المفكرين والأدباء والإعلاميين والتربويين مدحًا في فكره.

يقول أكرم زعيتر[3] مثنيًا على قصائد النحوي: "سلمت عدنان وطابت أنفاسك، وهأنذا أشكر لك شكرًا مشفوعًا بالدعاء أن يمدح بروح مرسومة، وأن يكتب لنا تحقيق آمالنا في تحرير أوطاننا".[4]

ويقول الدكتور عبد السلام اللوح[5]: "إن ما أنتجه الإمام العلامة الدكتور النحوي يمثل موسوعة علمية واسعة، ولا نعلم أحدًا في هذا العصر قد بلغت مؤلفاته هذا الكم الوافر، والعطاء

---

(1) كان هذا وقت تأليف كتاب " النهج في موضوعاته ومصطلحاته" عام2004، وإلا فإن النحوي رحل وقد خلف للمكتبة الإسلامية أكثر من 130 كتابًا، كما تبين قريباً.

(2) النهج في موضوعاته ومصطلحاته، ص: 159.

(3) أكرم زعيتر أديب وسياسي فلسطيني، ولد في مدينة نابلس عام 1909. ينظر: قائمة أعلام فلسطين، أكرم زعيتر، بتاريخ 2015/8/13م، https://ar.wikipedia.org/wiki

(4) صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان النحوي، ص: 43 .

(5) هو الدكتور عبد السلام حمدان عودة اللوح، أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة.

المتواصل، وهذا التنوع والعمق على أسس منهجية جلية، هذه الدراسات والمؤلفات المتعددة تمثل عصارة علم المؤلف الداعية وتجربته خلال نصف قرن".[(1)]

والنحوي شاعر مؤمن لم يتقوقع ضمن حيّز إقليمي محدود، بل تفاعل مع القضايا الإسلامية في عموم بلدان العالم الإسلامي، من فلسطين إلى كشمير إلى أفغانستان إلى البوسنة والهرسك. فما إن ينفتح جرح من جراح العالم الإسلامي حتى يهرع النحوي مواسياً داعماً، يرفع الهمم ويذكّر بأمجاد الأجداد وقوّتهم من بعد ضعف وانتصاراتهم بعد الهزائم.[(2)]

ويعتقد الباحث أن كثرة أعمال النحوي – رحمه الله – كان سببها طول عمر الرجل فقد بلغ من العمر فوق التسعين سنة ببضعة أشهر، وكذلك فإن النحوي تربى في عائلة مثقفة تمتلك مكتبة ضخمة في وقت كانت المكتبات من أندر ما يكون لقلة عدد الكتب وارتفاع أسعارها. وسبب ثالث جعل مؤلفات النحوي تربو عن المائة والثلاثين هو تفرغه عن العمل في آخر ثلاثين سنة من عمره بسبب المرض والتقاعد، وهذا وفر له الوقت الكافي ليختلي في مكتبته، فيسيل قلمه شعراً وأدباً وفكراً، كتبه بمداد الإخلاص ورسوخ المنهج واتقاد القريحة. وسبب رابع – والذي جعل مؤلفاته تصل الآفاق من الدنيا – هو تأسيسه لدار النحوي للطباعة والنشر والتوزيع التي كان لها مندوبون في كثير من البلدان. ثم إن موقعه على الشبكة العنكبوتية جعل كتاباته في متناول الجميع. لهذه الأسباب كلها كثرت الدراسات التي تناولت حياة الشيخ وفكره وأدبه.

---

(1) نظرية دراسة القرآن الكريم وتدبره في دراسة الإمام العلامة الدكتور عدنان النحوي، ص:58-59.

(2) انظر: عدنان النحوي حرارة العقيدة والموقف – عبد الحليم بوبكر – 2015/8/14م – الرابط
http://127.0.0.1:800/%C7%E1%C5%DD%CA%D1%C7%D6%ED/www.alnahwi.com/

المطلب الرابع
الدراسات التي تناولت عدنان النحوي وكتاباته

كتب العديد من الكُتّاب والباحثين عن الدكتور عدنان النحوي – رحمه الله تعالى – سواء عن شعره أو أدبه أو منهجه في تحقيق قضايا العصر ونقده إياها، وكثرة هذه المؤلفات وتنوع مواضيعها دليل على سعة اطلاع الشيخ بكثير من الفنون، وكذلك دليل على غزارة فكره وقريحته.

ويمكن تقسيم الدراسات والأبحاث التي تناولت أعمال النحوي على النحو التالي:

أولاً: الدراسات التي تمت حول أدبه وفكره ومنهجه والتي قُدمت أكثرها للمؤتمرات :

قدمت بعض الأبحاث العلمية المقدمة للمؤتمرات جانباً من كتابات الدكتور النحوي، سواء كانت هذه المؤتمرات في قطاع غزة، أو خارجه. وتناولت هذه الأبحاث أكثر من تخصص برع فيه الشيخ، فمنها:

1- **الموقف السياسي في شعر عدنان النحوي** للدكتور موسى إبراهيم أبو دقّة المحاضر بكلية التربية الحكومية بغزة (جامعة الأقصى حالياً) وهو بحث مقدّم لمؤتمر " قضايا الأدب والتحديات المعاصرة " المنعقد في الجامعة الإسلامية. وقد تتبع الدكتور موسى في بحثه هذا قصائد الشعر التي أظهرت مدى اهتمام ومتابعة الدكتور النحوي بالسياسة وتفاعله معها، ورأيه فيها، ونقده إياها. ثم بين حجم ذكر فلسطين عامة والأقصى خاصة في شعر الشيخ – رحمه الله، وحديثه عن اللجوء الفلسطيني في دول الشتات، وبعض الاتفاقيات التي أبرمت حول فلسطين مثل اتفاقية (كامب ديفد).[1]

2- **نظرية دراسة القرآن الكريم وتدبره في مدرسة الإمام العلامة الدكتور عدنان النحوي المعاصرة، ودورها المنشود في بناء الجيل المؤمن وتنميته.** للأستاذ الدكتور عبد السلام حمدان اللوح، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية في غزة. وهو بحث مقدم للمؤتمر العلمي الرابع بعنوان " دور الجامعات في التنمية " بجامعة الأقصى بغزة عام 2011م. بدأ فيه الدكتور عبد السلام بسيرة الدكتور النحوي وإنتاجه الفكري، ودور الجامعات في الاستفادة من هذا الفكر. ثم تحدث عن نظرية دراسة القرآن الكريم وتدبره، ثم ربط هذا كله بدوره المنشود في تنمية الجيل المؤمن، وهو كتاب مطبوع ومتوفر في المكتبات.

(1) مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد التاسع، العدد الأول، ص: 757-789، 27-29 مايو 2000م.

3- "**صورة الأقصى في شعر الدكتور عدنان النحوي من خلال قصيدتيه (ربا الأقصى) و (رسالة الأقصى إلى المسلمين) " (دراسة تحليلية ونقدية)**[1]، للدكتور فيصل حسين غوادرة الأستاذ المشارك في جامعة القدس المفتوحة بمنطقة جنين التعليمية. أظهرت الدراسة صورة الأقصى عند النحوي من خلال القصيدتين، ففي الأولى جاءت الدراسة مؤلفة من خمس لوحات فنية، والثانية في سبع لوحات. وضح الكاتب من خلال الدراسة معاناة المسجد الأقصى، والقدس وسائر فلسطين، وما يمارس عليها من تهويد واعتداءات من قبل اليهود. كما بين الكاتب من خلال الدراسة مدى التخاذل العربي والإسلامي من أجل إنقاذ الأقصى، ثم ماذا على العرب والمسلمين أن يفعلوه من أجل تحرير الأقصى وفلسطين عامة.

4- **الصورة الشعرية الإسلامية عند الدكتور الشاعر / عدنان علي رضا النحوي**[2]. للدكتور محمود الدغيم. وتضمن البحث ترجمة للدكتور الشاعر عدنان علي رضا النحوي، ثم إلقاء الأضواء على الصورة الإسلامية في شعره. وقُدم هذا البحث في " ندوة الأدب الإسلامي " التي أقامتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالتعاون مع مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية والتي عقدت يوم الاثنين 22 ربيع الأول 1415هـ الذي وافق 19 آب 1994م.

5- **صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان علي رضا النحوي، الداعية والمفكر والأديب،** للدكتور نعيم كامل شبير عام 2008م، وهذا الدراسة طبعت في كتاب مستقل وصلت صفحاته إلى 250 صفحة، بدأ الدكتور شبير فيه بالحديث عن حياة النحوي الشخصية والعلمية وما يتصل بها. ثم تناول كتابات النحوي كقيمة فكرية ودعوية، وتحدث بعدها عن التجربة الشعرية والأدبية وما يتصل بها، ثم عرج على الرسائل والدراسات والأبحاث المقدمة عن الشيخ. وبعد ذلك حث الدكتور شبير الأمة والحركات الإسلامية للأخذ من فكر الشيخ ونهج مدرسة لقاء المؤمنين ومناهجها ونماذجها التطبيقية في الواقع المعاش.

---

(1) مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول، ص: 229-266، يناير 2013م.http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/ ISSN 1726-6807 .

(2) مجلة الأدب الإسلامي: العدد الثالث عشر، العدد: 1263، الصفحة: 20، تاريخ النشر: 2 جمادى الثانية 1418 هـ/ 1997/10/3م، السعودية.

ثانياً: الدراسات الجامعية التي قدمت حول أدبه وفكره ومنهجه :

تناول عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه دراسة أدب وشعر الدكتور النحوي، وذلك في جامعات عدة من العالم العربي، ذلك لأن الشيخ له كم كبير من الشعر سطَّره في أكثر من عشرة دواوين، واثنتي عشرة ملحمة شعرية تناولت شتى المواضيع الأدبية والدعوية. وهذه الدراسات هي[1]:

1- **عدنان علي رضا النحوي ومنهجه في تحقيق قضايا عصره** : للباحثة مريم عبد الوافي، بإشراف الأستاذة سلمى تليلاني، سنة 1424هـ – 2002م. وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير من جامعة الحسن الثاني – كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمغرب. وهو بحث صغير الحجم لم تتعد صفحاته السبعين، عرجت الباحثة فيه عن نشأة النحوي وهجرته وبعض مؤلفاته. ثم تحدثت عن نظرية النحوي المسماة (النظرية العامة للدعوة الإسلامية)، وذكرت بعد ذلك آراء النحوي في الشورى والديمقراطية ثم الحداثة.

2- **الحداثة في النقد الإسلامي المعاصر:" عدنان النحوي ناقداً، أدونيس نموذجاً"** للباحثة أشليح حفيظة . بإشراف الأستاذ المقرئ الإدريسي أبو زيد 1991- 1992م، بجامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية – ابن مسيك، شعبة اللغة العربية وآدابها، بالمملكة المغربية.

3- **ملحمة ربا الأقصى للدكتور عدنان علي رضا النحوي في ضوء نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني** للباحثة نعيمة بردوني بإشراف الدكتور سعيد الغزاوي عام 1993م بجامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – شعبة اللغة العربية وآدابها، في الدار البيضاء بالمغرب. قدمت هذه الرسالة لنيل الإجازة في الأدب.

4- **قصيدة الغرباء للشاعر عدنان علي رضا النحوي،** للباحثة ثميمونت السباعي وإشراف الدكتور عبد الرحمن حوطش بجامعة محمد الأول في المغرب . وهي رسالة ماجستير بكلية الآداب والعلوم الإنسانية لنيل الإجازة في اللغة العربية وآدابها عام 1997م .

5- **الاغتراب والملحمية في شعر عدنان النحوي،** للباحث عيسى بودوخة وإشراف الدكتور حسن كاتب . قدمت كرسالة ماجستير في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في قسنطينة بالجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية والدراسات القرآنية، عام 2002م .

6- **الاتجاه الإسلامي في شعر عدنان علي النحوي، دراسة تحليلية فنية.** للباحثة ليلى عبده الشبيلي، بإشراف الدكتور صلاح المية، أستاذ الأدب والنقد في كلية التربية للبنات بجازان في

---

(1) انظر: مع الداعية النحوي، موقع فضيلة الداعية الدكتور عدنان النحوي، 2015/10/28م، http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=63

المملكة العربية السعودية عام 2002م. والدراسة هي رسالة ماجستير مقدمة في الدراسات الأدبية المتخصصة في الأدب والنقد. عرجت فيها الباحثة عن موضوعات الشعر عند الشيخ، فقد كتب في العقيدة والشخصية الإسلامية والمناسبات الدينية والإصلاح المجتمعي. ثم تحدثت الباحثة عن التجربة الشعرية للشيخ، الوحدة الفنية، الصورة الفنية، معجم الشيخ الشعري، والموسيقى في شعره. ثم اتجهت الدراسة إلى الجانب النقدي من حيث نظرة النحوي لمفهوم التقليد والتجديد وغيرها.

7- **جمالية الفن عند الدكتور عدنان علي رضا النحوي قراءة في الدلالات والمقومات والسمات،** للباحث عبد الجبار البودالي بإشراف الدكتور سعيد الغزاوي عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية. قدمت هذه الرسالة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – شعبة اللغة العربية وآدابها في جامعة الحسن الثاني المحمدية بالمملكة المغربية عام 2008م. عرض الباحث من خلال دراسته عن جماليات الفن في شعر الشيخ مثل: مقومات التشكيل الجمالي للفن، والسمات الجمالية من حيث الربانية والثبات والشمول والإيجابية وغيرها.

يقول الباحث البودالي عن الدكتور عدنان النحوي:" إن إلقاء نظرة عابرة على عناوين المؤلفات والإبداعات التي توهج بها العقل الحجاجي أو الوجدان الشعري عند المفكر الشاعر الدكتور عدنان علي رضا النحوي كاف ليقتنع الباحث – منذ البداية – بصعوبة إنجاز بحث دقيق عميق في كل ما أنتجه الرجل من أفكار وأشعار، ومواقف وآراء، أقل ما يوصف صاحبها به أنه من الشعراء المكثرين، ومن المفكرين الذين أفاضوا، فأثروا مكتبة الفكر والأدب الإسلامي، وأغنوها بآرائهم النقدية السديدة وإبداعهم الفني المتميز ".[1]

هذا، وقد ترجمت بعض الموسوعات والمعاجم للشيخ ذكرت بعض أعماله وصفاته مثل: معجم الأدباء والكتاب، ومعجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ومعجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين، وكتاب "تراجم مختارة للأدباء الإسلاميين في القرن العشرين" لمنجد مصطفى بهجت، وغيرها.[2]

ويعتقد الباحث أن أعمال الدكتور النحوي الكثيرة – والتي تشعبت في مجالات عدة تحتاج – لمزيد من الدراسات سواء من طلبة اللغة العربية أو غيرهم من التخصصات الأخرى.

(1) جمالية الفن عند الدكتور عدنان علي رضا النحوي، قراءة في الدلالات والمقومات والسمات: عبد الجبار البودالي – دار أطلس الخضراء – السعودية – الطبعة الأولى – 1429هـ – 2008م، ص: 13.
(2) انظر: مع الداعية النحوي، موقع الدكتور عدنان النحوي، 2015/10/29م،
http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=63



الفصل الثاني

موقف النحوي من قضايا العقيدة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: قضية الإيمان والتوحيد عند النحوي.

المبحث الثاني: مظاهر الانحراف عن التوحيد عند النحوي.

المبحث الثالث: موقف النحوي من قضية خلق أفعال العباد.

المبحث الرابع: عقيدة النحوي في الولاء والبراء.



المبحث الأول

قضية الإيمان والتوحيد عند النحوي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أركان الإيمان عند النحوي.

المطلب الثاني: أقسام التوحيد عند النحوي.

المطلب الثالث: أهمية قضية الإيمان والتوحيد عند النحوي.

المطلب الأول
أركان الإيمان عند النحوي

عدنان النحوي – رحمه الله تعالى – رجل قضى أكثر من نصف عمره داعياً إلى الله سبحانه، ولم يدع مجالاً من مجالات الدعوة إلى الله إلا وأسهم فيه مساهمة كبيرة، دعا للعقيدة الصافية والمنهل العذب والغدير المبارك، إلى منهج النبي ﷺ وصحابته الأوائل الأماجد ﷺ والسلف الصالح طوال مسيرته الدعوية. فبعد دراسة كتب عدنان النحوي وخصوصاً المواضع التي تطال العقيدة، يتبين أن الرجل تأثر بأكثر من عامل في عقيدته، مما جعل الرجل يعتقد بعقيدة أهل السنة والجماعة، عقيدة سلف الأمة رحمهم الله تعالى. وكان من أبرز العوامل التي كانت عوناً له على اتباع المعتقد الصحيح أنه نشأ في بيت علم وتقى وصلاح ودعوة، وترعرع بين أحضان مكتبة العائلة الكبيرة، واختلط بالدعاة من فلسطين وخارجها. ثم إن سكناه في المملكة العربية السعودية حيث دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – السلفية المحضة، واختلاطه هناك بالعلماء أصحاب العقيدة الحقة، وكذلك فإن الرجل – رحمه الله – كان قارئاً مكثراً لكتب السلف والخلف يعرف الغث من السمين، ويميز بين الرأي والدليل، والخبيث والطيب.

يقول الشيخ – يرحمه الله:" الإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه، واليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار، وبما جاء به النبيون والمرسلون من عند ربهم، الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، وبالرسالة الخاتمة رسالة محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، والإيمان بأن كل ما جاء به محمد ﷺ وحيٌ من عند الله عز وجل هو حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هذا الإيمان هو الذي ندعو إليه، ندعو إليه البشرية كلها، الناس كلهم، عربيهم وأعجميهم، مهما اختلفت الأجناس والألوان واللغات، والأماكن والأزمان".(1)

وللتعرف على عقيدة عدنان النحوي، لا بد من تتبع كتاباته عن أركان الإيمان بكل ما فيها من تفاصيل، لذا من المفيد أن يعرِّف الباحث أركان الإيمان ليستبين الأمر وينحصر البحث.

تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً:

فالإيمان لغةً: التصديق، قال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم يعقوب عليه السلام: ﴿ **وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا** ﴾ (يوسف : 17)، أي: بمصدّق لنا.(2)

---

(1) التوحيد وواقعنا المعاصر: عدنان النحوي– دار النحوي للنشر والتوزيع– السعودية– الطبعة الثانية – 1413 هـ – 1993 م، ص: 79.

(2) انظر: لسان العرب لابن منظور، 23/13.

واصطلاحاً: "قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان."[1]

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق الرازق المحي المميت، وإنه المستحق لأن يفرد بالعبادة والذل والخضوع وجميع أنواع العبادة، وأنه المتصف بصفات الكمال المنزه عن كل عيب ونقص.[2]

وأركانه ستة وهي:

الإيمان بالله سبحانه، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، والإيمان باليوم الآخر بكل ما جاء فيه، والإيمان بما جاء في نصوص القضاء والقدر.

وهذه الأركان لها دليلها من القرآن والسنة وإجماع الأمة.

فمن القرآن: قوله تعالى :﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (البقرة : 177)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَما أَمْرُنا إِلاَّ واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ (القمر : 49-50).

ومن السنة المطهرة: فقد سئل النبي ﷺ عن الإيمان فأجاب:" أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ".[3]

وقد أجمعت الأمة أن أركان الإيمان ستة للأدلة السابقة، وأدلة أخرى مستفيضة من الوحيين. ويمكن توضيح عقيدة الدكتور عدنان النحوي من خلال كتاباته عن أركان الإيمان على النحو التالي:

أولاً: الإيمان بالله ﷻ:

وهو " الإيمان بوجوده سبحانه، وأنه تعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه المستحق أن يتفرد بجميع أنواع العبادة، وهو المتصف بصفات الكمال، والمسمى بأسماء الجلال، المنزه عن كل نقص وعيب".[4]

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العز الحنفي، ص: 283.

(2) انظر: الأسئلة والأجوبة في العقيدة: صالح الأطرم – دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى – 1413 هـ، ص: 4.

(3) صحيح مسلم – كِتَابُ الْإِيمَانَ – بَابُ معرفة الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، والقَدَرِ وَعَلَامَةِ السَّاعَةِ – 36/1 – رقم/ 8.

(4) انظر: شرح أصول العقيدة الإسلامية: نسيم ياسين – مطبعة التقوى للطباعة والنشر والتوزيع – فلسطين – الطبعة الثانية – 1420 هـ – 1999 م، ص: 38.

يقول النحوي – رحمه الله :" نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ عبده رسوله، بلغ الرسالة عن ربه وبينها وأدى الأمانة، وكان خاتم النبيين والمرسلين، أرسله الله إلى الناس كافة، ونؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره".(1)

فالإيمان بالله يتضمن أربعة لوازم: الإيمان بوجود الله سبحانه، والإيمان بربوبيته لكل الخلق، والإيمان بألوهيته فهو المستحق لجميع أنواع العبادات، ثم إثبات ما أثبته هو لنفسه أو أثبته له رسوله محمد ﷺ من أسماء حسنى وصفات عليا، ونفي ما نفاه سبحانه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله محمد ﷺ من صفات النقص والعيب.

ثانياً: الإيمان بالملائكة:

قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (القمر:98).

وقد أجمع المسلمون قاطبة على وجوب الإيمان بالملائكة، وعليه فمن أنكر وجود الملائكة من غير جهل يعذر به، فقد كفر لتكذيبه القرآن والسنة في نفي ما أُثْبِت فيهما، ولقد قرن الله سبحانه الكفر بالملائكة بالكفر به فقال جل وعلا:﴿ **وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾(النساء:136).(2)

ويذكر النحوي كثيراً أركان الإيمان مجتمعة بما فيها الإيمان بملائكة الله الأبرار فيقول– رحمه الله: " نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ عبده رسوله، بلغ الرسالة عن ربه وبينها وأدى الأمانة، ونؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ونؤمن بالقدر خيره وشره، ونؤمن أن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين".(3)

ويقول – رحمه الله: "خلق الله الملائكة من نور، وجعل لهم أعمالاً يعبدون الله بها، يخافون ربهم من فوقهم، ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار، ولا يستكبرون، ولا

(1) لقاء المؤمنين (الأهداف): عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الرابعة – 1416 هـ – 1996 م، ص: 101.
(2) انظر: التبيان شرح أركان الإيمان: سعد عاشور – مكتبة الطالب الجامعي بالجامعة الإسلامية – فلسطين – الطبعة الرابعة – 1430هـ – 2009م، ص: 167.
(3) كيف تلتقي الحركات الجماعات الإسلامية، ص: 53.

يستحسرون، ولا يفترون، وهم لا يعملون إلا بأمر الله، والله يأمرهم بأعمال تتعلق بعباده من تثبيت وتقوية، وتتعلق بنفسيتهم وفكرهم."[1]

ثالثاً: الإيمان بالكتب السماوية:

يوافق النحوي عقيدة السلف في الإيمان بالكتب من حيث عددها المذكور في القرآن والسنة، وكذلك من حيث تحريف التوراة والإنجيل وحفظ القرآن الكريم من كل عيب ونقص.

يقول – رحمه الله: "وسمى الله في كتابه العزيز كتباً: الزبور، قال ﷻ: ﴿ **وَآتَيْنا داوُدَ زَبُوراً** ﴾ (النساء:163)، والتوراة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ** ﴾ (المائدة:44)، وقال تعالى :﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَقَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ** ﴾ (الحديد:27)، وقال سبحانه:﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ** ﴾ (الحجر:9)".[2]

والله سبحانه قد تكفل بحفظ القرآن الكريم من أن تمسه يد التحريف أو التبديل، أو إبداء بعضه وإخفاء كثيره كما فعلت اليهود والنصارى.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ (الحجر:9).

يقول النحوي: " وسيظل منهاج الله ذكراً يحفظه الله، لا يصيبه تبديل ولا تحريف، ولا يصيبه نقص ولا ضياع. وإذا أراد الله أمرًا فلا رادَّ لأمره ولا لقضائه، والكون كله خاضع لأمر الله. وجاء القرآن الكريم بناءً على ذلك مهيمنًا على الكتب السماوية كلها، جامعًا لكل ما يحتاجه الخلق مفصلًا كل تفصيل، حتى لم يعد للكتب السماوية السابقة إلا أن تكون حجة على الذين حرفوا فيها وبدلوا فيها".[3]

يقول الإمام النسفي– رحمه الله: "(إنا نحن نزلنا الذكر) القرآن (وَإِنَّا لَهُ لحافظون) هو رد لإنكارهم واستهزائهم في قولهم أنه غير محفوظ من الشياطين، بل الله سبحانه حافظه في كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتولَّ حفظها، وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغياً، فوقع التحريف ولم يكل القرآن إلى غير

---

(1) النهج الإيماني للتفكير: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1421 هـ – 2000 م، ص: 224-225.

(2) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 133.

(3) المصدر السابق، ص: 136 .

حفظه، وقد جعل قوله (وإنا له لحافظون) دليلاً على أنه منزل من عنده آية، إذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه".[1]

يقول النحوي عن تحريف الكتب المتقدمة على القرآن: "إن أهل الكتاب – اليهود والنصارى – حرفوا كلام الله عن مواضعه وبدلوا فيه وحرفوا منه، ومظاهر التحريف بينة واضحة، قام به علماؤهم لتنال به عصبة منهم مصالح خاصة".[2]

قال تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِى جاءَ بِهِ مُوسى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ تُبْدُونَها وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آباؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾ (الأنعام:91).

وقال تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾(البقرة:79).

رابعاً: الإيمان بالرسل عليهم السلام:

يقول الله تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنا وَنُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسى وَهارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيي وَعِيسى وَإِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَإِسْماعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكلاًّ فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ * وَمِنْ آبائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوانِهِمْ وَاجْتَبَيْناهُمْ وَهَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ (الأنعام:83-87).

والنحوي يحاكي الآية في ذكر الرسل والأنبياء فيقول – رحمه الله:" وامتدت رحمة الله بعباده فأنزل كتباً وأرسل رسلاً: آدم عليه السلام ونوحاً وهوداً وصالحاً وشعيباً وابراهيم ولوطاً وإسماعيل

(1) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي – تحقيق: يوسف علي بديوي – دار الكلم الطيب – بيروت – الطبعة الأولى- 1419 هـ – 1998م، 184/2.

(2) الصحوة الإسلامية ... إلى أين؟: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثالثة – 1414 هـ – 1993م، ص: 139.

ويعقوب والأسباط وموسى وهارون ويونس وأيوب وداود وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس واليسع وكثيراً غيرهم، وختمت الرسالات بمحمد ﷺ".[1]

ويذكر النحوي وظائف الأنبياء التي يمكن حصرها في:

1- الدعوة إلى الإيمان والتوحيد:

قال – رحمه الله:" وقضية الإيمان والتوحيد هي القضية التي بعث الله من أجلها الرسل والأنبياء منذ نوح عليه السلام كلهم يدعون بدعوة واحدة ﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ** ﴾ (المؤمنون:32). حتى ختموا بمحمد ﷺ".[2]

2- إيقاظ الفطرة التي انحرفت عن الحق:

يقول:" وكذلك قضت رحمة الله الواسعة أن يبعث لهم الأنبياء والرسل، حتى يوقظوا الفطرة الغافية كذلك، ويعالجوا الفطرة المريضة، ويدفعوا الفطرة السليمة إلى آفاق الإيمان وجلال التوحيد، وجمال العبودية لله، والتسليم المطلق له".[3]

3- تبليغ الدين للناس:

يقول – رحمه الله: " لقد كان عهد الله إلى أنبيائه بتلقي الوحي والرسالة، والقيام ببيانها وبلاغها، ثم كان عهد النبوة ما أخذه الأنبياء من أصحابهم وحوارييهم من عهود على الاتباع والتبليغ والبيان، وامتد عهد النبوة مع جميع الأنبياء والرسل، وختمت النبوة بمحمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين، وكانت نبوته عهداً أخذه الله سبحانه من جميع الأنبياء، وأمرهم بالشهادة على نبوته، وشهد معهم".[4]

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :" **مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ** ..".[5]

---

(1) دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة السادسة – 1414 هـ – 1993 م، ص: 283.

(2) الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، ص: 51.

(3) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 128.

(4) العهد والبيعة وواقعنا المعاصر: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1411 هـ – 1990 م، ص: 29 – 31.

(5) صحيح مسلم – كِتَابُ الْإِيمَانَ – بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ– 69/1 – رقم/ 50.

4- إقامة الحجة على البشر:

قال – يرحمه الله:" ثم جاءت الرسل بعد ذلك كله لتبشر وتنذر، لتذكر وتعظ، لتوقظ وتنبه. ثم كانت الحجة القاطعة مع خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، قرآنًا عربيًا غير ذي عوج، نورًا وبرهانًا وشفاءً وهدى وموعظة وذكرى، ومهيمنًا على الكتاب كله. فأنى لأحد أن تكون له حجة على الله".[1]

قال تعالى:﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (النساء:165).

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حماد آل عمر:" إن الرسل عليهم الصلاة والسلام، عباد لله اصطفاهم لحمل رسالته إلى خلقه، مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة من بعد الرسل. ويعلم أن وظيفتهم التي كلفوا بها هي: دعوة الناس إلى التوحيد، وتحذيرهم من الشرك وأمرهم بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والتزام الطاعات، وتجنب المعاصي".[2]

ويتحدث النحوي – رحمه الله – عن معجزاتهم التي أيدهم الله بها قائلاً:" لقد بعث الله رسله بالبينات ومع كل رسول كانت بينته وحجته، لترد على الكافرين من قومه، ولينذر ويبشر، وكانت الآيات البينات تختلف في بعض نواحيها من رسول إلى آخر، فقد جاء موسى بتسع آيات بينات تقتضيها الدعوة في ذلك العهد، وجاء عيسى بآيات بينات أخرى، وفضل كل نبي بآياته التي جاء بها".[3]

خامساً: الإيمان باليوم الآخر:

يبين النحوي عقيدته في اليوم الآخر بأن الإيمان به ركن من أركان الإيمان، وهو من علم الغيب، فلا يجوز لأحد أن يتكلم فيه إلا بدليل من القرآن أو صحيح السنة، ولا نحكم على أحد كائناً من كان أنه من أهل الجنة أو من أهل النار، إلا من مات على الكفر.

يقول – رحمه الله: " إن هذه القضية – قضية اليوم الآخر – هي من علم الغيب، لا نقول إلا ما جاءت به النصوص صريحة واضحة، دون أن نؤول فيها ما ليس لنا بحق، ولا نحكم على أحد أنه من أهل الجنة أو أهل النار، ولا تعطي هذه الأحاديث لأحد من الناس الحق في إصدار

---

(1) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 134.

(2) الإرشاد إلى توحيد رب العباد: عبد الرحمن بن حماد آل عمر – دار العاصمة – الرياض – الطبعة الثانية – 1412 هـ، ص: 34.

(3) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 130.

حكم أو تقرير من يدخل الجنة ومن يدخل النار من عباد الله. فقد جعل الله هذا الأمر له وحده، إلا من أعلن كفره جليًا ومات عليه فهو من أهل النار، بما يبدو لنا، والله أعلم".(1)

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله: "علم الغيب إلى الله عز وجل وليس عند الرسول ﷺ ولا غيره شيء من علم الغيب، فهو مختص بالله عز وجل، يعلم ما يكون في الآخرة وما في الجنة والنار ويعلم الناجين من الهالكين، فالله يوحي إلى الرسل ما شاء كما أوحى إلى نبينا ﷺ أشياء كثيرة من أمر الآخرة وأمر القيامة وأمر الجنة والنار وما يكون في آخر الزمان من الدجال ومن المسيح وأمر الكعبة ويأجوج ومأجوج وغير ذلك مما يكون آخر الزمان، كل هذا من علم الغيب، أوحى الله به إلى نبيه ﷺ وعلمنا إياه وصار معلوماً للناس، قال تعالى:﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ** ﴾ (الجن:26–27)".(2)

ويحدد النحوي رحمه الله مهمة العقل فيما يتعلق بعلوم الغيب، فيضع العقل في مكانه الصحيح، فلا يتجرأ على أن يعمل أحد عقله في أمور لم يدركها ولم يتصورها، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره.

يقول:" العقل تلك القوة التي وهبها الله للإنسان ليفكر بها ويتأمل ويتدبر، وليضبط بها عاطفته وجموحها، وليدرك بها رسالة الله ودينه، وليعي مسؤولياته وواجباته التي كلفه الله بها، ويفكر في سبيل أداء الأمانة والتكاليف التي خلق لها، ثم بعد ذلك يصيب ويخطئ. ليس للعقل مهمة في عالم الغيب، ولا يستطيع عقل الإنسان أن يكشف وحده عالم الغيب، فيعرف وصف الجنة وتفاصيلها، ولكن الغيب يعرفه الإنسان عن طريق الوحي".(3)

سادساً: الإيمان بالقضاء والقدر(4):

يوضح النحوي سبب كون القضاء والقدر هو ركن من أركان الإيمان، رداً على أولئك الذين ضل فهمهم في قضية الإيمان والقدر.

---

(1) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 233.

(2) بيان أن الغيب لا يعلمه إلا الله، عبد العزيز بن باز، 2015/10/4،
http://www.binbaz.org.sa/node/4201

(3) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 203.

(4) يستفيض الباحث في شرح عقيدة النحوي في الإيمان بالقضاء والقدر في مطلب / مسؤولية الإنسان مع قضاء الله وقدره من هذه الرسالة.

يقول – رحمه الله:" ويمضي منهاج الله يعرض قضية القدر مرتبطة مع التوحيد، أساسًا من أسسه، مرتبطة مع منهاج الله ارتباط تكامل وتناسق، حتى لا يكاد يستقيم معنى التوحيد بغير القضاء والقدر، لهذا كان الإيمان بالقضاء والقدر، خيره وشره شرط من شروط التوحيد".[1]

يقول الشيخ محمد حسن عبد الغفار:" والقدر هو قدرة الله، وهو من لوازم ربوبية الله، ولا يستقيم إيمان عبد بحال من الأحوال إلا بالإيمان بالقدر، ولا يمكن أن تطلق الإيمان على رجل لا يعتقد الاعتقاد الصحيح بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فلا يمكن أن يستقيم إيمان عبد إلا به. ومسائل القدر دحض مزلة، قد ضلت فيه أفهام كثيرة، وضل فيه أناس كثيرون حتى ممن ينتسب للسنة".[2]

أقسام القضاء والقدر عند النحوي:

هذا، ويقسم النحوي القدر إلى ثلاثة أقسام: ما يشاهده الإنسان في اللحظة التي يعيشها مثل: الولادة والموت والقمر والشمس، والنوع الثاني: ما يكتشفه الإنسان حين وقوعه مع مر الزمن، مثل الأحداث اليومية، والثالث: ما لا يعلمه إلا الله وهو الذي يحتاج إلى الوحي المرسل للأنبياء.

"فمن قدر الله أن جعل الله دائرة محددة لعمل الإنسان، يحاسب فيها الإنسان على عمله بميزان رباني عادل دقيق. ولا يستطيع الإنسان أن يحيط بقدر الله كله، ولا بسننه في الكون كلها. فمن قدر الله وسننه ما يراه الإنسان ماثلًا أمامه على مر العصور والأجيال حتى تقوم الساعة، كالولادة والموت والشمس والقمر، ومنها ما يكتشفه الإنسان جيلًا بعد جيل، ومنها من هو من علم الغيب لا يمكن للمخلوق أن يعرفه إلا من الوحي المنزل من عند الله، الوحي الذي تلقاه الأنبياء والمرسلون، فيبلغونه إلى أقوامهم، الوحي الذي ختم برسالة محمد ﷺ ليكون نذيرًا للعالمين".[3]

وهذا التقسيم للقدر غريب عن تقسيم السلف، ولا يستوعب النصوص التي تناولت عقيدة القضاء والقدر، فقد قسم السلف القدر من حيث مراتبه – لا من حيث أنواعه – إلى مرتبة العلم، ومرتبة الكتابة، ومرتبة المشيئة، ومرتبة الخَلق.

---

(1) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 172 .

(2) شرح كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: محمد حسن عبد الغفار – : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية – الموقع: http://www.islamweb.net، دروس مفرغة، درس: 12، ص: 2.

(3) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص163.

أما من حيث مرتبة الكتابة، فقد قسمها السلف إلى خمسة تقادير وهي: التقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وتقدير يوم الميثاق يوم أن أخذ الله العهد على الناس وهو في ظهر آدم ألا يشركوا به شيئاً، والتقدير العمري وهو ما يكتبه الملك الموكل بالنطفة في رحم الأم من رزق الجنين وأجله وعمله وشقي أو سعيد، والتقدير الحولي وهو ما يقدره الله على الإنسان في ليلة القدر، الليلة التي فيها يفرق كل أمر حكيم، وأخيراً التقدير اليومي إذ أن الله كل يوم في شأن فيغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين.[1]

(1) انظر: الإيمان بالقضاء والقدر: محمد حسان – مكتبة فياض – مصر – الطبعة الثانية – 1427 هـ – 2006 م، ص: 49-78.

المطلب الثاني
عقيدة النحوي في أقسام التوحيد

التوحيد لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: (وَحَدَ) الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد، ومن ذلك الوحدة، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله.[1]

ومعنى وحَّدته: جعلته منفرداً عما يشاركه، أو يشبهه في ذاته وصفاته، وتشديد اللفظة للمبالغة، فالله تعالى واحد، أي: منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال، وهو كذلك منزه عن المثل في الذات والصفات.[2]

فالتوحيد في اللغة يدور حول جعل الشيء واحداً؛ فلا يتجزأ أو يتبعض، ويمنع من إلحاق شبه له أو نظير.

التوحيد اصطلاحاً:

"إفراد الله بما تفرد به، وبما أمر أن يفرد به؛ فنفرده في ملكه وأفعاله فلا رب سواه ولا شريك له، ونفرده في ألوهيته فلا يستحق العبادة إلا هو، ونفرده في أسمائه وصفاته فلا مثيل له في كماله ولا نظير له."[3]

وقد قسم العلماء التوحيد إلى ثلاثة أقسام، وذلك استقراءً للآيات والأحاديث التي تناولت قضية توحيد الله سبحانه، وهي:

1- **توحيد الربوبية** : ويسمى توحيد الفعل، وهو إفراد الله جل جلاله بالتصرف في هذا الكون وحده فلا متصرف غيره.[4]

---

(1) انظر: معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – دار الفكر – 1399هـ – 1979م، 90/6.

(2) انظر: القاموس المحيط: مجد الدين الفيروزآبادى – تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع– لبنان – الطبعة الثامنة – 1426 هـ – 2005م ص: 414.

(3) المفيد في مهمات التوحيد: عبد القادر صوفي – دار الإعلام – الطبعة الأولى – 1422هـ– 1423هـ، ص: 47.

(4) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: عبد الرحمن البراك – دار التدمرية – السعودية – الطبعة الثانية – 1429 هـ – 2008م، 521/2.

2- **توحيد الألوهية:** ويسمى توحيد الطلب، وهو إفراد الله جل جلاله بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، فلا معبود بحق إلا هو جل جلاله.(1)

3- **توحيد الأسماء والصفات:** إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له نبيه ﷺ من أسماء حسنى وصفات عليا؛ فلا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل ولا تحريف، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه نبيه ﷺ من أسماء وصفات تحمل نقصاً أو عيباً تنزه الله عنه.(2)

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى : 11).

ومن خلال كتابات الدكتور عدنان النحوي، وتتبع المواضع التي تجلت فيها عقيدته، يتبين أن النحوي –رحمه الله – يدين لله تعالى بعقيدة السلف الصالح، فهو على اعتقاد الفرقة الناجية، اعتقاد أهل السنة والجماعة، إلا من بعض الاضطراب في استعمال بعض الألفاظ والمصطلحات العقدية، يبينها الباحث في آخر هذا المطلب.

أولاً: الإيمان بوجود الله ﷻ:

يؤمن النحوي أن الإيمان بوجود الخالق ضرورة لا يمكن أن يتناساها الإنسان، مهما كان معتقده، وما دام قائماً على عبادة، لكن الاختلاف في الديانات وقع في تكييف الخالق وتصويره.

قال – رحمه الله: "وكذلك فإن الإنسان لا يستطيع أبدًا أن يفكر بوجود خالق، أو بعث بعد الموت، أو حساب أو جنة أو نار، دون أن يكون لهذا كله أصل وحقيقة في هذا الكون. كيف لا يكون الأمر كذلك والإنسان مُصِّر على العبادة آمادًا طويلة، مع اختلاف المكان والزمان والجنس واللغة والأشكال، ومع تفاوت الطاقات والقدرات، فوجود الخالق إذن حق ثابت. ولكن الانحراف وقع لدى بعض الناس في خلط التصور وتركيب أجزائه ومكوناته. فالوجود عندما نفكر فيه هو الأصل مع احتمال الانحراف عن الأصل، نتيجة لعمل الإنسان نفسه".(3)

هذا، وإن الأدلة على وجود الخالق سبحانه كثيرة منها: إتقان الله العجيب في خلق الكائنات، فلا فطور في السماء، ولا اختلال في مكونات الكون، فكل شيء خُلق بقدر معلوم.

---

(1) انظر: التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية: عبد الله بن حميد – تحقيق: أشرف بن عبد المقصود – مكتبة طبرية – السعودية – الطبعة الأولى – 1412 هـ – 1992م، ص: 21.

(2) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي – مؤسسة الخافقين – سوريا – الطبعة الثانية – 1402 هـ – 1982م، 232/1.

(3) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 102.

وكذلك، فإن التفكر في الخلق يقود الإنسان – مختاراً أو مكرهاً – لأن يعتقد بوجود خالق قادر على نظم هذا الكون المترامي الأطراف. لذا فإن النحوي يذكر أبرز دليلين على أن الله حق:

فالأول: دليل الإتقان: يقول – رحمة الله عليه: " لقد جعل الله آياته مبثوثة في الكون كله، وجعل كل آية دالة على وحدانيته وقدرته، وجعل هذه الآيات في نفس الإنسان، في أنمله، يديه، رجليه، جسده، قلبه، عقله، وكل ناحية في كيانه. وجعل الله الكون ميدانًا مفتوحًا حتى تقوم الساعة، ليظل الإنسان يجد في الآيات المتجددة التي ترعى الإيمان وتحنو عليه، تغذيه وتنميه".(1)

يقول ابن القيم – طيَّب الله ثراه: " ومن نظر في هذا العالم وتأمله حق تأمل وجده كالبيت المبني المعد فيه جميع عتاده، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والمنافع مخزونة كالذخائر، كل شيء منها لأمر يصلح له، والإنسان المخول فيه، وضروب النبات مهيئات لمآربه، وصنوف الحيوان مصرفة في مصالحه، فمنها ما هو للدر والنسل والغذاء فقط، ومنها ما هو للركوب والحمل فقط، ومنها ما هو للجمال والزينة، ومنها ما يجمع ذلك كله كالإبل، وجعل أجوافها خزائن لما هو شراب وغذاء ودواء وشفاء، ففيها عبرة للناظرين وآيات للمتوسمين".(2)

والثاني: دليل التفكر في خلق الله: إن نظرة سريعة في هذا الكون الواسع، وإلى ما فيه من سموات ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ليدل الخلق على أنها لم تأت صدفة ولا أن الطبيعة خلقتها، بل الذي خلقها اللطيف الخبير، فالإنسان يكبر عليه أن يصدق أن يُبنى بيت صغير بدون يد ماهرة تضع كل لبنة في مكانها، أفلا يكون لهذا الكون الكبير الفسيح خالق عليم بما فيه، قادر عظيم على حفظه.

يقول النحوي:" ومن هنا نرى أن الآيات الدالة على وجود الله مبثوثة في الكون كله، في كل ميدان وفي كل حركة، حتى أصبحت جلية لكل إنسان، للقاعد وللساعي، وللعامل والعاطل، وللقوي والضعيف، للغني والفقير، للناس جميعًا، حتى لا يكون عذر لأحد يوم القيامة أن يقول لم أرَ ولم أسمعْ ولم أشاهدْ".(3)

قال تعالى: ﴿ **تَبارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّماءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيها سِراجاً وَقَمَراً مُنِيراً * وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرادَ شُكُوراً** ﴾ (الفرقان : 61–62).

(1) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 105.

(2) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: الكتاب لابن قيم الجوزية، واختصره: محمد بن محمد البعلي ابن الموصلي – تحقيق: سيد إبراهيم – دار الحديث – مصر – الطبعة الأولى – 1422هـ – 2001م، ص: 226.

(3) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 122.

ثانياً: الإيمان بربوبيته ﷻ:

توحيد الربوبية هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى وحده رب كل شيء ومليكه، فهو خالق العباد ورازقهم، ومحييهم ومميتهم، وأنه سبحانه الضار النافع، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، وله الأمر كله، وبيده الخير، وهو على كل شيء قدير، ليس له في ذلك شريك أو ند.[1]

يقول النحوي – رحمة الله عليه – معلناً عقيدته في توحيد الربوبية " وهو الذي خلق السموات والأرض والسموات العلا، فله ملك كل شيء مما في الكون: السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وهو الذي استوى على العرش ويعلم كل شيء، يعلم السر وأخفى".[2]

ويقول:" حيثما ترد كلمة " رب "، فإنها تعطي معنى الربوبية أو أحد معانيها بكل جلاء ويسر، قال تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (المؤمنون : 86–88)".[3]

ثالثاً: الإيمان بألوهيته ﷻ:

إذا رُدت الألوهية إلى معناها في اللغة فإنها تعني العبودية؛ لأنها مأخوذة من الإله فهو مألوه أي معبود، فلا إله إلا الله تعني لا معبود بحق إلا الله. والعبودية هي الطاعة والانقياد والتذلل والخضوع[4]. وتعريف الألوهية إذاً هو: "الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة."[5]

وهذا النوع من التوحيد هو الذي كفر به الأوائل من المشركين، وهو المطلوب الأكبر لله سبحانه من كل الجن والإنس، بل ما خلق الخلق إلا لأجل هذا، قال تعالى: ﴿ **وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ (الذاريات : 56).

---

(1) انظر: شرح أصول العقيدة الإسلامية، ص: 43.

(2) قبسات من الكتاب والسنة(تدبر وظلال) : عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1418 هـ – 1997 م، 22/2.

(3) المرجع السابق، 31/2.

(4) انظر: لسان العرب، 467/13.

(5) شرح أصول العقيدة الإسلامية: نسيم ياسين، ص: 40.

يقول النحوي – رحمه الله وأسكنه فسيح جناته: إن الله سبحانه يريد من جميع عباده غنيهم وفقيرهم، عالمهم وجاهلهم، قويهم وضعيفهم، يريد منهم جميعاً أن يؤمنوا به ويعبدوه وحده، ومن يقرأ القرآن ويتدبر السنة سيدرك هذا المعنى للألوهية؛ فحيثما ترد كلمة " الله " فإنها تعطي معنى من معاني الألوهية بأوضح ما تكون وأيسرها جلاءً. وكذلك معنى عبودية الإنسان لربه وخالقه تتجلى بأوضح صورة وأغناها في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وبخاصة كلمة " أعبد " أو مشتقاتها.(1)

ويقول – رحمه الله– عند تعليقه على قوله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ** ﴾ (لقمان : 25)، " إنهم أقروا بأن الله هو خالق السموات والأرض، ولكن هذا الإقرار وحده لا يكفي ليثبت الإيمان والتوحيد. فلابد من أمرين أساسيين حتى يكون الإيمان والتوحيد ثابتين صادقين:

أولًا: الإيمان والإقرار بجميع صفات الله وأسمائه الحسنى معًا، في وقت واحد، دون إنكار صفة من صفاته سبحانه وتعالى، أو طرحها على غيره. ذلك حتى تُكَوِّنَ الصفات كلها التصور الأمين للألوهية والربوبية.

ثانيًا: إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة والتأليه دون إشراك أي شيء معه سبحانه وتعالى، لا إله إلا هو ".(2)

فلا يسلم لبني آدم عقيدة يرضى الله عنها إلا إذا صرفت جميع أنواع العبادة من خشوع وخضوع واستعانة واستكانة وذلٍّ وخشية وخوف ورجاء وتوكل وإنابة إلى الله وحده، لا يشاركه فيها شريك ولا ند كائناً من كان.

التلازم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية:

لا يخفى مدى العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ فكل منها يستلزم الآخر، فمن أقر أن الله هو المتصرف في هذا الكون نفعاً وضراً خضع له وعبده، ومن اعتقد أن الله وحده يستحق العبادة، فهو مقر أنه هو الذي بيده ملكوت السموات والأرض، المحيي والمميت، الضار النافع.

وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، فمن عبد الله وحده لا

(1) انظر: قبسات من الكتاب والسنة، تدبر وظلال، 2/30-31.

(2) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 45.

شريك له، فلا بد أن يكون معتقداً أنه ربه وخالقه ورازقه؛ إذاً لا يعبد إلا من بيده النفع والضر، وله الخلق والأمر.[1]

يقول النحوي – رحمه الله:" وكلما مر بالمسلم لفظة " الرب " في منهاج الله تتجمع في قلبه معاني الربوبية متكاملة متناسقة في مثل قوله سبحانه : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ (الفاتحة: 5)، وتأتي لفظة الجلالة "الله" ولفظة "الرب" في الآية الواحدة نفسها، ليتبين شدة ترابط معنى الألوهية ومعنى الربوبية، وليتبين أن الواحدة تفرض الثانية بالنسبة لحقيقة الإيمان والتوحيد".[2]

وتالله لقد فطن الهدهدٌ لهذا الارتباط الوثيق بين نوعي التوحيد، فأدرك أن الذي يعلم خفايا هذا الكون، والرازق لجميع المخلوقات، لحري أن يُعبد دون سواه، فتأمل ذكاءه إذ قال الله سبحانه عنه: ﴿ **أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَما تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴾ (النمل : 25–26).

رابعاً: الإيمان بأسمائه وصفاته ﷻ:

ما أثبته الله في الكتاب والسنة من أسماء الجلال وصفات الكمال وجب إثباته، وما ورد نفيه في الكتاب والسنة وجب نفيه، وقد أعلمنا الله بكل ما يجب أن نعلم من أسمائه وصفاته في الوحيين، ولم يكلفنا معرفة شيء منها مما لم يرد فيهما، فمن زاد على ما جاء في الكتاب والسنة فقد قال على الله بغير علم!

يقول النحوي – رحمه الله:" فبهذه الأسماء الحسنى التي علمنا إياها الله سبحانه تعالى في المنهاج الرباني، بجلائها ووضوحها، يدعو المسلم ربه، لا يُدخل فيها ما ليس منها، كما كان يفعل أهل الجاهلية الذين دعوه باللات يلحدون بها عن اسم الجلالة " الله "، والذين دعوه باسم (العزى) يلحدون بها عن اسم الجلالة (العزيز)".[3]

يقول الإمام الشوكاني – رحمه الله :" إن مذهب السلف من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل، وكانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل، وأمسكوا عن القال والقيل، وقالوا: قال الله هكذا ولا ندري بما

---

(1) انظر: التبيان شرح أركان الإيمان، ص: 101.

(2) الولاء بين منهاج الله والواقع: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الرابعة – 1420 هـ – 2000 م، ص: 57–58.

(3) قبسات من الكتاب والسنة، تدبر وظلال، 24/2.

سوى ذلك، ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته، فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه، ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه إلا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه، وما حفظوه عن رسول الله ﷺ، وحفظه التابعون عن الصحابة، وحفظه من بعد التابعين عن التابعين، وكان في هذه القرون الفاضلة الكلمة في الصفات متحدة والطريقة لهم جميعاً متفقة".[1]

الأمور التي تقدح في توحيد الأسماء والصفات عند النحوي:

1- **التعطيل:** ومعناه: إنكار قيام الصفات الإلهية بذات الله، وذلك بجحد أسمائه وصفاته.[2]

يقول النحوي:" إنك قد تجد أقوامًا يقرون بوجود الله، ولكن هذا الإقرار يرد منهم على صورة لا تنجيهم من الشرك، ولا تخرجهم من الكفر؛ ذلك لأن إقرارهم لم يحمل معنى التوحيد الخالص، ولن يقر بوجود الله الواحد الأحد، بكل صفاته وأسمائه الحسنى. وإنما أفرزت لهم آثامهم صورة مضطربة، أقروا بصفة واحدة لله، أو بعدد من الصفات فقط، ولم يمتد تصورهم حتى يجمع صفات الله كلها وأسمائه الحسنى كلها".[3]

2- **التشبيه:** ومعناه: اعتقاد مشابهة صفات الخالق سبحانه بصفات المخلوقين لاتحادهما في اللفظ اللغوي[4].

يقول- رحمه الله: " الألوهية والربوبية بكل معانيها التي تبين أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى كلها نؤمن بها كلها، على تكاملها وترابطها، دون أن نترك منها جزءاً أبداً، ودون أن نخلط بين صفات الخالق وصفات المخلوقين".[5]

وعلى هذا، فإن النحوي يرى أن الاعتقاد باتحاد صفات الخالق والمخلوقين اسماً ومسمىً ناقضاً من نواقض توحيد الأسماء والصفات، وصدق الله إذ يقول:﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ (الشورى : 11).

(1) التحف فِي مَذَاهِب السّلف: محمد بن علي الشوكاني – تحقيق: سيد عاصم علي – دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع – مصر – الطبعة الأولى – 1409 هـ – 1989م، ص: 29.
(2) انظر: التبيان شرح أركان الإيمان، 1/ 142.
(3) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 43.
(4) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، 87/1.
(5) الولاء بين المنهاج الرباني والواقع، ص: 47.

3- **التكييف:** وهو تعيين كيفية الصفات، ومحاولة تفسير هيئتها وكنهها.[1]

يقول- رحمه الله عند تعليقه على آية: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (فاطر : 1): " هذه الآيات تدل على شيء لا يعلم حقيقته وحقيقة دلالتها إلا الله وحده، وإنما وصف الله هذه الحقائق الغيبية بما يلزم الإنسان ويكفيه، فهي ليست مجال تأويل من الإنسان، ولا مجال تحديد ولا تعريف، وكذلك وصف الجنة والنار، والأنهار والثمار، والعسل واللبن، والقصور والحور، واللحم والطير، فكل ذلك جاء بألفاظ نستطيع أن ندرك منها معنى وليس الحقيقة الكاملة التي يعلمها الله وحده، فهناك تشابه بين معرفتنا البشرية في الحياة الدنيا لهذه الألفاظ وبين ما هي عليه حقيقة في الدار الآخرة، فلا يزيد المؤمن في تفسير هذه الأوصاف ولا يتأول ولا يشك،﴿ **آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا** ﴾ (آل عمران : 7)، ويوم القيامة سيأتي تأويل ذلك كله".[2]

4- **التأويل:** وهو صرف اللفظ من معناه في اللغة إلى معنى لا يحتمله من غير قرينة دليل أو لغة، وهذا تعريف المتكلمين والمتأخرين، كتأويلهم الاستواء بالاستيلاء واليد بالنعمة، وهو باطل لا يليق بصفات الله سبحانه.[3]

قال النحوي – يرحمه الله – وهو يعلق على آية ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ (آل عمران:7):" وأما التأويل الذي يلجأ إليه من كان في قلبه زيغ فهو التفسير الذي يخرج بالآية هذه أو تلك أو اللفظة هذه أو تلك إلى معنى يعارض نصاً آخر من منهاج الله، أو يخالف قواعد الإيمان والتوحيد، أو يخالف قواعد اللغة العربية، فعند هذا التأويل يغيب الإحكام، وتبرز بعض الآيات المتشابهات أمام القلوب الزائغة، والأبصار التائهة".[4]

---

(1) انظر: شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة: سعيد بن علي القحطاني – مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان – السعودية، ص: 11.

(2) دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية، ص: 276.

(3) انظر: التبيان شرح أركان الإيمان، 143/1.

(4) دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية، ص: 294.

اضطراب مصطلحات توحيد الألوهية والربوبية عند الشيخ عدنان النحوي:

المتتبع لكتابات الدكتور عدنان النحوي يجد أنه يضطرب – أحياناً– في ألفاظ العقيدة المعروفة عند السلف، فربما استخدم لفظ الألوهية كصفة لله سبحانه، أو استعمل لفظ الربوبية كصفة من صفات الله، أو ربما استخدم لفظ " الألوهية " للدلالة على لفظ الجلالة " الله "، وهذا لا يخرجه – يرحمه الله – عن المعتقد الحق، وإن كانت الألفاظ الشرعية العقدية ضرورية، فغاية الأمر هو اضطرابه في الألفاظ فقط من غير قصد للمعاني.

ومثال ذلك قول النحوي عند شرحه قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ (الزخرف : 9)، "وهنا يقرون بثلاث صفات من صفات الألوهية: الله الخالق العزيز العليم. ولكن هل يقرون بأنه هو الرزاق وحده؟! لا إنهم لا يقرون بذلك، وينهض سلوكهم شاهدًا عليهم".[1]

ويقول في موضع آخر: "الألوهية هي من صفات الله سبحانه وتعالى، وكلما وردت لفظة " الله " اسم الجلالة، أو لفظة " إله " عرضت لنا معنى من معاني الألوهية حتى تتكامل الظلال والمعاني وتتناسق ... والربوبية هي من صفات الله الذي لا إله إلا هو، رب العالمين ورب العرش العظيم، فكلما مرت كلمة " رب " أو مشتقاتها، يعرضها عرضاً يتناسق مع الألوهية، ومع سائر صفات الله وأسمائه الحسنى، ويترابط معها."[2]

ومن خلال كلام النحوي الأخير يتضح أنه ما قصد بألفاظه إلا المعتقد الصحيح، وأنه لم يتأثر بعقيدة الأشاعرة الذين ابتعدوا كثيراً عن تقسيم السلف للصفات، وكذلك لم يتأثر – رحمه الله – بشطحات المعتزلة الذين هربوا من التشبيه فوقعوا في نفي صفات الله سبحانه.

ودليل ذلك تفسير النحوي لمعنى الألوهية والربوبية السابق، إذ أقر أن لفظ الجلالة " الله " تعنى الألوهية، وكلمة " رب " تعنى الربوبية.

هذا، وترجع أهمية الاصطلاح في العقيدة إلى أنه ضامن من عدم اختلاط حقائق العقيدة ببعضها؛ وذلك لأن استعمال اللفظ الواحد في المعاني المختلفة دون إضافة ما يعين المراد به قد يفضي إلى غموض معناه، وعدم فهم المراد منه، ومن ثم عدم تحقيق ما يترتب عليه من أحكام

(1) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 44.

(2) الصحوة الإسلامية، إلى أين؟ ص: 203 –204.

عقدية، وذلك واضح حيث لم يعرف المتكلمون معنى الألوهية لخلطهم بينها وبين الربوبية، حيث ادعوا أنه لا فرق بين الرب والإله، ومن ثم لا فرق بين الربوبية والألوهية.[1]

واعتماداً على العرض السابق، فإن الشيخ الدكتور النحوي – رحمه الله – على اعتقاد أهل السنة والجماعة، وعلى اعتقاد الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، ولقد خلت كتاباته جميعاً من أي مظهر لفكر جبري، أو تأويل معتزلي، أو غلو صوفي، أو رفض شيعي. فرحم الله الشيخ رحمة واسعة، وطيب ثراه، وقدس روحه، وجزاه عن المسلمين خيراً على ما قدمه للأمة من فكر صحيح خال من الشبه والخرافات والانحرافات.

---

(1) انظر: الاختلاف في المصطلحات العقائدية والفكرية وأثره على الأمة الإسلامية (رسالة ماجستير): حسن حلس، إشراف/ سعد عاشور – الجامعة الإسلامية – فلسطين – 1428هـ – 2007م، ص: 29.

المطلب الثالث
أهمية قضية الإيمان والتوحيد عند النحوي

لا شك أنه لا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بتحقيق كلمة التوحيد، ألا وهي (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، فهي كلمة الشهادة ومفتاح دار السعادة، وهي العاصمة للدماء والأموال والذرية في هذه الدار، المنجية في الآخرة من عذاب القبر ومن عذاب النار.

وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع الموجودات، وهي حق محض لله على جميع المخلوقات، ولأجلها بعث الرسل وجاءت الرسالات.

وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد، وقريب وبعيد، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان، وتميزت دار النعيم من دار الجحيم.[1]

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَفِى قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَفِى قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَفِى قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**"[2]

يقول الدكتور عدنان النحوي: "لا إله إلا الله هي محور التوحيد وأساسه، وهي سبيل الجنة، يدخل الله برحمته بها من يشاء من عباده على ميزان عادل دقيق لا يُظلم معه أحدٌ".[3]

وهي قضية لا مساومة عليها ولا تنازل عن شيء منها، قضية تكليف من الله عز وجل وعمارة الأرض، وما خلقت الحياة الدنيا إلا لأجل إقامتها وتحقيقها، واختبارًا من الله عز وجل، وتمحيصًا للناس.

"إن قضية الإيمان والتوحيد قضية مفاصلة وحسم لا قضية مساومة وتهاون، وقضية تكليف والتزام لا قضية استرخاء وعجز، قضية مسئولية وحساب لا يفلت منها أحدٌ أبدًا، وإن الحياة الدنيا هي الفرصة الوحيدة لكل إنسان ليعرف ويقرر ويتوب".[4]

---

(1) انظر: حقيقة التوحيد، محمد حسان – مكتبة فياض – مصر – الطبعة الأولى – 1427هـ – 2006م، ص: 7-8.

(2) صحيح البخاري – كِتَابُ الإِيمَانِ – بَابُ زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ – 17/1 – رقم/ 44.

(3) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص:233.

(4) كيف تلتقي الجماعات الإسلامية، ص: 11.

ويمكن تلخيص نظرة الدكتور عدنان النحوي حول أهمية قضية التوحيد في النقاط التالية:

1- التوحيد هو القضية الأولى وقبل أي شيء:

يرى النحوي أن قضية التوحيد هي القضية الأولى التي يجب أن تعالج ويهتم بها، فهي القضية الأولى التي بدأ بها النبي ﷺ دعوته، وبعد أن رسخت انتقل بها إلى غيرها.

قال رحمه الله: "لقد بذل المسلمون جهودًا على قضايا جزئية، غافلين عن القضية الكبرى، وقضية الإيمان والتوحيد القضية التي كانت هي القضية الأولى في دعوة محمد ﷺ، وكانت القضية الوحيدة التي تمثل منطلق الدعوة، وظلت على أهميتها وخطورتها هي القضية الأولى في مسيرة الدعوة".[1]

ولقد تراجع الاهتمام بهذه القضية الأساسية في هذا العصر، وطغت عليها جزئيات وقشور، والأخطر من هذا أنه اختلط بها ما وفد من الغرب والشرق من اشتراكية وديمقراطية ودكتاتورية وحداثة وعلمانية لا دينية، وغير ذلك من المذاهب المعادية للإسلام من فلسفة وأدب وفكر.

ومن المعلوم أن قضية التوحيد ينتقل بها إلى غيرها، لا منها إلى غيرها، فالقضايا الجزئية- قضايا الحلال والحرام على أهميتها- لا يمكن الالتزام بها وأخذها إلا من خلال عقيدة راسخة تستجيب لنداء الله ونداء رسوله ﷺ، وتعظيم الخطاب الشرعي رغبةً ورهبةً. وهذا الذي تناوله النحوي عندما عاب على بعض الدعاة والكتّاب ممن أخذ من حجاب المرأة قضية رئيسية، ومعالجة ظاهرة الخمور ومطاردة رجالها، والقائمة تطول، ومضت السنون الطويلة فلا الحجاب التُزم به، ولا الحانات أغلقت. ولو حاولنا معالجة هذه القضايا واحدة واحدة لانتهى العمر، ومضت القرون، وما أصلحنا شيئًا، وما استقام لنا الأمر، ولغلبنا أهل الأهواء والفتنة والفساد بمنهجهم الممتد وتخطيطهم المدروس، فالسبيل الوحيد لمعالجة هذه القضايا هي محاولة إدخال نور التوحيد والإيمان في قلوب الناس.[2]

والذي ذهب إليه الدكتور عدنان النحوي من أن قضية التوحيد هي القضية الأولى في الدعوة حق له ما يؤيده من القرآن والسنة وكلام علماء الأمة، فلو تتبعنا القرآن المكي لوجدنا جُلَّه يقرر عقيدة التوحيد بعيدًا عن الأحكام الفقهية، بل كان هذا دأب الأنبياء جميعًا الذين أمرنا الله ﷻ أن نتبعهم ونقتدي بهداهم.

---

(1) الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، ص: 20.

(2) انظر: المصدر السابق، ص: 21.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(الأنبياء: 25).

وبدؤوا دعوتهم بالتوحيد الخالص لله سبحانه، فما من نبي إلا قال لقومه ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾ (الأعراف : 65)

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ (القرآن) سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الْحَلاَلُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَىْءٍ لاَ تَشْرَبُوا الْخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ، لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّى لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلاَّ وَأَنَا عِنْدَهُ".[1]

"إن الرسول ﷺ مكث الكثير من الزمن لغرس هذه العقيدة في قلوب الناس وتثبيتها ودعا إليها في وقت طويل، فمشركو قريش كانوا يناصبونه العداء من أجل كلمة التوحيد، ومن أجل هذه العقيدة التي تزلزل كيانهم، وتجعل الأرض تميد من تحت أقدامهم".[2]

والنحوي – رحمه الله – يرى أن القضية الأولى والأخطر هي الدعوة إلى العقيدة الصافية.

"وحين ينطلق الداعية وينزل ميدان الواقع فإنه يجد أن الركنين (المنهاج الرباني والواقع) يفرضان عليه أن تكون القضية الأولى، القضية الأكبر والأخطر هي قضية الإيمان والتوحيد، القضية التي لم تنل في واقع المسلمين في عصورهم الأخيرة العناية والجهد الذي تستحقهما".[3]

ويقول رحمه الله: "نؤمن أن قضية الإيمان والتوحيد هي القضية الأولى وهي أخطر قضية في حياة كل إنسان... وهي الهدف الثابت في الدعوة الإسلامية، وأنه من واجب الدعوة الإسلامية أن تنهض إلى هذا الهدف، وإلى دعوة الناس إليها، وإلى صدق الإيمان وصفاء التوحيد، قبل دعوتهم إلى أي شيء آخر".[4]

---

(1) صحيح البخاري – كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ – بَابُ تَأْلِيفِ الْقُرْآنِ – 185/6 – رقم/ 4993.

(2) شرح أصول العقيدة الإسلامية، ص: 9.

(3) الخشوع: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى– 1415 هـ – 1995 م، ص: 41.

(4) كيف تلتقي الحركات الإسلامية، ص: 54.

وإذا رسخت العقيدة الصافية في جذر قلوب الرجال كما ينبغي، ورعتها يد حانية وبصيرة وعلم، انطلق هؤلاء الرجال عملاً للدين نصرة وتأييداً بالنفس والنفيس، وطارت جوارحهم طاعة لله سبحانه، واسترخصوا الدنيا بأسرها مقابل ما تيقنوا به من نعيم الآخرة الخالد.

2- الإيمان هو قضية الإنسان منذ القدم:

لا شك أن الإنسان متدين بفطرته وطبعه، وأن الاعتقاد هو أهم قضية اهتم بها الإنسان منذ القدم، وأيما كان معتقده، وأينما كان مكانه وزمانه، فلا مجال لأن يعيش إنسان بدون معتقد – ولو كان باطلًا – إلا من شذَّ عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

يقول الدكتور عدنان النحوي: "إن قضية الإيمان قضية الإنسان، حيثما كان، وفي أي مستوى وجد فيه، وفي أي عصر، ومن أي جنس، إنها قضية العالم والجاهل، الكيِّس والبليد، العربي والأعجمي، الأسود والأبيض... وباستعراض تاريخ الإنسان نستطيع أن نخرج بحقيقة واضحة، وهي أن الإنسان في جميع عصوره كان يتخذ إلهًا يعبده".(1)

ويقول: "إنها القضية الأولى في حياة الإنسان، شغلته في جميع العصور بين إيمان ويقين وبين انحراف وكفر وفجور، وما زالت آثار الإنسان تشهد على ذلك في قبوره ومعابده وفي مختلف مواقعه على امتداد الأرض وامتداد التاريخ".(2)

ففطرة التدين ستلاحق الإنسان ما دام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح، ولا أدل على ذلك من أن الإنسان يلجأ عند فزعه إلى خالقه سبحانه عند الشدة والحاجة، سواء كان هذا الإنسان موحدًا أم مشركًا، بل إن حاجة الإنسان إلى الرب والتدين تفوق كل حاجاته الحياتية، ولعل من الدلائل على ذلك ما يحسه الإنسان في نفسه من ضعف أمام بعض مظاهر قدرة الله سبحانه كالرياح العاتية والبحار الهائجة، والزلازل والبراكين. ومن الأمور التي لا يجد الإنسان الإجابة الصحيحة عليها إلا في الدين تلك الأسئلة القديمة الحديثة التي ترافق الإنسان مهما بلغ من التقدم، من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟!

وصدق الله إذ يقول:﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ (العنكبوت: 29).

يقول الشيخ علي بن نايف الشحود:" إن فطرة التدين أصيلةٌ في الإنسان، وهذا أمر لا يقبل المراءَ بناءً على الشواهد التاريخية والواقعية، لذلك فإن ظاهرة التدينِ– المتمثلة في البحث عن

(1) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 23.

(2) الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، ص: 49.

قوةٍ عليا- تعمُّ البشرَ جميعَهم، ولا يستغنون عنها بغريزة من الغرائز الأخرى كحبِّ البقاءِ، أو حبِّ النوع، أو حبِّ المعرفة، أو حبِّ الوطن أو غير ذلك من الغرائز".[1]

3- الإيمان والتوحيد أساس لقاء المؤمنين:

يتحدث النحوي كثيرًا عن أركان الإيمان في كتبه مجتمعة ومفصلة، ويعتبر أن الإيمان هو الأساس الذي يجتمع عليه المؤمنون، ومصدر لعلمهم، وميزان توزن به الأمور كلها فيقول: "أول ما يجب الالتفات إليه هو أن يكون منهاج الله – قرآنًا وسنة – مصدر الفكر والتصور والإيمان والعقيدة ومصدراً للعمل، وميزاناً للأمور، وأن يظل هذا المنهج الرباني في كل جيل معينًا خالصًا يستقي منه المؤمنون قواعد البناء والفكر". [2]

وهو الأساس الذي يجتمع عليه المؤمنون الصادقون في كل زمان ومكان، وأن هذه الرابطة هي رابطة ربانية تكفل الله بها، فيقول: "أما المؤمنون فقد صاغ الله سبحانه وتعالى رابطتهم، ومد بينهم حبالهم، ووثق لهم عروتهم، ولم يشأ أن يترك ذلك لأحد من البشر، إنه الإيمان بكل آفاقه وإشراقه، الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين".[3]

وهذا الذي ذهب إليه النحوي حق، فلو أنفق أهل الأرض كنوزها ليؤلفوا بين قلبين بحب صادق، موالاة مطلقة خالصة ما استطاعوا، لأن ذلك ليس إلا لله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** ﴾ (الأنفال:63).

وقال ﷻ: ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً** ﴾ (آل عمران:103).

قال الإمام القرطبي في تفسير قول الله ﷻ ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾: "أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بأخوة النسب".[4]

---

(1) أركانُ الإيمانِ: علي بن نايف الشحود – السعودية – الطبعة الرابعة – 1431 هـ – 2010 م.

(2) لقاء المؤمنين (الأهداف)، ص: 99.

(3) المصدر السابق، ص: 22.

(4) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): محمد بن أحمد القرطبي – تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – مصر – الطبعة الثانية – 1384هـ – 1964م، 16/322-323.

4- منهاج الله هو مصدر العقيدة الوحيد:

ويقصد النحوي بمنهاج الله القرآن والسنة، وهو بذلك موافقٌ لمنهج السلف في أن مصادر العقيدة القرآن والسنة والإجماع والعقل الفطرة السليمة، لكنه يجعل القرآن والسنة الأصلين لباقي المصادر، وهذا هو ما عليه السلف، وبدونه لا تفهم قضية العقيدة بل ستحيد العقول عن الحق، ما دامت قد حادت عن منهاج الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

يقول النحوي: "إن الأساس لفهم قضية الإيمان والتوحيد، والمصدر الأول لها هو منهاج الله، ومن هنا يجب على المسلم أن يدرس هذه القضية... فمنهاج الله هو المصدر الوحيد لدى البشرية كلها، المصدر الوحيد الذي يعرض هذه القضية بكامل تفصيلاتها عرضًا ربانيًا معجزًا، وهو ميسر كل التيسير للذكر".[1]

"فهو منهج يقوم على التسليم المطلق لنصوص الكتاب والسنة، لا يردون منها شيئًا، ولا يعارضونها بشيء، لا بفعل، ولا ذوق، ولا منام، ولا غير ذلك، بل يقفون حيث تقف بهم النصوص، ولا يتجاوزونها إلى إعمال رأي أو قياس أو ذوق... ملتزمين قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾" (الحجرات:1)".[2]

5- تيسير الله سبل الإيمان والهداية:

ويرى النحوي أن الله يسَّر سبل الإيمان للناس، واقتضت حكمته ورحمته وعدله أن تكون كذلك، حتى يكون حسابهم على أساس من هذا اليُسر الذي قضاه، لذلك كان الإيمان قضية فطرة وبداهة. وكذلك اقتضت رحمة الله الواسعة أن يبعث لهم الأنبياء والرسل، حتى يوقظوا الفطرة المنحرفة، ويعالجوا مرضها، ويدفعوها إلى آفاق الإيمان وجلال التوحيد.

ولقد فصَّل النحوي هذه السُبل في النقاط التالية:[3]

أ- الفطرة التي فطر الله الناس عليها:

فهي العامل الأول المشترك بين الناس كافة، بين جميع المخلوقات في جميع العصور، إنها رحمة الله بعباده وفضله العظيم ونعمته الكبرى، لذلك يجب أن تظل سليمةً بعيدة عن

---

(1) الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، ص: 23.

(2) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة - عثمان بن علي حسن - مكتبة الرشد، السعودية، الطبعة السادسة - 1429هـ - 2008م، ج 1، ص42 - 43.

(3) انظر: الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، ص: 81.

الانحراف، فهذه الفطرة هي أول حق من حقوق الإنسان في الحياة الدنيا، بل إذا تعطلت الفطرة تعطل معها سبل الهداية الأخرى.

ب- السمع والبصر والفؤاد وآيات الله البينات في الكون وسننه الثابتة:

لينظروا في آيات الله المبثوثة في الكون كله: في السماء، في الأرض، في النباتات والحيوانات، في أنفسهم، وفي الرياح والأمطار وفي مصائر الأمم وأخبار السابقين، ليرى الإنسان عاقبة من حاد عن الإيمان.

وتظل الفطرة تغذي السمع والأبصار والأفئدة بالإيمان الذي خلقت من أجله، والتوحيد الذي جُبلت عليه.

ج- إرسال الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من عند الله:

امتدت رحمة الله بعبادة فبعث النبيين والمرسلين وأنزل معهم الكتب داعين إلى الإيمان والتوحيد ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّه وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾(النحل: 36)، ولقد بعث الله الرسل ليبلغوا رسالة الله، ويعينوا على حفظ الفطرة وسلامتها، وأنزل معهم الكتب تدعو إلى الحق وتبينه للناس.

د- تيسير المنهاج الرباني للفهم والتطبيق:

فلم يأت القرآن والسنة بمجموعة من المسائل والأحاجي لا يحل رموزها إلا المهرة، بل هو ذكر مبارك ميسر لكل أحد، ويتلاءم مع أفهام الناس، فقد تكفل الله بتيسيره في قوله ﷻ: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ (القمر: 17).

يقول النحوي :"وقد أنزل الله سبحانه هذا التشريع متناسقاً مع سائر الآيات في المنهاج الرباني ميسراً للذكر، وللفهم والتطبيق، لم يتنزل أحاجي يعجز البشر عن حلها، ولا ألغازاً يتيه الناس في فهمها".[1] ومن المعلوم أن المنهاج الرباني جاء بالتخفيف والتيسير ورفع المشقة والحرج، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ (الحج: 78).، وقال الله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّه بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ (البقرة: 185). وقال النبي ﷺ :" **إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**".[2]

---

(1) دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية، ص: 295.

(2) مسند أحمد – مسند أبي هريرة – 90/7 – رقم/ 7254، والحديث صححه الألباني صحيح الجامع الصغير وزيادته: محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – لبنان – الطبعة الثالثة – 1421هـ – 200م، رقم/ 2350 .

لكن من المعلوم أن سبل الهداية أكثر من هذه التي ذكرها النحوي، فمن سبل الهداية إلى التوحيد الاستدلال على وجود الخالق، وهذا له أدلة ذكرها علماء العقيدة في المصادر الثانوية للعقيدة والتوحيد ومنها: دليل الخلق، ودليل العناية والإتقان، والأدلة العقلية، ودلالة الحس، وإجابة الدعوات، ومعجزات الأنبياء والرسل، ودلالة الأنفس.[1]

(1) انظر: التبيان شرح أركان الإيمان، ص: 57-75.



المبحث الثاني

مظاهر الانحراف عن التوحيد عند النحوي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مظاهر الانحراف عن التوحيد عند النحوي.

المطلب الثاني: أسباب الانحراف عن التوحيد عند النحوي.

المطلب الثالث: جهود النحوي في محاربة الانحراف عن التوحيد.

المطلب الأول
مظاهر الانحراف عن التوحيد عند النحوي

إن الأمة الإسلامية إذ طال بها العهد والزمن عن ذلكم الجيل الفريد في عقيدته وإيمانه وجهاده وزهده، وعالجت في هذا العصر أصنافاً من الملهيات والمغريات واكتوت بنار الفتن من الشهوات والشبهات، فدب فيها ضعف الإيمان وتخلخلت في القلوب العقيدة، فترى بعض الناس يردد كلمة التوحيد بلسانه وهو لا يعرف لها معنى، ولا يفهم لها مضموناً، ولا يقف لها على مقتضى، بل ويصرف كثيراً من أنواع العبادة لغير الله تعالى. ومن الناس من يردد كلمة التوحيد وقد انطلق حراً غير مكره ليختار لنفسه ما يشاء من المناهج الوضعية، والدساتير البشرية، المخالفة لمنهج رب البرية، وغير هذه الأصناف كثير. لذا فإن مظاهر الانحراف عن العقيدة بدت واضحة جلية لكل من عنده طرف من العلم، وذلك لكثرتها وتعدد صورها. والنحوي – رحمه الله – يذكر بعضاً من مظاهر هذه الانحرافات في العقيدة والتي يمكن حصرها في النقاط التالية:

1- حب الدنيا والإقبال عليها:

فحب الدنيا رأس كل ذنب وخطيئة، وما أقبل إنسان على الدنيا على حساب آخرته ودينه إلا لأنه يحمل خللاً كبيراً في عقيدته، فلو صفت عقيدته وصح إيمانه لنبذ الدنيا وما تعلق بأستارها البالية، ولرمى ببصره هناك حيث الحياة الأبدية الخالدة.

يقول النحوي:" حب الدنيا والإقبال عليها هذا الإقبال المهلك يشير بشكل واضح إلى وجود خلل في التصور الإيماني وصفاء التوحيد، واضطراب حقيقة الولاء الأول لله في الالتزام بالعهد الأول مع الله".[1]

ويقول أيضاً في موضع آخر: "لقد آذى جهود حبُ الدنيا الإصلاحَ ومعالجةَ الأمراض والعلل وغلبة الهوى وحب الدنيا، وكثرة المجاملات على سبيل الدين ... وأصبح من أثر ذلك أن اتخذ بعض الناس أولياء لهم من دون الله، يحبونهم كحب الله أو أكثر، فامتد الشرك الخفي والعلني".[2]

---

(1) واقع المسلمين أمراض وعلاج: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1431 هـ – 2010 م، ص: 86.

(2) المسؤولية الفردية في الإسلام(أسسها، تكاليفها، تميزها): عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1419 هـ – 1999 م، ص: 21-22.

2- الولاء لغير الله ورسوله:

الرابطة الوثيقة التي تربط المؤمنين – وإن تفرقت بهم القبائل – هي عقيدة الولاء والبراء، فهي الحصن للجماعة المؤمنة من أن يدخلها ما يفسدها، وإذا غابت هذه العقيدة عن الأمة استبدل الناس الذي هو أدنى بالذي هو خير، استبدلوا الروابط الطينية بالعقدية، واتخذوا القومية شعاراً على حساب الإسلام العظيم، ولم يأبه المسلم ما يرزح تحته أخوه المسلم من قتل وظلم وتشريد. فالولاء والبراء إذاً من لوازم قيام الجماعة المسلمة، وهما من صميم العقيدة.

بين القرآن الكريم أن قضية الولاء هي قضية حسم ولا يجوز أن يصرف إلا لله ورسوله؛ ذلك لأن قضية الولاء مرتبطة بالتوحيد الخالص، ولذا عرض القرآن موقف المنافقين والضعفاء في أشد المواقف تمحيصاً للولاء. أما اليوم، ففي واقع المسلمين غلبت ولاءات كثيرة على الولاء لله، فمن الولاء للعشيرة إلى الولاء للإقليم وللحزب وغيرها من الولاءات المنحرفة.[1]

ويكشف النحوي – رحمه الله تعالى – واقع الولاء والبراء في هذا العصر، من جهة صرفه لغير الله جل وعلا ورسوله ﷺ، حتى أصبح يعطى لأرض أو أهل وعشرة، فيقول:

" أصبح المسلم الذي يصلي ويصوم ويحج يجد اعتزازه في نفسه وعاطفته وفكره لأرضه أولاً قبل دينه وعقيدته، ولقد أصبح الواقع المنحرف هو الذي يصيغ روابط المسلمين وعلاقتهم، ولم يعد الإيمان والتوحيد. وحب الوطن أو الأهل جائز لكن يجب أن يصوغه الإيمان والتوحيد، حتى لا يتحول إلى عصبية جاهلية تجعل ولاء المسلم الأول لأهله وعشيرته وأرضه ووطنه ولاءً أعلى من ولائه لله ورسوله، وتجعل أخوة الأرض والوطن أقوى من أخوة الإيمان".[2]

جاء في الدرر السنية في الأجوبة النجدية: "كيف يجتمع في قلب رجل يشهد أن التوحيد هو دين الله، ويعاديه، ويشهد أن الشرك هو الكفر ويواليه، ويذب عن أهله باللسان، والسنان، والمال، فهذا الفعل من أعظم الذنوب، وأكبر الآثام".[3]

---

(1) انظر: أضواء على طريق النجاة: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1414 هـ – 1994م، ص: 54.

(2) واقع المسلمين أمراض وعلاج، ص: 97.

(3) الدرر السنية في الأجوبة النجدية: علماء نجد الأعلام – تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – الطبعة السادسة – 1417هـ – 1996م، 167/1.

"كـــم عصبيةٍ رمـــتْ لنـــا بشـتى الفـرق
وجـاهـليـــة أتــــــتْ لنا بشتــى الطــرق
فمن هوى قومــيــــة إلى هوى مسترزق
إلى اشتراكي جــــرى يَهيج حقد المُمْلـقِ
وقــاديــانـــي أتــــى بفتنــة لــم تُـغلـق
ومن بهائي رمى النا س بشـــر مُـغــرق
وكـــلـهــــا صـنـيعـــة لأجـــنبـي مُنْفــق"[1]

3- غلبة العادات المنحرفة واتباع التقاليد الضالة:

الداء المقيت الذي أهلك الأمم منذ زمن بعيد، وحجَّر عقولهم، وطمس أعينهم، وغلف قلوبهم، وصم آذانهم عن سماع الحق هو ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا ﴾ (لقمان : 21)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ (الزخرف : 23).

يقول سيد قطب رحمه الله في ظلاله عن الآية السابقة: "وسواء كان هؤلاء الذين تعنيهم الآية هم المشركون الذين تكرر منهم هذا القول كلما دعوا إلى الإسلام، وإلى تلقِّي شرائعهم وشعائرهم منه، وهجر ما ألفوه في الجاهلية مما لا يقرّه الإسلام، أو كانوا هم اليهود الذين كانوا يصرون على ما عندهم من مأثور آبائهم، ويرفضون الاستجابة للدين الجديد جملة وتفصيلاً، سواء كانوا هؤلاء أم هؤلاء فالآية تندد بتلقي شيء في أمر العقيدة من غير الله؛ وتندد بالتقليد في هذا الشأن والنقل بلا تعقل ولا إدراك".[2]

ويقول عدنان النحوي: "ساد بعض المجتمعات بدع وعادات وانحرافات ألفها الناس واتبعوها، وسادت بينهم وتوارثوها، جيلاً عن جيل، حتى غلبت في واقع الناس على أحكام الشرع الثابتة البينة، وأصبحت من العادات المنحرفة الموروثة والتقاليد المتبعة ... ومن أهم أسباب انتشارها هو انحصار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو ضعفه أو عدم جزمه، أو عدم نهج تطبيق يتدرب عليه الدعاة."[3]

---

(1) ديوان مهرجان القصيد، ص: 111.

(2) في ظلال القرآن: سيد قطب – دار الشروق – القاهرة – الطبعة السابعة عشر – 1412هـ، 155/1.

(3) واقع المسلمين، أمراض وعلاج، ص: 112.

ومن كنف هذه العادات المنحرفة والفخر بتاريخ الآباء المجيد، طلت برأسها ما كانت في العرب قبل الإسلام، ألا وهي العصبيات الجاهلية. فأصبحت هي التي تحدد علاقة المسلمين ببعض، يقول النحوي : "وفي واقعنا اليوم، واقع المسلمين في الأرض، استشرى مرض العصبيات الجاهلية؛ فأصبح المسلم الذي يصلي ويصوم ويحج يجد اعتزازه في نفسه وعاطفته وفكره لأرضه أولاً قبل دينه وعقيدته، وأصبحت العصبيات الجاهلية هي التي تسوغ علاقات الناس وروابطهم، ولم يعد الإيمان والتوحيد، ولم تعد آيات الله سبحانه وأحاديث رسوله ﷺ".[1]

4- اتباع الهوى:

إذا فرغ القلب من حب الله ورسوله ﷺ فلا بد أن يمتلأ بغيره، وإذا انطلق الفكر ليختار له حباً جديداً بعيداً عن الإيمان والتوحيد، يوجهه في هذا هواه ورغباته ونزواته، فيأمره وينهاه وصاحبه عبد مطيع له، خاضع لسلطانه، متبع لخطواته.

قال تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾ (الجاثية : 23)، وقال أيضاً: ﴿ **وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ (الأعراف : 176).

يقول النحوي –رحمه الله : فمن الناس من يغلبه هواه، هواه في مصلحة أو شهوة أو مال أو غير ذلك، ثم ينمو الهوى حتى يرسم هو السلوك والنهج، وينمو الهوى حتى يتخذه صاحبه إلهاً يعبده من دون الله، يعبده باتباعه وطاعته والخضوع له مصادماً بذلك التوحيد الخالص لله، قال تعالى: ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَواهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً** ﴾ (الفرقان : 43).

وعندما يصبح الهوى هو الإله فقد ثبت الضلال، واستحق فاعله عقاب الله، ويختم على قبله، ويجعل على بصره غشاوة، جزاء عادلاً حقاً.[2]

(1) واقع المسلمين، أمراض وعلاج، ص: 71.
(2) انظر: التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 38.

لهذا وجب على الإنسان مغالبة هواه لينجو من شرك أطماعه ورغباته، ولا يأخذه بعيداً عن دائرة الإيمان والعقيدة. يقول ابن القيم– رحمه الله: " ولما امتحن المكلف بالهوى من بين سائر البهائم، وكان كل وقت تحدث عليه حوادث جعل فيه حاكمان؛ حاكم العقل، وحاكم الدين، وأمر أن يرفع حوادث الهوى دائماً إلى هذين الحاكمين. وأن ينقاد لحكمهما، وينبغي أن يتمرَّن على دفع الهوى المأمون العواقب؛ ليتمرن بذلك على ترك ما تؤذي عواقبه".[1]

5– اتخاذ الأنداد من دون الله سبحانه:

توحيد الله سبحانه نفي لاتخاذ الأنداد من دونه، فهو وحده المستحق للعبادة والأمر والنهي، له حق التحليل والتحريم، ومن ادعى ذلك لنفسه فقد نصَّب نفسه إلهاً من دون الله تعالى.

يقول النحوي عن ذلك: "وقد يتخذ بعض الناس إلهاً من البشر يعبده من دون الله. فقد يتخذه قريباً أو زعيماً أو عالماً، فيزين لهم الشيطان عبادة هؤلاء، حتى يتبعوهم، فيحلوا لهم ويحرموا عليهم ويضعوا الشرع المخالف لشرع الله، فيقبلوه منهم.

قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** ﴾ (البقرة : 165)".[2]

وقال تعالى: ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ (التوبة : 31).

وهذه الآية فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه وذلك لما جاء مسلماً دخل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه الآية، فقال عدي: إنهم لم يعبدوهم، قال: "**بلى إنهم حرموا عليهم الحلال، وحللوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم**".[3]

6– عبادة الأصنام والأوثان من دون الله سبحانه:

إذا هبطت العقول إلى آخر مرتبة ومستوى يمكن أن يصل إليه إنسان في تفكيره، وبعد أن يسد هو بنفسه جميع منافذ الهدى والخير، يصل إلى مرحلة ليسجد فيها لكومة أحجار ينقلها بكلتي

(1) روضة المحبين، ص: 486.

(2) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 39.

(3) سنن الترمذي – كتاب التفسير – باب: ومن سورة التوبة – رقم/ 3095، وحسنه الألباني في غاية المرام، ص: 20.

يديه، ينقلها من مكان إلى آخر، يقلبها بين كفيه، يرميها يمنة ويسرة، ثم بعد ذلك يسجد لها ويتقرب إليها ويدعوها ويطلب منها، فأي منطق ودليل أزَّ هذا لهذا، وأي مرحلة وصل لها من انحطاط الفكر وجمود العقل؟!

يقول النحوي: "ويشتد الانحراف ويشتد هبوط الإنسان بما كسبت يداه، حتى يعبد أصناماً وأوثاناً، يقيمها من الحجارة أو المعادن أو الخشب أو غيرها من المواد، فلقد صنع العرب بعض آلهتهم في الجاهلية من التمر ومن الحجارة، وترى – حتى يومنا هذا – في معابد الهند نماذج عديدة من هذا الانحراف، وتماثيل من حجارة وغيرها من المواد وترى تقديس البقر، وترى تماثيل القرود يعبدونها، وترى التماثيل العارية في أوضاع جنسية هابطة."[1]

قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴾ (نوح : 23).

يقول الإمام الطبري عند تفسير للآية:" وكان من خبرهم فيما بلغنا أنهم كانوا قومًا صالحين من بنى آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوّروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر فعبدوهم".[2]

7– عبادة رجل ذي سلطان:

وهذا الذي حدث مع فرعون – عليه من الله ما يستحقه – وقومه، إذ أعلنها مدوية في أسماع من استخف عقولهم ﴿ **مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ﴾ (القصص : 38)، فأغراهم الطمع في أعطياته، والخوف من بطشه وعدوانه، وأرهبهم بجنده وأعوانه، فعبد هذا الغِرُّ من دون الله!

يقول النحوي –رحمه الله – عن هذا " قد يشتد الكبر في نفوس بعض الناس، ويملكهم الغرور بما كسبت أيديهم من فساد وشر، حتى يؤلهوا أنفسهم، ويطلبوا من الناس أن يعبدوهم على صورة من صور العبادة، فيستخفهم رجل فيطيعونه، فيشرع لهم شرعاً غير شرع الله، ويحل لهم ما حرم الله.

---

(1) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 40.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري): محمد بن جرير الطبري – تحقيق: أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى – 1420 هـ – 2000م، 23/ 639.

قال تعالى: ﴿ وَنادى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكادُ يُبِينُ * فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ * فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ ﴾ (الزخرف : 51-54) نعم! استخف قومه، وما كان يقدر على أن يستخفهم لولا أنهم كانوا فاسقين، ولو كانوا في حمى الإيمان ما استخفهم ولا أطاعوه."[(1)]

ويقرر الشوكاني – رحمة الله عليه – هذا المفهوم فيقول: "فاستخف قومه فأطاعوه أي: حملهم على خفة الجهل والسفه بقوله، وكيده، وغروره، فأطاعوه فيما أمرهم به، وقبلوا قوله وكذبوا موسى، والمعنى فاستجهل قومه فأطاعوه بخفة أحلامهم، وقلة عقولهم، يقال استخفه الفرح: أي أزعجه، واستخفه: أي حمله، وقيل استخف قومه: أي وجدهم خفاف العقول، وقد استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه."[(2)]

ومع تقدم الزمان وكثرة الفتن في كل العصور، تظهر انحرافات جديدة لم تكن في دنيا الناس من قبل، إما لجهل كثير من الناس بدينهم فهم يقبلون على هذه الانحرافات راغبين، ويقتحموا أسوارها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وإما يتغشاها البعض لهوى أو مصلحة يطلبها، فلا مشكلة عنده أن يصبح مسلماً ويمسي كافراً، أو يمسي مسلماً ويصبح كافراً، أو أن يبيع دينه بعرض من الدنيا زائل. وهذا الواقع يحتاج إلى دعاة إلى الحق، وعمل دؤوب ليردوا الناس إلى دينهم قبل أن يقتحموا جهنم وأحدهم يقول : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضى ﴾ (طه :84)، ويظن أنه قد أحسن صنعاً.

(1) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 41.

(2) فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني – دار ابن كثير ودار الكلم الطيب – سوريا – الطبعة الأولى – 1414 هـ، 4/ 641.

المطلب الثاني
أسباب الانحراف عن التوحيد عند النحوي

إن الناظر اليوم إلى أحوال العالمين ليرى انحرافاً كبيراً عن التوحيد الصافي، وعن العقيدة الحقة، عقيدة أهل السنة والجماعة. ولقد طال هذا الانحراف أبناء الأمة الإسلامية الذين يعيشون في بلاد الإسلام، ويقرؤون القرآن، ويعون السنة؛ فهذا أبحر في فكر الاعتزال، وهذا قتل العمل بالاتكال على القدر، واعتقد أن الإنسان مع قدر الله تعالى كالريشة في مهب الريح، وهذا صوفي انقطع انقطاعاً مزيفاً عن الدنيا وزينتها، وأصبح كماً مهملاً وعبئاً ثقيلاً على كاهل الأمة. هذا فضلاً عن الشعوب والملل والأديان الأخرى – من غير أمة الإسلام – التي اتخذت لها آلهةً من دون الله سبحانه؛ فهذا يعبد ناراً تأجج، وآخر يتمسح ببقرة ويتبرك بفضلاتها، وآخر قال: إن الله ثالث ثلاثة، وأن عيسى عليه السلام ابن الله، وآخر قال إن الله فقير ونحن أغنياء، وأن عزيراً ولده، تعالى الله عن ذلك كله.

لذا يجمل النحوي – رحمه الله – أسباب هذا الانحراف الكبير للبشرية عن التوحيد فيقول:" ومن أسبابه اضطراب التصور لقضية الإيمان والتوحيد وتصور الإله، وامتداد الجهل، وغلبة الهوى، فتهبط منزلة الشرع في نفوس الناس، وتعلو منزلة العادات والتقاليد ... ومن أسبابه أيضاً أن يتبع الناس انحراف الآخرين ممن ضلوا، إما لغلبة هؤلاء الضالين عليهم، أو لاتباع الناس الهوى وزخرف الضلال ... ومن أسبابه ما ينشره المفسدون في الأرض من الفتنة والمعاصي، وإثارة الشقاق، ونشر البدع".[1]

وعلى سبيل التفصيل، يمكن نظم أسباب انحراف البشرية عامة، والمسلمين خاصة عن التوحيد وعن العقيدة الصحيحة – حسب كتابات النحوي – في النقاط التالية:

1- اضطراب التصور لمعنى وصفات الإله:

فقد أخضع بعض الناس تصور الإله وتجسيده حسب هواه وتفكيره في صورة لا تليق بالله سبحانه، وبالتالي اعترت الإله جميع صفات النقص التي تنزه الله عنها.

يقول النحوي :" إن الإنسان أفرز من خلال أوهامه وشهواته، ومن خلال هواه وضلاله، ومن خلال فطرة منحرفة وطبيعة غير سوية، آلهة شتى. وجعل لكل إله أفرزه من جهله ومرضه صفات متضاربة متنوعة. كان لابد من أن نستعرض هذه الصورة، ولابد من أن نعرضها كما عرضها القرآن الكريم، حتى نبين للناس – ونحن ندعوهم إلى الإيمان – أننا لا ندعوهم إلى الإيمان

(1) واقع المسلمين، أمراض وعلاج، ص: 112.

بأي إله من هذه الآلهة التي أفرزها الجهل والفطرة المنحرفة. لابد أن نبين للناس أننا لا ندعوهم للإيمان بإله يصوره لهم وهمهم وخيالهم المريض. إن مثل هذه الآلهة تفرض إيمانًا مضطربًا اضطراب الطبيعة المريضة الذي أفرزته، وتفرض تناقضًا يذهب بجلال الإيمان الحق، وصفاء العرض وصدق الدعوة وجلاء الصورة".[1]

وربما توصل فكر الناس عن الإله إلى مرتبة أدنى من الإنسان نفسه، فهو يأكل ويشرب بِشَرَهٍ، يغضب بسرعة وينتقم ويبطش، يقتل ويرضى ويعشق ويكره، إلى غير ذلك من الصفات.

يقول النحوي – رحمه الله:" لقد كانت هذه الظاهرة هي أهم مظاهر الانحراف في العبادة في تاريخ البشرية. لقد انحرفت اليونان بعبادتها هذا الانحراف، فجردت الآلهة من صفات الألوهية، وألبستها خصائصها البشرية، فجعلتها تتزاوج، وتغضب غضب الناس، وترضى رضاء الناس، وتعشق كما يعشق الناس، وتكره مثل كراهيتهم، وتحارب وتقاتل كما يفعل الناس، حتى لم يبقَ لآلهتهم إلا الاسم. تضارب وتناقض فارق المنطق والعقل وسلامة التقدير.

وجعل العرب في الجاهلية آلهتهم أصنامًا من الحجارة ومن التمر، من هذه المادة أو تلك، وهم يرون أنها صماء لا تسمع، بكماء لا تتكلم، عمياء لا تبصر، جامدة، يصنعونها بأيديهم حتى لم يعد لها من خصائص الآلهة إلا الاسم وما ترسمه أوهامهم وخيالاتهم المريضة".[2]

يقول الشيخ عمر بن سليمان الأشقر – رحمه الله تعالى:" يعد الباحثون الرومان من الأمم المتحضرة منذ القدم، فلننظر إلى عقيدة هذه الأمة الضالة. يزعمون أنّ ((جوبيتر)) هو ربّ الأرباب عندهم، وكانت صفاته عندهم أقرب إلى صفة الشيطان منها إلى صورة رب الأرباب المنزه، فقد كان حقوداً لدوداً مشغولاً بشهوات الطعام والغرام، لا يبالي من شؤون الأرباب والمخلوقات إلا ما يعينه على حفظ سلطانه والتمادي في طغيانه، وكان يغضب على ((أسقولاب)) إله الطب، لأنّه يداوي المرضى، فيحرمه جباية الضريبة على أرواح الموتى الذين ينتقلون من ظهر الأرض إلى باطن الهاوية ... إنّ الآلهة عند الرومان آلهة متعددة تتصارع وتتقاتل، ويعذب بعضها بعضاً، وهي كالبشر تأكل وتشرب، وتتزوج، ويخون الإله زوجته، ويلوط ويبرر خطأه، فكيف يكون أثر هذه العقيدة في نفوس معتنقيها؟ وكيف يكون أثرها في سلوكهم أفراداً ومجتمعات؟ وأي قيم تقرها هذه العقيدة الشركية الضالة المنحرفة؟"[3]

---

(1) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 55.

(2) المصدر السابق، ص: 56

(3) العقيدة في الله: عمر بن سليمان الأشقر – دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن – الطبعة الثانية عشر – 1419 هـ – 1999م، ص: 277-278.

وإذا صُوِّر الله سبحانه بهذه الصفات – وهي كلها صفات نقص تنزه الله عنها – فإن اضطراباً خطيراً سينتج في العبادة والفكر والعاطفة تجاهه سبحانه؛ فالاضطراب في تصور الإله وصفاته ولد اضطرابات أخرى في غير الصفات.

لذا قال النحوي – رحمه الله:" ولقد برز بشكل جلي أن الأمراض كلها نابعة من مرض أساس واحد، وهو الخلل في التصور لقضية الإيمان والتوحيد، الخلل في فهمها والعمل بها، ومن هذا الخلل الخطير والمرض الكبير انبثقت سائر العلل والأمراض في واقع المسلمين حتى طُرحت بسبب ذلك أشكال شتى من الانحراف في التصور والفكر والعاطفة والشعور والكلمة والموقف".(1)

2- هجر منهاج الله:

هجر منهاج الله – تحكيماً وتلاوة وتدبراً – هو من أبرز نتائج العلمانية الخبيثة، التي فصلت الدين عن الدولة، وحصرته بين جدران المساجد لا يتعداها. هذا الهجر أبعد المسلمين عن منبع المعتقد الصحيح، عن الكتاب والسنة، حتى وإن رأيت الناس قد خشعت لتلاوة إمام متقن، وسالت أعين بالدمع تأثراً بكلام خطيب مفوه.

فالكتاب والسنة هما مصدرا العقيدة الرئيسان – كما هو معلوم – فإن هُجرا تلقى الناس عقائدهم من معتقدات غريبة عن الإسلام، وتتصادم معه مصادمة مباشرة، وإما أن يأخذوا معتقدهم من فكر بشري ناقص لم يهتد بنور الوحي المعصوم.

" فالعقيدة توقيفية؛ فلا تثبت إلا بدليل من الشارع، ولا مسرح فيها للرأي والاجتهاد، ومن ثَمَّ فإن مصادرها مقصورة على ما جاء في الكتاب والسنة؛ لأنه لا أحد أعلمُ بالله وما يجب له وما ينزه عنه من الله، ولا أحد بعد الله أعلمُ بالله من رسول الله ﷺ ولهذا كان منهج السلف الصالح ومن تبعهم في تلقِّي العقيدة مقصورًا على الكتاب والسنة.

فما دلَّ عليه الكتاب والسنة في حق الله تعالى آمنوا به، واعتقدوه وعملوا به، وما لم يدل عليه كتاب الله ولا سنة رسوله نفَوْهُ عن الله تعالى ورفضوه؛ ولهذا لم يحصل بينهم اختلاف في الاعتقاد، بل كانت عقيدتهم واحدة، وكانت جماعتهم واحدة؛ لأن الله تكفّل لمن تمسك بكتابه وسنة رسوله باجتماع الكلمة، والصواب في المعتقد، واتحاد المنهج".(2)

فغياب منهاج الله – قرآناً وسنة ولغة عربية – زاد من الخلل في الإيمان والتوحيد، وضاعف العلل والأمراض، أثّر على الممارسة الإيمانية والعقدية عندهم، فتجد الرجل يهز رأسه

(1) المسؤولية الفردية، ص: 25.

(2) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك: صالح بن فوزان الفوزان، بدون ناشر، السعودية، بدون سنة تأليف، ص: 8.

بتلاوة القرآن في رمضان، ويختمه أكثر من مرة، لكنه لا يتحاكم بما فيه من أحكام، ولا يحقق ما فيه من عقائد. ومن الناس من دعا للأخذ بالقرآن وحده دون السنة، ومنهم من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، واستبدل بعضهم الكتب البشرية بمنهاج الله لتحل محله، فتعددت مصادر العقيدة للأمة، وتفرقت المدارس الفكرية فاضطرب الأفكار وتنافرت القلوب.[1]

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله :" وما أحدث في الإسلام من المساجد والمشاهد على القبور والآثار فهو من البدع المحدثة في الإسلام من فعل من لم يعرف شريعة الإسلام وما بعث الله به محمداً ﷺ من كمال التوحيد وإخلاص الدين لله وسد أبواب الشرك التي يفتحها الشيطان لبني آدم؛ ولهذا يوجد من كان أبعد عن التوحيد وإخلاص الدين لله ومعرفة دين الإسلام وهم أكثر تعظيماً لمواضع الشرك، فالعارفون بسنة رسول الله ﷺ وحديثه أولى بالتوحيد وإخلاص الدين لله، وأهل الجهل بذلك أقرب إلى الشرك والبدع".[2]

إن قضية الإيمان والتوحيد لا تنفصل أبداً عن منهاج الله، فهجر منهاج الله أو ضعف الصلة به واضطرابه والخلل فيه يؤدي إلى خلل في بعض جوانب الإيمان. وإن أول ثمرة من ثمرات الإيمان والتوحيد هو الإقبال على منهاج الله، ليظل التأثير بينهما متبادلاً؛ كل منهما يغذي الآخر في صورة مستمرة على قدر ما يكون الإيمان صافياً، وعلى قدر ما تستمر المصاحبة لمنهاج الله تعالى.

3- ظلم الإنسان وطغيانه:

والحق أن هذا العامل هو أساس كل العوامل الأخرى؛ إذ لو احترم الإنسان نصوص الشرع، وتخلص من هواه، وأسلم فكره لما جاءت به الرسل عليهم السلام، لما كان هذا حال الناس من الفرقة والانحراف، لكنه الكبر والجحود والاغترار بالفهم، واحتقار الآخرين.

قال الله تعالى مخبراً عن كفر فرعون وملئه:﴿**وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا**﴾(النمل:14).

وقال سبحانه عن كفر أهل الكتاب من اليهود والنصارى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ** ﴾ (الأنعام : 20).

(1) انظر: الصحوة الإسلامية، إلى أين؟ ص: 91.

(2) مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – تحقيق: عبد الرحمن قاسم – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية – 1416هـ-1995م، 17/ 497.

وهذا الداء – داء الكفر بالجحود والظلم والعتو – امتد حتى وصل المشركين في بداية دعوة النبي ﷺ، فجحدوا بالحق الذي استقر في نفوسهم ظلماً وعلواً واستكباراً في الأرض، وخوفاً على مصالحهم المادية والمعنوية.

يقول سيد قطب – رحمه الله:" وكذلك كان كبراء قريش يستقبلون القرآن، يستيقنون أنه الحق، ولكنهم يجحدونه، ويجحدون دعوة النبيﷺ إياهم إلى الله الواحد؛ ذلك أنهم كانوا يريدون الإبقاء على ديانتهم وعقائدهم، لِمَا وراءها من أوضاع تسندهم، ومغانم تتوافد عليهم. وهي تقوم على تلك العقائد الباطلة، التي يحسون خطر الدعوة الإسلامية عليها، ويحسونها تتزلزل تحت أقدامهم، وترتج في ضمائرهم، ومطارق الحق المبين تدمغ الباطل الواهي المريب! وكذلك الحق لا يجحده الجاحدون لأنهم لا يعرفونه، بل لأنهم يعرفونه! يجحدونه وقد استيقنته نفوسهم، لأنهم يحسون الخطر فيه على وجودهم، أو الخطر على أوضاعهم، أو الخطر على مصالحهم ومغانمهم. فيقفون في وجهه مكابرين، وهو واضح مبين".[(1)]

يقول النحوي – رحمه الله:" ربما يتحدث هؤلاء وهؤلاء في سياق الحرية والعدالة والمساواة عن حرية رجل في أن يسكر ويزني ويعربد، وعن حرية امرأة في أن تبيع نفسها وشرفها حتى تجد لقمة تقيم بها أَوَدَها[(2)]، أو تزهو بفتنتها وفسادها لتنتقل من فسادٍ إلى فساد. ربما يتحدث بعضهم عن هذه الحرية لتمثل أعلى درجات الحرية والعدالة الاجتماعية في نظرهم. ولكنهم ينسون أو يتناسون قتل حرية الإنسان حتى يكفر، فلا يعبد ربه، وينسون أو يتناسون إبادة مئات الألوف من عباد الله، أو الملايين من خلق الله في ساعات أو أيام أو أشهر أو سنوات، ينسون نهب الثروات من هذه الأرض أو تلك، وينسون الملايين الذين يتركونهم عراة جياعًا دون مأوى، إلا في كهوف أو خيام ممزقة".[(3)]

4- انحصار الدعوة إلى الإيمان والتوحيد:

إن أول ما ينبغي على الدعاة دعوة الناس إلى الإيمان بالله وتصحيح عقائدهم؛ فهي دعوة الرسل والأنبياء عليهم السلام، وهو الأساس الذي يبنى عليه غيره، فلا يُنتقل منه إلى غيره إلا إذا تم وأينع في قلب صاحبه. ولقد كانت دعوة الناس إلى التوحيد هو أول كلمة قالها الرسل عليهم السلام لأقوامهم.

---

(1) في ظلال القرآن، ص: 2630/5.

(2) الأَوَدُ: ما يصلح به المعاش من كساء وطعام وغيرهما. انظر: لسان العرب، 455/3.

(3) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص49.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل : 36).

وما أصاب الناس من خلل في العقيدة إلا لانحصار الدعوة إلى العقيدة في ظل اهتمام الدعاة بغيرها من مجالات الدعوة، مثل تزكية الأنفس والسياسة وأبواب الفقه.

يقول الشيخ النحوي – رحمه الله:" إن انحصار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو ضعفه أو عدم وجوده، واضطراب الدعوة والخلل في صفوفها، فتح الأبواب لدعوة الباطل أن تتمدد وعاداتها أن تنتشر ولضلالها أن يسود، وهو عامل رئيس لامتداد العادات الضالة، والتقاليد المنحرفة عن الإيمان والعقيدة".[1]

ويقول – رحمه الله:" من أهم أسباب الخلل في الإيمان والتوحيد هو أن دائرة الجهود المبذولة من أجلها من العلماء والدعاة لم ينزلوها منزلتها الأمينة العادلة كما أمر الله، ولم يجعلوها القضية الشاغلة لهم في حياتهم وميدان دعوتهم، وشغلوا بقضايا أقل شأناً منها بكثير؛ فمنهم من شُغل بالدعوة لنفسه وعشيرته وتجمعه وحزبه، ومنهم من شُغل بالدنيا وتجارتها وعرضها الزائل دون أن يوفوا بحق ما حُمِّلوا من مسؤولية في هذه الدعوة".[2]

فالغاية الأولى لكل الجماعات والأحزاب والحركات التي تحمل شعار الإسلام يجب أن تكون الدعوة إلى التوحيد الخالص، ثم الانتقال إلى غيره لبناء الأمة المسلمة على أساس متين، وهذا هو عين ما بدأ به النبي ﷺ.

فالهدف الأول والثابت لكافة الأحزاب والحركات الإسلامية هو الدعوة إلى الإيمان والتوحيد، وهل انطلقت إلا لتقدم للناس حقيقة المعتقد، أو تعالج خللاً وقع فيه. لكن واقع الحركات والأحزاب اليوم هو التنازل عن بعض الدعوة للإيمان والتوحيد، لذا تجد حزباً يرفع راية الإسلام يضم له عنصراً من غير المسلمين، فهؤلاء إلى ماذا سيدعون؟ وما هي أهداف حزبهم؟[3]

يقول العلامة الألباني – رحمه الله:" لذلك لا بد من التركيز على الدعوة إلى التوحيد في كل مجتمع أو تكتل إسلامي يسعى– حقيقة وحثيثًا – إلى ما تدندن به كل الجماعات الإسلامية أو جُلها، وهو تحقيق المجتمع الإسلامي وإقامة الدولة المسلمة التي تحكم بما أنزل الله على أيّ أرض لا تحكم بما أنزل الله، هذه الجماعات أو هذه الطوائف لا يمكنها أن تحقق هذه الغاية – التي

(1) واقع المسلمين أمراض وعلاج، ص: 86.
(2) الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، ص: 171.
(3) انظر: واقع المسلمين أمراض وعلاج، ص: 223.

أجمعوا على تحقيقها وعلى السعي حثيثًا إلى جعلها حقيقة واقعية – إلا بالبدء بما بدأ به الرسول ﷺ".[1]

والحق أن فكرة التعميم بأن كل الحركات لا تهتم بالتوحيد والعقيدة، وتهتم بأمور أخرى أقل أهمية من ذلك، هذا التعميم خاطئ ومجحف؛ إذ أن الناظر المتفحص لعمل الجماعات والحركات الإسلامية يجد بعضها اهتم كثيراً بموضوع العقيدة سواء كان الاهتمام على هيئة دروس أو خطب أو كتب أو تنبيهات على بعض الخلل العقدي الواقع في العمل، بل إن كثيراً من قادة هذه الحركات من حملة الدراسات العليا في العقيدة والمذاهب المعاصرة، وهم صمام أمان وسدٌ منيعٌ لكل خلل يتسلل إلى عقول الأتباع، بل للمجتمع قاطبة.

5- الغزو الفكري:

المراد بالغزو الفكري هو تغيير أحوال المسلمين السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية عن طريق استعمار القلوب والعقول، وتبديل الأفكار والقيم والعقائد، فيصبح المغزو فكرياً خاضعاً بشكل تام لقادة الغزو وجنوده، وأداة طيعة في يد سيده في الفكر.

والغزو الفكري قديم جديد، بقصد من المتأثرين به أو بغير قصد، فمنذ القدم تأثر المسلمون بالفلسفات اليونانية التي رسخها أرسطو وأفلاطون. أما الآن فإن حجم وتأثير هذا الغزو كبير وخطير؛ إذ شمل جوانب عدة في حياة المسلمين الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ووجد هذا الغزو أسرى له يدعون له، ثم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

يقول النحوي – رحمه الله:" في تاريخنا الإسلامي ظهرت انحرافات كثيرة، واشتدت هذه الانحرافات واتسعت عندما أخذ الفكر اليوناني والهندي وسائر أنماط الفكر الوثني يؤثر في واقع المسلمين، واليوم فإن الغزو الفكري على العالم الإسلامي كبير وواسع، فجعل كثيراً من المسلمين يجمدون عند الشعارات، وآخرين يأخذون بجزء من الدين ويتركون الكثير منه، واشتد الضغط على المسلمين حتى دعا بعضهم إلى الاشتراكية والديمقراطية والعلمانية والحرية والمساواة بفهم الفكر الغربي، وظهر نوع من الدعاة الذين يدعون جهاراً إلى ما يخالف منهج الله في الإيمان والتوحيد".[2]

---

(1) التوحيد أولا يا دعاة الإسلام: محمد ناصر الدين الألباني – موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص: 18.

(2) الحقيقة الكبرى في الكون الحياة، ص: 143-144.

والغزو الفكري – وإن كان مصدره أعداء الأمة من خارج حدودها – دائماً يجد له أتباعاً يتحمسون له رغبةً بما في أيدي القوم عن قصد أو من دون قصد، أو يطيرونه رهباً من القوم، وخوفاً منهم، وانهزاماً نفسياً لِمَا عليه الغرب من حضارة.

ومن أهم أسباب اضطراب الإيمان في واقع المسلمين ما ينشره المفسدون في الأرض، والمجرمون المعتدون الظالمون، وأهل النفاق والضعفاء في الأمة؛ فهم يحرصون كل الحرص على نشر الفساد في الأرض وامتداد الفتنة بين الناس بأمواج الهوى والشهوات والشبهات، وحتى يقع المسلمون في عادات وتقاليد منافية للدين، فيظل هؤلاء الكافرون الظالمون يجثمون على صدر الأمة يدعون إلى كفرهم وضلالهم، ويدعون أهل الإيمان إلى باطلهم وضلالهم.[1]

" فلقد تقاطرت البعثات على الدول الأوربية من أبناء المسلمين استكمالاً لتعليمهم العالي وما ماثله، وكانت هذه نهاية المطاف في الإجهاز على بقايا الإسلام وطباع الشرق وعاداته في نفوسهم حيث لا يرجعون إلا وقد تأثروا بوجهة الغرب وفلسفته وأخذوا طريقة العيش الأوربي، وبذلك أصبحوا رصيداً في حساب أعداء الإسلام بالسلوك والتربية لإحداث الانقلاب الجذري في حياة المسلمين من حيث علموا أو جهلوا ومن حيث أرادوا أو انساقوا مع التيار بلا فهم ولا وعي".[2]

ولا شك أن أهم وافد من قنوات الغزو الفكري الحاصل في العالم الإسلام هو ورود أفكار تضاد الدين وتتصادم معه؛ فالعلمانية التي يرقص على أنغام حسنها الكثير من المثقفين والمفكرين فصلت الدين عن الدولة، وحبست الدين بين جدران المساجد كما هو الحال عند الغرب، إذ حُبس دينهم بين طقوس الكنيسة الصماء وتعاليمها العمياء. وكذلك من روافد هذا الغزو النظام الديمقراطي الذي تتغنى به الدول العربية والإسلامية تزلفاً للغرب وتقليداً له، فظهرت فكرة الدولة المدنية التي يتساوى فيها الجميع في الحقوق والواجبات من غير اعتبار لدينٍ أو عقيدة. وكذلك الرافد الأعور الذي استورد من هناك هو رافد حقوق الإنسان، الذي أطلق العنان للإنسان وأعطاه مطلق الحرية ليختار لنفسه من القوانين الوضعية والأديان المنحرفة ما يرتاح له؛ فلا بأس أن يكون نصرانياً أو يهودياً أو مجوسياً، وكذلك يحترم رأيه إن عبد بقرة أو فأراً أو قرداً، أو أن يكفر بهذا كله فيختار الإلحاد بالله ديناً، كل هذا كفلته له اتفاقيات حقوق الإنسان الحديثة.

---

(1) انظر: واقع المسلمين أمراض وعلاج، ص: 84.

(2) حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ص: 134.

المطلب الثالث
جهود النحوي في محاربة الانحراف عن التوحيد

الدكتور عدنان النحوي – رحمه الله – صاحب خبرة طويلة في مجال الدعوة الإسلامية سواء على صعيد تأليف الكتب أو المشاركة في المؤتمرات أو الكتابة في الصحف الإسلامية وغيرها أو على مستوى المقابلات الإذاعية أو التلفزيونية أو الصحفية أو غيرها. وكذلك له من الأعمال الأدبية الملتزمة الشعرية والنثرية ما يجعل الباحث يندهش من سعة قريحة الرجل وقلمه السيال. وفي كل هذه المجالات لم ينس النحوي الدعوة إلى الله وإلى التوحيد والإيمان، ومحاربة الانحراف فيه وتحذير الأمة من الوقوع في الخلل في فهمه.

يقول رحمه: "ولقد قدمت النصيحة الإيمانية التي أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بها فعرضت قضية الانحراف عن التوحيد في بعض كتبي، وقدمت النصيحة كتابة، وقدمتها مشافهة، وبكل أسلوب يسمح به الإسلام، ذلك لأن الانحراف فتنته كبيرة وواسعة، تفرض وجوب الوقوف عندها".[1]

وبالرغم من حالته الصحية، وانشغاله في أمور دعوية أخرى، إلا أن حياة الدكتور عدنان النحوي حفلت بالأعمال الجليلة، قدم فيها الدراسات والأبحاث والحلول لقضايا الأمة، وما تعانيه من أمراض وعلل وخلل، وقد شارك الشيخ في العديد من المؤتمرات والندوات التي أقيمت حول الدعوة الإسلامية مثل: مؤتمر: مبادئ أساسية في العمل الإسلامي والذي عقد في ألمانيا عام 1407هـ-1987م، ومؤتمر: حوار فكري وأدبي وسياسي والذي عقد في الكويت في نفس العام وغيرهما كثير.[2]

هذا، ويرى النحوي أن إثبات القضايا العقدية لا يكون من خلال البراهين الفلسفية ولا العلمية؛ لأن هذه البراهين لا يفهمها إلا المتخصص الذي يفهم مصطلحاتها، لكن السواد الأعظم لن يستفد منها شيء، ويعيب – رحمه الله – على فرق الشيعة والمعتزلة والقدرية والمرجئة والصوفية والأشعرية والظاهرية التي عالجت قضايا التوحيد انطلاقاً من أسباب سياسية أو فكرية. وهذه الفرق لم تقدم ما يثبت القلوب على الإيمان وبرد الطمأنينة.

لذا، فإن المسلم لن يجد هذا الإثبات لقضايا التوحيد والطمأنينة إلا في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ذلك لأن الوحي الكريم جاء بالكتاب المُبَيِّن والمفصل لقضية الإيمان والتوحيد، وجاء

---

(1) الثبات على الحق بين الابتلاء والصبر: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1433 هـ – 2012 م، ص: 34.

(2) انظر: صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان النحوي، ص: 35-36.

التبيان وحياً منزلاً من عند الله للناس كافة، للعصور كافة، للأجناس كافة، فكان أوفي عرض وأيسره.[1]

واستقراءً لما كتب الشيخ – رحمه الله رحمة واسعة – يمكن تلمس جهوده في محاربة الانحراف عن التوحيد والعقيدة الصحيحة في المجالات التالية:

1- الدعوة الفردية:

ذكر النحوي تحت عنوان (وقفة مع شيوعي) أنه كان يعمل مع شركة أجنبية، وكان زميله في العمل مهندساً شيوعياً مثقفاً، فحاول المهندس استمالة الشيخ إلى الشيوعية، فناقشة الشيخ نقاشاً علمياً، فكانت حجة الشيوعي – وقد أُسقط في يديه– أنه لا يتكلم العربية بطلاقه، فأفحمه الشيخ بأن يعطيه كتباً عن الإسلام باللغة الفرنسية – وهي لغة هذا المهندس – فأخذ المهندس هذه الكتب وعكف عليها أشهراً، فأعجب بترجمة القرآن، وطلب المزيد من الكتب من الشيخ، فلم يبخل عليه بها، حتى دب الإسلام في قلبه، فما خرج من المملكة العربية السعودية إلا وقد اقتنع بالإسلام بعد أن كان شيوعياً ملحداً.[2]

وفي موقف آخر عنونه الشيخ بـ (مع مسافر في الطائرة) إذ جلس بجانبه رجل أجنبي يتحدث اللغة الإنجليزية، فحدثه الشيخ بها، فسأله: هل تؤمن بالله؟ فقال: الرجل: لم أفكر في هذا الموضوع قبل ذلك. فقال له الشيخ إنه ليس وحده الذي ينسى الله، وحدثه عن خلق الكون المعجز، ثم دغدغ مشاعره بذكر الأموات وأنه سوف يموت يوماً من الأيام، فاحتار الرجل وترقرقت عيناه دمعاً، وانفتح قلبه للشيخ، وأخذ الشيخ يعرض عليه الإسلام، وأخذ الرجل يسأل عن هذا الدين العظيم، وطلب من الشيخ كتباً ليقرأها، فدله الشيخ على أهم الكتب، ووعده الرجل بأن يفكر في هذا الأمر بمجرد وصوله للبيت وأن يشتري هذه الكتب ويقرأها.[3]

يقول الشيخ بعد سرده لهذه القصة:" وافترقنا وأنا أشعر بالسعادة أني تركت له قضية يفكر بها، والهداية بيد الله وحده، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولكن من واجبنا أن ندعو الناس كافة إلى دين الله كما أنزل على محمد ﷺ في كل فرصة".[4]

---

(1) انظر: التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 9-10.

(2) انظر: مصارحة ونصيحة : مراجعات دعوية ووقفات إيمانية: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1429 هـ – 2008 م، ص: 105-106.

(3) انظر: المصدر السابق، ص: 111.

(4) المصدر السابق، ص: 111-113.

2- دعوة المعاهد والمؤسسات الأجنبية إلى الإسلام:

كان الشيخ معروفاً في الوسط الأدبي والفكري، وكان من الدعاة الذين كانت لهم مناقشات جمة مع المخالفين، فقد تسلم الشيخ يوماً رسالة من معهد أهل الكتاب في ألمانيا يدعوه فيها إلى النصرانية! ومرفق معها كلمات مختارة من الإنجيل، ويطلبون من الشيخ قراءتها والتأمل بها ليفهم الكتاب المقدس جيداً.

وكان رد الشيخ أنه كتب رسالة إلى المعهد فيها من الأدب والرحمة والحكمة بما يتلاءم مع القوم، فكتب فيها: " نشكركم على هذه المبادرة التي منحتنا الفرصة لندعوكم دعوة أمينة خالصة لوجه الله، تحمل لكم خيري الدنيا والآخرة، ندعوكم إلى دين الله الإسلام، الذي هو دين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجميع الأنبياء عليهم السلام الذين ختموا بمحمد ﷺ، فالله وحده لا شريك له، ودينه دين واحد ولا يعقل أن يكون أكثر، ولا يعقل أن يبعث الله لعباده أدياناً متصارعة".(1)

ثم سرد الشيخ – رحمه الله – الأدلة النقلية والعقلية على أن دين الله واحد، والأنبياء كلهم قد دعوا إليه.

كما رد الشيخ أكثر من مرة على بعض إصدارات مؤسسة راندي الأمريكية، وهي مؤسسة مختصة بالتحقيق في القضايا الفكرية العالمية، تضم مئات المفكرين والكتاب، فكان الشيخ يرد على الإصدارات التي فيها سوء فهم للإسلام أو قدح فيه، فيعرض على المؤسسة أن تسلم لله رب العالمين وأن تعترف بالإسلام بعد أن درسوه وعلموا ما فيه.(2)

3- الرد على شخصيات بارزة ودعوتهم للإسلام:

ألقى بابا الفاتيكان بندكت السادس عشر محاضرة في إحدى الجامعات في ألمانيا، ذكر فيها الخلاف الكبير بين الإسلام والنصرانية، فقزم الإسلام وأعلى من شأن النصرانية. فطلب أغلب الدعاة والعلماء من البابا أن يعتذر عن تصريحاته هذه(3)، لكن الشيخ اعتبر أن مجرد الاعتذار لا يكفي لإنقاذه من غيه وكفره، فمصيره نار جهنم خالداً مخلداً فيها إن هو مات على هذا المعتقد،

---

(1) مصارحة ونصيحة (مراجعات دعوية ووقفات إيمانية)، ص: 136.

(2) انظر: إسلام رباني لا إسلام ديمقراطي: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1431 هـ – 2010 م، ص: 65-73.

(3) لمزيد من التفاصيل عن هذه المحاضرة انظر: مناقشة هادئة على محاضرة بندكت السادس عشر، كامل الشريف، 2015/11/26م، http://www.dialogueonline.org/mu-bohuth
ومقالة "بابا الحرب الباردة"، جوزف سماحة، 2015/11/26م،
http://www.safsaf.org/06-09-01news/j_samaha/papa_alharb.htm.

فكتب له رسالة باللغة العربية والإنجليزية كان عنوانها " مهلاً يا بابا الفاتيكان إني أدعوك إلى الإسلام".

وذكر فيها الأسباب التي أدت بالبابا لهذا الفكر، ثم قال فيها:" يا سيادة [1] البابا! إني أدعوك إلى الإسلام دعوة واضحة صريحة، فأَسْلِم عسى أن تَسْلَم بين يدي الله، إن الحق جلي والله أرحم بعباده من أن يترك الحق مبهماً غير بين أو جلي، فإذا قضيت وغادرت الدنيا على هذا الفكر فماذا أنت فاعل بين يدي الله؟ أنا لا أنتظر اعتذارك! لكن أنتظر توبتك إلى الله. أكرر بإلحاح أيها البابا الدعوة إليك أن أسلم، فعسى أن تنقذ نفسك وتنقذ الملايين الذين يتبعونك".[2]

4- دعوته إلى التوحيد في المؤتمرات:

شارك النحوي – يرحمه الله تعالى – في العديد من المؤتمرات داعياً إلى الله سبحانه، كان من بينها مؤتمر في بلد أوروبي – لم يسمه – وكان من بين الحضور الكثير من النصارى وغيرهم، بل كان في المؤتمر من المسلمين لكنهم فتنوا بأفكار الحداثة والعلمانية والديمقراطية، فجاء في كلمة الدكتور النحوي ما يلي:" إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق عباده عبثاً، ولم يتركهم سدى، وإنما خلقهم لمهمة كبيرة في الأرض وفي الحياة الدنيا، وقد أوضح الله سبحانه لنا هذه المهمة واختصرها في أربعة مصطلحات: العبادة، والأمانة، الخلافة، عمارة الأرض بحضارة الإيمان والتوحيد، وتجتمع هذه المصطلحات الأربعة في المهمة الرئيسة ألا وهي تبليغ رسالة الله إلى الناس كافة كما أنزلت على محمد ﷺ لتكون كلمة الله هي العليا".[3]

5- محاربته للانحرافات من خلال كتاباته:

والنحوي مبدع في هذا المجال، إذ لم يألُ جهداً في كتاباته الكثيرة عن الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الانحرافات، فمن كتبه التي حذر فيها من الانحراف عن التوحيد الخالص كتاب: الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، وكتاب: التوحيد وواقعنا المعاصر، وكتاب: الانحراف، وكتاب:

---

(1) لا يطلق على الكافر ولا المنافق لفظ (السيد) للنهي الوارد في حديث بريدة ﷺ :" **لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدُنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدَكُمْ فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ**". والحديث رواه النسائي في السنن الكبرى: كِتَابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَة – باب النَّهْيُ عَنْ أَنْ يُقَالَ لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدُنَا – 101/9 – رقم/ 10002، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم/ 7405. ولا حرج أن يقال للبابا (عظيم النصارى أو الفاتيكان) لوروده في مخاطبة النبي ﷺ لهرقل في حديث صحيح عند البخاري: كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ – كَيْفَ يُكْتَبُ الكِتَابُ إِلَى أَهْلِ الكِتَابِ – 58/8 – رقم/ 6260.

(2) مصارحة ونصيحة : مراجعات دعوية ووقفات إيمانية، ص: 168–169.

(3) المصدر السابق، ص: 186.

إشراقة الإيمان والتوحيد، وكتاب: حتى نغير ما بأنفسنا، وكتاب: الاختلاف بين الوفاق والشقاق، وغيرها كثير.

وقد أفرد النحوي بعض كتبه للرد على الأفكار الواردة من الغرب تحمل خبث المعتقد النصراني فتخدش بعقيدة الإسلام الصافية الناصعة، فمن هذه الكتابات كتاب وقفة مع الديمقراطية، وكتاب إسلام رباني لا إسلام ديمقراطي، وكتاب حرية الرأي في الميدان، وكتاب المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، وكتاب الشورى لا الديمقراطية، وكتاب المرأة بين نهجين الإسلام والعلمانية، وغيرها.

هذا بالإضافة للعديد من المقالات التي حملت نفس الهدف من الرد على من انحرف بفكره وكتاباته عن عقيدة السلف رحمهم الله تعالى.

جاء في مجلة الرسالة العدد العاشر 1425هـ – 2004م، بعنوان: " معاملة غير المسلمين في الخبرة الإسلامية " بقلم حمدي عبد العزيز شهاب، " ونصوص الأصول المنزّلة على قدر كافٍ من الوضوح مضموناً وصياغةً، يفسح مجالاً واسعاً للتوازن بين حس الوحدة الإسلامية، وبين الاعتراف بالتعدّدية التي شاءها الله تعالى نفسه منذ بدء الخلق." (1)

يقول النحوي :" وآسف أن أقول لأخي الكريم إنَّ هذه مغالطة كبيرة، فالوحدة الإسلامية جزء من شرع الله الذي أُمِر المسلمون بالتزامه وتطبيقه، وأما التعدّدية التي شاءها الله تعالى منذ بدء الخلق هي مشيئة الله وليست أمراً منه بالتزامها. إنها سنّة من سنن الله في الحياة تمضي على حكمة لله بالغة ابتلاءً منه سبحانه وتعالى وليس شرعاً لعباده. وهناك سنن ربَّانيّة أخرى كثيرة ماضية بقدر الله وقضائه دون أن نؤمر باتباعها. فرجل يقتل رجلاً ظلماً يتمّ ذلك بقضاء الله ومشيئته، ولكنه أمرٌ منهيٌ عنه في شرع الله، فلا علاقة للتعددية التي يقصدها الكاتب بالسنة الربّانيّة الماضية في الكون. والتعدّدية التي تدرس بعد أن تُرَدَّ إلى الكتاب والسنّة هي التعدّدية التي نقيمها نحن والتي ندرس مطابقتها لشرع الله أو مخالفتها له."(2)

كما أن النحوي له ردود جمَّة في العديد من القضايا التي تطال التوحيد والعقيدة والفكر الإسلامي. فمن هذه الردود: وقفة مع الحداثة العربية، حذر فيها من دخول الأفكار الغربية إلى بلاد المسلمين، فضلاً على أنه لا أساس لكلمة الحداثة بمصطلحها في الشرع. ورد على الكاتب خالد الحروب في مقالته المسماة " العلمانية ضرورة للسلم الأهلي" كشف فيها الكاتب عن عدد من

---

(1) تعقيب على كلمة الأستاذ حمدي عبد العزيز شهاب، عدنان النحوي، 2015/10/24م، http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=771

(2) المصدر السابق.

نواحي الخلل في واقعنا اليوم، وأحال ذلك كله إلى ما أسماه تسييس الدين، ورأى بعد ذلك أن العلمانية هي الحل والضرورة للتخلّص من ألوان الصراع الملتهبة.

قال النحوي – رداً عليه:" محور ذلك كله وأساسه قضية واحدة : هل تؤمن أيها الإنسان بالله إلهاً واحداً لا إله إلا هو، وبرسله جميعاً، وما أنزل من كتاب، وأنَّ محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والرسل، فإن آمنت وضَحَتْ تلك الصورة وانجلت، وإن لم تؤمن، فالعلمانية وأمثالها سبيل آخر مختلف كل الاختلاف، والصراع ماض على سنن الله ثابتة في الكون والحياة، لا تتعطل ولا تتبدّل، قضاء نافذ وقدر غالب وحكمة بالغة. ماذا يقول من لا يؤمن إذا فاجأه الموت وما بعده ؟! فهل من مخرج ؟"[1]

6- محاربة النحوي للانحراف شعراً:

كان النحوي أديباً شاعراً مكثراً من الدواوين والملاحم الشعرية، فقد بلغت دواوينه الشعرية أكثر من عشرة دواوين، تناول فيها قضايا الدعوة والواقع وقضية فلسطين، فديوان: درة الأقصى، وديوان: حنين وأمل، وديوان: حرقة ألم وإشراقة أمل، وديوان: موكب النور، وديوان: الأرض المباركة، وديوان: مهرجان القصيد كلها تبين من خلالها مدى اهتمام الشيخ بقضية التوحيد ودعوته الأمة لتعود للتمسك به من جديد. كما أن النحوي كتب من الملاحم الشعرية ما يدلل على اهتمامه واطلاعه بأحداث العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه، فملحمة فلسطين والأقصى وملحمة الجهاد الأفغاني، وملحمة البوسنة والهرسك، وملحمة الإسلام في الهند، وملحمة الطوفان (تسونامي)، وغيرها، لدليل واضح جلي على يقظته الشديدة لقضايا الأمة، ومحاولته علاج أمراضها.

يقول النحوي في قصيدته: (أدعوك إلى الإسلام):

" أدعُـوكَ للإســلام يــا فِرْعــونُ ! مَهْــ ... ـلَكَ! قِـفْ ! تَفَكَّـرْ فـي المصـير! تأمَّـلِ!

قَدْ غَرَّكَ الأَعْوانُ مِـنْ " لُـوبي اليهَـو ... دِ " ومِــنْ نِفَــاقِ التائهــينَ الرُّحَّــلِ

ومِـنَ العصَــابات التــي احترفَـتْ سَبيــ ... ــل المجْــرمين الظَّالمــينَ الجُهَّــلِ

قَــدْ غَــرَّكَ الجُنْــدُ العديــدُ أو السِّــلا ... حُ وكُــلُّ أمْــرٍ بَعْــد ذاك مُعَــوَّلِ

قَــدْ غَــرَّكَ الأعْــوانُ مــن دُوَلٍ تَــدَا ... عَـتْ للجريْمـةِ والغنيمـةِ! فأمْهَـلِ"[2]

---

(1) العلمانية ضرورة عربيَّة للسلم الأهلي، خالد الحروب، تعليق: عدنان النحوي، 2015/10/23م، http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=696

(2) ملحمة أرض الرسالات، ص: 23.

حتى قال – رحمه الله تعالى:

"فـانظُرْ لِنَفْسِـكَ ! أَيُّ مَنْجـى تَرْتجـي؟!	والظّلْــمُ بَــينَ تَصَاعُــدٍ وتَزَيُّــلِ
هــذا هُــو الإسْــلامُ يَفْتَــحُ صَــدْرَه	للتائبيــن الصَّادِقــين المُثَّــلِ
فــافْزَع إلــى الإســلام ! لا مَنْجـى بِغَيـ	ــرِ هُــداه، والــزَمْ شَرْعَــه وتَقَبَّــلِ
إنّــي دَعَوْتُــك ! هَــلْ تُجيـب ؟ وإنَّمــا	اللهُ الــذي يَهْـدي العِبـاد ويبْتَــلي"[1]

وقال النحوي في قصيدته: (رحلتي في أرض الرسالات) وهو يحذر من المنافقين وأعداء الدعوة:

"لا أبـــالي إذا تجمـــع حـــولي	فـــي طريقـــي منـــافق ومعـــادي
وإذا مـــا الجبـــان هـــم بكيـــد	أو أحاطـــت نـــوازع الحُســـاد
كـــم أطـــاحوا بنـــا فـــردهم	الله وأخـــزاهم بـــذلٍ بـــاد
العصـــابات ويحهـــم جبنـــاء!	بيـــنهم فتنـــة الهـــوى والتعـــادي
إنـــه الله ! حـــين يمضـــي قضـــاء	الله فـــيهم كلمحـــة مـــن فـــؤاد
العصـــابات! ويحهـــم كـــم تـــراهم	يفســـدون النفـــوس أي فســـاد
ســـترون الضـــمير بالـــدرهم الســـا	قـــط، يهـــوون فـــي ســـحيق الـــوادي
فـــي الليـــالي الحمـــراء فـــي غمـــرة	الـــرجس! ســـكارى فـــي شـــهوة وانقيـــاد
كـــم أقـــاموا أوثـــانهم مـــن هـــواهم	ومـــن المجـــرمين والأنـــداد"[2]

وقال وهو يصف بلاد خراسان في ملحمته (ملحمة الإسلام في الهند) واصفاً حالة تلك البلاد من البعد عن التوحيد، وتعدد أنواع وأشكال الأرباب والآلهة هناك، فيستخف بتلك العقول التي تعبدها بالرغم أنها لا تملك لها ضراً ولا نفعاً:

أنى التفتَ على الدار فهل ترى	إلا ضحية مجرم أو معتدي
في كل ناحية "إله" أخرس	غافٍ وقطعان تروح وتغتدي
وهوى، و"أرباب" وشرك هائج	ما بين أوثان وظلمة معبد
وطوائف تهوي على أصنامها	وتروح في خدر وغيبة هُجّد

---

(1) من قصيدة: أدعوك إلى الإسلام، عدنان النجوي، 2015/10/24م،
http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=526

(2) ملحمة أرض الرسالات: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى– 1421 هـ – 2000 م، ص: 141-142.

وحجارة نحت الهوى أشكالها ... نحتاً وأفرغ شوقه في جلمد
هذي الحجارة هل تحس وهل ترى؟ ... أو هل تضر أو هل تعين المجتدي؟
قتلوا هما الإنسان في وثنية ... ورموه رمي ممزق ومُصَفَّد
عودوا إذاً لله يرجع فيكم ... خفق الحياة وعزة المتعبد

كما أنشأ الشيخ عدنان النحوي – رحمه الله – موقعاً على الشبكة الالكترونية أسماه موقع (لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن) (www.alnahwi.com) يرتاده آلاف الزوار للاستفادة من كتب ومقالات الشيخ.

ولا شك أن الدعوة إلى الله في هذا الزمان تحتاج كل المجالات السابقة وغيرها من وسائل حديثة كالشبكة الالكترونية العالمية (الإنترنت) وما يحويه من مواقع التواصل الاجتماعي مثل: الفيس بوك (facebook) ، وتويتر (twitter) وغيرها، حتى يصل صدى التوحيد مدوياً في أرجاء المعمورة، وللتحذير من الوقوع في أنواع الشرك والكفر في وقت غلبت على كثير من المسلمين أفكار خالفت كلام رب البرية وهدي سيد البشرية ﷺ.



المبحث الثالث

موقف النحوي من قضية أفعال العباد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عقيدة السلف في قضية أفعال العباد.

المطلب الثاني: مسئولية الإنسان مع قضاء الله وقدره عند النحوي.

المطلب الأول
عقيدة السلف في قضية أفعال العباد

يرى الباحث أن ينتظم الحديث في هذا المطلب المهم في النقاط التالية:

أولاً: اختلاف الفرق الإسلامية في قضية خلق أفعال العباد:

لم تنل قضية في الإسلام – مما يتعلق بالعقيدة – ما نالته عقيدة القضاء والقدر، إذ شطحت الجبرية فوصفت الإنسان بريشة في مهب الريح، أو آلة تنفذ ما تؤمر به من غير حول لها ولا قوة، وعزلت العقلانية والمعتزلة نفسها عن الحق فباضتْ قريحةُ عقولهم المؤلَّهة عقيدةً خالفت صريح القرآن وصحيح السنة؛ فجعلت الاختيار الكامل للإنسان في أفعاله بدون مشيئة لله فيها ولا إذن. أما أهل السنة فتوسطوا النقيضين؛ فهم على صفاء من الفهم، وثبات في الرأي، وجمع للنصوص، وقوة في الرد والحجة، ودعوة صلبة للمراد الحق منها، فكانوا لعقيدة محمد ﷺ وصحبه ﷺ خير الحراس؛ دحروا بصفاء الهدى كل جاهل وخناس، فكم من عالم لأهل السنة اقتحم عليهم الديار وجاس، وأراحوا بالفهم السليم قلوب الناس، وأذهبوا عن عقيدتهم الباس، ونزعوا من صدورهم سوء الفهم والوسواس، وأغروا العوام للعمل للآخرة بدون كلل ولا يأس، فهم أسعد الناس بالدليل والراحة به في الدنيا فلا مساس، مع ما غرس الله لهم في الآخرة من كرامة فنعم الغراس، فلله درهم وعلى الله أجرهم ما غرَّد قِمريٌّ، أو حُمِّل عَرَدٌ بأحلاس!

يقول الإمام القَيِّمُ ابنُ القيمِ:" وقد سلك جماهير العقلاء في هذا الباب كل واد، وأخذوا في كل طريق، وتولجوا كل مضيق، وركبوا كل صعب وذلول، وقصدوا الوصول إلى معرفته، والوقوف على حقيقته، وتكلمت فيه الأمم قديماً وحديثاً، وساروا للوصول إلى مغزاه سيراً حثيثاً، وخاضت فيه الفرق على تباينها واختلافها، وصنف فيه المصنفون الكتب على تنوع أصنافها، فلا أحد إلا وهو يحدث نفسه بهذا الشأن، ويطلب الوصول فيه إلى حقيقة العرفان، فتراه إما متردداً فيه مع نفسه، أو مناظراً لبني جنسه، وكل قد اختار لنفسه قولاً لا يعتقد الصواب في سواه، ولا يرتضي إلا إياه، وكلهم – إلا من تمسك بالوحي– عن طريق الصواب مردود، وباب الهدى في وجهه مسدود، تحسى علماً غير طائل، وارتوى من ماء آجن، قد طاف على أبواب الأفكار، ففاز بأخس الآراء والمطالب، فرح بما عنده من العلم الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وقدم آراء من أحسن به الظن على الوحي المنزل المشروع، والنص المرفوع، حيران يأتم بكل حيران، يحسب كل شراب ماء فهو طول عمره ظمآن، يُنادى إلى الصواب من مكان بعيد، أقبل إلى الهدى فلا يستجيب إلى يوم الوعيد، قد

فرح بما عنده من الضلال، وقنع بأنواع الباطل وأصناف المحال، منعه الكفر الذي اعتقده هدى وما هو ببالغه عن الهداة المهتدين، ولسان حاله أو مقاله يقول: ﴿ **أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾ (الأنعام : 53)".[1]

يقول الأستاذ الدكتور سعد عاشور:" فإن مسألة أفعال العباد كانت ولا زالت مثار اهتمام الباحثين من أرباب الديانات السابقة والفلسفات القديمة، كما كانت موضع خلاف كبير بين جميع الفرق الإسلامية، وخاصة الجبرية والمعتزلة وأهل السنة من الأشاعرة والماتريدية والسلف، بل وما زالت هذه حية معاصرة، تشغل العقل الإنساني وتؤرقه، فمنهم من ينكر على العبد حريته وإرادته، فيجعله مُسَيَّراً لا شأن له في خلق أفعاله التي حددت له مسبقاً ولا سبيل إلى تعديلها أو تحويرها، ومنهم من يربأ بالإنسان أن يكون في منزلة الجماد فيثبت له الإرادة، ويجعله قادراً على أفعاله، ويرى أن من العدل أن يثاب أو يعاقب بناءً على ما قدمت يداه".[2]

والداء الذي أصاب المخالفين في مقتل، ونجا من بأسه – بفضل الله تعالى – أهل السنة، أن القوم لم يدركوا النصوص التي بينت المراتب الأربعة للقضاء والقدر وهي: علم الله لسائر حركات وسكنات الخلق قبل الخلق، وكتابة ذلك في اللوح المحفوظ بأمر منه للقلم، ومشيئته لها في وقوعها بالكم والكيف والمكان والزمان، ثم إذا جاء أجلها خلقها على النحو المكتوب في اللوح. فلم تدرك عقول القوم أنه لا يتحرك من متحرك ولا يسكن من ساكن إلا وكتبه الله في اللوح قبل أن يُخلق، بما في ذلك أفعال المخلوقين، كلامهم وسكناتهم وحركاتهم وجميع أحوالهم من غير جبر منه لهم على فعلها؛ فالعلم بالشيء والإذن به لا يعني الجبر والقهر عليه، هكذا بكل بساطة، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً؟

قال تعالى: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ (الأنعام : 59).

---

(1) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية – تحقيق: بدون – دار المعرفة – لبنان – الطبعة الأولى – 1398هـ–1978م، ص: 2–3.

(2) أفعال العباد عند الفرق الإسلامية (بحث مقدم من): سعد عاشور – الجامعة الإسلامية – غزة – بدون بيانات، ص: 2.

ثانياً: ارتباط خلق أفعال العباد بالقضاء والقدر:

بان الآن وتجلى مدى ارتباط قضية خلق أفعال العباد بعقيدة القضاء والقدر، فهي جزء من كل، وبالأخص هي لازم من لوازم المرتبة الأولى للقضاء والقدر من حيث العلم بها قبل أن تقع، وكذلك المرتبة الرابعة ألا وهي الخلق، لذا يقول الإمام البيهقي – رحمه الله تعالى :" الإيمان بالقدر هو الإيمان بتقدم علم الله سبحانه بما سيكون من أكساب الخلق وغيرها من المخلوقات وصدورها جميعها عن تقدير منه، وخلقه لها خيرها وشرها".(1)

وابن القيم – رحمه الله – يوضح الارتباط الوثيق بين خلق أفعال العباد وعقيدة القضاء والقدر بدليله فيقول: "المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر هي خلق الله تعالى لأفعال المكلفين ودخولها تحت قدرته ومشيئته كما دخلت تحت علمه وكتابه قال تعالى:﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ (الزمر:62) وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته، فالعالم قسمان: أعيان وأفعال وهو الخالق لأعيانه وما يصدر عنها من الأفعال".(2)

ثالثاً: عقيدة السلف في قضية خلق أفعال العباد:

أهل السنة والجماعة توسطوا القول في مسألة خلق أفعال العباد، فسلموا من إفراط الجبري، ونجوا من مزلة قدم المعتزلي وتفريطه، أعملوا النصوص جمعاً لها وبعداً عن ضرب بعضها ببعض، وهذا معتقد الأُوَل من السلف، فهم أسعد الناس بالدليل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله رحمة واسعة: " مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد. وأنه – سبحانه – ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه؛ بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئا إلا وهو قادر عليه. وأنه – سبحانه – يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها. وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم: قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من

---

(1) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: أحمد بن الحسين البيهقي – تحقيق: أحمد عصام الكاتب – دار الآفاق الجديدة – لبنان – الطبعة الأولى – 1401هـ، ص: 132.

(2) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص: 54.

سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها، قبل أن تكون".[(1)]

ويقول أيضاً: " إن أئمة أهل السنة يقولون: إن الله خالق أفعال العباد كما أن الله خالق كل شيء، وأنه تعالى خالق الأشياء بالأسباب، وأنه خلق للعبد قدرة بها يكون فعله، وأن العبد فاعل لفعله حقيقة. فقولهم في خلق فعل العبد بإرادته وقدرته كقولهم في خلق سائر الحوادث بأسبابها، وقد دلت الدلائل اليقينية على أن كل حادث فالله خالقه، وفعل العبد من جملة الحوادث، وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فإن شاء الله كان وإن لم يشأ لم يكن وفعل العبد في جملة الممكنات".[(2)]

ومن قبل ابن تيمية، روى البخاري في كتابه " خلق أفعال العباد" ما نصه:" قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: سمعت عبيد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع من أصحابنا يقولون: " إن أفعال العباد مخلوقة" قال أبو عبد الله: " حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة".[(3)]

ويقول الإمام البغوي في "شرح السنة":" الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد، خيرها وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ (الصافات: 96)، وقال الله عز وجل: ﴿ **قُلِ اللَّهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ (الرعد: 16)، وقال عز وجل: ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ** ﴾ (القمر: 49). فالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، كلها بقضاء الله وقدره، وإرادته ومشيئته، غير أنه يرضى الإيمان والطاعة، ووعد عليهما الثواب، ولا يرضى الكفر والمعصية، وأوعد عليهما العقاب".[(4)]

وقال الدكتور عدنان النحوي:" إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يخلق الكون كله والناس جميعاً على أي نحو، فهو على كل شيء قدير. وهو قادر على أن يخلق الناس جميعاً مؤمنين أمة واحدة، وهو قادر على أن يخلقهم كافرين يدخلون النار".[(5)]

---

(1) مجموع الفتاوى، 8/449-450.

(2) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية – تحقيق: محمد رشاد سالم – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الطبعة الأولى – 1406هـ – 1986م.ص: 31/3.

(3) خلق أفعال العباد: محمد بن إسماعيل البخاري – تحقيق: عبد الرحمن عميرة – دار المعارف – السعودية، ص: 47.

(4) شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي – تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – سوريا – الطبعة الثانية – 1403هـ – 1983م، ص: 143/1.

(5) الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، ص: 103.

إذاً، أهل السنة يرون أن الفعل غير المفعول؛ فحركات المخلوقين واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة، وهي مخلوقة لله سبحانه حقيقة، فالله عز وجل له علمه وقدرته ومشيئته وتكوينه، ففعل الناس وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم تنسب لهم؛ فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة، وهو سبحانه المقدر لهم على ذلك، القادر عليه الذي شاءه منهم وخلقه لهم.

المطلب الثاني
مسئولية الإنسان مع قضاء الله وقدره عند النحوي

إن قضية القضاء والقدر من الأهمية بمكان؛ فهي ركن من أركان الإيمان، وعليها مدار التوحيد وقطب العقيدة، وهي من أبرز مظاهر الإيمان بربوبية الله سبحانه، وهي القضية التي تفسر الحكمة الإلهية في جميع ما يدور في الكون، وهي عمود الحجة التي يقيمهما الله على الخلق حتى لا يكون لهم حجة يوم يقوم الناس له، وهي الباعث للعمل الحثيث والطلب الدؤوب، والناهي عن التكاسل والاتكال، فأسعد الناس بهذه العقيدة أكثرهم فهماً عن الله ورسوله ﷺ، وهل أشقى الإنسان إلا سوءُ الفهم لنصوص الكتاب والسنة؟

يقول ابن القيم –رحمه الله تعالى:" فإن أهم ما يجب معرفته على المكلف النبيل فضلاً عن الفاضل الجليل، ما ورد في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، فهو من أسنى المقاصد، والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان، التي يرجع إليها، ويدور في جميع تصاريفه عليها، فالعدل قوام الملك، والحكمة مظهر الحمد، والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة، وكمال النعمة، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فبالقدر والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين، ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(الأعراف: 54)".(1)

ويعرف النحوي القدر بأنه:" السنن الربانية التي وضعها الله لهذا الكون، والقوانين التي يخضع لها الإنسان، والقوانين التي يخضع لها غير الإنسان. فكل ما في الكون يخضع لنظام خاص وضعه الله سبحانه وتعالى، حركة الشمس، شروقها وغروبها، هي من قدر الله، نزول الأمطار وانقطاعها هي من قدر الله، مرض الإنسان وعجزه هو من قدر الله، صحته وقوته من قدر الله".(2)

والنحوي – رحمه الله – إذ يناقش هذه القضية الحساسة التي تفرقت على أعتابها الفرق في التاريخ الإسلامي، فإنه سلك – ولله الحمد وحده – منهج أهل السنة والجماعة في تفسيرهم لنصوص القضاء والقدر؛ فوقف عند حدود العقل البشري، فلم يفسر النصوص حسب المدارس العقلية التي خاضت وضلت في هذه القصية الحساسة.

---

(1) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص: 2.

(2) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 161.

يقول – رحمه الله:" من أسباب الخطأ في تصور قضية الإيمان بالقدر هو تكليف عقل الإنسان ما لا يطيق، وبما لم يخلق له، ودخوله أجواء فوق مسؤوليته وحدوده وطاقته. وكذلك محاولة الإنسان أن يُخْضع الدار الآخرة والغيب كله لقوانين الحياة الدنيا وتصوراتها وموازينها."[1]

ولإثبات نظرة النحوي لقضية الإيمان بالقضاء والقدر، يرى الباحث ترتيب المطلب تحت العناوين الآتية:

1- أخْذُ الله سبحانه العهد على الناس وهم في عالم الذر:

عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: " يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذاباً: **لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ بِي**" ".[2]

يقول النحوي معلقاً على الحديث:" إنه العهد بين الخلق كلهم، وهم في عالم الذر، مع ربهم وخالقهم، إنه عهد الإيمان والتوحيد، إنه عهد الإقرار بالربوبية المطلقة لله، والعبودية المطلقة للإنسان لربه، إنه العهد الذي لا يقبل أي عذر لنقضه أبداً ... إنه عهد يتأكد مع كل نبي ورسول، ومع كل وحي ورسالة".[3]

قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ (الأعراف: 172-173).

يوجه النحوي الآية قائلاً: "فالعهد والميثاق والولاء لله يدور حول محور واحد: العهد الذي أخذه الله على البشرية وهم في عالم الذر، ولا عذر لإنسان ولا حجة لمخلوق أن ينكص عن عهده، ويخلف ميثاقه، وإنها لرحمة من الله أن يبعث الرسل والأنبياء ليذكروا بالعهد ... فلا عذر لهم حتى ولو أشرك آباؤهم من قبل."[4]

---

(1) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 178-179.

(2) صحيح مسلم – كتاب صفة القيامة والجنة والنار – باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً – 2160/4 – رقم/ 2805.

(3) لقاء المؤمنين (أسسه وقواعده): عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الخامسة – 1428 هـ – 2007 م، 2/ 127-128.

(4) المصدر السابق، 60/2.

وهذا العهد الذي أخذه الله على الناس في عالم الذر قبل خلقهم يأتي بمعنى الفطرة التي خلق الله الخلق وفطرهم عليها، فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ:" **كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**".[1]

وهذا الذي قرره شيخ الإسلام ابن تيمية – طيَّب الله ثراه– إذ يقول:" أما قوله ﷺ: " **كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِه**" فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال:﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى** ﴾، وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة؛ فإن حقيقة الإسلام أن يستسلم لله لا لغيره، وهو معنى لا إله إلا الله".[2]

2- محاسبة الإنسان على عمله:

الإنسان يعيش في هذه الدنيا تحت مرحلة اختبار؛ فما خلق الله الموت والحياة إلا ليختبر الناس ما هم فاعلون بها، فإن أحسنوا، نجحوا وأفلحوا، وإلا استحقوا عقاب الله وغضبه – نعوذ بالله منه سبحانه– بما كسبت أيديهم لا جبرهم على الفعل.

وحول هذا المفهوم يقول النحوي:" تحمل الممارسة الإيمانية المسؤولية في الحياة الدنيا والآخرة، حين يدرك المؤمن أنه مبتلى بعمله في الدنيا ومحاسب عليه في الآخرة، يسرع هو فيحاسب نفسه قبل أن يحاسب، وقبل أن يحاسب غيره".[3]

وعلى الإنسان أن يتحمل نتيجة قراراته ومغبة تصرفاته، فإن كانت خيراً، فالجزاء من جنس العمل، وإن كانت غير ذلك فيداه أوكتا وفوه نفخ، وما ربك بظلام للعبيد.

يقول النحوي:" على الإنسان أن يتخذ قراراً نتيجة لتفكيره وتأمله: هل يؤمن أم يكفر؟ فإن اتخذ قراراً بالإيمان والتوحيد، فذلك استجابة لفطرته السليمة التي فطره الله عليها وغرس فيها الإيمان والتوحيد، وذلك بهداية الله له. وإن كان غير ذلك، فهو استجابة لفطرة غير سليمة ولا سوية، واستجابة لهوى ضال سيطر على فكره وقلبه، فأضله الله بما كسبت يداه".[4]

---

(1) صحيح البخاري – كتاب الجنائز – باب ما قيل في أولاد المشركين – 100/2 – رقم/ 1385.
(2) مجموع الفتاوى، 245/4.
(3) كيف تلتقي الجماعات الإسلامية، ص: 74.
(4) المسؤولية الفردية في الإسلام، ص: 63.

3- الاحتجاج بالقدر على ترك العمل:

إن شبهة الاحتجاج بالقدر على ترك العمل شبهة قديمة جديدة، قال تعالى : ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ** ﴾ (الأنعام: 148)، فالذين ضلوا في هذا الباب يحتجون بالقدر قبل العمل وبعد العمل؛ فهم يحتجون بالقدر قبل وقوعه بدعوى: أن الإيمان بالقدر لا يحتاج معه العبد إلى العمل والأخذ بالأسباب؛ لأن ما قدره الله سبحانه سيأتي لا محالة، حتى وإن أخذ الإنسان بالأسباب، فيحتجون بالقدر على ارتكاب المعاصي والآثام بحجة أنها من قدر الله المحتوم.

يقول النحوي – رحمه الله: "حين يتلو بعضهم الآيات التي تتحدث عن مشيئة الله، يتساءل في نفسه أو يعلن تساؤله إذا كانت مشيئة الله هي النافذة الماضية، وإذا كنا لا نستطيع أن نشاء إلا أن يشاء الله، فلماذا يحاسبنا الله إذاً على أعمالنا التي لم تمض إلا بمشيئة الله؟! إن هذا السؤال نفسه يدل على اضطراب تصور "التوحيد"، واضطراب تصور المشية الإلهية؛ فربما يتصور بعضهم أن المشيئة الإلهية هي مثل مشيئته هو، أو مشيئة غيره من الناس، مشيئة متغيرة متبدلة، مشيئة تتردد بين العجز والهوى، وتحركها المصالح وتدفعها الشهوات. وينسى أن مشيئة رب السموات والأرض ورب كل شيء، إنها المشيئة القادرة العالمة العادلة الحكيمة الخبيرة".[1]

ويرد النحوي على هذه الشبهة بأن كلمة الله ومشيئته مضت بأن تكون الحياة الدنيا دار ابتلاء وتمحيص واختبار، فمن الناس من يخرج منها وقد نجا ونجح في الامتحان، فينال بذلك رحمة الله، فيدخل الجنة، فهو سبحانه يدخل من يشاء في رحمته، ومن الناس من يضل نتيجة لما كسبت يداه فيسقط في الامتحان، فيدخل النار جزاءً عادلًا لا ظلم معه أبدًا، يدخل النار بما كسبت يداه، وبعد حساب وميزان، وبعد أن تقوم عليه الحجة، بعد أن محص في الدنيا تمحيصًا كاملًا عادلاً من غير جبر لله على الإنسان أن يفعل أو لا يفعل.[2]

قال ابن تيمية – رحمه الله: "إن من أثبت القدر واحتج به على إبطال الأمر والنهي فهو شر ممن أثبت الأمر والنهي ولم يثبت القدر، وهذا متفق عليه بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل، بل بين جميع الخلق؛ فإن من احتج بالقدر وشهود الربوبية العامة لجميع المخلوقات ولم يفرق بين

(1) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 150.

(2) انظر: المصدر السابق، ص: 151.

المأمور والمحظور، والمؤمنين والكفار، وأهل الطاعة وأهل المعصية، لم يؤمن بأحد من الرسل ولا بشيء من الكتب، وكان عنده آدم وإبليس سواء، ونوح وقومه سواء، وموسى وفرعون سواء، والسابقون الأولون وكفار مكة سواء".(1)

ولعل من أشهر الأحاديث التي ترد فهم المبطلين، وادعاء المتواكلين الحديث الذي رواه الإمام البخاري وغيره، من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى** ".(2)

يقول النحوي معلقاً على الحديث:" نعم! فحج آدم موسى عليهما السلام ولا تعني كلمات آدم من إنكاره على موسى عليه السلام اللوم والعتاب أن آدم عليه السلام لم يكن مخطئًا، فقد جاء نص القرآن بذلك: ﴿ **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى** ﴾ (طه:121)، ذلك لأن تقدير الله لهذا الأمر أو ذاك لا يتعارض مع المحاسبة من الله، والله لم يلزم أحداً لارتكاب معصيه، حساب الله لخلقه هو من القدر، هو مما قدره الله ومضت به مشيئته، وهو قدر يحمل معه العلم والحكمة والقدرة والعدالة التي لا تظلم أبدًا".(3)

ويقول – أيضاً : "فإذا كان العجز من قدر الله، فإن الله لا يأمر عباده به، ولا يدعو له دينه. فالقدر ليس هو أمر الله لعباده، ولا هو منهاجه الذي يدعوهم إليه ويحاسبهم على مقدار اتباعهم له".(4)

قال ابن القيم:" الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع: فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع؛ لأنه لا يدفع بالقدر أمراً ولا نهياً ولا يبطل به شريعةً، بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة، يوضحه أن آدم قال لموسى أتلومني على أن عملت عملاً كان مكتوباً عليَّ قبل أن أخلق. فإذا أذنب الرجل ذنباً ثم تاب منه توبة وزال أمره حتى كأن لم يكن فأنبه مؤنب عليه ولامه حسن منه أن

(1) مجموع الفتاوى، 100/8.
(2) صحيح البخاري – كِتَابُ القَدَرِ – بَابُ تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَى عِنْدَ اللَّهِ – 126/8 – رقم/ 6614
(3) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 166.
(4) المصدر السابق، ص: 161.

يحتج بالقدر بعد ذلك ويقول هذا أمر كان قد قدر عليَّ قبل أن أخلق، فإنه لم يدفع بالقدر حقاً، ولا ذكره حجة له على باطل، ولا محذور في الاحتجاج به.

وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به، ففي الحال والمستقبل بأن يرتكب فعلاً محرماً أو يترك واجباً فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره فيبطل بالاحتجاج به حقاً ويرتكب باطلاً، كما احتج به المصرون على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا: ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا** ﴾(الأنعام:148) و﴿ **لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ** ﴾ (الزخرف:20) فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه، وأنهم لم يندموا على فعله، ولم يعزموا على تركه، ولم يقروا بفساده فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه وندم وعزم كل العزم على أن لا يعود، فإذا لامه لائم بعد ذلك قال كان ما كان بقدر الله. ونكتة المسألة أن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر، وإذا كان اللوم واقعاً فالاحتجاج بالقدر باطل".[1]

يقول النحوي – رحمه الله تعالى – موفقاً بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب:" لقد جعل الله في الحياة الدنيا أسباب ابتلاء متعددة في حياة الإنسان، وفي الوقت نفسه زود الإنسان بما يحتاجه من أسباب النجاة؛ فقد جعل في الحياة الدنيا الشيطان ليغوي ابن آدم ويزين له الشر، وجعل في الحياة الدنيا شهوات وهوى، رسم الله لها حدوداً، وفصل بين الحلال والحرام، وجعل فيها المال والنساء والسلطة وغير ذلك من المغريات، وجعل معها للإنسان فطرة مزودة بالإيمان والتوحيد، وعقلًا يحمل قوة التفكير، وآيات بينات في الكون، ورسلًا وأنبياء، وكتبًا ينزل بها الوحي، وزادًا من التجربة ابتداءً في عالم الغيب مع الشيطان في الجنة. إنها إمكانات واسعة تساعد الإنسان الصادق المؤمن على النجاح في الابتلاء والتمحيص، وتكشف الكافر والمنافق وتقيم عليه الحجة والبرهان".[2]

ولنا في رسول الله ﷺ وصحابته الأسوة الحسنة في التوكل على الله سبحانه مع الأخذ بالأسباب " فمن طعن في الحركة، فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل، فقد طعن في الإيمان، فالتوكل حال النبي ﷺ، والكسب سنته، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته".[3]

4- التحذير من الخوض في القدر إلا بشروط:

(1) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص: 18.

(2) التوحيد وواقعنا المعاصر،ص: 196-197.

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية – تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي – دار الكتاب العربي – لبنان – الطبعة الثالثة – 1416 هـ – 1996م، 117/2.

القدر سر من أسرار الله سبحانه أخفاه الله عن خلقه تمحيصاً لهم وابتلاءً، ومهما أعمل الأذكياء عقولهم فإنهم عاجزون عن معرفة حكمة الله وقضائه وقدره، فالبعد عن الخوض فيه والاستسلام للمنقول، هو سبيل راحة العقول، فلا يسأل: لم؟ وكيف؟

يقول ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله: " وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسةً، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (الأنبياء:23)، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب، كان من الكافرين".[1]

ويرى النحوي – رحمه الله– أن الخوض في هذا الموضوع كثير المزالق، المزالق التي يضعها الشيطان أمام الناس ليفتنهم عن جادة الحق، ولكن الداعية المؤمن يستطيع بحماية الله له أن ينجو من مثل هذه الفتنة، وأن يعرض القضية من خلال الآيات والأحاديث، ويمكن أن ننصح الداعية المؤمن عند عرضه لهذه القضية بخمسة أمور رئيسة:

1- أن يكون زاده من منهاج الله كافيًا يسمح له بعرض القضية من خلال آيات وأحاديث.

2- أن لا يعرض قضية القدر ولا يناقشها قضية مستقلة معزولة عن التوحيد وقواعده والإيمان وأسسه، وإنما يكشف في حديثه قوة ارتباط القدر بالتوحيد وبالتصور الإيماني.

3- أن لا يسمح بتحويل القضية إلى قضية فلسفة وهي تخضع لأهواء البشر وعقولهم المحدودة، وتنعزل عن الغيب الذي وضعه الله في فطرة ابن آدم.

4- أن لا يبدأ بمناقشة هذه القضية منذ البداية، وإنما يمضي على خطة ونهج، يستوعبان موضوع القدر في مرحلته المناسبة، وتقوم الخطة على أساس من منهاج الله، وعلى أساس فهمه لمن يدعوه إلى الإيمان والواقع الذي يعملون فيه.

5- ألا يحصر مفهوم القدر في أحداث حياة الإنسان على الأرض، وإنما القدر تصور يشمل الكون كله، بجميع أبعاده.[2]

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية، لعبد الرحمن البراك، 320/1.

(2) انظر: التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 174.

ومن المقرر أنه لا يخوض في هذا المعترك الذي زلت فيه أقدام، وضلت بسبب سوء الفهم فيه عقول وأقلام، إلا ما كان من الأفذاذ لا العوام، فكم من إنسان حاول السباحة في بحره فما عام، وكم من جاهل حاول معرفة كنهه فما جلب إلا الطوامَّ، فارِبأ بنفسك تبقى في صفاء عقيدة وسلام.



المبحث الرابع

الولاء والبراء عند النحوي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الولاء والبراء في الإسلام.

المطلب الثاني: عقيدة النحوي في الولاء والبراء.

المطلب الأول
مفهوم الولاء والبراء في الإسلام

لا يصح للمؤمن توحيد إلا إذا والى أهل الإيمان، وتقرب إلى الله بحبهم وخدمتهم والشفقة عليهم، وتبرأ من أهل الكفر والطغيان، وتقرب لله – أيضاً – ببغضهم ومقتهم من أي جنس كانوا، وفي أي مكان كانوا، وبأي لسان تكلموا.

" وكم يعتصر القلب كمداً وغيظاً على غياب هذا المفهوم الضخم في حياة كثير من المسلمين في هذا العصر، الذي اختلطت فيه المفاهيم، وتبدلت فيه المعايير، وانقلبت الموازين، وانتكست القلوب، فصار الولاء والحب لأعداء الله عز وجل، ووضع كثير من المسلمين أيديهم في أيدي الكفار، ومنحوهم غاية الحب والمودة والمناصرة والمولاة، ودافعوا عنهم وعن مناهجهم وأفكارهم وقوانينهم".(1)

ولإلقاء بعض الضوء على هذه القضية الخطيرة، لا بد من تعريف الولاء والبراء لغةً واصطلاحاً، ثم تبيين ارتباطها الوثيق بأصل العقيدة، ثم ذكر بعض المسائل التي لا تناقض هذه العقيدة.

1- تعريف الولاء لغةً واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الولاء لغةً:

جاء في لسان العرب: الموالاة – كما قال ابن الأعرابي –: أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه. ووالى فلان فلاناً: إذا أحبه. والمولى: اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو: الرب، والمالك، والسيد والمنعم، والمعتق، والناصر، والمحب، والتابع، والجار، وابن العم، والحليف، والعقيد، والصهر، والعبد، والمعتق، والمنعم عليه. ويلاحظ في هذه المعاني أنها تقوم على النصرة والمحبة.(2)

ثانياً: اصطلاحاً:

الولاء أو الولاية هي: النصرة والمحبة والمعاونة والتقرب وإظهار الود للمؤمنين. قال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَات ﴾. (البقرة : 275).

---

(1) حقيقة التوحيد، ص: 92.

(2) انظر: لسان العرب لابن منظور، 3/985-986.

فموالاة المؤمنين تكون بمحبتهم وإكرامهم ونصرتهم من الظلم، واحترامهم وإظهار الود لهم والسلام عليهم.

يقول الدكتور محمد نعيم ياسين: " إن الموالاة تعنى: التقرب وإظهار الود بالأفعال والأقوال والنوايا لمن يتخذه الإنسان ولياً؛ فإن قصد بهذا الله ورسوله والمؤمنين، فهي الولاية الشرعية والواجبة على كل مسلم".(1)

2- تعريف البراء لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف البراء لغةً:

جاء في لسان العرب: بَرِئ إذا تخلص، وبَرِئ إذا تنزه وتباعد، وبَرِئ إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿ **بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ (التوبة:1)، أي: إعذار وإنذار.(2)

ثانياً: تعريف البراء اصطلاحاً:

هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار لغير المؤمنين.(3)

وبالجملة، فإن الولاء أصله الحب، والبراء أصله البغض، ومفهوم الولاء والبراء يمثل صورة عملية من صور التطبيق الواقعي لعقيدة الإيمان والتوحيد، فلا يصح للمؤمن دين إلا بموالاة أهل التوحيد، ومعاداة أهل الضلال وبغضهم والبراءة منهم.(4)

قال سيد قطب في الظلال:" والقضية التي نختلف عليها مع غيرنا هي قضية الإيمان بهذا الدين، فمن آمن أحببناه وواليناه، ومن كفر وفسق أبغضناه وعاديناه".(5)

3- أدلة ارتباط عقيدة الولاء والبراء بالإيمان والتوحيد:

قضية الولاء والبراء وثيقة الصلة بأصل الإيمان والتوحيد، بل هي ناقض من نواقضه كما قرر هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله – إذ قال: "الثامن – أي الناقض الثامن من

(1) كتاب الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه: محمد نعيم ياسين – دار عمر بن الخطاب – مصر – بدون بيانات. ص: 109.
(2) انظر: لسان العرب، 33/1.
(3) انظر: حقيقة التوحيد، ص: 91.
(4) الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف: محمد بن سعيد القحطاني – دار طيبة – السعودية – الطبعة الأولى. بدون سنة، ص: 90.
(5) في ظلال القرآن، 758/6.

نواقض الإيمان – مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قول الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (المائدة:51).[1]

والولاء والبراء شرط من شروط الإيمان، كما قال سبحانه: ﴿ **تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ الله عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَـكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ (المائدة:83-84).

يعلق ابن تيمية على هذه الآية فيقول: " فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وُجد الشرط، وُجد المشروط بحرف (لو) التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فقال: ﴿ **وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء** ﴾ فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه".[2]

والولاء والبراء أوثق عرى الإيمان، كما قال النبي ﷺ : "**إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ**"[3]. وقد كان ﷺ يبايع أصحابه –رضي الله عنهم– على تحقيق هذا الأصل العظيم، فعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو يبايع، فقلت: يا رسول الله ابسط يدك حتى أبايعك واشترط عليَّ فأنت أعلم، قال: " **أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُنَاصِحَ الْمُسْلِمِينَ، وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ**".[4]

فالولاء للمؤمنين يكون بمحبتهم لإيمانهم، ونصرتهم، والنصح لهم، والدعاء لهم، والسلام عليهم، وزيارة مريضهم، وتشييع ميتهم، وإعانتهم، والرحمة بهم، وغير ذلك من حقوق المؤمن على أخيه المؤمن من العوامل التي تزيد من رابطة المؤمن بأخيه.

---

(1) انظر: دروس في شرح نواقض الإسلام: صالح الفوزان – مكتبة الرشد – السعودية – الطبعة الثالثة – 1425 هـ، ص: 2.

(2) مجموع الفتاوى، 17/7.

(3) رواه أحمد – مسند البراء بن عازب – 488/30 – 18524، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم(536).

(4) رواه النسائي – كتاب البيعة – البيعة على فراق المشرك – 148/7 – رقم/ 4177، والحديث صححه الألباني في سلسة الأحاديث الصحيحة، 230/2، برقم(63).

والبراءة من الكفار تكون ببغضهم – ديناً – ومفارقتهم، وعدم الركون إليهم، أو الإعجاب بهم، والحذر من التشبه بهم، وتحقيق مخالفتهم شرعاً، وجهادهم بالمال واللسان والسنان، ونحو ذلك من مقتضيات العداوة والبغض في الله تعالى.

4- استثناءات لا تنقض أصل البراء:

أولاً: اللين عند عرض الدعوة:

لا تعني البراءة من الكافرين حجب دعوة الإسلام عنهم وتركهم فيما هم فيه من ضلال وكفر، بل يحتم الإسلام على أهله دعوة الناس إلى الخير بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والحرص على هدايتهم، والرغبة الأكيدة في تحولهم إلى الإسلام، وإنقاذهم من غياهب الكفر والفسق. لذا أمر الله سبحانه النبي ﷺ – ومن بعده أمته – أن تدعوا الآخرين بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

قال تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ (النحل: 125).

ولقد أرسل الله الأعلى رسوله موسى عليه السلام إلى من قال: ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى** ﴾ (النازعات: 24)، وأمره أن يعامله بالحكمة والحسنى، ويقول له قولاً ليناً، فقال له: ﴿ **فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى** ﴾ (طه: 44)، شفقة عليه من الكفر ومن جهنم التي ﴿ **لَا يَمُوتُ فِيها وَلا يَحْيي** ﴾ (طه: 74).

ثانياً: حِلُّ الزواج بالكتابية وأكل ذبيحة الكتابي:

بالرغم أن الكتابي – يهودياً كان أو نصرانياً – ممن حكم الله عليهم بالكفر والخلود في النار إن بلغه الإسلام. فقال : ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْواهُ النَّارُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ** ﴾ (طه: 72).

لكنَّ الله سمَّاهم أهل الكتاب مع مقالتهم الخبيثة هذه، وأباح الله للمسلم أن يأكل مما ذبحه الكتابي، وأن يتزوج المرأة الكتابية، وهذا مجمع عليه بين المسلمين.[1]

(1) حقيقة التوحيد، ص: 116.

قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وَطَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَالْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدانٍ ﴾ (المائدة:5).

ثالثاً: الإحسان والبر إلى غير المحاربين منهم:

وهذا لا ينقض أصل البراءة من الكافرين والمشركين، ودليله قول الله تعالى: ﴿ لَا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة:8).

فيجوز عيادة مريضهم، وقبول هداياهم، والإهداء إليهم، والدعاء لهم بالهداية.

فلقد دعا النبي ﷺ لطوائف كثيرة من الكفار والمشركين ليهديهم الله، فدعا لأم أبي هريرة ﷺ لما كانت على الكفر، فقال ﷺ: " **اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ** ".[1]

ولا يخفى ما للإحسان من عمل في نفوس المدعوين، فما كان الرفق واللين في دعوة إلا آتت ثمارها زكية وافرة، وما كانت الغلظة والشدة في دعوة إلا نفرت منها القلوب، وانفض عنها المدعوون.

---

(1) رواه مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ﷺ– 1938/4– رقم (2491).

المطلب الثاني
عقيدة النحوي في الولاء والبراء

تعتبر عقيدة الولاء والبراء من أعظم خصائص الإيمان والعقيدة، إذ العقيدة والعبادة ترتكز على الحب والميل والنصرة والتأييد، وكل هذه المعاني وغيرها يطالها الولاء بين المؤمنين. كما أن هذه العقيدة هي من أخص حقوق الأخوة الصادقة؛ يتألم المسلم لألم أخيه المسلم، ويفرح لفرحه، ينصره على من ظلمه، يعادي من يبغضه ويعاديه. وبهذه العقيدة يعيش المؤمن في كنف عقيدة صافية لا دَخَنَ فيها ولا تأثير خارجي عليها، تحميها أخوة صادقة حانية، توجه وتؤيد وتساند وتنصر، فترى المؤمنين كالبنيان المرصوص يقوي بعضه بعضاً، فإن فرقتهم القبائل والبلدان، جمعهم الإسلام وآيات القرآن.

والمتتبع لكتابات النحوي – رحمه الله تعالى– في قضية الولاء والبراء يراه حاسماً في الرأي، صافياً في العقيدة، راسخاً في الفهم، محيطاً بالنصوص. ولإثبات ذلك يرى الباحث تقسيم الحديث عن عقيدة النحوي في الولاء والبراء إلى النقاط التالية:

أولاً: ارتباط الولاء والبراء بالعقيدة:

يعتبر النحوي أن الولاء للمؤمنين دليل على التوحيد الصافي والعقيدة الصلبة، فهو ولاء ومحبة للمؤمنين نابع من الولاء لله وحبه وخشيته.

يقول – رحمه الله: "إن أهم مظاهر التوحيد في الممارسة الإيمانية هو الولاء، حين تتجه النية والعزيمة والحب في كل عمل ابن آدم، وكل ولاء في الدنيا يجب أن ينبع من الولاء لله رب العالمين ويرتبط به وينطلق معه؛ فمن هذا الولاء الصافي الصادق لله يقوم الولاء بين المؤمنين حتى يظل ولاء ربانياً لا يتحول هنا أو هناك إلى عصبية جاهلية تصطدم مع حقيقة التوحيد".[1]

قال النبي ﷺ: "**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ**".[2]

(1) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 69-70.

(2) رواه أبو داود – كِتَاب الْجِهَادِ – بَابٌ فِي السَّرِيَّةِ تَرُدُّ عَلَى أَهْلِ الْعَسْكَرِ– 80/3 – رقم/ 2751. قال الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: حديث حسن صحيح، رقم/ 6712.

فالولاء من خصائص التوحيد ومرتبط به، فلا يكتمل إيمان عبد حتى يوالي المؤمنين ويعادي أهل الكتاب والكافرين، لذا يقول النحوي: " وتحرم الموالاة والولاء بين المسلم وبين أهل الكتاب والكافرين ويحرم كل ما يتبع الولاء والموالاة؛ ذلك لأن الولاء من خصائص الإيمان والتوحيد، ولذلك فإن الولاء يمثل علاقة منهجية ممتدة امتداد العمر والحياة".[1]

يقول محمد إسماعيل المقدم[2] :" حقيقة هذه الكلمة (لا إله إلا الله) مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به ظاهراً وباطناً، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وتنال الالتزام بهذا كله وتنال هذا التوحيد بالحب في الله، والبغض في الله، والعطاء لله، والمنع لله. هذه الكلمة بكل مفاهيمها ومقتضياتها – أو بجل ذلك– قد غابت عن حس الناس اليوم إلا من رحم الله، ومن هذه المفاهيم الأساسية التي ترتبط بهذه الكلمة: مفهوم الولاء والبراء".[3]

والولاء لله ولدينه – إن صح – صح بعده كل ولاء، وارتبطت ما بعده من الولاءات به، وصح تبعاً له ولاء المسلم لأهله وجيرانه وإخوانه ووطنه.

يقول النحوي – رحمه الله: "فإذا صدق ولاء العبد المخلوق لربه وخالقه إيماناً وعلماً وممارسةً، صدق بعد ذلك العبد المؤمن في كل ولاء دنيوي ينتج عن ممارسته الإيمانية، مع أهله ورحمه، مع والديه، مع جيرانه، مع إخوانه المؤمنين، ليظل الولاء في ساحة الإيمان لا يخرج عنها".[4]

ثانياً: الفرق بين الولاء والبر والقسط:

قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(الممتحنة:8).

---

(1) الولاء بين منهاج الله والواقع، ص: 20.

(2) محمد إسماعيل المقدم من مواليد الإسكندرية سنة (1952م)، ومؤسس الدعوة السلفية بها، وهو طبيب حاصل على بكالوريوس الطب والجراحة، ومن مشايخ الدعوة السلفية بمصر والعالم الإسلامي. له العديد من المؤلفات بالإضافة إلى المحاضرات المسموعة والمصورة. انظر: محمد إسماعيل المقدم، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، 2015/11/26م، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D.

(3) عقيدة الولاء والبراء: محمد أحمد إسماعيل المقدم – دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية – http://www.islamweb.net، ص: 3.

(4) الولاء بين منهاج الله والواقع، ص: 20.

" أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم، والقسط إليهم، والعدل فيهم بالإحسان والبر، إن الله يحب المقسطين، قال ابن عباس ﷺ: نزلت في خزاعة كانوا قد صالحوا النبي ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً، فرخص الله في برهم".(1)

فالله سبحانه لم يقطع علاقة المؤمن مع جميع من حوله من الكفار؛ فهو بحاجة أن يتعامل معهم ويشتري ويبيع ويتاجر، ويحتاج إلى أن يصل رحمه منهم، ويدعوهم إلى الإيمان. لذا أحل الله بر الكفار والقسط والعدل معهم بشرط ألا يكونوا محاربين أو لأرض المؤمنين مغتصبين.

يقول النحوي في شرط البر والقسط: " إن أهم ما يجب إبرازه هنا هو أن الإسلام يأمر بالعدل والقسط مع الناس كافة على أساس ميزان رباني حق يبين أسس العدل والقسط والبر. هذا العدل والقسط مع الناس كافة، والبر مع الذين لا يقاتلون المسلمين ولا يخرجونهم من ديارهم. هذا العدل والقسط والبر لا يتعارض مع الولاء الخاص بين المسلم والمسلم".(2)

ويحذر – رحمه الله – من سوء فهم آية الممتحنة السابقة في اتخاذها ذريعة للانخراط الكامل قلباً وقالباً مع من حادَّ الله ﷻ ورسوله ﷺ.

يقول – رحمه الله:" يقول الله تعالى: ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ (الممتحنة:8). يذهب بعض الناس إلى تعميم حكم الآية على جميع غير المسلمين، ولو قاتلوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم، آخذين بجزء من الآية : (**أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**)، ويذهبون كذلك إلى الخلط بين البرّ والقسط الذي هو واجب المسلمين مع الناس الذين لم يقاتلوهم، وبين الولاء والموالاة، والمشاركة في حياة المشركين والكافرين ومظاهرها التي يحرّمها الإسلام. لقد حوّلوا البرِّ والقسط إلى ولاء وموالاة، وسبب ذلك هوان وهوى، وضعف وخلل".(3)

ثالثاً: صور الانحراف عن عقيدة الولاء والبراء:

يعدد النحوي صور الانحراف عن الولاء والبراء الكثيرة، والتي منها القديمة والجديدة، والتي انتشرت في الأرض اليوم، حتى أخلص أتباعها لها الولاء، وانحرفوا عن الولاء لرب السماء، وسيد الأنبياء ﷺ.

---

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): الحسين بن مسعود البغوي – تحقيق: عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي – لبنان – الطبعة الأولى – 1420هـ، 71/5.

(2) الولاء بين منهاج الله والواقع، ص: 97.

(3) أمثلة ونماذج من الانحراف أو الخطأ في فهم كتاب الله وتدبره، عدنان النحوي، 2015/10/20م، http://al-oglaa.com/index.php?section=article&SubjectID=755

فمن صور الانحراف عن الولاء والبراء بالنسبة للنحوي:

1- اتخاذ الأنداد من دون الله:

قال –رحمه الله:" نهى الله نهياً قاطعاً أن يتخذ الناس أولياء من دون الله، يخصونهم بالحب والطاعة مما لا يجوز إلا لله وحده، قال تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ (العنكبوت:41)، فلا يجوز أن يتخذ الناس أولياء من دون الله أبداً، ولو كان ذلك تقرباً إلى الله زلفى حسب ما يظنون، فهذا التقرب لله باطل مردود، وأهله كافرون كذابون".[1]

2- الولاء للعائلة أو الأرض أو الأعداء:

يجمل النحوي صور الانحراف عن الولاء الحق من خلال الولاء للعائلة، أو الأرض، والمصلحة والأعداء من اليهود والنصارى من أجل عرض دنيوي فانٍ، أو سوء فهم جانٍ.

يقول – رحمه الله:" ولقد اضطرب الولاء في القلوب اضطراباً كبيراً، وأقام بعضهم أوثاناً شتى يعطونها من الولاء ما لا يعطونه لله، فمنهم من أصبح ولاؤه الأول لعائلته أو أرحامه، ومنهم من جعل ولاءه الأول لأرضه ووطنه، أو مصالحه وشهواته، ومنهم من والى عدواً لله، ومنهم من والى اليهود والنصارى الذين يفسدون في الأرض ويحاربون الله ورسوله ﷺ ولا يؤمنون بما أنزل على محمد ﷺ".[2]

ويذكر النحوي شؤم تلك الولاءات المنحرفة بقوله: " أصبحت العائلية تأخذ روابط غير روابط الإيمان، وأصبحت الوطنية تحتل منزلة معزولة عن الإيمان والتوحيد، ومنهاج الله وقواعده، وأصبحت الإقليمية والحزبية والقومية تأخذ الولاء الأعلى والأولى، وقامت نماذج شتى من الأوثان، كل ذلك كان يمضي أحياناً كثيرة تحت شعارات الإسلام دون أن تجد الشعارات رصيدها في الواقع".[3]

وهذا الذي حذرنا منه ربنا سبحانه وتعالى منذ أن نزل القرآن، إذ أن العصبية الجاهلية، والحمية العائلية والعرقية كانت منتشرة بين القوم، فالأوس والخزرج دامت بينهما حروب طاحنة وطويلة، وحب الأهل والوطن طغى على الحب الأكبر الذي يضبط كل حب وولاء، وحب المال والتجارة والأولاد والإخوان قد أثَّر على الولاء بين المؤمنين وخالقهم ورسولهم وإخوانهم.

---

(1) الولاء بين منهاج الله والواقع، ص: 27-28.

(2) الصحوة الإسلامية، إلى أين؟ ص: 88.

(3) بناء الأمة المسلمة الواحدة، ص: 36.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ ﴾ (التوبة:24).

يقول الرازي في تفسيره لهذه الآية :" إن جماعة من المؤمنين قالوا يا رسول الله، كيف يمكن البراءة منهم بالكلية؟ وإن هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا وإخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا، وهلاك أموالنا وخراب ديارنا، وإبقاءنا ضائعين، فبين تعالى أنه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليماً. وذكر أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله، فتربصوا بما تحبون حتى يأتي الله بأمره، أي بعقوبة عاجلة أو آجلة، والمقصود منه الوعيد".[1]

رابعاً: شُبُهات حول عقيدة الولاء والبراء:

لم يألُ أعداء الإسلام جهداً في تشكيك المسلمين في عقيدتهم، والقدح في ثوابتهم، ابتغاء صدهم عن دينهم، وإبعادهم عن مصدر عزهم، فأثاروا الشبهات حول كثير من عقائد المسلمين، ومن جملتها عقيدة الولاء والبراء[2] ومن ذلك:

1- الشبهة الأولى:

إن المسلم عدو حاقد محارب للبشرية جمعاء، لا يحب الآخرين ولا يحترمهم، ولا يعترف بهم وبدينهم، عنصري بولائه للمؤمنين فحسب، وبغضه لمن خالفه في العقيدة.

والحق أنه لو بحثت في جميع الشرائع والدساتير والقوانين الوضعية، لن تجد أرق وأرحم من المسلم على أخيه الإنسان، حتى ولو كان كافراً بالله سبحانه، فموت الكافر يسيء المسلم بأن نفساً فلتت منه إلى النار، وهو يرى الناس في غيهم فيشفق عليه لتساقطهم في نار الله الموقدة. فلقد تحسر النبي ﷺ أسفاً على رفض العرب لدعوة الإسلام، واقتحموا بجهلهم الكفر والعناد.

قال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً ﴾ (الكهف:6).

---

(1) مفاتيح الغيب(التفسير الكبير للرازي): محمد بن عمر بن الحسن الرازي– دار إحياء التراث العربي – لبنان – الطبعة الثالثة – 1420هـ، 17/16.

(2) لمزيد من هذه الشبه، انظر المقالة الرائعة، الشبهات المتعلقة بعقيدة الولاء والبراء، للوليد بن عبد الرحمن آل فريان، 2015/26،11م، http://www.alukah.net/sharia/0/37804/.

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ غُلاَمٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: " **أَسْلِمْ** "، **فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: " الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**".[1]

يقول النحوي – رحمه الله:" إن المسلم ليس عدواً للإنسان، إنه هو الحب الصادق الوفي لأخيه الإنسان، ينطلق من الرحمة والرأفة والعدل والقسط مع الناس كافة، لينشر الخير بالإيمان والتوحيد، فإن مُنِعَ من ذلك شقَّ طريقه بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن أبوا إلا القتال والعدوان والظلم جاهدهم من أجل إيصال رسالة الله وأمانته، فقد بعث الله الأنبياء والرسل وختمهم بمحمد ﷺ ليجففوا منابع الكفر والشرك في الأرض ومنابع الفتنة والفساد والصد عن سبيل الله، فهو ينظر فيرى الكافرين يتهاوون في النار وعذاب جهنم فينهض لينقذهم منها، فهو يحمل بنهوضه هذا أسمى وأرق شعور وأعظم وفاء وأكرم بذل، وإن لم يقم بهذا فقد قصَّر في حقهم".[2]

إن الأصل في علاقة المسلم بغيره علاقة مسالمة واحترام، لكن المسلم إن رأى أخاه الإنسان وقد أصابه علة الكفر التي تودي به إلى النار عالجه – ولو بكي النار – رحمة به وشفقة عليه من النار الكبرى، فما أمر طعم الدواء، وما أحلى نعمة العافية بعده.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله – تحت عنوان" الباعث على الحرب في الإسلام": "النبي ﷺ قاتل لأمرين: الأمر الأول: دفع الاعتداء ... والأمر الثاني: تأمين الدعوة الإسلامية، لأنها دعوة الحق".[3]

ويقول النحوي:" تمضي الدعوة في أطيب الأساليب وأحسنها حتى تجد الدعوة نفسها مضطرة لخوض القتال العسكري، فيكون القتال هو أفضل أساليب الإقناع عندئذ مستكملاً جميع شروطه الإيمانية، فالقتال يعتبر مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية لها شروطها وخصائصها المفصلة في منهاج الله. فالقتال في الإسلام هو في سبيل الله، هو جهاد من أجل الحق والخير والصلاح، صلاح الإنسان في الدنيا والآخرة، إنه أشرف عمل يقوم به إنسان من أجل الدعوة إلى الله، ومن أجل الإيمان والتوحيد".[4]

---

(1) صحيح البخاري – كِتَابُ الجَنَائِزِ – بابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ – 93/2 – رقم/ 1356.

(2) الولاء بين منهاج الله والواقع، ص: 119-122.

(3) العلاقات الدولية في الإسلام: محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي– مصر – 1415هـ – 1995م، ص: 92.

(4) قبسات من الكتاب والسنة(تدبر وظلال)، 86/2-87.

قال المحدث العلامة الألباني – رحمه الله:" اعلم أن الجهاد على قسمين: الأول: فرض عين، وهو صد العدو المهاجم لبعض بلاد المسلمين كاليهود الآن الذين احتلوا فلسطين، فالمسلمون جميعا آثمون حتى يخرجوهم منها. والآخر: فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وهو الجهاد في سبيل الله لنقل الدعوة الإسلامية إلى سائر البلاد حتى يحكمها الإسلام فمن استسلم من أهلها فبها، ومن وقف في طريقها قوتل حتى تكون كلمة الله هي العليا فهذا الجهاد ماض إلى يوم القيامة فضلاً عن الأول".(1)

2- الشبهة الثانية:

وهي أن الواقع أثبت أن الكفار قد أحسنوا إلى المسلمين كثيراً من خلال تقديم المساعدات وإيواء المهجرين، ودعم المشاريع، لذا فإن الولاء بمفهومه الشرعي صعب التطبيق اليوم، وخصوصاً في ظل تشابك المصالح بين المسلمين وغيرهم من الكفار.

يرد النحوي على هذه الشبهة مقرراً أن هذا المفهوم ما جاء في القلوب والعقول إلا لسوء فهم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا يصح أن يحصر مفهوم الولاء والبراء في الأمور الدنيوية فقط.

يقول – رحمه الله: "لا يجب أن ينحصر الولاء في المصالح الدنيوية، والمحنة التي يعيشها المسلمون اليوم – فهي طارئة عليهم لا أصل فيهم– لا تعني التحلل من شروط الإيمان والتوحيد التي منها الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين. لذا يبرز هنا واجب الدعوة الإسلامية أن تربي الأجيال المسلمة على التصور الحق للولاء الأول لله والعهد الأول مع الله، والحب الأكبر لله ورسوله، فما أتت هذه الشبهة في العقول، وتربعت في القلوب، إلا لضعف معرفة منهج الله ورسوله ﷺ في الولاء والبراء".(2)

وما أعطي الأجرُ إلا على قصد العبد ونيته؛ فالأعمال بالنيات ومن لا يحتسب فالأجر لا يكتسب، وإذا خلى العمل من طلب رضا الله وابتغاء ثوابه، حل محله طلب شهرة أو حمية أو رحمة مبتورة الصلة عن الإيمان.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: **يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَقْرِي الضَّيْفَ، وَيَفُكُّ الْعَانِيَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُحْسِنُ الْجِوَارَ، فَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ، فَهَلْ**

(1) تخريج العقيدة الطحاوية: أحمد بن محمد بن سلامة المعروف بالطحاوي – شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – لبنان – الطبعة: الثانية – 1414هـ، ص: 71.

(2) الولاء بين منهاج الله والواقع، ص: 130-133.

يَنْفَعُهُ ذَلِكَ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَا، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا قَطُّ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي يَوْمَ الدِّينِ".[1]

قال تعالى : ﴿ **وَقَدِمْنا إِلى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً** ﴾(الفرقان:23).

يقول سيد قطب – رحمه الله تعالى – معلقاً على الآية:" ذلك أنه لم يقم على الإيمان، الذي يصل القلب بالله، والذي يجعل العمل الصالح منهجاً مرسوماً وأصلاً قاصداً، فلا قيمة لعمل مفرد لا يتصل بمنهج. إن وجود الإنسان وحياته وعمله في نظرة الإسلام موصولة كلها بأصل هذا الكون، وبالناموس الذي يحكمه، والذي يصله كله بالله، بما فيه الإنسان وما يصدر عنه من نشاط. فإذا انفصل الإنسان بحياته عن المحور الرئيسي الذي يربطه ويربط الكون، فإنه يصبح لقى ضائعاً لا وزن له ولا قيمة، ولا تقدير لعمله ولا حساب، بل لا وجود لهذا العمل ولا بقاء".[2]

ثم إن الكافرين بدعمهم للمسلمين إنما يعطونهم فتات ما سرقوه من بلاد الإسلام العظيم، وتجارة البترول والغاز والمناجم الأرضية والفحم والمعادن في كثير من بلاد المسلمين، وشراؤها بأبخس الأثمان، دليل على نهب الثروات، وسرقة الخيرات، ثم يرزح الشعب الفقير تحت أنياب الفقر والعوز، وينعم الكفار في بلادهم بعيش رغيد، ووفرة في المنتجات، ورخص في السلع، ثم إذا أتخمت البطون من الشبع واشرأبت أعناق الفقراء، رموا لهم ما يسد رمقهم ويذهب بعض غيظهم. فأين الإحسان إذاً؟ وأين شفقة القوم على المسلمين؟

---

(1) رواه الإمام أحمد في المسند – مسند الصديقة عائشة – 381/41 – رقم / 24891، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم/ 249.

(2) في ظلال القرآن، ص: 5/ 2558.



الفصل الثالث

منهج النحوي في إصلاح الفرد والحركات الإسلامية والأمة الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج النحوي في إصلاح الفرد.

المبحث الثاني: منهج النحوي في إصلاح عمل الحركات الإسلامية.

المبحث الثالث: منهج النحوي في إصلاح الأمة الإسلامية.



المبحث الأول
منهج النحوي في إصلاح الفرد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بناء الفرد فكرياً.

المطلب الثاني: فهم الفرد للواقع.

المطلب الأول
بناء الفرد فكرياً

الفرد المسلم هو اللبنة التي تصفف بأختها ليبنى بناء الإسلام العظيم، فإذا فسدت هذه اللبنة فإنها تضعف من قوة هذا البناء، وكلما زادت اللبنات الهشة الضعيفة زاد ترنح البناء حتى إذا تكاثرت وتقاربت انهار. لذا فإن الاهتمام ببناء الفرد المسلم هو من أولى مسؤوليات الدعاة في هذا العصر، حيث تكاثرت عليه الأفكار الغربية والشرقية الغريبة عن ثقافته ودينه. لا بد من تحصين هذه اللبنة من مفاسد هذا العصر الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، ولا بد من إقامة ما يمكن تسميته "الأمن الفكري" للأفراد، حتى لا نرى من يتبنى الفكر الضال المخالف لفكر محمد ﷺ، ويحسب بذلك أنه قد أحسن صنعاً، ويحسب أنه على الحق المبين. فتربية الجيل على هذه الأسس من أهم ما يجب الاهتمام به الآن.

وتربية المؤمن هي: تنمية فكر الإنسان، وتنظيم سلوكه، وعواطفه، على أساس الدين الإسلامي، وبقصد تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة، أي في كل مجالات الحياة. فهي عملية تتعلق قبل كل شيء بتهيئة عقل الإنسان، وفكره وتصوراته عن الكون والحياة، وعن دوره وعلاقته بهذه الدنيا.

ولا عجب أن يهتم الإسلام بالتربية كل هذا الاهتمام لأن هدفها " بلوغ الكمال الإنساني وتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، وتنشئة الإنسان الذي يعبد الله ويخشاه، وتقوية الروابط الإسلامية بين المسلمين ودعم تضامنهم الإسلامي وخدمة قضاياهم، وتربية الإنسان لبلوغ الفضيلة وكمال النفس عن طريق العلم بالله عز وجل، وتربية فطرة المسلم على الإيمان الصحيح وخشية الله وعبادته، وإيجاد الفرد المسلم السليم العقيدة المؤمن بربه، الممارس لعبادته، وتربية المواطن الصالح المتفاعل مع بيئته الاجتماعية الذي يقدر المسئولية، وتنمية الفرد من جميع جوانبه جسميًا وروحيًا وانفعاليًا واجتماعيًا".[1]

واستقراءً لكتابات النحوي الكثيرة، يمكن حصر منهجه في إصلاح الفرد المسلم تحت العناصر الآتية:

1- تذكير الإنسان بالعهد:

العهد الذي أخذه الله على الناس أجمعين – المؤمنين والكافرين- وهم في عالم الذر ألا يشركوا به شيئاً، عهد متجدد إلى قيام الساعة، عهد يحصن الإنسان من أن ينحرف في غياهب الأفكار والأوزار.

---

(1) التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها: عاطف السيد- بدون بيانات، ص: 22.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (الأعراف:172-173).

يقول النحوي- رحمه الله- معلقاً على الآية :" إنه العهد بين الخلق كلهم، وهم في عالم الذر، مع ربهم وخالقهم، إنه عهد الإيمان والتوحيد، إنه عهد الإقرار بالربوبية المطلقة لله، وعبودية الإنسان المطلقة بين يدي ربه وخالقه ومولاه، إنه العهد الممتد إلى قيام الساعة، إنه العهد الذي لا يقبل عذر لنقضه أبداً".[1]

وقال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: " قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في الآية فجمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صورهم، ثم استنطقهم فتكلموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا: بلى قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا. اعلموا أنه لا إله غيري، ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئاً. وإني سأرسل إليكم رسلاً لينذروكم عهدي وميثاقي، وأنزل على الرسل منكم كتبي، قالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك، فأقروا له يومئذ بالطاعة".[2]

نعم، أرسل الله الرسل عليهم السلام ليذكروا الناس بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم بين يدي الله بألا يشركوا به شيئاً، عهد مستمر إلى يوم القيامة يقوم به الدعاة نيابة عن الرسل أجمعين.

لذا يقرر النحوي استمرارية هذا العهد وامتداد التذكير به إلى يوم القيامة : إنه العهد مع آدم عليه السلام ليبلغه إلى ولده، وليكون محور عهد الإنسان في الأرض، إنه الإيمان والتوحيد بكل شروطه وأسسه، إنه عهد اتباع منهاج الله وهداه في مسيرة الإنسان في الحياة الدنيا. هذا العهد يمتد من آدم عليه السلام إلى ذريته حتى قيام الساعة، وكل نبي يأتي ليؤكد ويذكر بهذا العهد، حتى يسير الفرد دائماً على نهج واضح وطريق ممتد فلا يضل ولا ينحرف، وليبقى محافظاً على العهد الذي قطعه على نفسه.[3]

---

(1) لقاء المؤمنين (الأهداف)، 1/ 134.

(2) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): إسماعيل بن عمر بن كثير - تحقيق: محمد حسين شمس الدين - دار الكتب العلمية - لبنان - الطبعة الأولى - 1419هـ، 455/3.

(3) انظر: العهد والبيعة وواقعنا المعاصر، ص: 19.

فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الذي أخذ عليك المواثيق والعهود ألا تشرك بالله لتسير على طريق بينة إن سلكتها فلا خوف عليك ولا تحزن، طريق فيه الحياة الطيبة في الدنيا والنعيم والرضوان يوم تلقى من عاهدت سبحانه.

قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ (النحل: 97).

2- إصلاح عقيدة الفرد:

الإنسان متدين بطبعه، ولا يمكن أن يعيش بدون معتقد حتى ولو كان معتقداً تستخفه العقول، وتمجه الفطر السليمة، لكنه يشعر ببعض الرضا في ممارسة شعائر دينه، لذا فإن تصحيح عقيدة الفرد من أهم الأولويات التي ينبغي السعي لها.

يقول الدكتور عدنان النحوي: "إن قضية الإيمان قضية الإنسان، حيثما كان، وفي أي مستوى وجد فيه، وفي أي عصر، ومن أي جنس، إنها قضية العالم والجاهل، الكيِّس والبليد، العربي والأعجمي، الأسود والأبيض... وباستعراض تاريخ الإنسان نستطيع أن نخرج بحقيقة واضحة، وهي أن الإنسان في جميع عصوره كان يتخذ إلهًا يعبده".(1)

ويقول: "إنها القضية الأولى في حياة الإنسان، شغلته في جميع العصور بين إيمان ويقين، وبين انحراف وكفر وفجور، وما زالت آثار الإنسان تشهد على ذلك في قبوره ومعابده وفي مختلف مواقعه على امتداد الأرض وامتداد التاريخ".(2)

وإذا اضطربت العقيدة أو فسدت، فإنه سيحيا حياة فساد وظلم، وستطغى على حياة الإنسان الحياة المادية، فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.

يقول النحوي- رحمه الله:" التوحيد هو أساس صلاح حياة الإنسان في الحياة الدنيا، وهي سبيل نجاته في الدنيا والآخرة، ولذلك كانت القضية التي تقرر مصير الإنسان في الدارين. فإذا انعزلت أعمال الإنسان عن التوحيد، أو غابت في ظلام الشرك، فسدت النية وفسدت الفطرة واختل توازن القوى العاملة فيها، وتوازن الميول، وانقطع الري عنها، وبرزت الحياة المادية بكل وحولها وفسادها وفتنتها، فلسفة وفكراً وتصوراً وعاطفة، فترى الإنسان فاسداً مفسداً في الأرض".(3)

(1) التوحيد وواقعنا المعاصر، ص: 23.

(2) الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، ص: 49.

(3) المصدر السابق، ص: 56-57.

وهي القضية التي تعطي التصور الحق للحياة والكون، وتمنع الإنسان من الانحراف بأنواعه: " فقضية الإيمان والتوحيد هي القضية الوحيدة لدى الإنسان التي تقدم التصور الكامل المتناسق للكون كله، للحياة والموت وما بعد الموت. فهي بذلك التصور الوحيد الذي يستطيع أن يتصدى لجميع تصورات الوثنية والشرك، والتصورات المطروحة التي زينتها قوى الضلال في الأرض، ابتداءً من الفلسفة اليونانية ومذاهبها إلى الفلسفة الأوروبية والغربية والشرقية التي انطلقت من الوثنية ومضت معها".(1)

"فمن آثار العقيدة الإسلامية في حياة الأفراد: إخلاص العبودية لله تعالى، وتحرير الإنسان من الأوهام والخرافات، وتحريره من الظلم والجشع والأنانية، وتكسبه روح الانضباط والمسؤولية والاستقامة، وتغرس فيه روح التضحية والبذل والعطاء، وتحقق له السعادة والطمأنينة".(2)

3- محاسبة النفس:

محاسبة النفس دأب الصالحين، وسمة عباد الله المتقين، حَاسَبوا أنفسهم لأنهم سيحاسبون يوماً ما، فوطنوا أنفسهم قبل الحساب الحقيقي، فلم يسرف على النفس بالمعاصي، وتخفف بمحاسبته المستمرة لنفسه من ذنوبه وآثامه.

يقول النحوي-رحمه الله: " من قواعد الإسلام وحسن الإيمان أن يحاسب المسلم نفسه بصورة دورية أو بصورة يومية على أسس منهجية ربانية، ليتوب من أخطائه وآثامه من ناحية، وليذكر نفسه بما قد يكون أنسيه من واجباته ومسؤولياته، أو من أسس فكرية غابت عنه، حتى يظل إسلامه وإيمانه متجدداً مشرقاً، وليظل على صراط مستقيم ماضياً إلى الهدف الأكبر والأسمى: الدار الآخرة والجنة ورضوان الله".(3)

يقول ابن القيم-رحمه الله - في إغاثة اللهفان:" وترك المحاسبة والاسترسال، وتسهيل الأمور وتمشيتها، فإن هذا يؤول به إلى الهلاك، وهذه حال أهل الغرور: يغمض عينيه عن العواقب، ويمُشِّى الحال، ويتكل على العفو، فيهمل محاسبة نفسه والنظر فى العاقبة. وإذا فعل ذلك سهل عليه مواقعة الذنوب، وأنس بها، وعسر عليه فطامها، ولو حضره رشده لعلم أن الحِمْيَة أسهل من الفطام وترك المألوف والمعتاد".(4)

---

(1) الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، ص: 72.

(2) شرح أصول العقيدة الإسلامية، ص: 17-20.

(3) لتكون كلمة الله هي العليا: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1430 هـ – 2009 م، ص: 43.

(4) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية – تحقيق: محمد حامد الفقي – مكتبة المعارف – السعودية – بدون سنة، ص: 83/1.

ويوجه النحوي بعض الأسئلة قائلاً: أخي المسلم: هل سألت نفسك أتؤثر الحياة الآخرة على الحياة الدنيا، فتجعل حياتك الدنيا وفاء بأمانة وعبادة، وعمارة الأرض بالإيمان كما يأمرك الله. هل تؤمن أن الموت حق وأن الساعة لا ريب فيها، وأن البعث حق والحساب حق، وأن الجنة حق والنار حق، وهل هذه حقيقة مستقرة في نفسك تضبط مسيرتك وتصلح حالك.[1]

4- التفكير الإيماني:

إن الغزو الفكري والثقافي بان أثره في سلوك كثير من المسلمين وتفكيرهم؛ فأصبحنا نرى بعض المسلمين يلبس ويأكل ويتصرف ويفكر كما يتصرف أهل الغرب إعجاباً بهم ورغبة في اللحاق بحضارتهم، فيستخدم كلماتهم ومصطلحاتهم، فإذا تكلم لا يكون كلامه معتمداً على كتاب ولا سنة، ولا تشم فيه عبق الشريعة الغراء، ولا سمت سيد الأنبياء ﷺ، مع أن ديننا الإسلامي فيه من الرقي الفكري ما لا يدانيه منهج بشري.

والنحوي – رحمه الله – يطالب المسلم أن يكون تفكيره نابعاً من القرآن والسنة ومعتمداً عليهما، محاكياً لهما، فهو يرد كل الأفكار إلى ما يسميه "التفكير الإيماني".

لذا يقول: " أخي الكريم، أيها المسلم! إن الله سبحانه وتعالى خلقنا على فطرة سليمة، ووهبنا القدرة على التفكير، فأول ما نطلبه ونوصي به هو أن نفكر، أن نفكر التفكير الإيماني، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالتفكير الإيماني على نهج إيماني ونور وهداية بآيات كثيرة".[2]

فأول ما يوصي به النحوي أن يفكر المسلم، لا أن يفكر أي تفكير، لكنه يفكر التفكير الإيماني النابع من الفطرة السليمة تدبراً لآيات الله والكون ليقوده إلى الإيمان، هذه المسؤولية الأولى الملقاة على المكلف.

قال –رحمه الله: " المسؤولية الأولى، والتكليف الأول على الإنسان أن يفكر تفكيراً منهجياً نابعاً من فطرته التي فطره الله عليها، ومتدبراً لآيات الله في نفسه وفي الكون كله، متدبراً لآيات الله البينات التي يبلغها الرسل والأنبياء الذين ختموا بمحمد ﷺ وبرسالته الكتاب والسنة كما جاءا باللغة العربية، تفكيراً يقود إلى الإيمان والتوحيد، وإلى رسالة الإسلام كما جاء بها محمد ﷺ".[3]

---

(1) انظر: لؤلؤة الإيمان فريضة طلب العلم ومسؤولية المسلم الذاتية: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1431 هـ – 2010 م، ص: 53-54.

(2) العولمة والإسلام: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1428 هـ – 2007 م، ص: 17.

(3) المسؤولية الفردية في الإسلام، ص: 99.

وكأن النحوي يقصد بالتفكير الإيماني ما يمكن تسميته عبادة التفكر في الكون وآياته ومكوناته وفي الأنفس وخلقها، ليتبين للإنسان أن الله حق، وأنه المستحق لجميع أنواع العبادة.

قال تعالى: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ (فصلت:53).

يقول السعدي في تفسيره:" فإن قلتم، أو شككتم بصحته وحقيقته، فسيقيم الله لكم، ويريكم من آياته في الآفاق، كالآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق.

﴿ **وَفِي أَنْفُسِهِمْ** ﴾ مما اشتملت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلات في المكذبين، ونصر المؤمنين".[1]

بل وصف الله سبحانه الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض بأنهم أعقل الناس، لا تزيغ عقولهم عن الحق أبداً.

وقال تعالى:﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾(آل عمران:190).

5- الربط بالآخرة:

لا يطير المؤمن إلى الدار الآخرة سريعاً غير مثقل إلا إذا تخفف من الدنيا التي تجذبه إليها، وتحمّله بأحمال تثقل كاهله من طول أمل وتسويف وحب ما فيها، فإذا تخلص منها ومن التثاقل إلى الأرض انطلق إلى دار الحيوان بدون عوائق. لذا، يجب أن يتحرر المسلم من كل ما يعيق تقدمه نحو ربه سبحانه من علائق الدنيا الفانية، كطغيان حب الزوجة والأولاد والوظيفة والتجارة بما يصده عن ذلكم التقدم.

وهذا أسلوب من أساليب التربية النبوية، فقد كان النبي ﷺ إذا رأى الصحابة الكرام رضي الله عنهم قد أعجبتهم الدنيا، وبدؤوا يفتتون بها، ربطهم بالنعيم في الآخرة حتى يتضاءل في أعينهم ما يرونه من عرض دنيوي زائل.

فعَنِ البَرَاءِ ﷺ قَالَ: أُهْدِيَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَوْبُ حَرِيرٍ، فَجَعَلْنَا نَلْمُسُهُ وَنَتَعَجَّبُ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " **أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا** " قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: " **مَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذَا**"[2]

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي - تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - 1420هـ -2000م، 752/1.

(2) صحيح البخاري- كِتَابُ اللِّبَاسِ - بَابُ مَسِّ الحَرِيرِ مِنْ غَيْرِ لُبْسٍ - 140/7 - رقم/ 5836.

وبسبب هذا البعد عن عصر النبوة، يسأل النحوي مستهجناً عن حال بعض المسلمين ممن أبدل همَّ الدنيا بهمِّ الدين فيقول:" كيف لا يضيق الوقت وهو يرى أن شؤون بيته وزوجته وأولاده هي همه الأكبر، أو أن حصوله على الشهادات العليا يزين بها بيته ويرفع بها سمعته، أو أن تجارته وتنمية أرباحه هي واجبه الأكبر، أو أن الوفاء بحقوق الوظيفة وحدها أو السعي لها هي شغله الشاغل، ثم يضع مسؤوليات الدعوة إلى الله ورسوله آخر ما يفكر فيه أو يبالي به. كيف لا يضيق عليه الوقت؟"[1]

فهدف المؤمن واضح كل الوضوح، ووضوح الهدف وضوح لسبل تحقيقه، هدف المؤمن الأكبر والأسمى هو إدراك رضوان الله ودخول الجنة، فهذا أقصى غاية ما يسعى إليه المسلم، ولسان حالهم ومقالهم " أملي أن يرضى الله عني "[2]

يقول النحوي:" يجب أن نتذكر دائماً أن التصور الإسلامي يقرر هدفاً أكبر وأسمى لكل إنسان، هدفاً ترتبط به كل الأهداف في الحياة الدنيا، وأن هذا الهدف الأكبر والأسمى هو الدار الآخرة والجنة ورضوان الله، وأن هذه الحقيقة هي الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، وهي أخطر قضية في حياة كل إنسان".[3]

6- تحمُّل المسؤولية:

المسلم مكلف بحمل مسؤوليات كثيرة في هذه الدنيا، وهو مسؤول عنها يوم القيامة؛ فمسؤولية الدين والدعوة إليه والأسرة والمال وغيرها كلها مسؤوليات يتحملها المسلم صغيراً أم كبيراً ذكراً أم أنثى ملكاً أم مملوكاً، وهي جزء من إيمانهم وتحملها دليل على الوعي والإيمان .

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:" **أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**".[4]

---

(1) واقع المسلمين أمراض وعلاج، ص: 165.

(2) عبارة صادقة قالها الشيخ الإمام أحمد ياسين رحمه الله تعالى. انظر: رجل بأمة، ويكيبيديا الإخوان المسلمون، 2015/10/18، http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=%D

(3) التربية في الإسلام(النظرية والنهج): عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1420 هـ – 2000 م، ص: 227.

(4) صحيح البخاري- كِتَاب العِتْقِ - بَابٌ: العَبْدُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ – 143/3 – رقم/ 2558، وصحيح مسلم – كِتَابُ الْإِمَارَةِ – بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ – 1458/3 – رقم/ 1829.

يقول النحوي- رحمه الله:" على من ينتسب للإسلام أن يدرك أن عليه مسؤولية يجب أن يتحملها، فلا يكون تبعاً لضلال ولا فساد، وحتى يدرك أن التبعية العمياء لا تنقذه من العذاب إن ضل، وأنه محاسب يوماً ما على هذه المسؤولية هل حفظ أم ضيع، وإذا لم تستقر حقيقة المسؤولية وتحملها فإن جزءاً من الإيمان والتوحيد قد تعطل، ويكون قد فقد الإنسان الحافز الهام، وهو الحافز الإيماني ليقوم بهذا الواجب".[1]

وإذا اضطربت هذه المسؤولية أو تقلصت، اضطربت مسؤولية الأمة كلها وظهرت فيها الدعوات المضطربة والاتجاهات المنحرفة والمبادئ الخارجة عن الإسلام. وغياب المبادئ الإسلامية أيضاً يجعل الملايين من المسلمين غثاء كغثاء السيل، أو قطيعاً يساق إلى هلاكه، وكذلك إذا غابت المسؤولية الفردية فذلك يضع أخطر العوائق أمام صدق التعامل مع الواقع وإدراك ملابساته، ثم تظهر ما يسمى بالطبقة العائمة التي لا تميز بين الحق والباطل فتكون مرتعاً لقوى الشر ولأعداء الله، يفسدون فيها ويستغلونها لإفساد الآخرين. أما مغبة غياب المسؤولية في الآخرة فذاك أدهى وأمر حيث يقف كل إنسان وحده بين يدي الله، يتخلى عنه الأعوان والأوثان وكل من ادعى قوة وسلطاناً.[2]

فلو انشغل كل مسلم يعرف دينه بما كلفه الله به من مسؤوليات لتغير واقع الأمة، ورفع عنها هذا الهوان، فمتى رأيت ظلماً وقتلاً وتشريداً للمسلمين فاعلم أن وراءه شباباً تقاعس عن الجهاد، وشيباً تناسوا الدعاء، وأباً تخلى عن التربية. ومتى وجدت في المسلمين فقيراً معوزاً، فاعلم أن هناك منْ لم يدفع زكاة ماله الواجبة، وعلى ذلك فقس.

---

(1) حتى نغير ما بأنفسنا، ص: 40-41.

(2) انظر: بناء الأمة المسلمة الواحدة، ص: 210-211.

المطلب الثاني
فهم الفرد للواقع

إن المتتبع لأحداث العالم اليوم وتزاحمها وترابطها، ومدى تأثر الدول بها ليدرك أن فهم ما يدور حوله هو من أولى أولويات المرحلة؛ ففهم الواقع المعاش يعطي المرء قدرة على التحليل والربط والاستنتاج والتنبؤ، ويجعل منه إنساناً مؤثراً صاحب بصيرة، فلا يكون إمعة يحسن إذا أحسن الناس، ويسيء لو أساءوا. وإن المسلم المثقف والعارف بما يدور حوله يعتبر سداً منيعاً ضد التوغل والتغول الفكري والثقافي والعسكري لجحافل الكفر التي تتربص بالأمة، فهو أول من يقاوم ولا يعرف الهزيمة. إذاً، معرفة الواقع وفهمه ينتج مسلماً متفتحاً لا يساق سوق القطعان لأصحاب المشاريع الخاصة والاستعمارية. فما هو فهم الواقع، وما مدى تأثيره على فكر المسلم، وما مغبة جهله؟

أولاً: تعريف مصطلح فهم الواقع:

فالعلم بالواقع وفهمه هو: إدراك الفرد للأحوال المحلية والدولية على صعيد السياسة والاقتصاد والاجتماع، بما له من تأثير على حياة الشخص وأمته ودينه، والقدرة على ربط الأحداث ببعضها وتحليلها، وتنبؤ الآتي منها، والقدرة على التصدي لها بأقل التكاليف والخسائر، وتحويلها لصالح قوة الأمة، وكل هذا يكون بالضوابط الشرعية من الكتاب والسنة.

و" هو علم يبحث في فقه الأحوال المعاصرة، من العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول، والأفكار الموجهة لزعزعة العقيدة، والسبل المشروعة لحماية الأمة ورقيها في الحاضر والمستقبل".[1]

قال الألباني: "فقه الواقع هو الوقوف على ما يهم المسلمين مما يتعلق بشؤونهم أو كيد أعدائهم لتحذيرهم والنهوض بهم".[2]

ثانياً: أهمية دراسة الواقع:

يلخص النحوي – رحمه الله – أهمية دراسة الواقع وفهمه بالنسبة للمؤمنين فيقول: دراسة الواقع توفر للمؤمنين:

1- النظر في آيات الله البينات في واقع الحياة، والنظر في سننه الماضية ليزدادوا إيماناً وتثبيتاً بفضل الله.

---

(1) فقه الواقع: ناصر العمر – بدون بيانات، ص:5.

(2) المصدر السابق، ص: 5

2- أخذ الحيطة والحذر الضروريين حتى يرد المؤمنون كيد الكافرين وأعداء الله، ويتجنبوا مواطن الفتنة والفساد.

3- الشرط الضروري لصدق ممارسة منهاج الله في الواقع، ولقيام الفقه الأدق الأمين.

4- الإعانة على بناء قوة الأمة المسلمة.(1)

5- توفر ما يحتاجه المؤمنون من حسن تطبيق منهاج الله في الواقع البشري تطبيقاً واعياً وممارسة إيمانية، وليتيسر لهم حسن النهج والتخطيط، ولتكون دراسة الواقع مصدر آية واعتبار يغذي الإيمان وينميه، ولتكون الوعي الإيماني المتميز.(2)

بل إن دراسة الواقع تزيد الإيمان بالله سبحانه وتعالى وتصحح عبادة الفرد المسلم، وتفتح له باب الاجتهاد اعتماداً على النصوص بإنزالها على واقع مفهوم.

" إذا غفل الإنسان عن واقعه، وأعمى بصره وبصيرته عنه، فإنه لن يعبد الله عز وجل حق عبادته كما أمر، ومن لا يتصفح مع نصوص القرآن وصحيح الحديث حقيقة الواقع المتغير، الذي جعل الله تغيره بلاءً، يعجز عن عبادة الله وعن الاجتهاد".(3)

والإحاطة بالواقع المعاش يعطي المؤمن مساحة للتحرك من خلالها، ويجعله أكثر قدرة على التطبيق العملي لنصوص الكتاب والسنة، فيزيد إيمانه وترتاح نفسه لسهولة ويسر الالتزام ومرونته مع الأحداث.

ومعرفة الواقع يحصن الأمة من تلاعب الأعداء بها، فليس المؤمن بالخب ولا الخب يخدعه، والمؤمن كيس فطن لأعدائه، وكذلك فإن فهم الواقع طريق للتخلص من استعمار الكافرين للأمة.

يقول الألباني – رحمة الله عليه: " لا يجوز والحالة هذه أن ينكر أحد من طلاب العلم ضرورة هذا الفقه بالواقع؛ لأنه لا يمكن الوصول إلى تحقيق الضالة المنشودة بإجماع المسلمين، ألا وهي التخلص من الاستعمار الكافر للبلاد الإسلامية أو على الأقل بعضها، إلا بأن نعرف ما يتآمرون به، أو ما يجتمعون عليه، لنحذره ونحذر منه حتى لا يستمر استعمارهم واستعبادهم للعالم الإسلامي".(4)

---

(1) انظر: كيف تلتقي الجماعات الإسلامية، ص: 62-63.

(2) انظر: لقاء المؤمنين (الأهداف)، 105/1-106.

(3) لماذا فقه الواقع، أحمد بوعود، 2015/10/21م، http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=5&ChapterId=5&BookId=275&CatId=0&startno=0

(4) فقه الواقع، محمد ناصر الدين الألباني، ص: 15.

ثالثاً: دراسة الواقع وفهمه واجب شرعي:

فهم الواقع ووعيه ليس من قبيل العلم الجديد الذي لا أصل له في الشرع الحنيف، إنما هو ثابت في ثنايا القرآن وأحداث السيرة النبوية، لذا يجب على المسلمين ترسيخ هذا العلم بكل الوسائل والإمكانات، وإبراز متخصصين مؤهلين في هذا الجانب المهم.

يقول النحوي – رحمه الله: " نؤمن أن دراسة الواقع واجب إيماني يفرضه منهاج الله ويعرضه عرضاً متكاملاً شاملاً ممتداً، وهو واجب الفرد المسلم في نطاق وسعه وطاقته، وفي نطاق مسؤوليته وأمانته، وهو كذلك واجب الجماعة والأمة، وواجب المعاهد والمؤسسات الإيمانية".[1]

فهو من قبيل الواجب الكفائي؛ إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، وهدفه الوصول إلى الحكم الشرعي الصحيح الذي يتلائم مع المرحلة استناداً على الكتاب والسنة، وهذا ما يقرره العلامة المحدث الألباني – رحمه الله – إذا يقول:" فمعرفة الواقع للوصول به إلى حكم الشرع واجب مهم من الواجبات التي يجب أن يقوم بها طائفة مختصة من طلاب العلم المسلمين النبهاء كأي علم من العلوم الشرعية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو العسكرية، أو أي علم ينفع الأمة الإسلامية ويدنيها من مدارج العودة إلى عزها ومجدها وسؤددها، وبخاصة إذا ما تطورت هذه العلوم بتطور الأزمنة والأمكنة".[2]

وقد جاءت الدعوة لمعرفة الواقع وإدراك أبعاده وفهم أحداثه وترابطها، ومدى تأثير هذا كله على الدولة الإسلامية، جاء هذا مستفيضاً في الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة.

فمن الكتاب: ما كان من تفاعل النبي ﷺ والصحابة ﷺ مع المعركة التي دارت رحاها بين الفرس والروم على بعض جزيرة العرب، فتمنى مشركو مكة وقتئذ غلبة الفرس لأنهم لا يعترفون بدين إنما هم من عبدة الأوثان مثلهم، وتمنى المسلمون ظهور الروم لما عندهم من بقية كتاب.

فأنزل الله البشرى للمؤمنين بقوله: ﴿ **الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (الروم: 1-6).

---

(1) كيف تلتقي الجماعات الإسلامية، ص: 61.

(2) فقه الواقع، محمد ناصر الدين الألباني، ص: 6

فمتابعة النبي ﷺ والصحابة الكرام ﷺ لهذه الأحداث الساخنة خارج نطاق الدولة الإسلامية آنذاك، وتلمح النتائج التي تفرزها هذه المعركة، لهو أقوى دليل، وأوضح برهان، على أن القرآن والسنة دعوا لمعرفة الواقع المعاش.

قال الإمام الطبري في تفسيره:" كان المسلمون يُحبون أن تغلب الرومُ أهل الكتاب، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس؛ لأنهم أهل أوثان، قال: فذكروا ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر للنبيّ ﷺ فقال: "**أَمَا إِنَّهُمْ سَيُهْزَمُونَ**"، قال: فذكر ذلك أبو بكر للمشركين، قال: فقالوا: أفنجعل بيننا وبينكم أجلاً فإن غلبوا كان لك كذا وكذا، وإن غلبنا كان لنا كذا وكذا، وقال: فجعلوا بينهم وبينه أجلاً خمس سنين، قال: فمضت فلم يُغلَبوا، قال: فذكر ذلك أبو بكر للنبيّ ﷺ، فقال له: "**أَفَلا جَعَلْتَهُ دُونَ العَشْرِ**"، قال سعيد: والبضْع ما دون العشر، قال: فَغَلَبَ الروم".[1]

أما السنة: فقد حفلت بكثير من الوقائع والشواهد، التي تدل على عناية المصطفى ﷺ بهذا الجانب.

فها نحن نراه ﷺ يوجه المستضعفين من صحابته بالهجرة إلى الحبشة، وهذا برهان ساطع على معرفته ﷺ بما يدور حوله، وأحوال الأمم المعاصرة له. فلماذا لم يرسل الصحابة إلى فارس أو الروم أو غيرهم؟ ولماذا اختار الحبشة؟ ذلك لأنه ﷺ علم أن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد.

والعلماء من سلف هذه الأمة كانوا خير مثال لحسن تعاملهم مع واقعهم، فالإمام أحمد بن حنبل في فتنة القول بخلق القرآن، وشيخ الإسلام بن تيمية في موقفه من التتار، والعز بن عبد السلام في مواقفه الخالدة من النصارى ومن حالفهم، لدليل واضح لتفاعل العلماء الربانيين مع الواقع الذي يعيشونه، بل كانت الفتاوى لا تخرج إلا بعد معرفة تامة بالواقع، فما أكثر الرسائل التي ترد إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، يستفتي أهلها بما يتلاءم وحالهم في بلادهم، فكان يفتيهم بما يناسب حالهم معتمداً في ذلك على مرونة نصوص الكتاب والسنة.

وما نزول القرآن منجماً إلا لمتابعة الأحداث داخل المجتمع الإسلامي وخارجه؛ ليعرف المؤمنون الأحكام الشرعية في حياتهم اليومية، وليعرفوا ما يدور حولهم، ومدى تأثير ذلك على حياتهم وانتشار دعوة الحق.

يقول النحوي – رحمه الله:" إن نزول القرآن منجماً حسب الأحداث والوقائع أبرز قيمة الواقع وأهمية وعيه وفهمه من خلال منهاج الله، وكذلك فإن المنهاج الرباني يدعو للتفكر في السموات والأرض والرياح والأمطار، وإلى السير في الأرض لمعرفة مصائر الشعوب، ويدعو إلى أخذ الحيطة والحذر والانتباه من الكفار، ويدعو ألا يكون الإنسان إمعة لا رأي له، ويدعو لفهم

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، 68/20.

الأحداث التي تدور من حوله وألا يكون غافلاً، إنه حينما يدعو لكل هذا فإنه يدعو بجلاء لدراسة الواقع من خلال منهاج الله سبحانه".[1]

ويقول أيضاً: " والإسلام يدعو المؤمن إلى أخذ الحذر والحيطة والانتباه، إلى التبصر والتبين، إلى أن يكون كيساً فطناً، إلى أن يكون وقافاً لا يعجل، إلى أن يكون عادلاً أميناً، إلى أن يكون قوياً. وينهى الإسلام المؤمن عن الغفلة، عن أن يكون إمعة لا رأي له، ينهاه عن الهوان. فالإسلام إذاً بكل إيحاءاته يدعو إلى دراسة الواقع وفهمه وتدبره، لترتفع الغفلة ويصدق الانتباه".[2]

مصدر فهم الواقع:

فهم الواقع يختلف من إنسان إلى آخر، من مثقف إلى آخر، فالكل يفهم الواقع حسب ما عنده من عقائد وأفكار؛ فالمؤمن له ميزانه الدقيق المعصوم، الكتاب والسنة، فيهما من الأحداث والمرونة الكافية لعرض كل القضايا المستجدة. أما غير المؤمن، أو من تأثر بالغزو الثقافي والفكري، فإنه يعتبر تحكيم الكتاب والسنة في الواقع هو من قبيل الرجعية والتخلف؛ إذ كيف نحكم على واقع في القرن الحادي والعشرين بأحداث مرت قبل أكثر من ألف سنة؟

لذا يقول الشيخ عدنان النحوي:" دراسة الواقع يجب أن تتم من خلال المنهاج الرباني (قرآناً وسنة ولغة عربية)؛ ذلك أن الفهم للواقع يختلف بين مؤمن وكافر ومنافق؛ فالمؤمن يرى الواقع من خلال عقيدته، ومن خلال إيمانه، فتكون له نظرته الخاصة المتميزة ومواقفه المتميزة. والمنهاج الرباني يضع قواعد لدراسة الواقع البشري، لتصاحب المؤمنين في أي دراسة يقومون بها، يضعها لتحمي المؤمن من حيث إيمانه ودياره وثرواته".[3]

ويؤكد – رحمه الله – هذا المفهوم الحسّاس فيقول:" والمؤمن حين يدرس واقعاً بشرياً يدرسه بنظرة المؤمن ومن خلال عقيدته كلها، والكافر يدرس الواقع كذلك من خلال الكفر، فيصل كل منهما إلى تصور خاص، وإلى نتائج خاصة تنسجم مع منطقه. وحين تستكمل العقيدة مداها في قلب المؤمن تحدد له تصوراته الخاصة، فيرفض الشر ويقبل الخير، ويعي من الأمور ما لا يعيه سواه، ويتفتح أمامه الواقع على حقيقته، وخاصة إذا رافق الإيمان جهد البحث والدراسة".[4]

ومن هنا، فإن معنى فهم الواقع ليس جديداً على الأمة الإسلامية، بل هو مفهوم راسخ أصيل في الشرع، بارز واضح في كثير من نصوص الكتاب والسنة.

---

(1) بناء الأمة المسلمة الواحدة، ص: 118-119.

(2) دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية، ص: 309-310.

(3) المصدر السابق، ص: 306.

(4) المصدر نفسه، ص: 334.

" يتصور بعض طلاب العلم أن فقه الواقع علم جديد، وثقافة حديثة، وهذا قصور في التصور، ونقص في العلم؛ لأن أساسه في القرآن، والسنة، وكلام سلف الأمة. ففي سورة الأنعام يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ** ﴾(الأنعام: 55). ومن فقه الواقع استبانة سبيل المجرمين، ومعرفة أهدافهم ومخططاتهم، لهذا جاءت كثير من الآيات مفصلة ومبينة سبيل أعداء الله، وفاضحة لمآربهم وغاياتهم".[1]

هذا، ويقسم النحوي دراسة الواقع إلى ثلاث دوائر، كل دائرة لها جانب من الدراسة بما يضمن فهماً شاملاً وكاملاً وواعياً لواقع المؤمن.

يقول – يرحمه الله:" يمكننا أن نضع دراسة الواقع في ثلاث دوائر:

1. الواقع الشخصي: وهو واقع الفرد الواحد ودراسة سيرته وظروفه حسب حاجة الدعوة الإسلامية.
2. الواقع الآني: وهو دراسة الأحداث الآنية الجارية يومياً على ساحة القطر الواحد أو الساحة الإسلامية أو الدولية.[2]
3. الواقع المنهجي: دراسة نظرية الواقع ودورها وأهميتها ثم دراسة الإنسان كما وصفه منهاج الله، ثم دراسة الواقع الإسلامي وواقع العمل الإسلامي، ثم دراسة الواقع الدولي.[3]

(1) فقه الواقع، ناصر العمر، ص:5.
(2) كيف تلتقي الجماعات الإسلامية، ص: 61.
(3) انظر: بناء الأمة المسلمة الواحدة، ص: 33.



المبحث الثاني
منهج النحوي في إصلاح عمل الحركات الإسلامية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب الخلل في عمل الحركات الإسلامية عند النحوي.

المطلب الثاني: سبل إصلاح واقع الحركات الإسلامية كما يراها النحوي.

المطلب الأول
أسباب الخلل في عمل الحركات الإسلامية عند النحوي

لقد امتدت يد الكيد والمؤامرة لتسقط أعظم مَعْلَمٍ للمسلمين، معلم يجمع متفرقهم، ويلم النائي منهم، أسقطوا الظل الذي كان يرفل بظلِه العزيزُ والحقيرُ، الغنيُّ والفقيرُ، الرجل والمرأة والطفل، اليد الحانية التي تؤوي الأرامل والأيتام، وتمسح عنهم قسوة الحياة وألم فراق الأحبة، أسقطوا خلافة رسول الله ﷺ، وإسقاطها جريمة كبرى أدخلت المسلمين كلهم ما بين مجتهدٍ عاملٍ يحترق قلبه لهذه المؤامرة، وبين متفلت رأى في هذا الوضع فرصة ليقضي حاجاته الخبيثة، والأدهى والأمر أن حدود الأمة الإسلامية استُبيحتْ، وزحف عليها الغزو الغربي من كل حدب ينسلون، فقُتِّلَ الأبناء واستبيحت الأرض والأعراض ونهبت الثروات، ونُصِّب على الأمة ما صُنع على عين أعدائها، وفرقت الأمة حدود مصطنعة، ودارت بالأمة كلها الدوامات السياسية، وأصبح لكل دولة حدود وعَلم وسلام وطني، وزرع حب هذا في قلوب النشء.

هذا الواقع بكل تفاصيله وآهاته كان وقوداً حرَّك الصادقين العاملين لإدراك الأمة، وردها إلى عزها وقيادتها وسيادتها، فظهرت الجماعات والحركات الإسلامية المتعددة، كلٌ يُدلي بدلوه ويطرح فكره، ويُنَظِّر لخطته التي يعتقد أن فيها الخلاص من هذا الذل والهوان، والكل- نحسبه مخلصاً والله سبحانه يتولى السرائر- حاول أن يجمع الناس حول فكرته وجماعته، وبدأت كلُّ حركة العمل الدؤوب تحاول الإصلاح، فمرت السنون والأعوام، وبذلت الطاقات والأوقات والنفقات، وقدمت الأرواح لله سبحانه، ونصرة لدينه، أقيمت المؤتمرات ووضعت الخطط والمناهج، لكن بعد هذا كله كان النتاج لا يذكر! والمسيرة تتقدم على استحياء، واثَّاقلتْ خطواتُ العاملين، وزاد الصعوبةَ تكالبُ الغرب على أي فكرة براقة تحاول أن تهز عروشهم، وتحبط مشروعهم.

يقول الشيخ سليم الهلالي(1):" فإذا بالمخلصين يفاجؤون بأنهم لا يزالون في مكانهم قد رجعوا بعد طول سير وشدة نصب، قد أضناهم السُّرى في بيداء العوائد، ولفحهم سَمومُها، واجتاحتهم بيدها السافيات، ودمدم في كيانهم اليباب، واكتنف أرواحهم الصقيع، وصك وجوههم زيف التيار، حيث ينقلون خطاهم على الرمال المحرقة، وتحت وهج الشمس الملتهبة، قد هدَّهم اللغوب، فيأسفون لذلك، ويشكون حزنهم وبثهم إلى الله، وقد ييأسون فيقعدون متواكلين على فضل

---

(1) هو الشيخ سليم بن عيد بن محمد الهلالي ولد سنة (1377هـ - 1957م)، فلسطيني المولد، هُجر أبوه منها سنة 1948م حيث استقر في الأردن، له مصنفات منهجية عدة، وهو من أحد طلاب الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني. انظر: ترجمة الشيخ سليم بن عيد الهلالي، سير الأنبياء وعلماء الأمة، 2015/12/13م، http://www.startimes.com/f.aspx?t=.

الله، أو خروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام، أو يجربون سبيلاً أخرى، ولكن تجربتهم لا تكون خيراً من سابقتها، وتتكرر التجارب مرات ومرات".[1]

وهذا الواقع الذي آلت إليه الأمة لا تتحمله الحركات والمناهج الإسلامية وحدها، بل لقد قدمت للإسلام والمسلمين على طول هذه المسيرة الكثير، ولا نهضم العاملين حقهم وسعيهم فقد بذلوا مخلصين أقصى طاقاتهم، ومات الكثير منهم من أجل دين الله سبحانه، وسجن آخرون ولقوا ألواناً من العذاب في غياهب الزنازين، ولطالما كانوا سداً منيعاً لكل موجات الفساد والشرك والضلال التي أرادها العدو للأمة.

يقول النحوي رحمه الله: "لا بد أن أشير وأؤكد فضل العمل الإسلامي، مهما تكن أخطاؤه، وفضل الدعاة الصادقين كلهم قادةً وأفراداً، داعياً الله سبحانه أن يتقبل منهم ومنا أحسن ما عملنا... فلقد قامت الحركة الإسلامية استجابة لواجب شرعي، وجمعت أعداداً كبيرة من الشباب حولها في ساحة الإيمان، ربما كان معظمهم سَيَتِيهُ في ضلال الشرك والفساد لولا رحمة الله التي يسرت الحركة الإسلامية لتجميعها، وقدمت الحركات الإسلامية رجالاً أفذاذاً ودعاة متميزين، لا تُنقص أخطاؤهم من قدرهم، وقدمت فرسان جهاد وأبطال ميدان قضوا نحبهم وهم يؤدون واجباً في سبيل الله، في ميدان المعركة، على أعواد المشانق، أو في السجون، أو قُتلوا غيلة وغدراً، كما قدمت فكراً يرد الشبهات التي يطلقها أعداء الله ضد الإسلام والمسلمين، ودافعت عن شرف الأمة وعن الأعراض والأموال في تاريخ طويل، ووقفت أمام الغزاة الطغاة الظالمين وقفات عزة وإيمان، وستظل نوراً للأجيال المؤمنة وزاداً تتقوى به وتتعلم منه، هي التي تضم أهلنا وإخواننا، هم منا ونحن منهم، أينما كانوا نحبهم في الله حباً صادقاً ونتعبد الله بموالاة المؤمنين كما أمر الله رب العالمين".[2]

ولذا، كان النحوي حريصاً على معرفة أسباب الخلل في العمل الجماعي أو الحركي، ولقد طرح حلولاً مدروسة بثها في أكثر من كتاب من كتب الدعوة، مثل : كتاب: **كيف تلتقي الجماعات الإسلامية**، وكتاب: **الصحوة الإسلامية إلى أين؟** وكتاب: **الدعوة الإسلامية بين الأحزاب والجماعات**، وكتاب: **العهد والبيعة وواقعنا المعاصر**، وكتاب: **الاختلاف بين الوفاق والشقاق**، وكتاب: **تمزق العمل الإسلامي بين ضجيج الشعارات واضطراب الخطوات**، وغيرها، كتب كلَّ هذا وهو يعتذر بأدبٍ جمٍ قائلاً:" وإذا كنتُ أتحدث عن أخطاء العمل الإسلامي، عن أخطائه فقط، فلأن هذا هو موضوع المقالة أو الكتاب، ولكنني لا بدّ أن أؤكد فضل العمل الإسلامي، داعياً الله سبحانه

---

(1) الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة: سليم الهلالي – دار الفكر – الأردن – الطبعة الثالثة – 1417هـ – 1997م، ص: 5-6.

(2) الصحوة الإسلامية، إلى أين؟ ص: 85 – 86.

وتعالى أن يتقبّل منهم ومنا أحسن ما عملنا، وأن يغفر لنا سيّئاتنا ويتجاوز عنها إنه هو الولي الحفيظ".[1]

ويقدم النحوي من خلال كتاباته المتعددة العوامل التي كانت سبباً في خلل العمل الإسلامي، لا يقصد به حركة أو جماعة معينة، بل غايته من ذلك النصح للمسلمين، متمنياً أن يجد هذا النصح آذاناً صاغية ليتم تدارك الضعيف منها وتعزيز القوي، يبين هذه الهنات والهفوات مخلوطة بالعبرات والأنّات ليُعرف السبب من أجل وضع دواءٍ شافٍ كافٍ.

أسباب الخلل في عمل الجماعات الإسلامية:

فأهم القضايا التي تحتاج لعلاجه كل حركة عاملة كما يراها النحوي يمكن حصره في النقاط التالية:

أولاً: إهمال قضية التصور الإيماني والتوحيد:

يرى النحوي أن أغلب الحركات الإسلامية أهملت قضية تعليم ونشر قضية التصور الإيماني والتوحيد، ولم يعد الاهتمام بالعقيدة كما هو الحال من الاهتمام بالمساجلات السياسية والفكرية وحشد الأتباع، وهذا العامل كان من أهم الأسباب التي ولدت اضطراب المواقف، ووزن الأمور بغير ميزانها الصحيح، وضياع فريضة الولاء والبراء، والحب في الله والبغض في الله، لذا ظهرت الخلافات الفكرية بين الجماعات، وتفرقت الجهود.

يقول – رحمه الله:" إن عدم التركيز على قضيّة التصوّر الإيماني والتوحيد في الدعوة والتربية والبناء والتدريب، ليكونا القضيّة الأولى في حياة الإنسان، والحقيقة الكبرى في الكون، وليؤديا دورهما الحقّ في صياغة الفكر والنهج والسلوك والمواقف، إن عدم التركيز على هذه القضيّة أدّى إلى اضطراب في واقع العمل الإسلامي، وربّما كان أهم الأسباب لما يعانيه العمل الإسلامي من خلافات وانشقاقات، واضطراب في المواقف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. كما أن عدم التركيز على هذه القضيّة، وجعل القضيّة الأولى في الميدان العملي هي دعوة الناس إلى تكتلات وأحزاب، وإلى أفكار هذه التكتلات والأحزاب ... لذلك نعتبر هذه القضيّة هي القضيّة الأولى في العمل الإسلامي، والهدف الثابت الأول من أهدافه، لبناء التصور الحقّ للإيمان والتوحيد، ولتصحيح التصورات المضطربة لدى بعض الناس، ولترسيخ التصوّر القرآني للإيمان والتوحيد، وترسيخ مبادئهما وقواعدهما، كما وردت في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ".[2]

(1) مقالة بعنوان : تمزق العمل الإسلامي، عدنان النحوي، بتاريخ 2015/8/20م،
http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=243

(2) الصحوة الإسلامية، إلى أين؟ ص: 87.

ولخطورة هذه القضية وأهميتها، كان الأمر الأول من الله سبحانه أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً، وكانت المهمة الأولى للرسل والأنبياء عليهم السلام جميعاً هي إعادة الناس إلى الفطرة السليمة، وإلى العقيدة الصحيحة، وما أرسلوا عليهم الصلاة والسلام إلا لتحقيق قوله: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ (الذاريات : 56)، ولقد كانت دعوتهم الأولى على مرِّ الأزمان: ﴿ **يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ (الأعراف : 59)، وإذا أرادت حركة أن تقتدي بمن أُمِرْنا أن نقتدي بهداهم، فيجب أن يكون أول واجب وأول مهمة لها أن ترسخ قضية الإيمان والتوحيد عند الناس.

يبين النحوي هذا الشرط بقوله: "إن مهمة الدعوة الإسلامية، أو الحزب القائم على خصائص الدعوة الإسلامية، كلها أو الجماعة الملتزمة بذلك كله، أن تبلغ الناس أولاً قضية الإيمان والتوحيد، وما يترتب عليها، والتبليغ والبيان ليس محاضرة تلقى أو موعظة تُدار ... إنها كيف تدخل هذه القضية في قلب من تدعوه".[1]

فالحركات الإسلامية ما قامت وأُسست إلا لتعيد الإسلام إلى واقع الناس غضاً كما عاشه محمد ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم، وأهم قضية يجب أن تعود إلى الناس اليوم هي قضية العقيدة في الله، وبدونها فإن الدعاة سيلهثون وراء الفرع وقد أهملوا الأصل الذي يغذي كل الفروع، وكيف يمكن إعادة مجد الأمة وسيادتها والخلل العقدي قد تربع على عرش قلوب كثير من المسلمين، وتفرقوا في غياهب الأفكار المنحرفة، فهذا صوفي يؤله الأولياء، ويدعو أقطاب الأرض، وهذا معتزلي قدَّم العقل على النقل، وحكم على الوحي بعقله القاصر، وهذا جبري قتله التواكل على القضاء والقدر، وهذا مرجئي تساوى عنده الصالح والطالح، وبشر الجميع بِقَدَم صدق عند ربهم، وذاك علماني يرى الرجوع إلى المعين الصافي الذي أصلح هذه الأمة تخلفاً ورجعية، وديمقراطي بدَّل حكم الشعب لنفسه – طمعاً في الدنيا ومناصبها – بحكم الله سبحانه، فكيف لا تكون قضية العقيدة ورد الناس إلى صفائها هي القضية الأولى لكل العاملين؟

ثانياً : غياب دور منهاج الله في أرض الواقع:

لقد تربى الجيل الأول على الكتاب والسنة، فكان نتاجه العبَّاد والزهاد والمجاهدين الذين أصلحوا أنفسهم وأصلحوا من حولهم، عَبَّدوا الناسَ لله رب العالمين، وخضعت الدنيا راغمة لا اختيار لها عند أقدامهم، فقد كان الواحد منهم حافظاً عاملاً تالياً لكتاب الله سبحانه، حريصاً على كلام نبيه ﷺ، أما لمَّا بعُدت على الناس الشُّقة، ورأوا أن التزام منهاج الله فيه مَشَقَة، وآمن بعضهم

(1) واقع المسلمين أمراض وعلاج، ص: 218.

ببعض الكتاب وكفر ببعض، كان جزاء ذلك خزي الهزيمة، والتيه في بحر الأفكار الوافدة، فكانت الفُرقة وكان الاختلاف.

يقول عدنان النحوي: "إن غياب منهاج الله – قرآناً وسنّة ولغة عربية – زاد من خلل التصور في الإيمان والتوحيد، وضاعف العلل والأمراض، فكثير من الناس يُقبلون على كتاب الله في شهر رمضان أو في المواسم، يهزون رؤوسهم مع التلاوة دون أن تهتز قلوبهم أو تخشع نفوسهم، ومنهم من حسب كتاب الله وقفاً على العلماء، وأن الله خلقهم جهلاء ليبقوا جهلاء مع العامة من الناس لا ينهضون لواجب أو تكليف، ومنهم من رأى أن يأخذ بالقرآن وحده دون السنّة، أو السنّة يلتزمها أكثر من كتاب الله، يُفرّقون منهاج الله أجزاء، فيأخذون ويذرون، واستبدل بعض المسلمين الكتب البشرية بدل كتاب رب البرية، فأقيمت مدارس وأفكار شتى شَتَّتْ معها القلوب والأرواح، وإذا أرادت الحركات الإسلامية أن تعود الأمة لعزها فعليها أن تجعل منهاج الله هو المصدر الأول للتصور والفكر والتخطيط، المصدر الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه."[1]

ويرى النحوي أن هذا الهجران طال اللغة العربية، لغة القرآن الذي لا يفهم بدونها فقال:" وامتد الجهل بالملايين من المسلمين إلى الجهل باللغة العربية، واستبدلوا بها لغات أخرى، فزاد ذلك من هجرهم للكتاب والسنة وجهلهم بهما، فوقع الانحراف عند الكثيرين، وأخذت المعاصي والآثام تزداد، وتسلل الأعداء إلى المسلمين ودلفوا بأفكارهم ومذاهبهم".[2]

ثالثاً: الجهل بالواقع:

مرّت على كثير المسلمين قرون طويلة وهم في غفوة ساهون، لا يدرون ما يجري حولهم ولا أمامهم ولا خلفهم، لم يعد الواقع الذي يعيشونه مصدر تدبّر ودراسة ليقدّم الموعظة الجليّة والآية البيّنة، حتى تزداد القلوب إيماناً ويقيناً، وتزيد إخباتاً لربّها وخشوعاً. لقد أغمض المسلمون عامة، وبعض الحركات الإسلامية خاصة، الأعين عن الواقع حتى وجدوا أنفسهم في لهيب الفتنة، استزلهم إليها شياطين الإنس والجنّ، فما عادوا يعرفون العدوّ من الصديق، والغادر من الأمين.

ويقرر النحوي أن بعض المسلمين بجهلهم بالواقع فتحوا الأبواب لكل عدو وغادر ليلج في ديار المسلمين، بل إن بعض المسلمين ساهم – وهو لا يدري – في إسقاط الخلافة الإسلامية لاعتقاده أنه بإسقاط الحكم التركي آنذاك فيه اللحاق بركب الحضارة الغربية المبهرة! لذا قال –رحمه الله:" إذا استعرضنا تاريخنا لقرون خلت نجد هذه الظاهرة جليّة، ونجد أخطارها بارزة واضحة. فلقد كان من أوضح نتائج جهلنا بالواقع أن طعنّا أنفسنا، وأسهمنا بأيدينا في كثير من نكباتنا. ألم يُسهم

---

(1) الصحوة الإسلامية، إلى أين؟ ص: 91 – 92.

(2) لؤلؤة الإيمان فريضة طلب العلم ومسؤولية المسلم الذاتية، ص: 56.

بعض المسلمين في إسقاط الخلافة ؟ ألم يرفعوا شعارات مناهضة للإسلام ؟ ألم يفتحوا صدروهم وقلوبهم لأعداء الإسلام؟"[1]

ومن هنا فقد اقتربت بعض الحركات من فهم الواقع وابتعدت أخرى تبعاً لبعدها وقربها من إنزال التصور الإيماني النابع من الكتاب والسنة على الواقع، فظهر عند البعض تناقض عجيب حين رفعوا شعاراً إسلامياً مدوياً، ثم تحاكموا إلى الاشتراكية أو الديمقراطية أو العلمانية أو حقوق الإنسان الوضعية.

ونتيجة لهذا كلّه انحرفت رؤية بعض الدعاة المسلمين للواقع، فرأوه بغير منظار الإيمان والتوحيد، وبغير ميزان منهاج الله، فمنهم من أخذ يُعلي من شأن كلّ شعار غربي جديد، فريق رفع " الاشتراكية " وانساق مع دعايتهم حتى لبس رداءها وصبغها بطلاء إسلامي، ولما انتهت هذه النغمة، هبّ فريق يجعل من القومية شعاراً إسلامياً، وبعد حين، هبّ آخرون يجعلون الديمقراطية سنّة من سنن الرسول ﷺ، أو دعوة حضارية أو لحناً إسلامياً، وآخرون انغمسوا في ممارسة الديمقراطية بعد تمنُّع وتردّد. وآخرون سقطوا في العلمانيّة ومذاهبها، والحداثة ومذاهبها، لقد اختلطت الأوراق في الساحة الإسلامية اختلاطاً عجيباً، وحار كثيرون فيما يرون و يسمعون، وزادت البلبلة والانقسام.[2]

وإذا كان ثمَّة دليل على ضرورة فهم الواقع فلا أدلَّ من نزول القرآن منجماً حسب الأحداث والوقائع، فأبرز بذلك قيمة الواقع البشري المعاش، بل إن دعوة القرآن والسنة للتفكر في السموات والأرض والحيوان والنبات والليل والنهار، كل هذا إيحاء شديد لدراسة الواقع البشري وفهمه وتدبره.

والنبي ﷺ كان أعرف الناس بأنساب قريش والقبائل العربية، وطلب من زيد بن ثابت ﷺ أن يدرس التوراة ويتعلم اللغة السريانية، ونزل القرآن بذكر وقائع الأمم الأخرى كهزيمة الروم، وتحدث عن نوايا القبائل الأخرى، في دلالة واضحة على أهمية دراسة الواقع وتدبره.

ويضرب النحوي قضية النية التي هي الشرط الأول لأي عبادة مثلاً على دراسة الواقع فيقول:" النية هي ركن من أركان العبادات، لكنها غير محصورة فيها فقط، لكنها ملازمة لكل عمل للمؤمن حتى يكون عمله خالصاً لوجه الله تعالى، وحتى يتوجه المؤمن إلى ربه وهو يعي ما يعمل،

(1) مقالة بعنوان : معالم رئيسة في واقع العمل الإسلامي، عدنان النحوي، بتاريخ 2015/8/21م، http://127.0.0.1:800/%C7%E1%C5%DD%CA%D1%C7%D6%ED/www.alnahwi.com/default.asp@action=article&ID=242

(2) انظر: الصحوة الإسلامية، إلى أين؟ ص: 92 – 95.

ويعي أن عمله مطابق لمنهاج الله فيعي المؤمن ماذا يعمل؟ وأين يعمل؟ وأن يعي الظروف التي تحيط به حتى يرفع المؤمن عن نفسه الغفلة والضياع والارتجال والتراخي والوهن".[1]

رابعاً: اضطراب الممارسة والتطبيق:

ويقصد النحوي باضطراب الممارسة والتطبيق: عدم إنزال الأحكام الشرعية والأوامر الربانية على الواقع العملي لحياة المسلم، وهو نتيجة للخلل في التصور الإيماني، والجهل بمنهاج الله والواقع، إذ لو صلح الأصل لصلح الفرع، فتراكمت المخالفات مع الزمن حتى أصبحت عادات عند الناس، وسكتوا عنها، بل وألفوها، وربما احتلت مكاناً أعلى مرتبة وقدسية من مرتبة النص الشرعي الذي يقضي بضدها.

فلقد أدّى هذا الوهن إلى أخطاء تراكمت مع الزمن لم تجد فرصة للعلاج ولا قدرة على المواجهة ولا سبيلاً للإصلاح، تراكمت الأخطاء حتى سكت الناس عنها، ثمّ اعتادوها، ثمّ ألفوها وحسبوها حُسْناً، ثمّ أصبحت عادة يفوق حكمها حكم النصّ الشرعي، ثمَّ أصبحوا دُعاةً لها.
كان من أبسط هذه الأخطاء – على خطورتها في ميزان الإسلام – انتشار الغيبة والنميمة والافتراء والظلم بين المسلمين، حتى لم يعد لعرض المسلم حُرمة تُرْعَى بين إخوانه، ولقد غلب الظنّ الذي نهى عنه الإسلام حتى جعله بعضهم يقيناً، ثمّ اتخذ بسببه موقفاً وسلوكاً وقراراً.[2]

وصدق النبي ﷺ إذ يقول:" **بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**".[3] ويتابع – رحمه الله – نتائج غياب الممارسة الإيمانية الصحيحة من حياة المسلمين، حتى أصبح الولاء والبراء حسب الروابط الحزبية أو العائلية، فتمزقت الحركة الإسلامية كل ممزق، ودبت فيها الأهواء والعواطف والمصالح.

"لقد تمزّقت الروابط الإيمانية بصياغتها الربّانية، وأخذت صورتها الجاهلية وصياغتها الجاهلية. تحوّل حبّ الديار والأهل إلى عصبية قومية جاهلية، تصوغها الأهواء والعواطف بعيدة عن نداوة الإيمان. فتمزّقت الحركة الإسلامية الواحدة إلى فرق شتّى، وتمزّقت الدعوة الإسلامية إلى مذاهب متناحرة، وتمزّقت الأمة كلّها إلى أقطار متصارعة، واستذلَّ الأعداء الجميع وهانت الأمة وتناهبتها شعوب الأرض".[4]

---

(1) دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية، ص: 308.

(2) انظر: الصحوة الإسلامية، إلى أين؟ ص: 95.

(3) صحيح مسلم 130/1 – كتاب الإيمان– باب بدأ الإسلام وسيعود غريباً وأنه يأرز بين المسجدين – حديث رقم 65.

(4) مقالة بعنوان : معالم رئيسة في واقع العمل الإسلامي، عدنان النحوي، بتاريخ 2015/8/21م، http://127.0.0.1:800/%C7%E1%C5%DD%CA%D1%C7%D6%ED/www.alnahwi.com/default.asp@action=article&ID=242

والأخطر من ذلك كله، تقديس قيادات وعلماء الحزب وتقديمهم على غيرهم من أصحاب الاجتهادات الأخرى، فتقوقع الشباب حول كتابات هؤلاء القادة، فما كتبوه هو حق مطلق لا يقبل الرد، وأما من يخالفهم في الرأي يُتهم بعدم فهم مقاصد الشريعة والواقع والسياسة الشرعية، فتجرأ الأتباع والعوام على كبار العلماء بغير علم وتؤدة، وخدشوا لحمهم المسموم بلا مراعاة لحقهم الشرعي، فانتصر أتباع هؤلاء لعلمائهم وقادتهم، فازداد الاستقطاب الحركي والفكري، وتمزق العمل الإسلامي أكثر وأكثر.

خامساً : عدم رد الأمر إلى منهاج الله:

منهاج الله هو الميزان الذي توزن به الأمور كلها، فالحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله، والحسن ما رآه المؤمنون الأتقياء حسناً، والقبيح هو ما رأوه قبيحاً، وهو مجموعة الضوابط الإيمانية والقواعد الربانية التي تضبط حكم الناس علي الناس، وليس الحكم على الناس من خلال أموالهم وأحسابهم وانتماءاتهم، وأوضح مثال وأفصح مقال لضياع الميزان الشرعي للحكم على الأشياء هو لعبة الانتخابات التي قدمت أشخاصاً أبطأت بهم مؤهلاتهم، فسانتدهم أحزابهم وحركاتهم بكثرة الأتباع المقترعين.

يقول النحوي :" لقد كشفت ممارسة الانتخابات في واقع المسلمين خطورة غياب هذا الميزان، فصار الناس يتقدّمون بأموالهم وأنسابهم، وعائلاتهم وعلاقاتهم ومصالحهم، وأحزابهم، ومدى قوّتهم ونفوذهم من خلال ذلك كلّه. وأصبحت قواعد " اللعبة " الديمقراطية – كما يُسمّونها – هي التي تسود وتحكم، وترفع وتخفض، بدلاً من القواعد الإيمانية التي اختفت من الصدور ومن ميدان الممارسة".[1]

ومن نتائج ذلك أيضاً، هو عدم معرفة الأخطاء حين لم يعد يحدّدها ميزان أمين، وعدم توافر القدرة على معالجتها، فأخذت الأخطاء تتراكم في ساحة العمل الإسلامي حتى أصبحت ركاماً يحجب الرؤية، ويضلّل الناظر، واختلف الناس شيعاً وأحزاباً، وفشى الجهل والزلل، وربما اعتاد الناس الخطأ حتى ألفوه، ثمَّ رغبوا به وأجازوه.

كل يقول أنا الذي ينجي الديا ... ر بوهمه وشعاره المتعجل

كل يقول أنا الذي فإذا الذي ... ليس الذي يا ويح من لم يفعل

تفرقت تلك الحناجر والأك ... ف وساد صمت العاجز المتنصل"[2]

(1) الصحوة الإسلامية، إلى أين؟ ص: 105.

(2) من قصيدة واقع المسلمين، عدنان النحوي، 2105/8/21م،
http://www.islamtoday.net/nawafeth/artshow-54-2814.htm

فإذا أرادت الحركات عز الإسلام وإرجاع زهوه فدونهم الكتاب والسنة المعصومين المحفوظين، فالرب واحد، والقرآن واحد، والنبي واحد، والأمة واحدة، والهدف واحد، فعلام الخلاف والتفرق؟ نعم، إذا ردت الأمور إلى ذلكم المعين الصافي رداً صحيحاً واعياً خالياً من الأحكام المسبقة، وبنية صادقة، وبعد عن لي أعناق النصوص، فلا بد من تحقق الوحدة والنصر والعزة.

نعم، يعي الجميع المعوقات والضغوطات التي تمارس على الحركات الإسلامية من بني الجلدة، ومن أسيادهم في الغرب والشرق لمنع تقدمها، وترسيخ قدمها في المجتمعات، وإيجاد قاعدة جماهيرية لها تستطيع من خلالها أن تنفر لتغيير الواقع، وتعيد مجد الأمة السليب. لكن ما يؤخذ على هذه الحركات تفرقها وتمزقها في الثوابت والفروع، ففتحت بهذا التفرق باباً للضعف أمام عدو موحد على حرب الإسلام وأهله العاملين.

المطلب الثاني
سبل إصلاح واقع الحركات الإسلامية كما يراه النحوي

إن أقصى غاية للمسلمين اليوم – دعاتهم وعوامهم – هي وحدة المؤمنين على نهج واحد وخطة فريدة وحيدة؛ فقد اكتوى الجميع بنار الفرقة والاختلاف والتشرذم، واستغل العدو تفرقهم على قاعدة "فرّق تسُد"، وعلى قاعدة " أكلت يوم أكل الثور الأبيض "، وما زال أعداء الدين منذ أن بزغ فجر الرسالة المحمدية يدبرون المكائد للإسلام وأهله، ويحملون الغل والحقد على هذا الدين، ويحاولون جاهدين صد الناس عن الحق المبين، وإضعاف المسلمين، لأنهم يعلمون أن قوة المسلمين ووحدتهم تعني إضعافهم وتنحيتهم عن القيادة والسيادة للبشرية، لذا، فإن وحدة المسلمين هي أمل يحلم به المعذبون والمحرومون والضعفاء والمظلومون.

يقول النحوي:" إن لقاءَ المؤمنين أملُ الملايين من المعذبين، أمل المحرومين التائهين الضائعين، إنه أمل الضعفاء وغاية الأقوياء، من بين الدماء المسفوحة، والأنَّات المذبوحة، من بين الجثث المحترقة، والصيحات المنطلقة، والأكوام المدفونة، والطعنات المجنونة، من بين هذا الأمر وكثير مثله، تمتد نظرات الأمل، وتشتد سواعد العمل".[1]

ولا يقصد النحوي بلقاء المؤمنين أن تذوب كل الحركات في بوتقة واحدة فلا تتمايز – وإن كان هذا هو الهدف الأكبر – إنما يقصد بهذا أن تكون لها خطة مشتركة ونهج واحد، حتى لا تتضارب الجهود فيضعف بعضها بعضاً. وبذلك تستطيع الحركات أن تقسم العمل للدعوة ليكون كل منهم على ثغر لا يُؤتى الإسلام من قبله، فقد قال – رحمه الله : "لا نقصد بلقاء الحركات الإسلامية، أن تذوب كلها في هيكل تنظيميٍّ واحد، فالحركات الإسلامية اليوم تمثل واقعاً قائماً، إنها تمثل واقعاً جاء نتيجة لتاريخ طويل في حياة الأمة المسلمة، جاء استجابة لأحداث وقعت، ولمسئوليات برزت، ولأخطاء أحاطت.

فالذي نقصده إذن من لقاء الحركات الإسلامية هو قيام أسس ثابتة تلتزم بها جميع الحركات، لتكون قاعدة منطلقها ونهجها وأهدافها، ولتعين هذه الأسس على جمع جهود العاملين، حتى تصبَّ كلُّها في مجرى خير واحد، ولتساهم كذلك في إذابة أسباب الفُرقة والتمزُّق، وفي معالجة أهم المشكلات والأخطار القائمة في واقعنا اليوم".[2]

---

(1) لقاء المؤمنين (الأهداف)، ص: 15.

(2) أهمية لقاء الحركات الإسلامية، عدنان النحوي، 2015/8/22م، http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=476

وبعد ذلك يصبح التنافس بين الحركات الإسلامية هو ميدان سباقٍ إلى الجنة على درب جليٍّ، في ميدان إبداع النهج والخُطة، وتطوير الأساليب وتنميتها، في نور الإيمان والتوحيد، وعلى أساس من منهاج الله ومن مدرسة النبوَّة الخاتمة، مدرسة محمد ﷺ، حيث تساهم مواهب الأمة كلها في الميدان، دون أن تموت هذه المواهب المؤمنة في تنافس ممزِّق وحسد قتَّال مفرِّق، فتبدع مواهب الإيمان والصدق عندئذ عطاء وبذلاً وجهاداً، فينظر الله إلى عباده المؤمنين، فيرى الصدق في القلوب، والنّور في الأنحاء، والجود في البذل والعطاء، والبعد عن في الشحناء والعداء، فيُنزل رحمته، وينجز وعده، ويشرق النَّصر من عنده.

سبل وحدة العمل الإسلامي عند النحوي:

لقد رسم النحوي مجموعة من السبل والعوامل التي يرى أنها كفيلة بإصلاح العمل الإسلامي وتعاونه وتكامله مما يمكن سرده في النقاط التالية:

أولاً : الاعتصام بالكتاب والسنة:

وهذا ليس اقتراحاً من النحوي – يرحمه الله تعالى – للدعاة بحبوحة في أخذه أو رده أو نقده، بل هو أمر من الله سبحانه بأن يردوا الأمور كلها إلى القرآن والسنة بأمانة، فرد الأمور إلى الله أمر الرحمن، وحال النبي ﷺ العدنان، فهو صمام الأمان، وحرز عباد الله من الضلالة والخسران.

قال تعالى : ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ (النساء : 59).

وقال تعالى :﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ** ﴾ (الشورى : 10)، وقال النبي ﷺ:" **وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ** "[1].

فالانطلاق من القرآن والسنة بفهم السلف الصالح يقرب وجهات النظر عند أرباب الحركات، ويختصر بينهم المسافات، ويذيب الفرقة والخلافات، ويجنبهم شبح العصبيات، وهذا الذي حذر منه النحوي قائلاً: "إذا قامت بين الناس حركات إسلامية أو تكتلات أو تجمعات، فلا بد أن يكون الارتباط بينهما دعوة الله الواحدة، دين الله الواحد ... ولا يجوز أن تكون التجمعات أو الحركات على عصبية جاهلية تعلو على القرآن والسنة".[2]

(1) صحيح مسلم، 886/3 – كتاب الحج – باب حجة النبي ﷺ – رقم/ 1218.
(2) كيف تلتقي الجماعات الإسلامية، ص: 131

وحذر النحوي كل التكتلات والحركات بأن البعد عن الكتاب والسنة قدح في الإيمان، واتباع لسبيل الشيطان، فرد الأمر إلى الكتاب والسنة في كل الأحوال دليل صدق الإيمان والانتماء إلى دين النبي ﷺ.

لذا قال – رحمه الله:" وحتى يُعالج الخلل عند الحركات الإسلامية فلا بد أن يعود المؤمنون في كل ما يختلفون فيه أو يتنازعون فيه إلى الله ورسوله، لا إلى شيء آخر، إلى القرآن والسنة فحسب، فقد ربط العودة إليهما بالإيمان، فمن لا يعود لا يعد مؤمناً، قال تعالى: ﴿ **فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾ (النساء : 59) ... من هذا التصور نرى أن الاختلاف اختبار وبلاء، حتى تمحص عودة المؤمن إلى الله ورسوله في كل شيء، وحتى تمحص عودة الأمة إلى منهاج ربها، لميز الله الخبيث من الطيب".[1]

ولكي تتقارب عوامل التفكير، ومصادر الرأي، يجب أن يكون الزاد واحداً، فزاد الكتاب والسنة يقرب المؤمن من المؤمن، ويعالج أسباب الخلاف، وعلى هذا يجب أن تحرص مدرسة الإسلام – وهي تقوم ببناء الجيل المؤمن – على وحدة المصدر، فقد تبين أن اختلاف المصادر ولّد بين المسلمين خلافات شديدة، وكلما التزمت الحركات منهاج الله – قرآناً وسنة – وقامت عليه وارتبطت به، تقاربت الأفكار والآراء.[2]

"يـا لا تـركـنـي لظالـم أو أحـمـق
لا تـركنـي لجاهـل مع الهوى أو أخـرق
واعتصمي بالله والـ ـجئي لـه واستبـق
من كلـن في حماه ظل في حمى لـم يخـرق
ومأمن من كل غاد ماكـر أو مـن شقـي
هي النجـاة أدركيـ ـها أو ذريهـا فاغرقي"[3]

ثانياً: اجتماع كلمة العلماء:

العلماء الربانيون هم أولوا الألباب الذين عرفوا الحق بدليله من الكتاب والسنة، ونشروه بين الناس، هم الذين يقولون الحق لا يخشون في الله لومة لائم، هؤلاء الذين تُعقد عليهم الخناصر،

---

(1) الاختلاف بين الوفاق والشقاق: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1425 هـ – 2004 م، ص: 100 – 101.
(2) انظر: المصدر السابق، ص: 111.
(3) ديوان مهرجان القصيد، ص: 115.

ويهوي إلى علمهم وسمتهم الأتباع والعناصر، والذين أنزلوا علمهم على الواقع المعاصر، هؤلاء العلماء الذين هذا وصفهم إذا اجتمعوا على كلمة سواء، وخرجوا برؤية مشتركة للعمل الإسلامي، تبعهم الناس فيما قالوا، أما إذا اتكأت كل حركة أو جماعة على فتاوى شيخها واجتهاده، فلا بد أن يتفرق الأتباع، بل وتُقذف بينهم الشحناء والبغضاء، يفعلون هذا وهم يستدلون بالقرآن والسنة، ويعتقدون أنهم على المحجة، فكم من آية في القرآن تعددت أفهام العلماء لها واختلفوا فيها كثيراً، وكم من حكم تناقلته العامة بدافع التقليد والتعصب والتقديس!

يقول النحوي – يرحمه الله تعالى:" إن لقاء المؤمنين يحتاج إلى الجهد البشري لينطلق به، ولقد كانت سنة الله في الذين خلوا أن ينطلق الجهد من النبوة المرسلة والرحمة المهداة، ثم أصبح الجهد في أصحاب محمد ﷺ، ثم أصبحت بعدهم مهمة ورثة الأنبياء، روّاد الحق، والمجاهدين العاملين ... الذين تجتمع فيهم الخصائص الإيمانية ليكون سلوكهم وحركتهم ونشاطهم، إسلاماً حياً، إسلاماً ناطقاً، إيماناً مميزاً، وقرآناً وسنة، يقيمون البرهان والحجة".[1]

ومن الواضح أن النحوي يقصد نوعاً معيناً من العلماء، إنه يقصد العلماء الربانيين العاملين، يقصد أهل الثغور الذين لم يقفوا خاشعين راغبين على أبواب السلاطين ليبيعوا علمهم، ولا الذين عملوا عمل الآخرة للدنيا، ولا الذين أضلهم الله على علم.

قال – رحمه الله :" إنه الجيل القوي الذي يتقدم ليحمل أعباء الدعوة، وأمانة الرسالة، على صبر وثبات، لا يلتفتون ولو خالفهم من خالفهم، ظاهرين بتمسكهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ".[2]

والواقع أنه حتى لما اجتمع العلماء في إطار جامع، تعددت أسماء حركاتهم ومشاربهم، وطغى عليهم جانب دعوي وفكري واحد، وأهملت أو أبعدت الرؤى والمناهج الأخرى، فلم تؤثر هذه التجمعات كثيراً في حال الأمة والعمل الإسلامي إن لم تكن كرست الفرقة والخلاف أكثر. والواقع قد اشرأب فيه عنق الخلاف الكبير بين العلماء، فكان لا بد من إيجاد نقاط مشتركة – وما أكثرها – يجتمعون عليها، فما لا يُدرك كله لا يُترك جُله، وهذه الخطوة الثالثة في طريق إصلاح عمل الجماعات والحركات، ألا وهي التعاون في المتفق عليه، والإعذار في المختلف فيه.

ثالثاً: الالتقاء والتعاون في النقاط المشركة في العمل الإسلامي:

مهما تعددت الاتجاهات، وفرقت العاملين الآراء والاجتهادات، فإن هناك مساحة ضخمة مشتركة يمكن التعاون من خلالها، فرب الحركات والاتجاهات واحد، هو الله سبحانه المعبود، وقد

(1) لقاء المؤمنين (الأهداف)، ص: 191.

(2) المصدر السابق، ص: 212.

عصم كتابه من التحريف، ورسولهم محمداً ﷺ صاحب اللواء المعقود، والحوض المورود، والكل يحاول أن يأخذ بحبله الممدود، أيضاً قد عصم الله سنة نبيه من الضياع، وهدف الجميع واحد في الدنيا والآخرة؛ أما في الدنيا فالهدف الإصلاح وتحكيم دين الله في الخلق، وأما الآخرة فرضوان الله وجنته في مقعد صدق عند مليك مقتدر، والأعداء معروفون لا خفاء فيهم؛ الشيطان واليهود والنصارى ومن لف لفيفهم، الذين نهبوا ثروات الأمة وجثوا على صدرها، ووأدوا كل محاولة لإرجاع مجدها المسلوب. وبعد هذا كله فعلامَ الاختلاف؟

قال – رحمه الله: "الدعوة الإسلامية واحدة، وهي امتداد دعوة الأنبياء والرسل الذين ختموا بمحمد ﷺ، دعوة واحدة لدين واحد، تحمله أمة واحدة، لتعبد رباً واحداً لا شريك له، هذا الأصل يوضحه لنا منهاج الله حتى يظل الارتباط النفسي قوياً بهذه الجذور العميقة لدعوة الله في الأرض، وحتى تظل الدعوة صافية عميقة الارتباط بهذه الجذور، فإذا قامت بين الناس حركات إسلامية، أو تجمعات أو تكتلات يفرضها الواقع في مرحلة ما من مراحل التاريخ، فلا بد أن ترتبط كلها بدعوة الله الواحدة، من حيث النهج، والولاء والبراء، والممارسة الإيمانية والعمل الصالح. وقد يحمل كل تجمع اسماً أو شعاراً أو رمزاً يُعرِّف به نفسه إلى الناس، لكن تظل هذه الأسماء تمثل جهداً بشرياً مرتبطاً بالدعوة الإسلامية الممتدة".[1]

وكل جماعة أو حركة مطالبة بالبحث عن النقاط التي تلتقي فيها مع جماعة أو حركة أخرى، لتتعاون الحركتان أو الحركات فيما بينها، وعلى أساس هذه النقاط المشتركة توضع الخطة الجامعة النابعة من الوحي، الملبية لواقع الأمة، الآخذة بالاعتبار الإمكانات المتاحة.

يقول النحوي – رحمه الله:" لا بد أن يكون بين المؤمنين نقاط لقاء واتفاق، فلا يعقل أن يطغى الخلاف على كل شيء، لذلك لا بد من وضع نهج مفصل نابع من الكتاب والسنة، ملبٍّ لحاجة الواقع، جامع لنقاط اللقاء كلها. إن هذا النهج قادر على جمع القلوب والجهود لتمضي على صراط مستقيم واحد، لا يخرج عنه إلا صاحب هوى أو جهل. إلى هذا النهج ندعو كل مسلم وكل أسرة وكل حركة، عسى الله أن يجمع به القلوب والجهود برحمته".[2]

فلمَ لا يكون الاختلاف بين الحركات اختلاف تنوع وتخصص لا اختلاف تضاد وتنازع؟ تراحم وتغافر، لا تعدد بغض وتناحر؟ بل هذه النظرة هي الخطوة المهمة التي بعدها تتم وحدة الحركات كلها، وما تقصر فيه جماعة تتداركه جماعة أخرى، فتتكامل هذه الجماعات في أداء هذه الفروض الكفائية، ويرتفع الإثم عن الجميع.

(1) كيف تلتقي الحركات الإسلامية، ص: 131 –132 بتصرف يسير.

(2) الاختلاف بين الوفاق والشقاق، ص: 100.

ورحم الله العلماء والقادة الذين حاولوا زرع هذا الفكر في الأتباع منذ القدم لما قالوا: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما أذن الله لنا الاختلاف فيه.(1)

رابعاً: النصيحة والبعد عن التجريح:

الدين كله مبني على النصيحة، وهو حق لكل مسلم على أخيه المسلم، وأحق الناس بالنصيحة من تنادوا للدعوة الإسلامية وحملوا أعباءها، واتخذوها منهج حياة، النصيحة الحانية الرقيقة أولى الناس بها هم الدعاة والعلماء والمصلحون قبل عوام الناس.

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**الدِّينُ النَّصِيحَةُ " قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: " لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**".(2)

قال الإمام النووي – رحمه الله تعالى:" هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام، وأما ما قاله جماعات من العلماء أنه أحد أرباع الإسلام أي أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده".(3)

ولم يُخْفِ النحوي غضبه من غياب النصيحة فصرخ في وجه الذين لا يتقبلونها، مع أنهم من العاملين للدين قائلاً: "ربما لا يتقبل بعضهم في العمل الإسلامي كلمة النصح مهما كانت رقيقة مهذبة ما دام فيها اعتراض! يصعب عليهم هذا وقد يحسبونها إهانة، هؤلاء لم يتدربوا في مدرسة الإسلام على النصيحة وآدابها وقواعدها ... لذا يجب أن تطرح النصيحة في الوقت والمكان المناسب، وأن تكون خالصة لله، لا للتجريح ولا للإساءة، ولا لتتبع العورات، وألا تكون نتيجة لحالة نفسية من غضب أو خصام أو حقد أو تنافس على الدنيا".(4)

ولعمري كيف يدَّعي الإسلام والعمل من أجله من غاب في غياهب التجريح والتشهير وتصيد الهفوات؟ وكيف يدعي أنه على خطا الأنبياء عليهم السلام من لا يكون في المقام الأول ناصحاً أميناً لا حاكماً منتقداً؟

---

(1) انظر: مجموع فتاوى ابن باز : عبد العزيز بن باز – بدرون بيانات، 58/3، لقاء المؤمنين (الأهداف) 29/2، مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها: على أحمد مدكور – دار الفكر العربي – الطبعة الأولى – 1421هـ – 2001م، ص: 148، محمد رشيد رضا، مجلة المنار المجلد 35 – الجزء 6– الصفحة 480، العدد (رجب – 1358هـ / أغسطس – 1939م) .

(2) صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب بيان أن الدين النصيحة – 74/1– حديث رقم 55.

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي): محيي الدين يحيى بن شرف النووي– دار إحياء التراث العربي – لبنان – الطبعة الثانية – 1392هـ، 37/2.

(4) واقع المسلمين، أمراض وعلاج، ص: 35 – 40.

قال تعالى على لسان هود ﷺ لقومه : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ ﴾ (الأعراف : 68)، وقال سبحانه على لسان نوح ﷺ لقومه :﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف : 62)، وغيرهما كثير في القرآن.

يقول النحوي:" النصيحة التي دعا إليها الإسلام غابت عن واقع المسلمين اليوم، والنقد الذاتي الذي دعا إليه أولئك أخذنا منه التجريح والتشهير والخصومة والعداء، فلا بد إذاً من عودة صادقة إلى حياة المسلمين بكل قواعدها وآدابها، حتى تصبح النصيحة منهاجاً ربانياً يمارس عملياً في واقع العمل للإسلام، وفي واقع التربية والبناء والممارسة والتطبيق".[1]

والنصيحة لا تكون من خلال المنابر العامة، ولا على شاشات القنوات الفضائية التي يشهدها كل الناس، وتتطاير أنباؤها إلى الطواغيت وخصوم الإسلام، ولا يستفيد من ذلك إلا أعداء هذه الدعوة، وأبسط ما في الأمر أن يرد عليه الآخرون بالمثل، ويتحول وجود الدعاة في هذه المواقع من هداة مرشدين إلى خصوم متنازعين، فيُفتن العامة وتُفقد الثقة في الدعوة والدعاة، وينفض الناس عنها، إضافة لما يتضمنه من استعداء الطواغيت على الجميع.

خامساً: الوقفة الإيمانية:

إن الحركات الإسلامية اليوم تحتاج إلى مراجعة شاملة ووقفة إيمانيّة واعية، فمن ظنّ أنه ليس بحاجة إلى هذه الوقفة الإيمانية فقد زلَّ، فالأخطاء كثيرة، وكل ابن آدم خطاء، وقد أصبحت هذه الأخطاء واضحةً في العمل الإسلامي كان من نتائجها تأخير النصر وضياع الجهود والطاقات.

إن الذي أصاب المسلمين في القرنين الأخيرين مآسٍ مذهلة وفواجع وهوان وإذلال، وهم حملة رسالة ربانيّة، رسالة الإسلام، ليبلّغوها إلى الناس كافّة كما أُنزلت على محمد ﷺ، لذا، فإن من أول واجباتنا في الوقفة الإيمانيّة تحديد أخطائنا في دراسات منهجيّة. وحين تقوم مثل هذه الدراسات، سنجد أن الخلل واسع والأخطاء كبيرة، ولا ينفع فيها أن يهاجم فريقٌ فريقاً آخر، وينتقده ويتهمه، ثمّ ينبري الفريق الآخر ليكيل الصاع صاعين، فيمضي الزمن والخلافات تتسع والتمزّق يزداد.[2]

إن المناهج الوضعية والشرائع الأرضية التي خالفت منهج رب البرية سبحانه تضع لنفسها المراجعة الدورية والتغذية الراجعة لتُقَيِّم عملها، لتعرف الخطأ فتصوبه والصواب فتعززه، وإن أولى

---

(1) الصحوة الإسلامية، إلى أين؟ ص: 83.

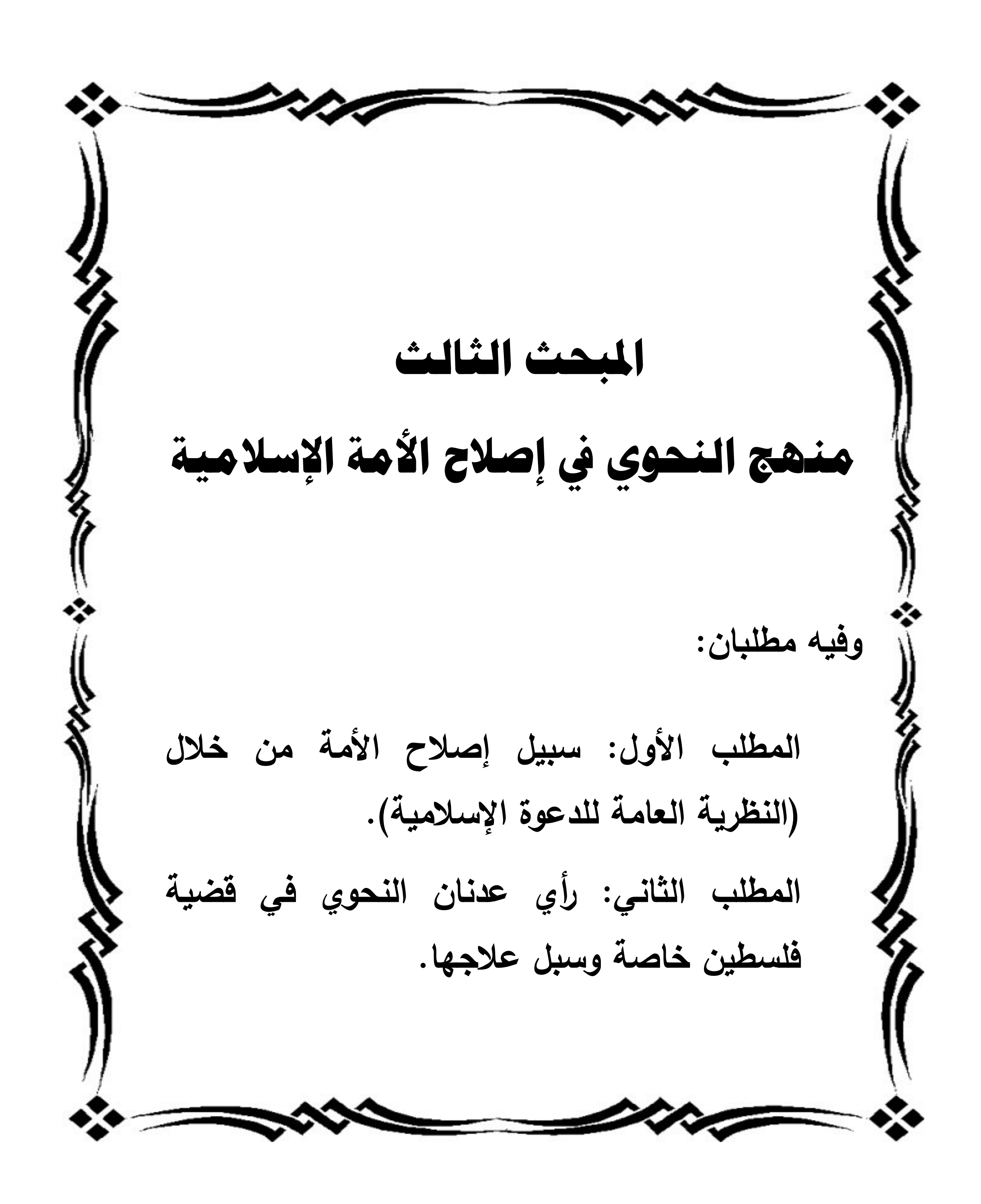
(2) انظر: تمزق العمل الإسلامي بين ضجيج الشعارات واضطراب الخطوات: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 2516 هـ – 2004 م، ص: 73 – 74.

الناس بهذا النهج من المراجعة ووقفة المحاسبة والتقويم هم من انبروا ليحملوا راية الإسلام، لما يترتب عليها نجاح العمل في الدنيا، والجزاء في الآخرة.

قال – رحمه الله :"إن أولى الناس بالتوقف والنظر هم أبناء الحركات الإسلامية، الذين عُرفوا بانتسابهم إلى ميدان العمل، الذين يفترض فيهم أنهم أكثر مسئولية في الدنيا، وأشد حساباً في الآخرة، وكذلك كل من نذر نفسه لمسئولية في هذا الدين، وكل مسلم مسئول:" **ألا كلكم راع ومسئول عن رعيته"**[1]، فلننظر في واقع المسلمين الملتزمين، وواقع الحركات الإسلامية قبل أن ننظر في أناس طوتهم فتنة اللهو والشبهات، فلم يبق لهم من صلة بالإسلام مما نعلمه إلا هوية وأسماء".[2]

ولقد كان النحوي – رحمه الله – دائم الوقفات الإيمانية مع أحداث الأمة ناصحاً أميناً مشفقاً، يتابع الأحداث عن كثب، ينصح بأدب ورحمة، يقف على الدليل، ينأى عن التحيز، فمن وقفاته الدعوية: **وقفة مع الربيع العربي، وقفة مع الديمقراطية، وقفة مع مؤتمر الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وقفة مع البرلمانات وانتخاباتها، وقفة مع الأزمة الاقتصادية، وقفة مع الأحداث في فلسطين، وقفات مع محمود درويش**، وغيرها.[3]

(1) صحيح البخاري – كتاب العتق – باب العبد راع في مال سيده – 150/3 – رقم / 2558.
(2) كيف تلتقي الحركات الإسلامية، ص: 36.
(3) مقالات، عدنان النحوي، بتاريخ 2015/8/24م،
http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&id=857



المبحث الثالث

منهج النحوي في إصلاح الأمة الإسلامية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سبيل إصلاح الأمة من خلال (النظرية العامة للدعوة الإسلامية).

المطلب الثاني: رأي عدنان النحوي في قضية فلسطين خاصة وسبل علاجها.

المطلب الأول

سبيل إصلاح الأمة من خلال (النظرية العامة للدعوة الإسلامية)

لقد مرت على الأمة الإسلامية حالة من الذل وتكالب الأعداء بما لا يخفى على أحد، فنزلت الأمة من عليائها، وتخلت عن عمد وغير عمد عن مكانتها التي أرادها الله لها، فعاشت الأمة في الدوامات السياسية، ورفرفت في سمائها رايات الوطنية والعلمانية والقومية، وفصلت بينها الحدود الجغرافية المصطنعة، بل وفي بعض الأحيان تناحرت فيما بينها على هذه الحدود، وجرفت الأفكار المستوردة من الغرب عقول كثير من المثقفين فأصبحوا أبواقًا للغرب مدعومة، تُفتح لهم القنوات الفضائية، وتُغدق عليهم الأموال، وبالمقابل ضُيق على العاملين الصادقين، وأصبح الفكر الإسلامي غريبًا وحيدًا طريداً بعد أن كان الأساس والحاكم على الأفكار الأخرى.

وتفرق العمل الإسلامي نفسه تبعًا للمدارس التي ينتمي إليها، وربما تضاد في بعض الأحيان، فتفرق المسلمون تبعًا لمدارسهم الفكرية، ودب فيهم داء الحسد والحقد والعصبيات الجاهلية والحزبية، ورفعت الشعارات والرايات التي تفتقر للأرضية الشرعية والجماهيرية المطلوبة.

يقول النحوي –رحمه الله–: "لقد مرَّ العمل الإسلامي مبتذلاً لسنوات طويلة جدًا لم تُسجل فيها تجارب العمل الإسلامي تسجيلًا منهجيًا، لقد كان العمل الإسلامي "مقطَّعاً"، لا ترتبط حلقاته ولا مسيرته إلا من خلال مذكرات شخصية، حتى أصبحت كل حركة إسلامية – حين تستأنف المسيرة – تكاد تبدأ من نقطة الصفر، ورافق ذلك كله تقطُّع الأمة الإسلامية نفسها إلى قطع متناثرة، اختلفت فيها الشعارات والرايات، وهبت فيها العصبيات الجاهلية يغذيها الكافرون والمنافقون".[1]

يحدث هذا بالرغم من أن القرآن والسنة يصدحان ليل نهار بالوحدة، وأن جمع الشمل واجب على كل العاملين لتتفرغ الأمة لمهمتها الرئيسة، وهي نشر نور الإيمان على كل بقاع الأرض. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ (الأنبياء : 92)

يقول النحوي: "يتذكر المسلم أن الأمة الواحدة وقيامها نداء من عند الله وأمر من الدين، يتذكر أن أمة الإسلام لها مهمة عظيمة في الأرض ورسالة كبيرة للناس... أمة مسلمة واحدة

(1) المسؤولية الفردية، ص: 18.

رابطتها الإيمان والتزام منهج الله فكرًا وإيمانًا وعملًا، لا يبقى " للطائفة العائمة"[1] مكان فيها، ولا للأفكار الواردة ولا للعصبيات... فهناك قوته وباب نجاته في الدنيا وباب الطاعة عند الله، وسبيل الوفاء بالأمانة، وصدق العبادة، وحق الخلافة".[2]

ويحدد النحوي السبيل إلى هذه الأمة الواحدة، ويوضح مهمتها قائلًا: "عمارة الأرض لا تكون إلا بالإيمان والتوحيد، وهذا لا يمكن أن يقوم به فرد مسلم ملتزم واحد، ولكن تقوم به الأمة المسلمة التي تكون فيها كلمة الله هي العليا، والأمة المسلمة هذه لا تقوم إلا إذا جاهدت الطائفة الظاهرة، الجيل المؤمن، في لقاء المؤمنين صفًا واحدًا كالبنيان المرصوص".[3]

ويأبى الله إلا أن يجعل للأمة مجددين من أبنائها المخلصين الذين أخذوا على عاتقهم دعوة الأمة من جديد إلى تحكيم منهاج الله، ورصِّ الصف على أساس من التوحيد، يذكر بعضهم الدكتور النحوي: "وهبَّ بعضُ الرجال في العالم الإسلامي يدعون بدعوة التوحيد، يدعون إلى الله ورسوله منهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب (1143هـ - 1730م)[4] في السعودية، ومحمد المهدي السنوسي[5]

(1) يقصد النحوي بالطائفة العائمة الفئة المنتسبة إلى الإسلام، ولكنها لا تحمل رسالة لتبلغها للناس، ولا تحمل الزاد الحق من الكتاب والسنة، وقد تقوم ببعض الشعائر وتترك بعضها أو كلها. انظر: النهج في موضوعاته ومصطلحاته، ص: 253.

(2) الصحوة الإسلامية إلى أين؟ ص: 12-13..

(3) الشريعة والحياة المعاصرة: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1428 هـ - 2007 م، ص: 57.

(4) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (1115 - 1206 هـ = 1703 - 1792 م): زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب. ولد ونشأ في العيينة (بنجد) ورحل مرتين إلى الحجاز، فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض أعلامها. وزار الشام. ودخل البصرة فأوذي فيها. وعاد إلى نجد، فسكن (حريملاء) وكان أبوه قاضيها بعد العيينة. ثم انتقل إلى العيينة، ناهجا منهج السلف الصالح، داعيا إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام. وارتاح أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر إلى دعوته فناصره، ثم خذله، فقصد الدرعية (بنجد) سنة 1157 هـ فتلقاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام، وقبل دعوته وآزره كما آزره من بعده ابنه عبد العزيز ثم سعود بن عبد العزيز، وقاتلوا من خلفه. انظر: الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي – دار العلم للملايين – مصر – الطبعة الخامسة عشرة – 2002م، 257/6.

(5) هو محمد بن عثمان بن محمد بن أحمد السنوسي ويقال له (الكافي ابن مهينة) (1179 - 1255 هـ = 1765 - 1839 م) من حفدة الشيخ عساكر الشريف الحسيني: فقيه مالكي تونسي. من أعيان القضاة. ولد ونشأ في (الكاف) وتفقه بتونس. الأعلام للزركلي 262/6.

ومحمد إلياس الكندهلوي(1) (1283هـ-1876م)، وحسن البنا(2)(1327هـ-1928م)".(3)

وسخر الله أيضًا للأمة من يجدد فيها حب الجهاد والاستشهاد من أمثال عبد القادر الحسيني(4)، وعز الدين القسام(5) وغيرهما، وانطلقت أفكار مباركة من المخلصين ورؤى لإصلاح الأمة وجمع كلمتها، فألفت الرسائل والكتب تحاول تحقيق ذلك الهدف الكبير.

---

(1) هو الداعية الكبير محمد إلياس الكاندهلوي، ولد سنة 1303هـ وتوفي في 1364هـ، في (مظفر نكر) بالهند، في أسرة تشتهر بالعلم والدين والورع، أبوه الشيخ محمد إسماعيل من أسرة كريمة ضاربة جذورها لأبي بكر الصديق ﷺ، والشيخ محمد إلياس هو المؤسس الأول لجماعة الدعوة والتبليغ المعروفة وذلك سنة 1926م. انظر: الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته إلى الله، لأبي الحسن علي الندوي، دار ابن كثير، دمشق، 1420هـ، ص: 11.

(2) حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا (1324 - 1368 هـ = 1906 - 1949 م): مؤسس جماعة (الإخوان المسلمون) بمصر، وصاحب دعوتهم، ومنظم جماعتهم. ولد في المحمودية (قرب الإسكندرية) وتخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم كمدرس في مدينة الإسماعيلية، هناك استخلص أفراداً صارحهم بما في نفسه من خطة للدعوة، فعاهدوه على السير معه لإعلاء كلمة الإسلام، فسمي (المرشد العام) للجماعة، فأصدرت الجماعة الكتب والنشرات، وألقى علماؤها المحاضرات، وتنقل الشيخ حسن هو ورفقاؤه من مدينة إلى أخرى. أنشأ – رحمه الله – جريدة الإخوان في القاهرة، فوجدت الجماعة إقبالاً كبيراً عليها. واغتيل بتاريخ 12/ 2/1949م. انظر: الأعلام للزركلي، 2/184-185.

(3) الصحوة الإسلامية إلى أين، ص: 42.

(4) عبد القادر بن موسى كاظم الحُسَيْني (1326 - 1367 هـ = 1908 - 1948 م): مجاهد، كان شعلة حمية ونجدة وذكاء. ولد بالقدس، وتعلم في الجامعة الأميركية بالقاهرة، وشارك في بعض الثورات على الحكومة البريطانية، في عهد احتلالها فلسطين. وجرح سنة 1937 م، فنقل إلى دمشق، وعولج. وقصد بغداد، فدخل " الكلية الحربية " متعلما ومتمرناً. ثم عمل في الجيش العراقي مدة قصيرة. وشبت ثورة رشيد علي الكيلاني (سنة 1941 م) فكان له أثر فيها، واعتقل نحو سنتين. وأطلق، فتوجه إلى الحجاز فأقام 18 شهرا، وانتقل إلى مصر. ونشبت معركة فلسطين، بين العرب واليهود، فقاد مجاهدي المنطقة الجنوبية (القدس وما حولها) واستشهد على أبواب " القسطل " وهو محاصر لها ودفن في المسجد الأقصى. الأعلام للزركلي 48/4.

(5) محمد عز الدين بن عبد القادر القسام (1300 - 1354 هـ = 1882 - 1935 م) : مجاهد، من أسرة كريمة في جبَلة (من أعمال اللاذقية) تعلم في الأزهر بمصر. واشتغل في بلده بالتعليم والوعظ إلى أن احتل الفرنسيون ساحل سورية في ختام الحرب العامة الأولى (سنة 1918) فثار في جماعة من تلاميذه ومريديه وطارده الفرنسيون، فقصد دمشق، إبان الحكم الفيصلي. ثم غادرها بعد استيلاء الفرنسيين عليها (سنة 1920) فأقام في حيفا (بفلسطين) وتولى فيها إمامة جامع الاستقلال وخطابته، فثارت فلسطين على الإنكليز، وكانوا حكامها (سنة 1934)، ظهرت بطولة القسام في معارك خاضها في تلك الثورة، منفردا بعصبة من رجاله، يقاتلون كلما وجدوا سبيلا إلى القتال، ويأوون إلى الكهوف والمغاور. ومات شهيداً في أواخر عهد الثورة، فدفن في قرية (الشيخ) بجوار حيفا. الأعلام للزركلي 267/6.

ومن هذه المحاولات لجمع الأمة وإصلاحها ما كتبه النحوي في أغلب كتب الدعوة التي خطها بيده وأسماه (**النظرية العامة للدعوة الإسلامية**) التي تركزت على دعوة الإيمان والتوحيد وفهم الواقع ومعالجة المشكلات الرئيسية في الأمة في تفصيل شامل يأتيك بعد قليل.

يقول عنها شيخنا النحوي: "والنظرية العامة للدعوة الإسلامية ضرورية في واقعنا اليوم، لأنها تجمع بصورة موجزة مركزة القواعد الرئيسة التي تحتاجها الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي، وتنطلق منها نظرية العمل في الإسلام في كل ميدان ونهجه وخطته وأهدافه، ينبع ذلك كله من منهاج الله ومن حاجة واقعنا الذي ندرسه من خلال منهاج الله".(1)

وبالرغم أنها حديثة في زمانها، لكنها أصيلة في مصدرها، فإنها ترتبط بمدرسة محمد ﷺ، وتستفيد من تجارب الدعوة على مر العصور، وتجارب الإنسان الناجحة في كل قطر وزمن.

"والنظرية العامة، بالإضافة إلى أنها تنبع من منهاج الله وتلبي حاجة الواقع، فإنها ترتبط بمدرسة النبوة الخاتمة وتقتفي آثارها، وتستفيد من تجربة الدعوة الإسلامية في مختلف عصورها، وجهود الأئمة الأعلام في تاريخها... ولا نتردد في الاستفادة من تجربة الإنسان في أمور خارجة من دائرة التصور للإنسان والكون، والموت والحياة والدار الآخرة والغيب والشهادة".(2)

وتولي هذه النظرية الدعوية العقيدة الإسلامية وقضية الإيمان والتوحيد مكانة بارزة، فالبداية من هذه القضية ثم تستمر ثابتة في كل خطواتها ومراحلها، ينتقل بها إلى غيرها، لا منها إلى غيرها، وهذا يدفع إلى علاج الخلل في العقائد أولًا، ثم الانطلاق إلى الميادين الأخرى بعقيدة صحيحة تقوى على تحمل أعباء المرحلة.

يقول – رحمه الله :"إن قضية الإيمان والتوحيد ممتدة في جميع مراحل النظرية العامة، فهي أولًا القاعدة الصلبة التي تقوم عليها النظرية كلها، ثم يبرز الخلل فيها كأخطر خلل في الواقع يجب البدء بمعالجته لتكون هذه القضية هي الهدف الثابت الأول في الدعوة الإسلامية، ثم تصبح هذه القضية أحد الأسس الأربعة التي تكون بمجموعها العنصر الأول للتنفيذ في الميدان، لترتبط بها سائر العناصر وتنطلق منها".(3)

ويذكر الدكتور النحوي جملة من أهداف النظرية العامة للدعوة الإسلامية: فهي تعين الفرد والجماعة والأمة على تنسيق الجهود، وتستفيد من تجربة الإنسان الطويلة في الحياة، وتلمس أغلب شؤون الحياة التي تهم الأمة عامة والفرد المسلم خاصة.

---

(1) بناء الأمة المسلمة الواحدة، ص: 75.

(2) النظرية العامة للدعوة الإسلامية، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثالثة – 1417 هـ – 1997 م، ص: 54.

(3) لقاء المؤمنين (أسسه وقواعده)، 25/2.

يقول – رحمه الله – : "يمكن إجمال أهمية النظرية العامة للدعوة الإسلامية في أنها تعين الفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة لتنسيق الجهود والعمل على ترابطها، وتثير قضايا هامة أهملها المسلمون، وأهمها دراسة الواقع من خلال منهاج الله، وتنزيل الشعارات العامة إلى ميدان النهج والتخطيط، وكذلك ترتبط بمدرسة النبوة الخاتمة ... وتقدم النظرية التصور المتكامل المترابط للفقه في الإسلام وامتداده في جميع شؤون الحياة وميادينها، وتقدم أهمية التكامل بين النظرية والتطبيق".[1]

والنحوي يطرح كثيرًا هذه النظرية في كتبه، فمن الكتب من خصصه لهذه النظرية، ومنها ما ضمن النظرية كجزء منه، حتى بلغ عدد الكتب التي تناولتها أكثر من خمسة وأربعين كتابًا، ويعتبرها النحوي خلاصة جهده الدعوي على امتداد حياته حيث يقول: "ليست النظرية العامة للدعوة الإسلامية التي ندعو إليها توجز بمقالة في صحيفة أو مجلة، كلا إنها دراسات متصلة متتالية استغرقت أكثر من عشرين عامًا، ظهرت تفصيلاتها في أكثر من خمسة وأربعين كتابًا، إنها خلاصة الجهود وخلاصة التجربة في الحياة".[2]

ولم يجد الباحث أحدًا انتقد النظرية العامة للدعوة الإسلامية، أو بين عيوبها، لكن النحوي استبق هذا النقد بأن تساءل هذا السؤال بقوله: "ربما يقول قائل هل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هذا المصطلح "النظرية العامة للدعوة الإسلامية؟ فنجيب: كلا! لا يوجد هذا المصطلح كما أن كثيرًا من المصطلحات الفقهية التي ظهرت في تاريخ الفقه الإسلامي لا تجدها في الكتاب والسنة، لكن المسلمين مطالبون بأن يستحدثوا من المصطلحات ما يلائم الواقع ... على أن يكون نابعًا من قواعد الإيمان والتوحيد".[3]

ومن المعلوم أن المناهج الدعوية تنقسم من حيث مصدرها أو واضعها إلى قسمين أساسيين: **القسم الأول: المناهج الربانية:** وهي مناهج توقيفية مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية، لذا فهي معصومة من الخطأ، وهي أصل للمناهج الدعوية الأخرى من حيث وضع الشارع للدعاة إلى الله ليقوموا بدورهم وفق هذه المناهج.

والقسم الثاني: المناهج البشرية: وهي مناهج يقوم على وضعها العلماء والدعاة المجتهدون بما يتفق مع المناهج الربانية والاعتماد عليها، ولكن هذا الاجتهاد يتناسب مع الزمان

(1) النظرية العامة للدعوة الإسلامية، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، ص: 53.
(2) بناء الأمة الواحدة، ص: 35.
(3) المصدر السابق، ص: 39-40.

الذي يعيشونه، والظروف التي تحيط بالدعاة والمدعوين ليتلاءم ذلك مع مصلحة الدعوة إلى الله تعالى.[1]

ويرى النحوي أن النظرية العامة للدعوة الإسلامية، هي التي تستطيع أن تجمع شعث الأمة من جديد – إن صدقت الطاقة البشرية التي تأخذ بها– فما هي هذه النظرية؟ ومم تتكون؟ وما هي عناصرها؟ وهل هي ملائمة فعلًا لإصلاح الأمة أم لا؟

يقول النحوي: "من خلال قضايا النظرية العامة للدعوة الإسلامية التي يغمرها النور من منهاج الله نرجو أن نوفر الفرصة الغنية لتقريب وجهات النظر في الساحة الإسلامية، وتقريب المسافات، وتضييق شقة الخلاف، ولجمع النفوس والقلوب، وتوحيد العزائم والجهود، على طريق طويل ممتد على صراط مستقيم إلى الجنة والدار الآخرة ورضوان الله، ولنشق الدرب إلى لقاء المؤمنين الصادقين وبناء الأمة المسلمة الواحدة في الأرض، ومهما تكن الخطة صادقة والنهج سليمًا والنظرية متكاملة الأهداف جلية، فإن النجاح لا يتوقف عليها فحسب، وإنما على الطاقة البشرية التي تحملها".[2]

عناصر وأسس النظرية العامة للدعوة الإسلامية عند النحوي:

تقوم النظرية العامة للدعوة الإسلامية على قاعدتين كبيرتين هما: المنهاج الرباني والواقع البشري، وهما تمثلان الأساس والمنطق للتصور والممارسة والنهج والتخطيط، وتقوم كلا القاعدتين على القاعدة الصلبة وهي قضية الإيمان والتوحيد والتي تحمل سائر البنود والتي تمتد مع كل بند، وتسري بها كما يسري الماء في الساق والأغصان، والدم في العروق.

أولاً: موقع وأهمية قضية الإيمان والتوحيد من النظرية العامة للدعوة الإسلامية عند النحوي:

قضية الإيمان والتوحيد هي القاعدة التي تقوم عليها النظرية العامة وجوهرها والقضية الكبرى في حياة الإنسان، والحقيقة الكبرى في الكون، والهدف الثابت الأول في الدعوة، والمنطلق والزاد للداعية.

---

(1) انظر: مناهج الدعاة: محمد بخيت ويحيى الدجني – مكتبة الطالب الجامعي الجامعة الإسلامية بغزة – فلسطين – الطبعة الرابعة – 1433 هـ – 2012 م، ص: 9.

(2) النظرية العامة للدعوة الإسلامية، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، ص: 55.

يقول – رحمه الله : "وقضية الإيمان والتوحيد ليست مجرد قاعدة صلبة تحمل كل بنود النظرية العامة للدعوة الإسلامية فحسب، ولكنها قضية تظل تمتد ويمتد أثرها في كل بند من بنود النظرية العامة وفي كل جزء منها ومن بنودها، إنها العامل الضابط الذي يضبط كل بند وجزء".(1)

إذًا حين تصفو العقيدة وتطرح ما علق بالقلب من شوائب الشبهات والشركيات، هنا يمكن للإنسان أن يستقبل الأحكام الشرعية، وهذا الذي بدأ به النبي ﷺ في بداية الدعوة.

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه عَلَى الْيَمَنِ قَالَ: "**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّه، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ في يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهُمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ**".(2)

ثانياً: الركنان الرئيسان (المنهاج الرباني والواقع الذي يُدرس من خلاله):

1- المنهاج الرباني ودراسته دراسة منهجية:

إذا صَفَتْ عقيدة الإنسان، فإن الإيمان يدفعه دفعًا إلى منهاج الله، فالصحابة تعلموا الإيمان ثم العمل، وكذلك فإن منهاج الله هو الذي يغذي الإيمان وينقيه، فالتأثير متبادل كما هو واضح والتدبر يكون بطريقين:

طريق المنهاج الفردي: ويقصد به الدراسة الفردية وطلب المؤمن للعلم.

وطريق لقاء المؤمنين: والذي يعني الإعداد والتدريب بواسطة المؤسسات على قواعد إيمانية.

يقول – رحمه الله – : "وتهدف من ذلك إلى أن يعود المنهاج الرباني ليؤدي الدور الذي كان يؤديه في مدرسة النبوة الخاتمة، ليصوغ فكر المؤمن نفسيته وشخصيته. وأساس دراسة المنهاج الرباني هو أن تكون دراسة متكاملة مترابطة: دراسة القرآن والسنة واللغة العربية، وتقوم دراسة القرآن الكريم على التلاوة بأحكامها على أن يكون التدبر هو الهدف من كل أحكامها، ثم الدراسة والتدبر، ثم الحفظ، أما السُّنة فالبداية من الأربعين النووية، ثم رياض الصالحين، ثم كتاب جامع من الكتب الستة، وكذلك منهج محدد لدراسة اللغة العربية".(3)

---

(1) النظرية العامة للدعوة الإسلامية، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، ص: 170.

(2) صحيح البخاري، 119/2 – باب الزكاة – باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة – رقم/ 1458، وصحيح مسلم، 15/1 – باب الإيمان – باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام – رقم/ 19.

(3) موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثالثة – 1419 هـ – 1999 م، ص: 147.

ويعدد النحوي خصائص المنهاج الرباني التي لا تتوفر في سواه أبدًا ويذكر منها: "أنه وحده الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه محكم تام مفصل، بيّن متناسق، معجز كل الإعجاز، وتعهده الله بحفظه، لا يمكن لأحد أن يأتي بمثله، جاء للناس كافة، ولغته عربية وبغيرها لا يكون قرآنًا، ومنهاج الله القرآن والسنة واللغة العربية".[1]

ويرى أن منهاج الله هو أساس في التربية والبناء وجمع كلمة المؤمنين، فهو الذي يهذب النفوس ويقومها، ويجمع كلمة الأمة وينظمها.

"ومنهاج الله هو أساس التربية والبناء والتكوين، فهو يعالج النفوس ويقومها ويغذي الإيمان وينميه، ويعطي التصورات الصادقة الأمينة الكاملة لجميع القضايا التي يعرضها، وأولها وأهمها قضية الإيمان والتوحيد، وهو يضيق دائرة الخلاف ويقرب القلوب والنفوس".[2]

2- دراسة الواقع ووعيه من خلال المنهاج الرباني:

إن معرفة الواقع المحيط والظروف التي يعيشها المسلمون عامل هام لاتخاذ الأحكام الشرعية؛ فقد تغيرت صفة الأحكام تبعًا للواقع المعاش، والفتوى تتغير زمانًا ومكانًا، لذا فإن عدم معرفة الواقع يدفع العاملين للإسلام لأخذ القرارات الخاطئة، لذا قال النحوي: – رحمه الله : "حين تنهض البلاد الإسلامية، أو تحاول النهوض للتقدم، كان جهلها بالواقع من أهم الأسباب التي دفعتها للوقوع في شرك الأعداء، فكم خُدع المسلمون بعدو فصاحبوه حتى فتنهم وفرقهم وأذلهم، وكم حارب المسلمون بعضهم بعضًا إرضاء لعدو ماكر، وكان جهل المسلمين بالواقع الدولي مصدر نكبات مروعة ومصائب ومآس".[3]

ودراسة الواقع لا تكون معزولة عن المنهاج الرباني، وإلا أصبحت دعوة غير ربانية، وإنما الحق أن ترد أحداث الواقع ردًا علميًا حقًا إلى منهاج الله، ففيه الغُنْيَة عن كل المناهج الأخرى.

وفي ذلك يقول النحوي: "دراسة الواقع وفهمه يجب أن تكون من خلال منهاج الله وعلى أساس من نهج وخطة تنمو مع الممارسة والتطبيق، وتظل مرتبطة مع نموها بمنهاج الله ليمدها بالغذاء وأسباب النمو".[4]

---

(1) بناء الأمة المسلمة الواحدة، ص: 107-108.

(2) المصدر السابق، ص: 112-113.

(3) الصحوة الإسلامية...إلى أين؟ ص: 212.

(4) النظرية العامة للدعوة الإسلامية، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، ص: 79.

وقسم النحوي الواقع إلى ثلاث حلقات مترابطة: الواقع الشخصي للإنسان في إطار عائلته وأصدقائه وعمله وبيئته، والواقع الآني الذي تحمله الأحداث الجارية حوله، في بلده وفي العالم، والواقع المنهجي الذي يخضع إلى نهج وخطة تعين على تكوين نظرة إيمانية واعية للواقع كله".[1]

ثالثاً: القضايا والمشكلات الأربع الكبرى في الميدان:

يرى النحوي أن كل هذه المشاكل التي سيواجهها الدعاة يمكن حصرها في أربع مشكلات رئيسة، إن عولجت فحلها حلٌ للمشكلات الأخرى لا محالة.

يقول – رحمه الله : "جميع هذه المشكلات يمكن أن ترتبط بواحدة أو أكثر من مشكلات أربع رئيسة، يجب البدء بعلاجها وفق منهج محدد وخطة مدروسة، هذه المشكلات الأربع تظهر للدعاة في الميدان من خلال الواقع الذي ينزلون إليه، والقضايا والمشكلات الأربع هي: الخلل في التصور لقضية الإيمان والتوحيد، وهجر الناس لمنهاج الله، وجهل الناس بالواقع وما يدور حولهم، ثم تأتي الرابعة وهي نتيجة للثلاث السابقة، وهي الخلل والاضطراب في الممارسة الإيمانية في واقع الحياة".[2]

ومن الضروري أن توضح هذه القضايا الأربع بشيء من التفصيل، والتي يجب أن تُحَوَّر وتحوَّل إلى أهداف يجب الوصول إليها، فتصحيح التصور لقضية الإيمان والتوحيد، والعودة إلى منهاج الله، ومعرفة الواقع، وإصلاح الاضطراب في الممارسة الإيمانية تصبح أهدافًا رئيسة أمام الدعاة يسعون لتحقيقها، ولنبسط الحديث عن هذه القضايا الأربع لمزيد من الإيضاح.

1- الخلل في التصور لقضية الإيمان والتوحيد:

يرى النحوي وهو يناقش هذه القضية أنها الأساس الذي تبنى عليه القضايا الثلاث الأخرى، فلا نجاح للدعوة إلا إذا حُلَّت هذه المشكلة، كما يرى أن واقع الأمة يكشف عن خلل كبير في التصور الإيماني والتوحيد، ولم ترسخ العقيدة في قلوب المسلمين، واضطربت أسس العقيدة، فكان الناتج اضطراب المواقف والولاءات وتصادم الأفكار.

يقول – رحمه الله : "في الأرض مليار مسلم، كما يمكن أن تبين الإحصاءات، هذا مقياس الظاهر لنا على حسب الهوية والانتساب، فهل حمل هؤلاء حقيقة التصور الإيماني وحقيقة التوحيد؟ إن واقعنا اليوم، وواقع المجتمعات الإسلامية، يكشف بصورة قطعية عن وجود اضطراب في

---

(1) الصحوة الإسلامية.. إلى أين؟ ص: 212.

(2) موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية، ص: 177.

التصور الإيماني والتوحيد، نتج عنه اضطراب في الفكر المطروح، وتناقض في المواقف والسلوك، واصطدام بين الجماعات".[1]

وزاد من خطر هذه القضية أنها لم تأخذ منزلتها اللائقة بها، بل وغابت عن كثير من الدعاة والحركات العاملة للدين، مع أنها القضية التي يتوقف مستقبل الإنسان عليها في الآخرة، وعصمة دمه في الدنيا، فلم يعد يشعر المسلم بأن هذه القضية هي أخطر قضية في حياته، ولا بأنها الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، وعلا فوقها قضايا أخرى كثيرة حملت الزخارف والزينة وجرى الناس لاهثين ورائها، ولو أن المسلمين أعطوا هذه القضية ما تستحقه نظريًا وعمليًا لتغيرت أمور كثيرة في حياة المسلمين، ولنالوا رحمة الله وهدايته ونصره وتأييده.[2]

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ[3] فَتَعَلَّمْنَا الإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَاناً.[4]**

إذًا، علاج واقع المسلمين اليوم يبدأ من هذه القضية المهمة، فهي أخطر قضية في حياة الإنسان، وإذا رسخت في قلب المسلم هانت عليه ما بعدها، ولو وقع اليقين في القلب كما ينبغي لطارت الجوارح كلها طاعة لله سبحانه، أما إن لم يمتلك القلب إيمانًا ويقينًا ثقلت عليه التكاليف، وكبر عليه إقامتها إلا تصنعًا أو رياءً، والتصنع والرياء لا يبنيان أمةً بحال.

2- هجر المنهاج الرباني:

كان المنهاج الرباني رفيق كل مسلم، فكان لا يتعدى قراءة العشر آيات حتى يطبقها ويعمل بها ثم يتناول غيرها، فكان المنهاج الرباني هو الذي يصوغ للمسلم حياته وفكره ونهجه وولاءه وبراءه وخُلُقَه، لكن للأسف غاب هذا الفكر عن كثير من أبناء الأمة اليوم، فبدؤوا يأخذون عرض هذا الأدنى، يُحكِّمون مناهج بشرية ناقصة غربية أو شرقية، وغاب منهاج الله عن الساحة، لذا يعرض النحوي هذه القضية بأسلوبه، ثم يعرض نتائج هذا الهجر على الأمة قائلًا: "السؤال الذي نطرحه هو: هل يؤدي منهاج الله دوره الحق في بناء الإنسان اليوم، في فكره وتصوره ونهجه وسلوكه؟ إذا نظرنا إلى حقيقة واقعنا لرأينا أن منهاج الله لا يؤدي دوره الحق الكامل في كثير من

(1) الصحوة الإسلامية... إلى أين؟ ص: 108.
(2) انظر: بناء الأمة المسلمة الواحدة، ص: 129.
(3) الْحَزْوَرُ: هو الغلام إذا اشتد وقوي وحزم، حاشية السندي على سنن ابن ماجة، 31/1.
(4) سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني(المشهور ابن ماجة): تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله – دار الرسالة العالمية – الطبعة الأولى – 1430هـ – 2009م، كتاب الإيمان – باب في الإيمان – 23/1 – رقم/61، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، رقم/ 1231

الأحيان، وفي أحيان أخرى يكون مهجورًا، وفي أحيان أخرى يكون التعامل معه أقرب إلى المظهر والشكل منه إلى البناء والإعداد، فزاحم المنهاجَ الربانيَّ الغزوُ الفكري الآتي من أوروبا وأمريكا وروسيا ليحل محله، فوقع الإنسان تحت ضغط هائل من هذا الفكر الزاحف، وأخذ يتقبل شيئًا فشيئًا بعض أفكار الدول الغازية، حتى أخذ البعض يبحث عن مسوغات لهذا الفكر الوافد".(1)

وإذا أرادت الأمة أن تنهض من كبوتها وتستعيد عافيتها فعليها أن تحكِّم منهاج الله سبحانه وتسلم له تسليمًا، تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه، يجب أن يُعَظَّم هذا المنهاج في قلوب الأطفال والنساء والرجال، فإذا قرأ أحدهم " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**" شَنَّف الآذان ليستقبل الأمر أو يقلع عن الزواجر، فإذا عظمت الأمة النصوص عظمها الله ونصرها على من عاداها.

يقول النحوي: "فلا بد أن يعود للمنهاج الرباني دوره الذي كان يقوم عليه في مدرسة النبوة، ولا بد أن يصبح القرآن والسنة صحبة كل مسلم صحبة منهجية، صحبة عمر وحياة، صحبة تلاوة وتدبرٍ وحفظٍ وتعهدٍ، ولابد أن تصبح هذه القضية أساسًا في مرحلة الدعوة يلتقي عليها الدعاة والحركات الإسلامية".(2)

عن الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ، قال: قَامَ فِينَا رَسُولُﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ، فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ، فَقَالَ: "**عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**".(3)

3- عدم وعي الواقع من خلال منهاج الله:

إن كثيرًا من المسلمين اليوم لا يعرف عن القضايا الدولية شيئًا، وفي الوقت ذاته انشغل الكثير منهم بدراسات لا طائل لها حتى اختلف المثقفون أنفسهم في فهم الواقع فضلًا عن العوام، ولم يعد هناك مراكز وأبحاث تعنى بدراسة الواقع وإيصال الصورة الشرعية الناصعة للناس إلا من بعض المخلصين من العلماء والدعاة، فلم يعد وعي الواقع من خلال المنهج الرباني هدفًا تتخذه وسائل الإعلام بأنواعها، ولا رسمت له خطة في مناهج التعليم، بل أصبح سياسة الاستعمار والحكومات المستبدة العكس؛ فالهدف أصبح التجهيل بقضايا العالم عامة والمسلمين خاصة في

(1) الصحوة الإسلامية إلى أين؟ ص: 206-207.

(2) بناء الأمة المسلمة الواحدة، ص: 131.

(3) سنن ابن ماجة، 15/1 - كتاب الإيمان - باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين - رقم/42، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، رقم 4369.

الوقت الذي يطالب فيه كل مسلم بالاهتمام بأمر إخوانه المسلمين، وأن يكون على وعي بما يحاك ضد أمته، عالماً بما يدور حوله.

يقول النحوي – رحمه الله: "الناظر لحال بعض المسلمين المثقفين في دراستهم للواقع يجد أنها لا تتم من خلال منهاج الله في معظم الأحيان، بل ربما لجأ إلى دراسات أخرى بعيدة عن النبع الصافي، فأصبحت تلك الدراسات نوعًا من الشعارات والزخارف التي لا قدم لها ولا ساق، في الوقت الذي قلت فيه كثيرًا الدراسات الإيمانية الأصلية".(1)

ويعتبر النحوي أن فهم الواقع من خلال الكتاب والسنة من القواعد الأصيلة للجماعة المسلمة المؤمنة، وأن الأهداف المرسومة تخضع أيضًا للواقع المعاش حتى لا تضيع الجهود والأوقات بلا فائدة تدرك.

يقول: "في الجماعة المؤمنة الصادقة الملتزمة بعهدها مع الله يقوم النهج والتخطيط على ثلاث قواعد: الإيمان والتوحيد، منهاج الله، فهم الواقع من خلال منهاج الله، ويبدأ التخطيط من تحديد الهدف، والتثبت من أنه هدف رباني صادق، نابع من كتاب الله وسنة رسوله، مطابق للواقع، ويمثل حاجة صادقة للمسلمين على ضوء ذلك".(2)

إنها مسؤولية الجميع، مسؤولية تطال الفرد والجماعة والأمة والدعوة ومؤسساتها، حتى لا تتساقط الأمة في غياهب الجهل والتيه، جاهلة بما يحاك ضدها، وما يدور حولها من أحداث، وليجد العلماء الزاد الخصب والرؤية الواضحة لطرح الحكم الشرعي بصدق وأمانة، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، وهذا الذي دأب عليه السلف الصالح؛ فما فتئوا عن الاهتمام بأمور العالم من حولهم، وما تفاعُل الصحابة مع الحرب التي دارت بين فارس والروم إلا دليلًا على ذلكم الوعي الذي تحلى به النبي ﷺ وصحابته الكرام ﵃.(3)

لذا يقسم النحوي ملامح الاهتمام بالواقع إلى خمس وحدات:

1- دراسة طبيعة الإنسان والمجتمع.

2- واقع العالم الإسلامي: تاريخيه وواقعه، القضايا المثارة حوله، الحركات الإسلامية ومدى اقترابها وابتعادها عن أسس الدعوة الإسلامية، والحركات المعادية للإسلام.

(1) النظرية العامة للدعوة الإسلامية، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، ص: 97.

(2) المصدر السابق، ص: 97،

(3) لمزيد من الإيضاح لقضية فهم الواقع وضرورته، انظر مطلب: فهم الفرد للواقع من هذه الرسالة، ص:151.

3- الواقع الدولي: السياسة الدولية وأهم الأحداث، مذكرات القادة وأعمالهم وأقوالهم.

4- الإعلام الإسلامي: واقعه وطاقته ومدى رقيه ليجابه الإعلام الغربي.

5- التحليل السياسي للأحداث من خلال منهج الله، لبناء نظرية سياسية مردها إلى الإسلام.(1)

والحق أن هذا الفهم الذي يطالب به النحوي لا يتناسب مع كل إنسان مسلم؛ فالتحليلات السياسية والاقتصادية والدولية المعقدة المتشابكة لها روادها ومفكروها، والواقع الدولي والإسلامي يحتاج – أيضاً – إلى متابعة مستمرة علمية للكتب والنشرات والصحف ومواقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) وغيرها من وسائل الإعلام المتعددة، وهذا لا يستطيعه العامي البسيط. ولعل الأمثل أن يهتم كل إنسان بواقعه حسب إدراكه، وبما يؤثر عليه تأثيراً مباشراً على معاشه وحياته، ويبقى فهم الواقع وإدراكه بمستوياته السابقة منوطاً بالعلماء والدعاة ليبثوا هذا الفهم والوعي في عقول العوام. ففهم الواقع الدولي والإسلامي بتعقيداته وتأثيراته يبقى من فروض الكفاية إن قام به البعض سقط عن الباقين وجوبُه.

4- اضطراب الممارسة الإيمانية:

والمقصود بالممارسة الإيمانية هي ممارسة منهاج الله في الواقع البشري ممارسة تحمل خصائصها الربانية المفصلة في الكتاب والسنة، على أن تكون شاملة لكافة الميادين التي يخوضها المسلم والداعية، ممارسة تقود إلى العمل من خلال ذلك المنهج.

ويرى النحوي – رحمه الله – أن اضطراب الممارسة الإيمانية هي نتيجة حتمية وطبيعية للخلل فيما سبق من مشكلات فيقول: "إن الخلل في ممارسة منهاج الله في الواقع نتيجة حتمية للخلل في القضايا الثلاث السابقة، وكأن الخلل في القضايا الثلاث يصب كله في ميدان الممارسة، حيث تتزاحم الأخطار وتتوالد، مادامت لا تجد النهج الذي يعالج".(2)

إن الناظر لأحوال المسلمين اليوم ليلحظ جليًا الخلل والانفصال بين الدين في أوامره وتشريعاته وبين واقعهم المعاش، وإن كثيرًا من القضايا لا يردها المسلمون – سواء على مستوى بعض الجماعات أو الأفراد – إلى منهاج الله لمعرفة الحكم الشرعي فيها، فأصبح كثير من المسلمين يتحاكم إلى الأعراف والمحاكم التي تحادُّ الله ورسوله، ويقرأ أحدهم قول الله سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ (الأحزاب : 59) فتخرج الزوجة أو البنت

(1) انظر: الصحوة الإسلامية إلى أين، ص: 213.

(2) بناء الأمة المسلمة الواحدة، ص: 134.

متبرجة سافرة، يسمع قول الله: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة : 275) فتجد أمواله الربوية مكدسة في البنوك في حرب واضحة على منهاج الله، ويسمع قول الله:﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾(الإسراء : 32) لكنه في الوقت نفسه يقع في الأعراض وينتهكها، ومع ذلك يعتقد أنه مؤمن كامل الإيمان لا ينتقصه شيء، ونسي هذا أنه ما دام ينطق بالشهادتين فقد سلَّم الحياة كلها لله سبحانه.

يقول النحوي: "وتبتدئ الممارسة الإيمانية بالتلفظ بالشهادتين تصديقًا للإيمان الذي استقر في القلب ثم تكون النية منطلق الممارسة الإيمانية لتصاحبها على الدرب ولتصاحب العمل كله".[1]

ويستطرد النحوي في التفصيل ليذكر لنا أهم الخصائص والمجالات التي تلزم الممارسة الإيمانية، فالبداية من الشهادتين لتمتد معه إلى آخر حياته بل وتختم بها، وبعد الشهادتين تأتي النية ليقبل العمل؛ فهي أخص خصائص الإسلام لا تجدها في غيره، فهي أساس في النهج والتخطيط، وأساس الشورى، وركن في الشعائر التعبدية، ثم تمتد الممارسة الإيمانية لتشمل جميع ميادين الحياة، حياة الفرد والجماعة والأمة، إلى الأسرة والأرحام والأصحاب والمجتمع كله. كذلك لابد للممارسة الإيمانية من علم بمنهاج الله والواقع حتى يستطيع أن يدفع في طريق الخير، ويقاوم الفساد والشر، وتنمو الممارسة الإيمانية بعد ذلك وتتطور لتواكب مجريات الحياة ومن ثم تدفع للمبادرة الذاتية، وتحمل معها ميزاناً دقيقاً تزن به المصالح والمفاسد. ومن خلال هذه الممارسة يتعرف الإنسان على وسعه وطاقته، لذا فالمسؤولية عن هذا كله تطال الفرد، وتطال المؤسسات من أجل الإشراف والتوجيه والرعاية، ومن ثم تُجمع هذه الخبرات والطرق والخطط الحاصلة المتحققة لنقلها إلى الأجيال القادمة.[2]

هذه القضايا الأربعة الآنفة الذكر يجعلها النحويُّ العنصرَ الأولَ من عناصر النظرية العامة للدعوة الإسلامية الثمانية، ولكل عنصر منها أسس ومناهج ودراسات تفصيلية ليتحقق في دنيا الناس.

والقضايا الأربعة السالفة الذكر أساس كل تخطيط في مسيرة العمل والدعوة إلى الله، عليها تحدد الأهداف والنهج الذي يسوِّغ قيام الحركات ويجلو مسيرتها. لذلك يجب تحويل المشكلات الأربعة لتصبح أهدافًا تقوم عليها الدعوة على النحو التالي:

1- تصحيح الخلل في تصور قضية الإيمان والتوحيد.

---

(1) النظرية العامة للدعوة الإسلامية، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء ص: 79.

(2) انظر: الصحوة الإسلامية إلى أين، ص: 214-218.

2- رد كل الأمور إلى منهاج الله، الكتاب والسنة واللغة العربية.

3- وعي وإدراك الواقع المعاش من خلال منهاج الله.

4- المطابقة بين النظرية والتطبيق في الممارسة الإيمانية.

وهذه مجتمعة تشكل – كما سبق – العنصر الأول من عناصر النظرية العامة للدعوة.

العنصر الثاني: النهج والتخطيط العام للدعوة الإسلامية:

لا يستطيع المؤمنون أن يحققوا أهدافهم ولا أن تتوحد جهودهم في نصرة الإسلام، ولا أن يتصدوا للواقع المعاش الذي تعقدت جوانبه، ولا أن يحققوا الاستخلاف في الأرض، بل لا يستطيعون أن يمارسوا العبادة التي خُلِقَ الخلقُ لأجلها إلا من خلال خطة تقوم على أسس وأهداف ربانية أخذت في اعتبارها الواقع الذي تحياه الأمة.

فالنهج والتخطيط على أساس رباني هو أمر إلهي كما يقول النحوي – رحمه الله :"إن أول واجب على الداعية أن يفكر تفكيرًا إيمانيًا على نهج رباني وهذا التفكير الإيماني تكليف رباني من عند الله للإنسان: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** ﴾ (سبأ : 46) وإننا لنجد في كتاب الله دعوة مُلِّحة للتفكير بأساليب متعددة تعطي لهذه القضية أهميتها وترسم لها نهجها، والأساليب المتعددة تستطيع أن تضعها في نوعين: أسلوب مباشر " **تَتَفَكَّرُوا** "، وغير مباشر ﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾ (الغاشية : 17)".[1]

والتخطيط سائر مع كل عنصر من عناصر النظرية العامة للدعوة الإسلامية، بل في كل ميدان تخوضه الدعوة الإسلامية، نهج مستمر تام، له عناصره المحددة، حصرها النحوي في قوله: "أما عناصر التخطيط والتفكير الرباني فهي: النية، الدرب وتفصيلاته وخطواته ومراحله، الوسائل والأساليب، الأهداف، الطاقة البشرية، وتكامل الميادين وتساندها، على أن تكون هذه العناصر قائمة على الأسس السابق ذكرها مرتبطة بها".[2]

---

(1) موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية، ص: 187.

(2) كيف تلتقي الجماعات الإسلامية، ص: 96،

والأهداف المرجوة من هذا التخطيط لن يتم استيرادها من الشرق أو الغرب، أو من قريحة الرجال الذين تأثروا به، لكن الأهداف ربانية والمصدر الذي تؤخذ منه رباني، والذي يحدد أهداف المرحلة رجل رباني، يقول – رحمه الله – عن قواعد ومصادر الأهداف: "في الجماعة المؤمنة الصادقة الملتزمة بعهدها مع الله يقوم النهج والتخطيط للأهداف على ثلاث قواعد:الإيمان والتوحيد، منهاج الله، فهم الواقع من خلال منهاج الله، لتكون الأهداف ربانية نابعة من كتاب الله، خادمة له، يمثل حاجة ملحة للمسلمين".[1]

وإذا ما تفكر المؤمن بروية وعمق، ليبحث عن أعظم هدف له في الحياة فإن الهدف الأول هو رضوان الله والفوز بالجنة، ثم تكون للعاملين أهداف أخرى، لكنها تخدم كلها ذلكم الهدف الأسمى. لذا قسَّم – رحمه الله – الأهداف إلى ثلاثة أقسام قائلًا: "تقسم الأهداف إلى ثلاثة أقسام، علمًا أنها كلها مترابطة لا يمكن عزل أي هدف منها، ولا فصل بعضها عن بعض، أولًا: الهدف الأكبر والأسمى وهو الجنة ورضوان الله سبحانه، ولابد أن تنبع منه جميع الأهداف الأخرى، ثانيًا: الأهداف الربانية لا دخل للبشر فيها مثل: الدعوة إلى الله، التربية والبناء، الجهاد في سبيل الله وبناء الأمة الواحدة في الأرض، ثم تأتي ثالثًا: الأهداف المرحلية والتي يضعها العاملون على أساس من منهاج الله والواقع وهي التي تعين على الانطلاق من هدف رباني إلى آخر بعد تحقيق الأول"[2].

ويجب أن تكون الأهداف المنشودة عند الجميع واحدة سائرة على التقسيم السابق، يخدم كل قسم القسم الذي قبله، لا أن تختلف الأهداف وتتضارب، أو يغيب النهج ويتوارب، حينها يصبح حُطَّاب الليل سادة وقادة، تسير وراءهم الأمة وينقاد لهم الشباب، فتضيع الأوقات والنفقات، وتبرز بدلًا عن الأهداف الشعارات، وتتعدد الرايات.

قال النحوي محذرًا من غياب النهج والتخطيط الصحيح: "في غياب النهج والتخطيط تغلب الشعارات، وتثور العواطف، ويحكم الارتجال وردود الفعل، فتتبعثر الجهود وتتضارب وتضيع، وإذا نظر الناس بعد ذلك إلى واقعهم، بعد أن بُحَّت الحناجر، وبذلت الجهود، وأنفقت الأموال، وجدوا أن بناءهم لم ينهض، وأهدافهم لم يبلغوها، فيتساءلون: أين ضاعت الجهود؟ أين عشرات السنين؟ وأين الأموال؟ تبعثر ذلك كله كأنه لم يبذل، وكان من أسباب ضياعه غياب النهج والتخطيط".[3]

(1) النظرية العامة للدعوة الإسلامية، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، ص: 97،
(2) بناء الأمة المسلمة الواحدة، والنظرية العامة للدعوة الإسلامية، ص152 – 156.
(3) كيف تلتقي الحركات الإسلامية، ص: 97.

والناظر الآن إلى أحوال أعداء الأمة فإنه يرى نهجًا وخطة لها أهدافها المحددة يسيرون عليها، ويبذلون لها أموال الدولة، وتسخر لها الطاقات المادية والبشرية من أجل تحقيقها، وهي تبقى أهدافًا دنيوية فانية، فحري بمن كانت الجنة هدفه الأسمى والأعلى أن يعد العدة ويرسم الطريق، ولا يخطو خطوة واحدة إلا ويدرس فوائدها أو مضارها، لأن الحياة قصيرة، والوقت عزيز، والهدف غال والعقبة أمام العاملين كؤود.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام : 153).

العنصر الثالث: النهج والتخطيط لكل ميدان تخوضه الدعوة:

ميادين الدعوة الإسلامية كثيرة متعددة واسعة بحسب المدعو وحاله، والواقع الذي يحيط بالدعوة والمقدرات التي تتوفر للداعية، وكل ميدان من هذه الميادين لابد له من خطة واضحة حتى يسير عليها العاملون، توفر وقتهم وجهدهم ونفقاتهم، وتؤتي أكلها بأسرع وأقصر الطرق، وهذا عمل جليل حري أن يبدأ به العاملون حتى تكلل جهودهم بالنجاح.

لذا نجد النحوي – رحمه الله – يحدد أولًا الميادين التي ستخوضها الدعوة وهي: الدعوة إلى الله ورسوله وإلى الإيمان والتوحيد، وميدان التربية والبناء، وميدان التدريب والممارسة، وميدان الأدب الملتزم بالإسلام، ثم يجعل الميدان الأخير الاقتصاد والسياسة، والجهاد في سبيل الله ... كل هذه الميادين يجب أن تتكامل وترتبط مع نمو الدعوة وامتداد الميادين فيها.[(1)]

ولمزيد من الإيضاح، يعرض الباحث بعض الميادين بشيء من التفصيل حتى يستبين ما قصده النحوي من هذه الميادين:

1- ميدان الدعوة إلى الله ورسوله وإلى الإيمان والتوحيد:

فالنحوي يولي اهتمامًا بالغًا بقضية الإيمان والتوحيد ودعوة الناس لها، فهي القضية الأولى في الدعوة الإسلامية والهدف الثابت لها ويُنتقل به إلى غيره، لا منه إلى غيره، ويعتقد أن مراحل الدعوة إلى الإيمان والتوحيد تنحصر في ثلاث[(2)]:

الأولى: التعارف والتآلف، والبلاغ والبيان، وربما سماها الدراسة النامية.[(3)]

(1) انظر: النظرية العامة للدعوة الإسلامية، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، ص: 107.

(2) انظر: كيف تلتقي الحركات الإسلامية، ص: 102، نهج الدعوة في التربية والبناء، ص: 113-143.

(3) الدراسة النامية: هي دراسة تنمو مع نمو التعارف والتآلف لتنفي الظن وتنمي الألفة والود. انظر: النهج في موضوعاته ومصطلحاته، ص: 212.

وهي خطوة لمعرفة طبيعة المدعو وظروفه وطبائعه وقدراته ومستواه التعليمي، ثم معرفة محيطه الذي يعيش فيه ويتأثر به، وذلك لاختيار أفضل الأساليب المناسبة للدعوة.

الثانية: مرحلة التثبيت والتمهيد:

وهي خطوة تأكيد لما بذله الداعية في الخطوة الأولى، وفيها يقوم الداعية بأمرين:

أ. معرفة مَن يدعوه معرفة تدخل الطمأنينة إلى نفسه، حتى لا يكون من يدعوه عدوًا لله ورسوله.

ب. قيام الإمارات على صدق الإيمان واستقراره في قلب المدعو.

الثالثة: مرحلة عرض الدعوة.

وفيها يعرض الداعية منهج الدعوة الإسلامية من خلال خطوات محددة:

أ. البدء بدراسة الكتاب والسنة واللغة العربية، بما يلائم حال ومستوى المدعو.

ب. الشرح المباشر لخصائص الدعوة الإسلامية، بأنها تكليف رباني، وممتدة إلى يوم القيامة، ومحددة الوسائل المعتمدة، مبينة لخصائص الداعية الناجح.

ج. شرح الأهداف الرئيسة لكل مسلم وهي النجاة من النار وفتنة الدنيا، وحدة المسلمين، وإصلاح النية، والأخوة ولقاء المؤمنين في الأرض.

د. دراسة بعض الكتب المنهجية التي تعرض أهم القضايا مثل: كتاب العهد والبيعة، التوحيد وواقعنا المعاصر، المنهج والممارسة الإيمانية وهذه كلها كتب للنحوي نفسه.

الرابعة: مرحلة الالتزام: وهو معرفة مدى استعداد المدعو للالتزام وتحمل أعباء الدعوة، ووسعه وطاقته.

2- ميدان التربية والبناء:

إن الخلل في هذا الميدان يعني خللًا يمتد إلى جميع عناصر النظرية، فلا بد إذًا من أن يكون هناك منهاج متكامل وعمل متناسق بمراحل مترابطة، وتقويم النفوس وإصلاحها يوفر لها العزيمة والقوة لتصمد أمام الفتن والكيد المدبر لها، وهو منهج رباني ونبوي أساسه الكتاب والسنة النبوية.[1]

(1) انظر: النظرية العامة للدعوة الإسلامية، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، ص: 155-156.

ولا شك أن من أهم مهمات الرسل أجمعين – عليهم السلام – تخلية الناس مما علق بهم من أدران الشرك والوثنية، وحب القتل والمال والدنيا، وأخذ مال الضعيف واليتيم، جاءوا ليحاربوا هذا كله، ويصنعوا مكانه الحب والوفاق والرحمة واحترام الغير، وإخلاص العبودية لله رب العالمين لتعيش البشرية في أمن وأمان واستقرار، وهذا الذي عناه النحوي بقوله: "ولخطورة هذه المهمة في حياة الإنسان بعث الله لها الأنبياء والمرسلين يدعون ويبلغون ويعلمون ويربون، بعثهم ليخاطبوا النفوس والقلوب والعقول، ليبلغوا رسالة الإيمان والتوحيد ويذكروا بها".[1]

إنها مسؤولية الدعاة والمصلحين لينطلقوا بنية خالصة ويد حانية، وخطة محكمة، لينطلقوا إلى المسلمين في كل الأماكن، في المساجد والشوارع والنوادي، يصدحوا بالنصيحة والموعظة الحسنة، ويذكروا الناس بأمجادهم المفقودة، وعزهم المسلوب، ليعيدوا الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله، وتعظيم الوحي في القلوب حتى يستجيبوا لنداء الله ورسوله ﷺ وهذا العمل لا يتوقف ولا يعرف صاحبه الراحة، بل هو عمل دؤوب بالليل والنهار، شاملًا للمرأة والرجل والطفل والمؤسسات بجميع صفاتها، كل ذلك يسير على خطة مفصلة أكد عليها النحوي –رحمه الله– حتى ذكر أنواعًا من الخطط: الخطة السنوية والخطة الشهرية والخطة الأسبوعية والخطة اليومية وإذا أنهى العمل طولب بالتقويم، ليقوي نقاط القوة ويكثرها، ويعالج الأخرى ويوجهها.[2]

العنصر الرابع: الإدارة الإيمانية والنظام:

أصبحت الإدارة والتنظيم علمًا واسعًا لدى الدول الغربية سهّل لهم كثيرًا من شؤون الحياة، على مستوى الفرد والدولة، ووفر الوقت والجهد، ودخلت الإدارة جميع الميادين مثل التعليم والاقتصاد والصناعة والطب والهندسة وغيرها، وإن بناء إدارة إيمانية بناؤها على منهاج الله أولى وأحرى أن تطبق في حياة المسلمين اليوم.

يقول النحوي: "إن بناء هذه الإدارة بخصائصها الإيمانية هي مسؤولية الأمة المسلمة، والدعوة الإسلامية والدعاة المسلمين، وهناك اختلاف كبير بين الإدارة الإيمانية والإدارة المعروفة الآن؛ فهي تقوم على رجال مؤمنين يعرفون دينهم يتعبدون بهذه الإدارة لله سبحانه، وتقوم على الالتزام الذاتي لهؤلاء الرجال خوفًا ووجلًا من الله، كما أنها تختلف في الوسائل والأهداف عن الإدارة المادية".[3]

(1) النظرية العامة للدعوة الإسلامية، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، ص: 157.
(2) انظر: بناء الأمة المسلمة الواحدة، ص: 164.
(3) النظرية العامة للدعوة الإسلامية، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء، ص: 285–286.

نعم، إن الإدارة الإيمانية المنبثقة عن الكتاب والسنة لتختلف عن الإدارة المادية، في الأسس والوسائل والجوهر والأهداف، إنها تختلف عنها أيضًا في تصور الكون والحياة والموت ومهمة الإنسان ورسالته على الأرض، إنها تعتمد على التعاون على البر والتقوى ونبذ الفرقة والفجور والفساد، تنمي المواهب والقدرات، وهي تربط هذا كله بنية خالصة لله سبحانه، كل هذا يحتاج إلى كافة المؤسسات الإيمانية في المساجد، وفي المدارس، وفي البيوت، وفي النوادي.

يقول -رحمه الله-: "أصبح قيام المؤسسات الإيمانية واجبًا هامًا حتى يرى الناس إدارة أفضل من إدارة، ومنهجًا أفضل من منهج، يشرق منها الصدق الحقيقي والأمانة والوفاء والعدل والأمن والأمان، وتصبح القيم الإنسانية الإيمانية تحمل الصورة الحية التطبيقية في واقع الناس، على نجاح وازدهار، فيعود الناس إليها ويفيئون إلى الإيمان وأهله".[1]

يقول الدكتور يحيى الدجني[2] في كتابه "الدعوة إلى الله، أصولها ووسائلها وأساليبها": "إن الجماعة المسلمة مطالبة بتشكيل مختلف اللجان، وإقامة المؤسسات الخدمية، وبناء المستوصفات والمستشفيات وإنشاء دور للعجزة والمسنين[3] والمعاقين، بهدف إعانة المحتاج وتخفيف معاناة الناس، ومن أجل نصرة المظلوم، وفض النزاعات بين الناس، مما يكون له عظيم الأثر على نفوس الناس، ومستقبل الدعوة الإسلامية".[4]

وهذا الذي عملت عليه بعض الحركات الإسلامية الكبيرة، كمحاولة لسد النقص الذي أهمله الساسة والحكام، فأقامت المؤسسات الإيمانية العديدة لخدمة الناس على مستوى الجمعيات الخيرية والإغاثية والمراكز الطبية والتثقيفية والتعليمية.

العنصر الخامس: ميزان المؤمن:

لقد اعتادت المذاهب الفكرية من علمانية وديمقراطية واشتراكية وفلسفات مادية على أن تضع لها موازين خاصة على أساس مصلحة الفكرة، أو المصلحة الشخصية المادية لتزن الناس على أساسها، يحدث هذا بعيدًا عن معاني الإيمان والتوحيد، وبعيدًا عن قول الله سبحانه: ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ (الحجرات : 13) وبعيدًا عن قول النبي ﷺ:" **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ**

(1) كيف تلتقي الجماعات الإسلامية، ص: 127.

(2) هو الدكتور يحيى علي يحيى الدجني، الأستاذ الدكتور بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية-غزة.

(3) يرى الباحث أن هذا المصطلح غريب عن ديننا الحنيف، بل ربما دلَّ على عقوق الوالدين وهو من الكبائر، إلا إذا فقد المسن المعيل الكافل.

(4) الدعوة إلى الله (أصولها ووسائلها وأساليبها): يحيى الدجني – مكتبة آفاق – فلسطين – الطبعة الثانية – 1428هـ – 2007م، ص: 264.

قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ".[1]

قال النحوي – رحمه الله – : "إن هذه الموازين المادية مفسدة لحياة الإنسان على الأرض، قاتلة لمصالحه الحقيقية في الدنيا والآخرة، ملهبة للفتنة بين الناس، مثيرة لكل نوازع الشر من حسد وحقد وكراهية وضغائن، تثير الحروب والدمار تحت شعار السلام، وتنزل الظلم والعدوان في الأرض تحت شعار الحرية والعدالة، وتنهب الشعوب وتذلها تحت شعار حقوق الإنسان".[2]

لذلك لابد من طرح ميزان الإيمان في ميدان الدعوة الإسلامية، ميزان منهاج الله، حتى يزن المؤمن به الناس والقضايا وزن صدق وعدل وأمانة، بأن يقاس الناس والأحداث بميزان الشرع الحنيف، وأن ترد كل الأمور إلى الله ورسوله ﷺ، فهما الحكم والفصل، وهذا الذي عناه الشيخ – رحمه الله– بقوله ميزان المؤمن.

يقول رحمه الله: "لم يكن التكليف الرباني محصورًا في إنزال الناس منازلهم وعدم بخسهم أشياءهم وعدم الإفساد في الأرض، وإنما كان ممتدًا إلى جميع شؤون الحياة وميادينها، ليرد الناسُ جميع قضاياهم التي يختلفون فيها إلى منهاج الله وجعل الله سبحانه وتعالى هذا الأمر شرطًا من شروط الإيمان لا يخرج عنه إلا منافق أو كافر".[3]

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ (النساء : 59) .

وبين النحوي أهم القضايا التي تساعد على ذلك الميزان قائلًا: "أهم ذلك: مظاهر الإيمان والتقوى في الحياة الخاصة والحياة الاجتماعية، والعلم بمنهاج الله والواقع، المعدن، الفطرة، المواهب والقدرات، الخبرة، السن والشيبة، البذل والعطاء في دين الله، الأسرة والبيت، وأي قضايا أخرى من قوة أو ضعف، كما يفصلها منهاج الله".[4]

من هنا قسَّم الدعاةُ المدعوين إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول هم الرواد أو جيل التأسيس، والثاني المساعدون والمؤازرون لجيل الرواد، والثالث العامة، والكلٌّ له دوره المكلف به، وهذا التقسيم

(1) رواه أبو داود في سننه – كِتَاب الْأَدَبِ – بَابٌ فِي التَّفَاخُرِ بِالْأَحْسَابِ – 331/4 – رقم/ 5116، والحديث حسنه الألباني في مشكاة المصابيح رقم/ 4899.

(2) موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية، ص: 197.

(3) المصدر السابق، ص: 199.

(4) كيف تلتقي الحركات الإسلامية، ص: 119.

يختصر كثيرًا من الجهود التي ربما تصبح عبثًا في التربية والبناء، إذ ينبغي على الدعاة تقييم المستوى الثقافي والتربوي للمدعوين، لتحديد نقطة البدء ومن ثم استكمال المسيرة الدعوية".(1)

العنصر السادس: المؤسسات الإيمانية:

لقد ضجَّت الساحات العالمية اليوم بنظام المؤسسات التي تضع لها أهدافًا محددة، وتتبنى روح الفريق والعمل التكاملي من أجل تحقيق تلك الأهداف، سواء كانت أهدافًا مشروعة أم ممنوعة، وأهل الباطل ما قصروا في هذا الجانب فبنوا مؤسسات خاصة بالتنصير والاستشراق وغزو العالم فكريًا، وكذلك مؤسسات إعلامية لتحقيق خداع الناس ونهب أموالهم.

يقول النحوي: "والأرض تمتلئ اليوم بالمؤسسات غير الإسلامية، في مختلف ميادين الحياة، حيث يبذل أصحابها من رجال التنصير، والمستشرقين، ورجال المال والإعلام والعلوم، جهدًا عظيمًا، حتى حققت نجاحًا ماديًا ملحوظًا في الإدارة والنهج والتخطيط، وفي الربح المادي، والتضليل الإعلامي، وفي الكسب المشبوه الحرام".(2)

ويعرِّف – رحمه الله – المؤسسة الإيمانية بقوله: "هي كل مؤسسة تقوم منذ بداية تكوينها على أساس الإيمان والتوحيد، وعلى أساس منهاج الله، ثم تمضي في ممارسة إيمانية تطبق المنهاج الرباني في واقعها بنية صادقة لتكون جزءًا من بناء الأمة المسلمة، وصورة عملية تطبيقية لمنهاج الله".(3)

إن بناء المؤسسة الإيمانية القائمة على الكتاب والسنة مسؤولية مشتركة تقع على عاتق الدول الإسلامية، والمؤسسات القائمة، وأصحاب الأموال، والدعاة الصادقين، ليتمثل النص القرآني والنبوي للناس فيتأثرون به، ولينتظم العمل للدين في إطار جامع شامل، وخطة محكمة، وذلك لتجنب العمل الارتجالي والفردي والذي – وإن نجح – كان نتاجه قليلاً وأخطاؤه كثيرة.

العنصر السابع: التقويم الدوري:

لابد أن تقوِّم الدعوة عملها من حين لآخر بصورة متقنة ومنهجية، وعلى أساس دوري منظم، حتى تستطيع معالجة الأخطاء التي مرت بها وتحولها إلى نقاط قوة تخدم الهدف المراد، وتعمل على نمو الجهد الدعوي مرة بعد مرة حتى يتكامل، فالتقويم الدوري إذًا، أو الوقفة الإيمانية،

(1) الدعوة إلى الله (أصولها وسماتها وأساليبها)، ص: 175.
(2) كيف تلتقي الجماعات الإسلامية، ص: 126.
(3) النهج في موضوعاته ومصطلحاته، ص: 221.

كما يسميها النحوي هي: "تحديد الأخطاء حتى تجتنب، وتحديد الصواب حتى يتبع، وتحديد مستوى الإتقان فيما هو صواب ودرجة الإحسان فيه، ووسائل تنميته وتحسينه".[1]

والوقوف مع النفس، ومراجعة الأخطاء، وتصحيحها، ومحاسبة النفس، أمر إلهي ونبوي، فقد قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ (الحشر : 18).

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" **الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعُ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّه**".[2]

والتقويم الدوري هو مراجعة لمسيرة كل نشاط بصورة دورية منهجية، يظل التقويم خلالها مرتبطًا بجميع عناصر التنفيذ، ويهدف إلى تحديد الأخطاء في المسيرة وتحديد وسائل علاجها، ويصبح التقويم عنصرًا من عناصر النمو والتطور في أداء العمل الإسلامي، ولذا سمى النحوي غياب التقويم الدوري بالخطأ الأكبر القاتل إذ يقول: "في مسيرة الدعوة الإسلامية تقع أخطاء، ويحدث خلل وتبرز بعض نواحي الضعف، وعندئذ يكون الخطأ الأكبر والخلل القاتل هو عدم دراسة الأخطاء والخلل ومعالجتها، وإهمال ذلك حتى تتراكم فتحجب الرؤية السليمة، ويشغل الناس ببعض الزخارف والشعارات، ولا يصحو الناس إلا على الهزائم تلو الهزائم، والفواجع تلو الفواجع، ثم نقول: أنَّى هذا؟ قل هو من عند أنفسكم".[3]

ويقسم النحوي التقويم الدوري إلى تقويم يومي وأسبوعي وشهري وسنوي وطارئ كلها تهدف إلى الوقوف على نقاط الخلل واستدراك الأخطاء ومعالجتها، واستبدالها بعناصر قوة تفيد العمل الدعوي، وتوفر الجهد والطاقات، وتقلل النفقات، فيتكامل العمل مع مرور الوقت، وتتضاءل أخطاؤه.[4]

---

(1)النهج في موضوعاته ومصطلحاته، ص: 215،

(2) سنن ابن ماجة، 1423/2 – كتاب الزهد – باب ذكر الموت والاستعداد له – رقم/ 4260، وضعَّفه الألباني في مشكاة المصابيح، رقم/ 5289.

(3) بين النهج والتخطيط والشعار، عدنان النحوي، 2015/9/2،
http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=245

(4) انظر: موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية، ص: 216.

المطلب الثاني

رأي عدنان النحوي في قضية فلسطين خاصة وسبل علاجها

فلسطين، الأرض المباركة، الأرض المقدسة، أرض الرسالات، أرض الأنبياء، الأرض التي تهوي إليها أفئدة الصالحين والصادقين، أرض فسطاط الإسلام، الأرض التي يجمع الله فيها خير عباده، أرض الطائفة المنصورة، الأرض التي تشد الرحال إلى أقصاها، أرض المعركة الفاصلة، الأرض التي أهريقت عليها ولها دماء الصالحين والمجاهدين، تلك الأرض التي يتغنى بحبها وبوصلها كل المسلمين في أرجاء العالمين من علماء وخطباء ومجاهدين!

فلسطين تلك القضية الضخمة في عالم الأمة الإسلامية، تلك الدرة الغالية في أرض الإسلام العظيم، أهريقت عليها دماء، وستهراق حتى ينزل عيسى عليه السلام لتبدأ المعركة الفاصلة بين حزب الرحمن وأحزاب الشيطان، قل ما شئت عن فلسطين، وصفها بما شئت، لعل أعظم وصف لها وتعبير عن قصتها هو تقديم الغالي والنفيس من أجل تحريرها ولو كان هذا المُقَدَّم الروح!

"يا فلسطين يا حنين الليالي　　　يا رفيق المنى وشوق الفؤاد
كم نبي دعا إلى الله بالحـ　　　ـق ونادى إلى الهدى والرشاد
النبوات في ربوعك تترى　　　وهي تتلوا آياً وصفو مبادي
دعوة الله، دعوة الحق والإسـ　　　ـلام بشرى الجدود والأحفاد"(1)

هذه المكانة لم تنلها فلسطين اعتباطًا، ولا جزافًا، ولا عصبية لأرض، ولا دفاعًا عن وطنية ولا قومية ولا طين، وإنما الذي حباها بهذه المكانة هو الله رب العالمين، ورسوله الأمين ﷺ .

قال تعالى: ﴿ **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ** ﴾ (المائدة : 21).

وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ:" **لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِى هَذَا وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى**".(2)

---

(1) ملحمة أرض الرسالات، ص: 121.

(2) صحيح البخاري – كتاب فضل الصلاة في مكة والمدينة – باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة – 60/2 – حديث رقم 1198، صحيح مسلم – كتاب الحج – باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد – 1014/2 – حديث رقم 95.

وعنه ﷺ أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**بَيْنَا أَنَا فِي مَنَامِي أَتَتْنِي الْمَلاَئِكَةُ فَحَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي فَعَمَدَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلاَ فَالإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ**".[1]

وعنه أيضًا ﷺ قَالَ:" **أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى – عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ – فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَىْ رَبِّ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ" قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ**".[2]

يتساءل عدنان النحوي – رحمه الله: " لماذا أخذت فلسطين هذا البعد في دين الله؟ أنبياء ورسل يتوالون فيها، ويهاجرون إليها وأنبياء يولدون فيها، وأنبياء يبعثون فيها، وعيسى عليه السلام يُرفع منها، وموسى عليه السلام يتحرك إليها مع قومه المسلمين، ويوشع بن نون فاتحًا باسم الإسلام، وأنبياء يحكمون فيها، ومحمد ﷺ أسري به إليها، ومنها عرج به إلى السماء، وكتائب المؤمنين ممتدة مع الزمن كله وملاحمهم فيها تدور ولا تهدأ، إنها دعوة ربانية ممتدة مع التاريخ، فارتبطت فلسطين بها وارتبطت بالإسلام، وارتبطت بأرض الإسلام وبأمة الإسلام ارتباط عهد وميثاق، وارتباط أمانة ووفاء".[3]

وبالرغم من هذه المكانة وهذه المنزلة السامقة لفلسطين في الإسلام وفي قلوب المؤمنين، إلا أن اليهود – قتلة الأنبياء- استطاعوا أن يدسوا أنفسهم في الأرض الطاهرة المباركة، في وقت كانت الخلافة الإسلامية تترنح بسبب مرضها وضعف حكامها، وبُعد المسلمين عن مصدر عزهم، وبعدهم عن دينهم، فاحتلوا فلسطين اختبارًا وامتحانًا للصادقين، وحجة على المتخاذلين المتآمرين ليميز الله الخبيث من الطيب.

أُحتُلت فلسطين بمكر الليل والنهار، وأُخذت بأمرٍ دُبر بليل وسط غفلة من المسلمين، فانتهكت الأرض والأعراض، وقُتل الأبرياء، وطُرد الناس من بلادهم، حدث هذا على مرأى ومسمع من العالم كله الذي يتغنى ليل نهار بالحداثة والعلمانية وحقوق الإنسان والاتفاقيات الدولية.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده 310/29 من حديث عمرو بن العاص برقم 17775. وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: محمد ناصر الدين الألباني – دار المعارف- السعودية – الطبعة الأولى – 1412هـ – 1992م، 620/14.

(2) صحيح البخاري 157/4 – كتاب أحاديث الأنبياء – باب وفاة موسى وذكره بعد – حديث رقم 3407، صحيح مسلم 1842/4 – كتاب الفضائل – باب من فضائل موسى ﷺ – حديث رقم 42.

(3) فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع، ص: 39.

هذا الواقع المرير حرَّك الصادقين من علماء ودعاة وكتَّاب ومجاهدين، كلٌ يدلو بدلوه، عله يساهم في الخلاص والحل، والدكتور عدنان النحوي -رحمه الله- كان من أبرز العلماء الذين شغلوا بقضية فلسطين كثيرًا، فقد كانت له نظرته الخاصة في تحرير فلسطين وطرد اليهود منها، تتمثل هذه النظرة في تشخيص الداء أولًا، ومعرفة أسبابه، ثم الانطلاق للدواء، وهذه النظرة يمكن تلخيصها في العنوانين التاليين:

أسباب ضياع فلسطين عند النحوي:

تعددت الأسباب وراء احتلال فلسطين، وقد استنبط الباحث من خلال الاطلاع على كتب النحوي أن أسباب ضياع فلسطين يمكن تقسيمها إلى: أسباب داخلية؛ وهي الأسباب التي كانت من فعل المسلمين أنفسهم، وأسباب كانت بفعل أعداء الأمة الإسلامية والمتربصين لها، وهو الذي تولى كبره الكافرون من اليهود والنصارى وغيرهم من أذنابهم المنافقين المتآمرين، وهذه يمكن تسميتها الأسباب الخارجية.

أولًا: الأسباب الداخلية:

يمكن حصر نظرة النحوي لما يراه أهم الأسباب الداخلية التي ساهمت في احتلال فلسطين في النقاط المحددة التالية:

1- الخلل في الممارسات الإيمانية عامة:

ابتعد كثير من المسلمين اليوم فرادى وجماعات ومجتمعات عن أخذ الإسلام كافَّة في جميع النواحي الحياتية، وامتد الخلل في كثير من جزئيات الواقع، بعد أن كانت الممارسة الإيمانية هي الصمام الذي يمنع من تسلل هذا الخلل، لم يعد الإسلام حاكمًا على كل نواحي الحياة، ولم يعد الميزان الذي توزن به الأمور، فاضطربت الأفكار والعقائد والأمور الاقتصادية والاجتماعية وتشتت.

يُجمل النحوي صور هذا الخلل بقوله: "ففي ميدان العمل الإسلامي- بالإضافة إلى التمزق والعصبيات الجاهلية، واضطراب أخوة الإيمان - لم يعد هنالك ميزان معتمد يزن الرجال، ولا ميزان يزن المواقف والبذل والجهد واضطراب وسائل التربية ومناهجها، وغاب عنها قضايا أساسية في البناء والتدريب، وأصبحت النظرة المادية أقوى وأعمق في النفوس، وغاب النصح والتناصح، حتى أصبحت النفوس ترفض مبدأ النصيحة، وترفض أن تَنصح أو تُنصح، وتسلل دعاة الفتنة والانحراف ظاهرين ومتخفين ينشرون دعاواهم، وانحرف عدد من المسلمين في تيارات مختلفة، وغلبت بين بعض المسلمين العادات والأعراف الخاطئة، وانتشر الاختلاط واشتد تقليد الغرب بين المسلمين، وغلبت العادات المنحرفة في الأفراح والأتراح، في مخالفة صريحة لنصوص الكتاب والسنة وأصبح الاعتراض عليها يعتبر تخلفًا".(1)

(1) انظر: بين الارتجال وبين النهج والتخطيط والإعداد والبناء، ص: 110-111.

لم يكن هذا الخلل ممتدًا على مستوى الأمة فقط، بل وصل إلى شخصية المسلم نفسه، فاهتزت الشخصية كثيرًا، فنفر كثير من المسلمين من العمل الإسلامي، إما بسبب كثرة الباطل وقوته، أو بسبب الخوف من البطش الذي تمارسه الحكومات ضد الذين يحملون الفكر الإسلامي.

"لم يعد غريبًا أن تتأثر شخصية المسلم بهذه العوامل الخارجية والداخلية، لقد اهتزت شخصية المسلم كثيرًا إلا من رحم الله، فكان من أبرز الآثار نفور عدد غير قليل من العمل الإسلامي، إما بسبب النتائج المؤلمة على الساحة، والانحراف الذي ما كاد يمكن إخفاؤه، والفشل الذي طال أمره، وإما بسبب الخوف الذي غرس في نفسه من الظلم المروع الذي لاقاه بعض الدعاة تحت سياط الجلادين، وفي أقبية الظالمين، وعلى أعواد المشانق".(1)

هذا الخلل الذي انتشر في بلاد المسلمين أخذ يزداد شيئًا فشيئًا بقصد أو بغير قصد، إما بتخطيط مدروس لنشر أنواع من الخلل في الممارسة الإيمانية تحت قاعدة ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (سبأ : 33).

وإما بغير قصد، وهذا ما يمكن تسميته بالعدوى سريعة الانتشار، فالإنسان متأثر بالبيئة المحيطة به، وأغلب الناس اليوم فقدوا الميزان الشرعي الذي تقاس به الأمور، فأخذ يقلد الداخل والخارج ظنًا منه أنها لا تخالف الشرع الحنيف، فاتسعت الهوة، وزاد البون، وتعسرت مهمة الدعاة والمصلحين، وأصبح ما يدعون إليه غريبًا أو تخلفًا أو رجعية أو إرهابًا إلى غير هذه التهم المعلبة الجاهزة التي أثقلت كاهل الدعاة الصادقين. هذا الحال أبعد المسلمين كثيراً عن القضايا الرئيسة في الأمة، فقل اهتمامهم بها، ومن ضمنها قضية فلسطين والله المستعان.

2- اضطراب عقيدة الولاء والبراء:

عقيدة الولاء هي البيت الذي يجمع المؤمنين، والتي تربطهم برباط مقدس لا ينفك، لا تؤثر على هذا الرباط قبلية ولا عائلية ولا قومية ولا أي فكرة تخدش منهاج الله ورسوله ﷺ، رباط إلهي متمثل في قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّه أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ (الأنفال : 63).

يقول النحوي: "اضطرب الولاء بصورة كبيرة حيث علت رايات عدة، وثارت عصبيات كثيرة، وتمايزت ولاءات متضاربة، وهاجت عواطف، واضطربت الموازين، وظلت هذه العصبيات معنا حتى بين الخيام والجماجم والأشلاء، من هذه العصبيات العصبيات الجاهلية العائلية، والعصبيات الحزبية، والعصبية الوطنية، فصاغت هذه العصبيات وغيرها العلاقات والأهداف فافترقت كثيرًا".(2)

---

(1) بين الارتجال وبين النهج والتخطيط والإعداد والبناء، ص: 111 -112.

(2) على أبواب القدس: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثالثة – 1422 هـ – 2001 م، ص: 257.

ويرى النحوي أن غياب الولاء الصحيح من حياة المسلمين اليوم سببه الجهل الممتد بالكتاب والسنة والواقع المعاش، وغفل المسلمون أن فلسطين – وعلى مر التاريخ– لم تحرر إلا بالولاء الصادق لله ورسوله، ليجتمع عليه المسلمون ليصطفوا في خندق واحد لتحرير الأرض المقدسة.

قال – رحمه الله: "إن الولاء نفسه لا يتيسر ممارسته بالجهل بالكتاب والسنة وبالجهل بالواقع، فالذين حرروا فلسطين مع مر التاريخ كان يملأ قلوبهم الإيمان والتوحيد، وقوة العلم بمنهاج الله، لكن الجهل امتد اليوم إلى الناس، جهلاً لم يسمح أن يصوغ منهاج الله، مواقفنا ورأينا ونهجنا، فدنا عدو ماكر، ونأى صديق وفي، وانسل شيطان، واندس مجرمون".[1]

فكم من المسلمين اليوم لم يعرف مكانة فلسطين، وأن تحريرها فرض على الأمة، وأن الأمة آثمة بكل يوم تتأخر فيه عن نصرة فلسطين وأهلها، وكم من المسلمين اليوم عاش ومات مدافعًا عن القومية العربية أو حب الوطن والتراب بعيداً عن الكتاب والسنة، بل كم من المسلمين اليوم من لا يعرف عن القضية شيئًا، وما كان هذا ليحدث لولا مناهج تعليمية ميعت عقيدة الولاء والبراء، وحكامٌ خافوا على العروش إذا ترسخت هذه القضية في الأذهان والقلوب، فأصبح الولاء للعَلَم أو للوطن هو غاية وقمة الولاء، وأصبح لكل دولة جيش وحدود لا يتعداها.

3- مسلسل التنازلات:

لقد مرت القضية الفلسطينية بسلسلة من التنازلات المقصودة وغير المقصودة أفقدتها قدسيتها وضخامتها في قلوب المسلمين، فبعد أن كانت هذه القضية هي القضية الأولى للأمة الإسلامية، وكان حلم الشباب أن يشاركوا في تحرير فلسطين، وبعد أن كان اليهود العدو الأكبر للإسلام والمسلمين تراجع هذا كله، فأصبحت القضية قضية العرب الأولى، تعقد لها المؤتمرات والقمم العربية، وتطلق من أجلها المبادرات، وأصبحت الأجيال العربية تتغنى بها في تأثير واضح لحصاد القومية الكاسد.

ثم ازداد مسلسل التنازل إلى أن ظهرت أصوات تنادي بأن تكون فلسطين جزءًا من سوريا، ثم وصلت فكرة أن فلسطين هي قضية للفلسطينيين فقط تحت مظلة "حق تقرير المصير"، والحق في تعويض المهجرين وتوطينهم في بلاد الشتات، ثم وصلنا إلى التنازل الأخطر وهي الاعتراف بدولة اليهود والتنسيق معهم والمفاوضات مع قادتهم حتى وصلنا إلى عملية السلام المزعوم!

يقول النحوي: "ولعله من المفيد أن نوجز مسلسل التنازل في حياتنا المعاصرة حيث بدأت مقاومة الخلافة القائمة تحت أعذار مختلفة، ثم انتشار الحركات العربية والوطنية والعصبيات الجاهلية، ثم المناداة بأن فلسطين جزء من العالم العربي في جو صاخب من الأناشيد والإعلام،

(1) على أبواب القدس، ص: 26 .

والمناداة بأن فلسطين جزء من سوريا، وتسميتها سوريا الجنوبية، ومن ثم ترسيخ فكرة أن فلسطين للفلسطينيين مع شعارات الحماسة الوطنية، ثم تُرك لأهل الأرض حق تقرير المصير، وأخيرًا التفاوض في عملية السلام على حدود الضفة الغربية وقطاع غزة والاعتراف بدولة يهود.[1]

وامتد التنازل الرهيب المتسارع، فتعدى الأرض والقضية، تعداه إلى نواحٍ أخرى في العالم الإسلامي، فوصل التنازل إلى فكر الإنسان وأدبه واقتصاده حتى أثَّر على أغلب نواحي الحياة، مما كان له الأثر البالغ على فلسطين وقضيتها.

يقول النحوي: "استمر مسلسل التنازل في العالم الإسلامي في ميدان الفكر والأدب والاقتصاد حتى أخذ صورته الأوسع والأقسى في ميدان الصراع السياسي".[2]

أصبح التنافس في ميدان الفكر يمضي على خطا التنازل عن فكر الإسلام إلى فكر الحداثة والحضارة والانفتاح، فأصبح العقل حاكمًا على النقل، فما وافق العقل قُبل وإلا رُدَّ لمخالفته العلم والتطور والتكنولوجيا.

ولم يكن الأدب بعيدًا عن هذا الانفلات وهذه الزلات، فقد برزت أصناف جديدة من الأدب كانت في العصر القريب نوعًا من السفاهة والسخافة والهراء يلفظها الأدب الأصيل، وظهر الكُتَّاب الذين يدعون علنًا إلى رفض الدين وتحرير المرأة وتغيير العقلية الإسلامية الأصولية كما سموها، فأنتج هذا ما يسمى بشاعر المرأة، وشاعر المليون، ومعبود العرب (*Arab Idol*) والعندليب، وسيدة الغناء العربي، وموسيقار العرب إلى آخر هذه السفاسف التي أخذت المسلمين بعيدًا عن مهمتهم الحقيقية في هذه الدنيا نحو رب العالمين، وأخذتهم مرة أخرى لطمس معالم الدين العظيم.

وكثرة البنوك الربوية في بلاد الإسلام، وتعامل الناس بالربا جهارًا نهارًا يسمونه بغير اسمه واستثمر أرباب الأموال أموالهم في البورصات، والادخارات الربوية، فزاد فقر الفقراء وعوزهم، وتضخمت ثروات الأغنياء في ظاهرة كانت غريبة عن المسلمين أيام عزهم قبل التنازل عن العز، وهذا بالتأكيد كان يبعد الأمة كثيراً عن نصرة فلسطين ونجدة أهلها المشردين، فتراكمت التنازلات كلها سلباً على هذه القضية الحيوية.

وقد امتد التنازل السريع إلى أن أصبحت المفاوضات أسلوبًا لا بديل عنه تحت رعاية الرباعية والشرعية الدولية، أسلوب دعا إليه الغرب وسعى إليه العرب، حيث كان الغرب متمكنًا بسلاحه وجيوشه وقوته، وكان اليهود قد بنوا قوة عسكرية، وجيشًا "لا يقهر"، كما زعموا.

---

(1) على أبواب القدس، ص: 242-243.

(2) ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1423 هـ – 2003 م، ص: 97.

يقول النحوي: "أخذت فكرة الدخول في حرب مع اليهود تتلاشى مع الزمن، وبعثت فقط في أذهان بعض الفلسطينيين، بل وظهر اتجاه جديد يلتزم بتنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة، والاعتراف بدولة اليهود وإقامة دولة فلسطين، بعد أن كان الشعار "إزالة دولة اليهود كلها"[1].

لكن من وسط هذا الاتجاه من التنازل، ظهر الصادقون[2] الذين رفضوا محاولات التسوية مع اليهود، فأعلنوا رفضهم لاتفاقيات السلام منذ اللحظة الأولى، ورفعوا شعارهم المدوي " لن نعترف بإسرائيل"، رفع هذا الشعار ليقابل شعارات أخرى مثل شعارات التسوية والاعتراف بدولة اليهود والعيش بسلام جنباً إلى جنب، وإقامة دولة دينية يهودية لهم، وبرهن هؤلاء الصادقون على صدقهم بأن رفعوا أطهر سلاح في وجه أخبث مشروع صهيوني، فتصدوا – وإن قلَّ عتادهم– للتنازل المخطط له قبل أن يُولدوا، أصبحوا شوكة في حلوق المنظرين لاتفاقيات السلام الوهمي، برهنوا على صدقهم بأن سالت دماؤهم الزكية، وتنافسوا على تقديم الغالي والنفيس والثمين، لتبقى قضية فلسطين قضية إيمان وكفر، قضية الإسلام الأولى التي تجمع قلوب المخلصين من الأمة دعمًا ماديًا ومعنويًا وعسكريًا وروحيًا يزيد من ثبات الصالحين على أرض فلسطين ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

ثانيًا: الأسباب الخارجية:

لقد كانت فلسطين محط أنظار العالم الغازي كله، وهدفًا تحلم به الإمبراطوريات العظمى التي استعمرت البلاد، واعتاشت على دماء العباد، فما من غازٍ إلا وغار عليها لما تحمل من قدسية روحية تُستحث بها قلوب المقاتلين، ولما لها من موقع جغرافي فريد جعلها الواصلة بين الشرق والغرب، ولما لها من بعد اقتصادي؛ فقد كانت قوافل التجارة تمر منها إلى أوروبا وبالعكس، فجمعت فلسطين بين الهدف الروحي والجغرافي والاقتصادي.

لذا، فإن الأسباب الخارجية لاحتلال فلسطين – كما يراها النحوي – كانت متعددة ومتداخلة، من أبرزها:

1– المؤامرة الكبرى:

ما فتأت المؤامرات تحاك ضد الإسلام والمسلمين منذ بداية الدعوة، فقد تعرض المسلمون لغدر اليهود وبعض العرب، بل تعرض النبي ﷺ لمحاولة القتل أكثر من مرة، وامتدت هذه

---

(1) ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين، ص:100.

(2) لا تخلوا الأمة من صادقين أبداً مصداقاً لقول النبي ﷺ:" **لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**" رواه البخاري – كتاب الإيمان – بَابُ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ – 135/1– رقم/ 71

المؤامرات واضحة جلية – إلا على من عميت بصيرته– يدفعها الدين تارة، وتارة أخرى كان الدافع لها الاقتصاد والثروة، وتارة ثالثة كان الخوف من الدولة الإسلامية الفتية المهابة التي أخذت تفتح بلادًا جديدة في أوروبا وأقاصي آسيا وأفريقيا.

ونظرية المؤامرة التي تُطرح ليست مهربًا من الواقع الأليم الذي تحياه الأمة، ولا مهربًا من المسؤولية الملقاة على عواتق المسلمين، لكنها حقيقة واقعية لها ما يؤيدها في أرض الواقع لا كما يهون البعض من أن نظرية المؤامرة التي أثارها الدعاة لا وجود لها إلا في رؤوسهم، ولا حقيقة لها على أرض الواقع.

يقول الدكتور النحوي –رحمه الله– :"إذا لم يكن إخراج أهل فلسطين من أرضهم وديارهم وإحضار اليهود من مختلف بقاع العالم وإحلالهم مكان أهل فلسطين، وتشتيت أهل فلسطين في شتى أنحاء الأرض، تطردهم الأرض بعد الأرض، إذا لم تكن هذه مؤامرة واضحة فكيف تكون المؤامرة إذًا؟ إذا لم يكن دعم أمريكا وأوروبا لليهود هذا الدعم الذي تخلى من كل القيم مؤامرة فما هي المؤامرة إذًا؟... إن تسلسل الأحداث وترابطها وامتدادها، وامتداد الأطماع التي تتحقق والفتك المتعمد والجرائم المروعة، لتشير بوضوح وجلاء إلى المكر المبيت والكيد المدبر والمؤامرة التي يمسك بخيوطها المجرمون يديرونها".[1]

ولقد كان من أحد خيوط المؤامرة محاولة تخدير الناس فكريًا لصرفهم عن الحق ودفعهم إلى الباطل بشعارات تدغدغ المشاعر عن الحرية والحداثة والديمقراطية، ثم القومية التي بترت العرب عن الحاضنة الإسلامية، فالوطنية التي فرّخت معاهدة "سايكس بيكو" التي قسمت العرب إلى دويلات لكل منها عَلم وتحية.

يقول النحوي: "امتد الكيد المدبر الذي تلتقي عليه الأطماع والشهوات، والأحقاد التي يثيرها المجرمون في الأرض، ليخدروا الناس ويصرفوهم عن الحق ويدفعوهم إلى الضلال والعدوان والظلم، تحت شعارات الإنسانية والديمقراطية والاشتراكية وفتنة الوطنية الجاهلية والعصبية القومية، وامتد الكيد المدبر بعد هذا الحصار الطويل على العالم الإسلامي، حتى وجه الضربة المحكمة في أوائل القرن العشرين إلى قلب العالم الإسلامي كله، فسقطت الخلافة، واحتل المجرمون فلسطين وبلاد الشام والعراق وغيرها، وتقاسموا غنيمة كبيرة في معاهدة "سايكس بيكو"، ثم سلموا فلسطين إلى اليهود ليقيموا دولتهم فيها، وليطردوا شعبها منها، بأبشع أنواع الكذب والغدر والكيد والمكر".[2]

---

(1) ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين، ص: 77.

(2) فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع، ص: 58،

وبالرغم من الصراع الطويل والحقد الدفين بين اليهود والنصارى، إلا أن مصالحهم التقت في فلسطين، خوفًا من الإسلام وأهله، فحرصوا على أن يصيبوه في مقتل بزرع دويلة نجسة على أرض مباركة طاهرة، تُقَطِّع أوصاله وتنتهك مقدساته وحرماته، حتى ينشغل المسلمون به – إن انشغلوا– ليذهلوا عن الهدف الأكبر وهو تعبيد الناس لله رب العالمين، ولإجهاض كل محاولة للمّ شمل الأمة من جديد لتنهض برسالتها السامية.

يقول الدكتور النحوي: "لقد كانت فلسطين ميدان صراع في القرن العشرين بين جبهتين: جبهة المسلمين من ناحية، وجبهة أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمشركين من جهة أخرى، ولقد التقت مصالح الجبهة الثانية هذه في أرض فلسطين، حتى دعموا كلهم اليهود – مع ما بينها من تنافس وصراع على الدنيا – ظلت صفًا واحدًا بالنسبة لقضية فلسطين".[1]

ويرى النحوي أن سببًا آخر برز ليكون مبررًا للمؤامرة، إنه الموقع الجغرافي الذي يحضن فلسطين، فهي تربط بين الشرق والغرب، وتربط بين القارات الثلاث، آسيا وأفريقيا وأوروبا، بالإضافة إلى أنها أرض غنية بثرواتها، معتدلة في طقسها.

يقول رحمه الله: "جعل الله فلسطين بحكمته مفتاح الشرق، فما من أمة حاولت أن تغزو الشرق إلا مرت بها، وتركت بعض آثارها في صراع طويل وملاحم متصلة، وجعل الله موقعها هذا ما يسهل الحركة منها إلى جميع الجهات، لتصل القارات وتربط البحر والبر، وجعلها أرض غنية، متنوعة في طبيعتها، فمن جو حار إلى جو معتدل إلى جو بارد".[2]

وهكذا تواطأت أطماع المستعمرين على أرض فلسطين، أطماع هجرت أهلها من مهد ولادتهم، ضاربة بالمواثيق الدولية التي يتغنون بها عرض الحائط، ليظهر الطمع وسيل اللعاب في الموقع الجغرافي والاقتصادي والديني والسياسي.

2- الغزو العسكري والفكري:

تحركت جيوش الكفر نحو أرض فلسطين كنتيجة للمؤامرة آنفة الذكر، وخوفًا من الإسلام الذي يتمدد ويقهر دولًا كبرى كانت لها أحلامًا أن تبني إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس، فاستغل هؤلاء كل مرحلة ضعف يمر بها المسلمون لينقضوا على الإسلام وأهله. فالغزو الصليبي والتتري وغيرهما ليسوا عنا ببعيد. ثم زُرع اليهود في أرض فلسطين أيام الانتداب البريطاني، وأقيمت

(1) فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع، ص: 81-82.
(2) المصدر السابق، ص: 40.

المعسكرات للتدريب على السلاح، تجهيزًا لحسم البلاد لصالح اليهود، وكان الإشراف التام على هذا التدريب وذلك الدعم العسكري للإنجليز، تحت ادعاءات ودعايات انساق وراءها بعض المخدوعين المخدرين من العرب.

يقول النحوي: "تولى الإنجليز خاصة أول الأمر تدريب اليهود، تولوا تدريبهم على القتال واستخدام السلاح، وتولوا تنظيمهم بواسطة هيئة عسكرية إنجليزية، وكان جبل المكبر أحد ميادين التدريب، واستطاعوا أن يخرجوا جيلًا تشبع بروح الجريمة والقتل، وفي نفس الوقت كان الإنجليز يضيقون على المسلمين ويسنون من القوانين ما يحرِّم عليهم حمل السلاح، حتى كان القانون يعاقب على حمل السكين أشهرًا، وعلى حمل رصاصة أعوامًا، وطالب اليهود بتأليف فيلق يهودي وإلحاقه كوحدة مستقلة في الجيش البريطاني".(1)

ومن ناحية أخرى لا تقل خطرًا عن الغزو العسكري، بل أشد، تلاعب اليهود والإنجليز بأفكار كثير من الناس، فبرزت الشعارات والرايات التي مزقت العمل الفلسطيني عامة، والعمل الإسلامي الخالص خاصة، فأصبح الناس شيعًا وأحزابًا كل حزب بما لديهم فرحون، فزاد الهوان والضعف، وفقدت القضية الفلسطينية زهوها وقدسيتها الإسلامية إلى قضية العرب وحدهم، بل إن كل حزب من هذه الأحزاب التي تكونت في ذلك الوقت له رؤية خاصة لتحرير فلسطين ربما تضاد رؤية حزب آخر مضادة تامة.

يقول رحمه الله: "ومن خلال هذه الأجواء برزت الأحزاب السياسية في فلسطين، والتي تدعو إلى استقلال البلاد العربية عن تركيا، وأغرى الإنجليز العرب بوعودهم الخبيثة فانحرفوا عنها، وجميع هذه الأحزاب تنص في مبادئها ومواثيقها على أن فلسطين عربية، وتنص على ضرورة استقلال فلسطين، وفي أحسن الحالات يأتي النص على أنها جزء من الوحدة العربية، أو جزء من سوريا، ولقد غاب عن مبادئ بعض الأحزاب أن فلسطين جزء من دار الإسلام وأنها أرض الإسلام، وأن فلسطين مسلمة أرضًا وهواءً ونباتًا وخلقًا وتاريخًا وحقًا".(2)

واشترك في هذه الجريمة بقصد أو بغير قصد مثقفون وأدباء وشعراء ومفكرون يدعون إلى الانفصال عن الدولة العثمانية، ويدَّعون التمسك بالإسلام، تحركهم يد الاستعمار، بل ربما يُصنع الشاعر والمفكر والأديب على عين أوروبا ثم يعود لينشر ما أُمر به في بلاد المسلمين.

قال النحوي: "عملت المؤامرات على أن تحرك قوى في داخل الدولة العثمانية، تعمل بوعي أو بغير وعي لتحطيم هذا البناء العظيم، من هذه القوى الحركة العربية الحديثة التي تدعو إلى

(1) على أبواب القدس، ص: 61-62.
(2) انظر: المصدر السابق، ص: 72-73.

الاستقلال عن الدولة العثمانية، وإلى التعاون من أجل ذلك مع الدول الأجنبية وخاصة إنجلترا وفرنسا، وكان من رواد هذه الحركة رجال ينتسبون إلى الإسلام، ولكنهم تركوا قواعد الإسلام ومنهج الإيمان، فنشطوا في هذا السبيل نشاطًا عظيماً، وقد كان من بينهم رجال عادوا بشهاداتهم العلمية من أوروبا".[1]

وقد أجاد الدكتور عدنان النحوي – رحمه الله رحمة واسعة – لمَّا جمع الأسباب الخارجية والداخلية على حد سواء؛ لأن الدواء لا يوصف إلا إذا علمت جميع أسبابه، حتى يكون الدواء ناجعاً ناجحاً، ويدلك حصر النحوي لكثير من أسباب ضياع فلسطين على سعة اطلاعه ومواكبته الأحداث، وحنينه الصادق لأرضه المباركة. لذا فقد كتب العديد من الكتب والمقالات التي تحاول أن تكشف عن الداء وتقدم بيد حانية شفوقة الدواء.

الطريق إلى فلسطين كما يرى النحوي

إن أي حل يضعه العاملون لأي قضية يجب أن يبدأ بالتشخيص أولًا، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، وبدون بحث دقيق في واقع المسلمين، والأحداث التي تمر بهم، والتحالفات التي تحاك ضدهم، وممارسات بعض المسلمين، وتاريخ القضية الفلسطينية، بدون هذا كله وغيره لن يستطيع العاملون أن يضعوا خطة ونهجًا نحو ذلكم الهدف الكبير، ألا وهو تحرير الأرض المباركة.

إن السير ارتجالًا لا يوصل لمطلوب، بل يتعب القدم ويضعف القوى ويضيع الوقت الثمين، ويبث اليأس في القلوب، وإن واقع العمل لتحرير فلسطين يكشف عن كثير من الخلل، ضاعت على أعتابه جهود وأموال وأرواح وأوقات بلا فائدة تذكر، إلا من بقايا عمل خالص لا يرقى لتخليص فلسطين من قيدها المحكم التي قيدتها به دول عظمى.

يقول الدكتور النحوي: "إذا غاب النهج والتخطيط على أساس الإيمان والتوحيد والمنهاج الرباني في واقع أي أمة فلا يبقى لديها إلا الشعارات تنبح بها، ولا تجد لها رصيدًا في الواقع إلا مرارة الهزائم وتناقض الجهود واضطراب الخطا، ثم الشقاق والصراع وتنافس الدنيا في الميدان، ثم الخدر يسري في العروق، ثم الشلل ثم الاستسلام، ثم تكون النهاية".[2]

ويُجمل الباحث رؤية الدكتور النحوي في قضية تحرير فلسطين، والتي يكررها في أكثر من كتاب – كما سيرى القارئ– والتي تضم خطوات لحل جوانب عقدية وروحية وعلمية وفكرية وعسكرية مما يمكن سرده على النحو التالي:

(1) على أبواب القدس، ص: 133–134.

(2) بين الارتجال وبين النهج والتخطيط والإعداد والبناء، ص: 16.

1- محاسبة النفس وتهذيبها وإصلاحها:

والمقصود بهذه العبارة ألا نلتفت لأعداء الأمة، وللذين سلبوا الأرض ونجاهد من أجل تحريرها وننسى أن نبدأ معركة أشد وأشرس بكثير، إنها معركة في محاسبة النفس وتهذيبها وإصلاحها.

فمحاسبة النفس كانت دائمًا وأبدًا في خلد الجيل الأول الذي لم يعرف للهزيمة طعماً، فتحرير ما بين جنبات الإنسان وإصلاح علاقته بربه هو أول طريق لتحرير البلاد والعباد، ولطالما نادى الدعاة بالتخلية قبل التحلية.

فعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ**".[1]

وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ قُبْرُصُ فُرِّقَ بَيْنَ أَهْلِهَا فَبَكَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ ﷺ جَالِسًا وَحْدَهُ يَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، مَا يُبْكِيكَ فِي يَوْمٍ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ؟ قَالَ: "وَيْحَكَ يَا جُبَيْرُ مَا أَهْوَنَ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ إِذَا هُمْ تَرَكُوا أَمْرَهُ، بَيْنَا هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُمُ الْمُلْكُ تَرَكُوا أَمْرَ اللهِ فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَى".[2]

نعم يجب على كل مسلم أن يتذكر أنه ما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة، ومع مر العصور ما حررت فلسطين إلا على يد متوضئة طائعة لله عز وجل، ولم تتساوى وعدوها في المعاصي فيهزمها بعدته وعتاده.

فالخطوة الأولى نحو تحرير فلسطين هي بناء جيل مؤمن صفت عقيدته وصحَّ ولاؤه، جيل أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ليغيظ بهم الكفار، جيل دستوره القرآن، وقدوته محمد العدنان، وسبيله الجهاد في سبيل الرحمن، جيل يرى الموت في سبيل الله أسمى الأماني، لا يركن إلى الدنيا ومتاعها، جيل يرى الحياة طويلة إن ألهته عن طلب الآخرة، لذلك كان هذا الهدف الأول للأنبياء والرسل والدعاة.

ويجب أن يكون الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراء من الكفار والمشركين والمنافقين، حتى يتمايز الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق ولا كفر فيه، وفسطاط كفر ونفاق لا

---

(1) رواه الترمذي في سننه - أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ - باب - 611/4 - رقم/ 2459، وضعفه الألباني في (مشكاة المصابيح)، رقم/5289، وفي (ضعيف الجامع الصغير وزيادته)، رقم/4305.

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني - دار السعادة - مصر - 1394هـ - 1974م، 216/1.

إيمان فيه، ويجب أن ينبذ المسلمون العصبيات الجاهلية والقطرية والقومية، لترسخ الروابط الإيمانية الإسلامية.

يقول- رحمه الله:" إن من أهم أسباب الخذلان قيام العصبيات الجاهلية والحمية العائلية والإقليمية والقومية حتى تطغى فتكون أعلى من حمية الإيمان وروابط التقوى ولحمة الإسلام، لابد أن نغير ما بأنفسنا حتى يصدق ولاؤنا لله وعهدنا مع الله وحبنا الأكبر لله ولرسوله، على يقين تثبته ممارسة صادقة في الواقع، وعلى علم وافٍ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى علم بالواقع... إن الداء في داخلنا، في أنفسنا، وإن الخلل في واقعنا، في تصورنا الإيماني وفي علمنا وفهمنا، وفي سلوكنا وممارساتنا".(1)

لابد إذًا من وقفة إيمانية، لتقييم العمل وفق الكتاب والسنة، وأن يجتمع الصالحون من كل الحركات والجماعات من أجل الله وحده لمعالجة الخلل والأخطاء والزلل، ثم وضع خطة لمعالجة الواقع، وبدون هذا ستبقى الأمة تدور في هزائمها وهوانها، ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد، لكنه والله يمتد، وإلى الله يُرد، ليُقام على المقصر الحد بين يدي الله الفرد الصمد!

يقول النحوي: "إن هذه الدعوة واضحة أمرنا الله بها، وإننا نوجهها إلى أنفسنا وإلى كل مسلم، وإلى كل جماعة أو حركة إسلامية، وإلى المسلمين بعامة، لابد من هذه الوقفة الإيمانية، ومحاسبة النفس، ومعرفة الأخطاء والزلل والانحراف، ومن ثم معالجته معالجة إيمانية، وإن محاولة تغطية العيوب والأمراض بالمسكنات أو الغرور أو الكبر، سيزيد من الهزائم في الدنيا ومن عذاب الله في الآخرة".(2)

إنها معركة مع النفس بكل ما تحمل الكلمة من معنى، حيث ينتصر الإنسان على نفسه وشهواته، ويذللها لمنهاج الله، ويجعل من نفسه جنديًا مطيعًا يستجيب لنداء خدمة دين الله، أما إذا اثَّاقل القلب إلى الأرض، وتمكن حبها منه، فحينها يثقل عليه البذل والعطاء، فالنصر الأول في معركتنا نصر على النفس. ومن أجل هذه المعركة العظيمة بُعث الأنبياء والمرسلون، وبذلوا في سبيل النصر بها ما يملكون وبقي هذا الهدف ينتقل به إلى غيره يحمله الدعاة على خطا الأنبياء، إنها معركة مع النفس ومع الشيطان التي بدأت من هناك حيث خلق آدم عليه السلام ورآه إبليس، وإنها معركة باقية إلى يوم القيامة.

يقول شيخنا النحوي – رحمه الله: " لقد بعث الله هؤلاء الرسل والأنبياء ليقوموا بأعظم معركة في تاريخ البشرية من أجل أعظم قضية، إنها المعركة مع النفس البشرية التي انحرفت عن

(1) فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع، ص: 106.

(2) ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين، ص: 51.

الصراط المستقيم وعن دين الله الواحد – دين الإسلام– إنها معركة تغيير النفس وتحويلها من الفتنة والفساد، والوثنية والضلال، إلى الهدى والحق والخير، وإخراجها من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد وإشراقة الإيمان... إنها أعظم معركة من أجل أعظم قضية".(1)

2- تشخيص طبيعة الصراع:

كثير من المسلمين عامة والفلسطينيين خاصة ينظر إلى الصراع مع اليهود على أنه صراع على قطعة أرض، إذا انتهى احتلالها انتهت العداوة، وأصبح المسلمون واليهود أحباباً لا يفرقهم شيء، وتسلل هذا الكفر – للأسف الشديد– إلى بعض الحركات الإسلامية، فلا مشكلة بيننا وبين اليهودي الذي يسكن ألمانيا والنمسا وغيرها، وهذا خلل كبير يؤثر على الجهاد في فلسطين.

لذا – وحتى ننطلق من أرضية صلبة نحو التحرير– يجب أن نشخص المعركة تشخيصًا صحيحًا يجتمع عليه كل المسلمين، وكل حركاتهم العاملة، ليتربى عليه النشء ويزرع في قلوب المجاهدين، هذا التشخيص مفاده أن حربنا مع اليهود حرب عقيدة ووجود لا حرب أرض وحدود، حرب دينية لا حرب طينية، زاد طينها بلة احتلال الأرض المباركة، بدأت هذه الحرب أيام النبي ﷺ حين حاولوا قتله وحين غدروا بالعهد في معركة الأحزاب، وحين أعلنوا عداءهم له بعد أن عرفوه كما يعرفون أبناءهم، هناك بدأت المعركة، قبل احتلال فلسطين بقرون، واستمرت المعركة إلى يومنا هذا.

جاء في موقع (ويكيبديا الإخوان المسلمون، الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين) ما يلي: " إن الصراع بيننا وبين اليهود هو صراع قدري، وهو صراع مستمر حتى يأذن الله بالنصر عليهم، والدليل على ذلك أن الله عز وجل عندما تحدث عن الصراع بيننا وبين بني إسرائيل بشقيهم – اليهود والنصارى – استخدام حرف (لن) التي تفيد التأبيد فقال تعالى: ﴿ **وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**﴾ (البقرة : 120) كما يتضح لنا من هذه الآية أن حقيقة الصراع هو صراع ديني وصراع على الملة والرسالة، صراع بين رسالة التوحيد المُسَلَّمة من التحريف، ورسالة اليهود والنصارى المحرفة، ومما يؤكد أنه صراع ديني عقدي أن دولة المسخ (إسرائيل) عندما أقيمت على أرض فلسطين المسلمة أقيمت بدوافع دينية على اعتبار أرض فلسطين هي أرض الميعاد التي وعدهم الرب بها".(2)

(1) حتى نغير ما بأنفسنا، ص: 191-192.
(2) صراعنا مع اليهود، عبد القادر خليل الشطلي، 2015/7/23م، http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title

وإنه من المخجل أن يتعامل اليهود مع القضية برؤية عقدية، ويرون دخولهم لفلسطين أمراً من الرب وتحقيقًا لمراده، ونحن في ذلكم السجال ما حُسمت القضية بعد.

ألم يقلها أفاكهم الأكبر بن غوريون – أول رئيس وزراء لدولة اليهود – بعدما اعترفت بها الدول العظمى: " قد لا يكون لنا الحق في فلسطين من منظور سياسي أو قانوني، ولكن فلسطين حق لنا من منظور ديني، فهي أرض الميعاد التي وعدنا الله إياها من النيل إلى الفرات، ولا معنى لفلسطين بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل، ولا معنى لقيام دولة إسرائيل على غير أرض الميعاد".[1]

يقول النحوي – رحمه الله– في تشخيصه لطبيعة المعركة بيننا وبين اليهود: " المعركة ممتدة على مدى التاريخ بين الإيمان الحق الصادق وبين الكفر والشرك والنفاق، وما زالت ممتدة حتى اليوم، نرى فيها الغارة الشاملة والغزو العام على العالم الإسلامي وعلى المسلمين في الأرض كلها أينما كانوا وعلى كل مسلم... إن مجيء اليهود إلى فلسطين تحت ادعاءات دينية كاذبة باطلة، بدعم كامل من العالم العلماني والاشتراكي لم يكن إلا جزءًا من الغارة الشاملة والغزو العام".[2]

وهذا الصراع الضارب بجذوره في التاريخ سيدوم طويلًا بحكمة الله سبحانه تمييزًا للخبيث من الطيب، وسيظل حتى يأذن الله سبحانه للحجر والشجر بنصرة أهل الحق بلسان الناصر المؤيد: يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، قول صحيح من الصادق المصدوق الذي لا يكذب ولا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" **لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِىُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِىٌّ خَلْفِى فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُود**".[3]

3– بيان أن قضية فلسطين قضية كل المسلمين:

بعد أن أصبح لليهود دولة تُعد الآن من أقوى دول العالم، وبعد أن خاضت حروبًا مع العرب فانتصرت في أغلبها، وأصبح لليهود قدم ثابت في أمريكا وسياستها من خلال اللوبي الصهيوني هناك، واستعطاف الجماهير في الإعلام لحشد الدعم المادي والعسكري، أصبح من

(1) الخطب المنبرية: محمد حسان – مكتبة فياض – مصر – الطبعة الأولى – 1427هـ – 2006م، 20/4.
(2) ملحمة الإسلام، ص: 55.
(3) رواه مسلم 2239/4 – كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء – حديث رقم 18.

الواضح تمامًا أن الفلسطينيين وحدهم غير قادرين على المجابهة، فلابد إذًا من أسلمة القضية، لتقوم الأمة كلها – ليس الفلسطينيين وحدهم– للعمل على تحريرها، يُنشّأ عليها الأطفال ويُربى في حضنها المجاهدون الأبطال، فقضية فلسطين هي قضية أمة وقضية إسلام حري أن ترد إلى منهج الله ردًا جميلًا.

فمنذ فجر الدعوة أصبحت فلسطين إسلامية وملك للإسلام، وأمانة في عنق الأمة المسلمة الواحدة في الأرض، فإبراهيم عليه السلام هاجر إليها باسم الإسلام ولوط عليه السلام كذلك، وامتدت الهجرة إلى مكة مع زوجته هاجر وإسماعيل ولترتبط دار الإسلام ارتباط دين ورسالة، ثم توالى عليها الأنبياء إسحاق ويعقوب وموسى و زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، ثم كان الإسراء بمحمد ﷺ، ثم انطلقت سريعًا كتائب الإسلام من المدينة المنورة لتعيد الإسلام إلى فلسطين، وتعيد فلسطين إلى الإسلام، ومن هنا ينطلق التصور الإيماني لقضية فلسطين، تصورًا تعلنه النبوة الممتدة تصورًا ينطلق من الكتاب والسنة، ومن هذا التصور فقط تتحدد المسؤوليات والواجبات والمواقف، ويتحدد المنهج والأهداف، وتقوم العلاقات والروابط، إنها مسؤولية كل مسلم في الأرض، ليست مسؤولية قطر محدد أو شعب محدد.[1]

ويقول رحمه الله: "وأول قضية نود أن نؤكدها هي ضرورة توحيد التصور الإيماني، التصور الفكري لقضية فلسطين، ليكون تصورًا لا يقف عند الشعارات والرايات، ولكن يدخل إلى أعماق القلوب والنفوس والعقول، فيجمع طاقات الإنسان كلها فكرًا وعاطفة، وإيمانًا وموقفًا وعملًا، ثم نهجًا واضحًا يحدد أهدافًا واضحة، ليصبح تصور الطفل والمرأة والرجل والفرد والجماعة والأمة كلها".[2]

بأي لغة نخاطب العالم؟! أبغير ما خاطب به محمد ﷺ العالم كله؟ وما خاطب به اليهود والنصارى، ويعجب الواحد أن اليهود يخاطبون العالم بنصوص من التوراة المحرفة ليثبتوا باطلهم المفترى، ويتردد المسلمون بأن يخاطبوا العالم بلغة القرآن!! الكتاب الوحيد الذي لم تمسه يد التحريف، إنه الحق كله، والعز كله، والنصر كله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يصدح صباح مساء أن للمسلمين في فلسطين حقاً مشهوداً ولليهود حقاً مردوداً.

" كان واضحاً للصهيونيين وحلفائهم الاستعماريين أن الإسلام هو الخطر الأول لو أدخل معترك القضية الفلسطينية، وذلك بما ينطوي عليه من دعوة للجهاد، واعتباره فرض عين إذا ما غزيت ديار الإسلام ... وكذلك فإن دخول الإسلام ميدان المعركة الفلسطينية يعني إدخال ثقل

---

(1) انظر: فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع، ص: 24-38.

(2) المصدر السابق، ص :18-19.

بشري هائل لا قبل للصهيونيين به، فالأمة الإسلامية تفوق ألف مليون من البشر، عوضاً عن الثقل الإسلامي السياسي والاقتصادي".[1]

نعم، يجب أن يكون هذا التصور الإيماني حاضرًا في أذهان القادة والمفاوضين، عند الجنود والمجاهدين، عند أصحاب المبادرات المطروحة للسلام، تصور تلتقي عليه كل الحركات والاتجاهات في الأمة لتنهل من فهم محمد ﷺ وصحابته وتابعيهم لهذه القضية. أما أن تصبح قضية حزبية أو قومية أو وطنية تتلاعب بها المصالح الحزبية أو الشخصية، ويميد بها بريق الكراسي وحب الرياسة، فهذا تأخير لها على أن تصل بر الأمان، وتشتيت لجهود العاملين بصدق من أجلها، وبلبلة يقع فيها الجيل تلو الجيل، وحيرة تسيطر على من لا علم له.

4- التخطيط والبعد عن الشعارات:

قضية فلسطين قضية معقدة، تعرضت لأطول احتلال في التاريخ، وتشابكت فيها أطماع القوم والتقت عليها مصالحهم، وأحكموا لذلك الخطة والنهج، بينما تشتتت جهود العاملين لتحريرها، وتعددت مناهجهم ومدارسهم الفكرية، بل من هذه الخطط ما يحاد منهاج الله ورسوله محادة مباشرة، وشتان بين فريقين أحدهما له خطته ومنهجه فهو ثابت الخطا نحو الهدف، يُسرِّع خطاه، بينما تخبط الفريق الآخر يمنة ويسرة.

يقول النحوي رحمه الله: "إذا التقى فريقان: فريق له نهجه وخطته، فعرف بذلك دربه ومراحله وأهدافه، فنهض وصدق عزمه لها، وفريق لا نهج له ولا خطة، إلا الشعارات يدوي بها، فإن الفريق الأول بنهجه وتخطيطه يستطيع أن يحول جهود الفريق الثاني لصالحه فيجني النصر، ويجني الآخر الهزيمة والخسران والحسرة".[2]

نهجان في فلسطين نهج له خطته وتصوره لا يتنازل عن أهدافه، وهؤلاء هم اليهود الذين حمل مخططهم الدمار والخراب والجريمة، ونهج آخر عمل ولم يضع خطة أو تعاكست خطته مع خطة آخر، فأهدرت الطاقات، وابتعدت وجهات النظر كثيرًا، وتفرق العاملون، مما استفاد منه اليهود استفادة كبيرة.

يقول النحوي: "ولقد مرَّت قضية فلسطين في جميع مراحلها دون أن يكون لنا نهج محدد واضح مفصل، ولا تصور إيماني ثابت للقضية، ولا أهداف واضحة ثابتة لا يتنازل الناس عنها، ولا تنفصل عن المنهج، ولا تصطدم مع التصور وكان للأعداء مخطط مفصل، وتصور إيماني ظالم ثابت، أهداف لا يتنازلون عنها".[3]

---

(1) حاضر العالم الإسلامي، تاج السر أحمد حران، ص: 182.

(2) حتى نغير ما بأنفسنا، ص: 10.

(3) فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع، ص: 93.

والذي يحرر فلسطين دائمًا وأبدًا الخطة المرسومة حسب منهاج الله لا حسب الأهواء الشخصية أو المؤتمرات الدولية أو عفن القومية، ولا الرايات الوطنية ولا الحوارات السياسية ولا الجهود الدبلوماسية، إنه النهج الذي يسير على منهاج الله – الكتاب والسنة – ثم على الواقع المعاش وإدراك أبعاده بعد رده – أيضًا– إلى منهاج الله ردًا جميلًا صادقًا عن إيمان وعلم ووعي، وهذا النهج وهذه الخطة هي أمر إلهي وسنة نبوية، فالتوكل على الله سنة النبي ﷺ والأخذ بالأسباب حال النبي ﷺ، فمن أخذ سنة النبي فلا يتركن حاله.

يقول رحمه الله: "إن الملاحظة السريعة تكشف لنا أمرًا في غاية الأهمية، ونحن ندرس الصراع الطويل والعدوان الممتد من الأعداء، ذلك أن الأعداء استفادوا من هذا الصراع الطويل، فطوروا أساليب كيدهم ووسائل مكرهم ومناهج عدوانهم، وانتقلوا من مرحلة إلى مرحلة عن دراسة ووعي وجمع لتجاربهم وتنسيق لها، أما نحن فمواقفنا ونشاطنا يكشف أننا لم نستفد من الماضي أبدًا، ولم تتقدم مناهجنا، بل لم يكن لدينا مناهج، وأقبلنا على الميدان بصورة ارتجالية تخضع لردود الفعل الآنية، ونشغل أنفسنا بسفاسف الأمور لا بمعاليها".[1]

ويرى الباحث أن الدكتور النحوي –رحمه الله– قد جانب الصواب حين قال: " مرَّت قضية فلسطين في جميع مراحلها دون أن يكون لنا نهج محدد واضح مفصل، ولا تصور إيماني ثابت للقضية، ولا أهداف واضحة ثابتة"، نعم، لقد كانت هناك بعض الممارسات الارتجالية لا خطة لها ولا نهج، تصدر من أفراد جانبوا الحق في التعامل مع القضية الفلسطينية، وممارسات جماعات لها خطة ونهج لكنها تضاد منهاج الله مضادة تامة أو جزئية – ومازالت– نعم هذا حق، لكن الناظر الفاحص يرى ويثبت بيُسْر أن هناك رجالاً في فلسطين وضعوا خطة محكمة ونهجاً صحيحاً يطابق منهاج الله، رفضوا التنازل عن أي بند من بنوده، ولم يعترفوا بالآخر المحتل، ربوا النشء على أساس هذه الخطة، ونظموا لها البرامج المتعددة، هذه الخطة بدأت تؤتي ثمارها غضة طرية وتنبت زرعا مباركًا يهوى المنية ولا يرضى الدنية.

5- الجهاد في سبيل الله وفق خطة محكمة:

الجهاد في سبيل الله من أعظم العبادات التي يتقرب بها الصالحون لربهم، وطريق سار عليه الصادقون أفرادًا وجماعات على مر تاريخ البشرية كلها، في تدافع بين الناس جُعل للتمحيص والاختبار للمؤمنين وإقامة الحجة على المخالفين، ولقد كان الجهاد هدفه دائمًا تعبيد الناس إلى الله سبحانه، وليس الهدف القتل ولا السبي ولا الغنيمة، لذا حرص الإسلام أن يكون للجهاد خطة وفقه، حتى لا يكون أمرًا ارتجاليًا، أو ردة فعل غير مدروسة تضيع على أعتابه دماء زكية وهمة شباب فَتِيَّة.

(1) ملحمة فلسطين، ص: 124.

يقول النحوي: "والجهاد في سبيل الله ليس عملًا ارتجاليًا، ولا عملًا عاطفيًا، ولا ردود فعل آنية، ولا عملًا فوضويًا، إنه عمل منهجي، عمل بناء وإعداد، ومنهج متكامل مترابط الأجزاء، إنه مسؤولية الأمة المسلمة المتراصة".[1]

ويرى النحوي أن الجهاد فرض عين على كل مسلم لا فرض كفاية على أهل فلسطين ثم الذين يلونهم، منوهاً على أن هذا حق إذا كانت الأمة متماسكة، ولها خليفة يمسك بزمام الأمور يرسل إلى البلد المغتصب قدر ما يتم به المطلوب، أما أن تكون الأمة ممزقة بحدود جغرافية مصطنعة، ويجثم على صدرها حكام ظلمة فلا سبيل لفرض الكفاية والحالة كذلك.

يقول – رحمه الله: "إن هذا الفهم خاطئ لابد من دفع سوء الفهم فيه، وهو أن الأمة متى كانت متماسكة، تدخل ساحة الجهاد بالقدر الذي يكفي المعركة لتعذر الأمة نفسها بين يدي الله فهؤلاء يباشرون القتال في الميدان، وهؤلاء يديرون المصانع، وآخرون يتولون التعليم، وآخرون يحمون الزراعة والإنتاج وهكذا، فهل يعقل أن يرضى الإسلام أن يقوم فقهه على ما يفرضه علينا أعداؤه؟ وأما وقد كشف الواقع بكل جلاء أن أهل القطر الواحد عاجزون عن دفع الهجمة الدولية المتراصة، وأن ترك فلسطين في الميدان وحدها يعرض كل ديار المسلمين للخطر الداهم، في هذه الحالة، الإسلام فقه واحد لا ثاني له، ولا عذر عند الله لأحد بمخالفته، ذلك أن الجهاد بجميع أبوابه فرض عين على كل مسلم في الأرض، وإن لقاء المؤمنين فرض عين كذلك".[2]

ويجب أن ينقى الجهاد في سبيل الله من شوائب العصبيات الجاهلية والحزبية والهوى وحب الدنيا، ليبقى خالصًا نقيًا لله سبحانه، جهاد كجهاد النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، وجهاد الأُوَل، فقد مَحَّصَ الله جنود طالوت لمَّا فصل بهم بنهر ونهاهم عن الشرب منه تأديبًا لهم، فتساقطوا فيه، إلا بقية مؤمنة صادقة، ولما رأوا عدد العدو وعدته قالوا لا طاقة لنا اليوم بالكفر وجنوده، وبقيت الفئة المؤمنة لتتربى قبل أن تلاقي عدوها، وتتخلص من شوائب النفس وحظوظ الدنيا.

يقول النحوي: "بقيت الفئة المؤمنة التي أسلمت لله رب العالمين، الفئة التي تبرأت من العرق والجنس وسائر العصبيات الجاهلية، وجعلت قتالها جهادًا خالصًا صافيًا في سبيل الله، لا يلوثه شرك ولا هوى ولا انحراف، ولا تميل به فلسفة وسياسة وأعذار، وإنما يحكمه إسلام وإيمان وتوحيد".[3]

---

(1) ملحمة الإسلام، ص: 59.

(2) المصدر السابق، ص: 68.

(3) المصدر السابق نفسه، ص: 69.



الفصل الرابع

جهود النحوي في الرد على المخالفين

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: جهود النحوي في الرد على العلمانية.

المبحث الثاني: جهود النحوي في الرد على الديمقراطية.

المبحث الثالث: جهود النحوي في الرد على حقوق الإنسان في القوانين الوضعية.

المبحث الرابع: نظرة النحوي إلى حوار الأديان.

المبحث الخامس: موقف النحوي من قضايا المرأة.



المبحث الأول

جهود النحوي في الرد على العلمانية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العلمانية.

المطلب الثاني: جهود النحوي في الرد على العلمانية

المطلب الأول
تعريف العلمانية

تعريف العلمانية لغة واصطلاحاً:

العلمانية لغة: لم توجد لفظة العلمانية في معاجم اللغة العربية القديمة، ومخطئ من نسبها إلى العَالم أو العِلم، فهي لا دخل لها بالمفهومين، لكنها مفهوم خاص لفكر خاص[1]، والذي يؤكد هذا الفهم هو تعريف العلمانية في الكتابات الإسلامية الحديثة وغيرها.

جاء في قاموس المورد في معنى كلمة **(secular):** الدنيوي، والغير ديني، وهو المنتسب لغير الرهبانية، وهو عدم المبالي للدين والاعتبارات الدينية.[2]

العلمانية اصطلاحاً:

"هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها".[3]

أو هي:" نظام أخلاقي أُسس على مبادئ الأخلاق الطبيعية ومستقل عن الديانات السماوية أو القوى الخارقة للطبيعة".[4] والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هي " فصل الدين عن الدولة" .

وهذا التعريف لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة، فمفهومها أوسع من توضيح علاقة الدين بالدولة، فهي نفي للدين عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

يقول الدكتور علي جريشة: "والأولى في تعريف العلمانية القول بفصل الدين عن الدولة، أو بحصر الدين في معنى التعبد دون امتداده لسائر شئون الحياة".[5]

---

(1) انظر: العلمانية – المفهوم والمظاهر والأسباب: مصطفى باحُو السلاوي المغربي – جريدة السبيل – المغرب – الطبعة الأولى – 1432هـ – 2011م، ص: 33.

(2) انظر: قاموس المورد، منير البعلبكي– دار الكتاب – بيروت – الطبعة الأولى –1970م، ص: 827.

(3) مذاهب فكرية معاصرة: محمد بن قطب بن إبراهيم – دار الشروق – مصر – الطبعة الأولى – 1403هـ–1983م، ص 445.

(4) الاتجاهات الفكرية المعاصرة: علي جريشة – دار الوفاء– مصر – الطبعة الثانية – 1409هـ – 1988م، ص: 73 .

(5) المرجع السابق، ص: 75.

ويقول الشيخ سفر الحوالي: "والترجمة الصحيحة للكلمة هي (اللادينية) أو (الدنيوية) لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب، بل بمعنى أخص هو ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد".(1)

ويقول الدكتور عدنان النحوي: "إن "العلمانية" تعني اللادينية، أي منع الدين من التدخل في شؤون الأمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وحصره في أماكن العبادة لا يخرج منها إلا عند وجود مصلحة دنيوية لقوى العدوان في دعم عدوانهم وأطماعهم"(2)

ويقول: "العلمانية تعني النظر إلى العالم المادي وحده، وإغفال كل ما عداه من الغيب والألوهية والدار الآخرة وما يتبع ذلك، ويُترك – حسب ادعائهم الذي يكذبه الواقع – أمر الدين لكل إنسان، فهو حر بدينه، على أن لا يعلن دينه في المجتمع ولا يدخله في التربية للأمة والسياسة والاقتصاد أو غير ذلك".(3)

أسباب ظهور العلمانية وظروف نشأتها في العالم الغربي:

جاءت العلمانية من رحم ظروف عاشتها القارة الأوروبية فيما يسمى ب"عصور الظلام"، إذ تجمعت عوامل كثيرة جعلت الناس يتجهون لهذا الفكر الجديد الذين رأوا أن فيه الخلاص من تسلط رجال الدين، فمعرفة أسباب الانتشار حيوية وضرورية؛ لأن هذه الأسباب قطعاً لها أعظم الأثر هذا الفكر الجديد، فما هي الأسباب التي ساهمت في ظهور العلمانية وانتشارها؟ إليك بيانها:

أولاً: طغيان رجال الكنيسة:

لقد عاشت أوروبا في القرون الوسطى فترة قاسية، تحت طغيان رجال الكنيسة وهيمنتهم، وفساد أحوالهم، واستغلال السلطة الدينية لتحقيق أهوائهم، وإرضاء شهواتهم، تحت قناع القداسة التي يضفونها على أنفسهم، ويهيمنون بها على الأمة الساذجة، ثم اضطهادهم الشنيع لكل من يخالف أوامر أو تعليمات الكنيسة المبتدعة في الدين، والتي ما أنزل الله بها من سلطان، حتى لو كانت أموراً تتصل بحقائق كونية تثبتها التجارب والمشاهد العلمية.

---

(1) العِلمانيَّة – نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة: سفر بن عبد الرحمن الحوالي – دار الهجرة – السعودية – الطبعة الأولى – 1422هـ، ص: 21.

(2) بناء الأمة الواحدة، ص: 50.

(3) الوجيز في دراسة الأسلوب والأسلوبية: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1424 هـ – 2003 م، ص: 31.

"وقد شمل هيمنة الكنيسة النواحي الدينية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية، وفرضت على عقول الناس وأموالهم وتصرفاتهم وصاية لا نظير لها على الإطلاق".[1]

وهذا الطغيان استمر وقتاً طويلاً وسمي بعصور الظلام، أجهضت فيه كل محاولة لتغيير الواقع التسلطي لرجال الدين، حتى ضاق العلماء والمثقفون ذرعاً بالممارسات التي كانت تغلف بغلاف الدين والطاعة للرب، وكنتيجة لطغيان رجال الكنيسة، ظهر سبب آخر لظهور العلمانية ألا وهو:

ثانياً: الصراع بين الكنيسة والعلم:

الصراع بين الكنيسة والعلم مشكلة من أعمق وأعقد المشكلات في التاريخ الفكري الأوروبي إن لم تكن أعمقها على الإطلاق، وذلك أن الكنيسة كانت هي صاحبة السلطة طوال القرون الوسطى في أوروبا حتى قامت النهضة العلمية هناك، ومكث هذا الصراع عدة قرون، وانتهى بإبعاد الكنيسة ورجالها عن التدخل في نظم الحياة وشئون الدولة، فالدين – بمعنى أوضح – مهمته داخل جدران الكنيسة فقط، ولا داعي لوجوده خارجها، ويكون لرجال الدولة والعلم إدارة شئون الحياة بالأسلوب الذي يناسبهم سواء أكان متفقاً مع مبادئ الدين أم لا.[2]

لما جاء القرن السابع عشر بدأ الباحثون الأوروبيون في الجهر ببعض النظريات التي تخالف ما عليه الكنيسة، وكانت أول النظريات ظهوراً نظرية (كوبرنيك) الفلكية في كتابه (حركات الأجرام السماوية) التي بين فيها أن الأرض تدور كما تدور باقي الكواكب، فحرمت الكنيسة كتابه ومنعت تداوله.

ثم جاء بعده (برونو) فأكد نفس النظرية فقبضت عليه محكمة التفتيش وسجنته ست سنوات، فلما أصر على رأيه أحرقته سنة 1600م وذرت رماده في الهواء.

وبعده جاء (جليلو) فأكد نفس النظرية فقبض عليه وسجن حتى تراجع خوفاً من المحكمة حتى قال أمامها: أنا جليلو وقد بلغت السبعين من عمري سجين راكع أمام فخامتك، والكتاب المقدس أمامي ألمسه بيدي، أرفض وألعن وأحتقر القول الإلحادي الخاطئ بدوران الأرض.

وحبست الكنيسة (دي روفنيس) لإثباته أن قوس قزح إنما هو انعكاس لضوء الشمس في نقط الماء، وليس قوساً حربياً بيد الله ينتقم به من عباده إذا أراد كما تقول الكنيسة.

---

(1) العلمانية وموقف الإسلام منها: حمود بن أحمد الرحيلي – الجامعة الاسلامية – السعودية – الطبعة الأولى – 1422هـ، ص 339.

(2) انظر: العلمانية وموقف الإسلام منها، ص: 351.

وكذلك قابلت نظرية نيوتن في الجاذبية التي بينت إمكان تفسير الظواهر الطبيعية اعتماداً على ربط بعضها ببعض دون حاجة إلى تدخل خارجي. فحاربتها الكنيسة واعتبرت أن الأشياء لا تعمل بذاتها، ولكن عناية الله هي التي تسيرها.[1]

ثالثاً: الثورة الفرنسية:

نتيجة لوضع الكنيسة ودينها المحرف، ووقوفها ضد مطالب الناس، دبّر اليهود مكايدهم لاستغلال الثورة النفسية التي وصلت إليها الشعوب الأوروبية، لاسيما الشعب الفرنسي، فأعدوا الخطط اللازمة لإقامة الثورة الفرنسية الرامية إلى تغيير الأوضاع السائدة، وفي مقدمتها عزل الدين النصراني المحرف الذي حارب العلم عن الحياة، وحصره في داخل الكنيسة وإبعاد رجالها عن التحكم الظالم.

" قامت الثورة الكبرى عام (1789م) واستطاع اليهود أن يجنوا ثمرات عملهم على حساب آلام الشعوب، والدماء التي أهريقت من جرائها، واستطاعوا أن يظلوا في الخفاء بعيداً عن الأضواء، وأن يزوروا كثيراً من الحقائق التاريخية؛ لستر مكايدهم وغاياتهم، واستطاعوا أن يصوروا هذه الثورة وما جرّت وراءها بالصورة الجميلة المحببة، وأن يجعلوها إحدى الأعمال التاريخية المجيدة، وذلك عن طريق الدعايات والإشاعات المزخرفة المقرونة بالشعارات البراقة التي انخدع بها الناس، وأخذت ترددها دون أن تفهم الهدف الذي ترمي إليه. ووضع اليهود شعاراً مثلثاً لهذه الثورة هو "الحرية، والمساواة، والإخاء".[2]

رابعاً: نظرية التطور لدارون:

في سنة (1859م) نشر الباحث الإنجليزي (تشارلز داروين)[3] كتابه (أصل الأنواع) فأحدث ضجة لم يحدثها أي مؤلف آخر في التاريخ الأوروبي قاطبة، وكان له من الآثار في المجالات الفكرية والعملية ما لم يكن في الحسبان. والغرض الذي يدور حوله الكتاب هو افتراض تطور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة وعدم التعقيد، إلى الدقة والتعقيد وتدرجها من الأحط إلى الأرقى، وأن الفروق الخلقية داخل النوع الواحد تنتج أنواعاً جديدة مع مرور الأحقاب

---

(1) انظر: العلمانية – المفهوم والمظاهر والأسباب، ص: 68.

(2) العلمانية وموقف الإسلام منها، ص 352.

(3) تشارلز روبرت داروين عالم تاريخ طبيعي بريطاني ولد في إنجلترا في 12 فبراير 1809 في شرو سبوري لعائلة إنجليزية علمية وتوفي في 19 أبريل.1882 ، اكتسب داروين شهرته كمؤسس لنظرية التطور والتي تنص على أن كل الكائنات الحية على مر الزمان تنحدر من أسلاف مشتركة. انظر: تشارلز روبرت داروين، موقع ويكيبيديا، 2015/11/17م، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D

الطويلة، ولذلك يفترض داروين أن أصل الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا كائن حقير ذو خلية واحدة.[1]

لكن ما أثر هذه النظرية الكفرية على ظهور الفكر العلماني في الساحات العالمية، وقبولها من الجماهير؟

اعتقد القوم أن نظرية دارون ثبتت بالعلم الأكيد، ولا مجال لوجود باطل بنظرية ثابتة بالبحث والتنقيب، والدندنة على العلم هو المفهوم الذي حاولت الثورة الفرنسة ترسيخه في عقول الجماهير، فرأوا أن هذه النظرية تعارضها نصوص قديمة لا أساس لها من الصحة، وتهاوت تبعاً لذلك نصوص الكتب المقدسة عن أصل الخلق ومراحله، فأصيب العالم بنقص حقيقي في الإيمان بسبب ما أشاعه أعداء الدين من تفسيرات باطلة لنظرية التطور، والاستغلال البشع الذي قام به المغرضون، والحماس المنقطع النظير الذي استقبلت به النظرية. أما موقف الكنيسة فقد كان مهزوزاً منذ البداية، ناهيك عن الأعداء الذين شهروا بالدين ورجاله أشنع تشهير.

ونشبت معركة من أعظم المعارك الفكرية في التاريخ، واشتط أصحاب النظرية في موقفهم، وتطرفوا إلى حد إنكار التصور الديني جملة وإعلان إلحادهم الصريح، كما تطرفت الكنيسة وأشياعها فأعلنت كفر وهرطقة كل من لم يكن في جانبها. وانتهت المعركة إلى نتيجة مفزعة، فقد تزلزلت العقائد الدينية جملة، وانتشر الإلحاد وشاع بطريقة غريبة شاذة.[2]

هذه النظرية اعتبرها أغلب العلماء آنذاك أنها حق مبين لا شك فيها، فاحتار الناس بين نصوص الكتب المقدسة وما يطرحه العلم، فغلب العلمُ النصوصَ المحرفة، وهذا الذي سبب صدعاً خطيراً في عقائد الناس بأن في الكتب السماوية ما يخالف الاكتشافات العلمية الحديثة الصادقة، فقلت القدسية لهذه الكتب وانتشر الكفر بها، وأصبح التمسك بها نوعاً من الخرافات التي أثبت العلم غيرها.

آثار العلمانية على العالم:

من خلال ما سبق من أسباب انتشار الفكر العلماني في أوروبا ثم إلى العالم أجمع، يتضح أن هذه العوامل والأسباب فعلت فعلها في الفكر الجديد؛ فالفرع له أصل يغذيه إن كان طيباً بان فيه، وإن كانت الأخرى فحتماً يؤذيه. فمن الثمار الخبيثة والحصاد المر للعلمانية ما يلي:

(1) انظر: العِلمانيَّة – نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة، ص: 178.

(2) انظر: المصدر السابق، ص: 186 – 187.

1 – آثار العلمانية الاجتماعية:

تؤمن العلمانية بالمادة، ولا شيء وراء المادة، وأما الدين فلا مكان له عندها لأنه يعتمد في أصوله على مقومات غيبية وخرافية، ولا يوجد شيء مقدس إلا ما دلت عليه التجربة. وما عداه محض خرافات.

" وليس من هم العلمانية التطلع للآخرة، لأنها غيبيات أسطورية، بل محورها المركزي والوحيد هو هذه الحياة الدنيا، ولهذا السبب عرف بعضهم العلمانية ب"الدنيوية"".(1)

وعلى الرغم من أن الحضارة العلمانية قد قدمت للإنسان كل وسائل الراحة وكل أسباب التقدم المادي، إلا أنها فشلت في أن تقدم له شيئاً واحداً وهو السعادة والطمأنينة والسكينة، بل العكس قدمت للإنسان هناك مزيداً من التعاسة والقلق والبؤس والتمزق والاكتئاب، وذلك لأن السعادة والسكينة أمور تتعلق بالروح، والروح لا يشبعها إلا الإيمان بخالقها، والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه، نعم ربما يجد الإنسان في ظل العلمانية الراحة المؤقتة في الأكل والشرب وممارسة الفواحش، لكنه أضاع نفسه التي بين جنبيه، وأضاع آخرته التي إليها معاده، فيا لحقارة ما وجد! ويا لعظمة ما فقد!

2- آثار العلمانية في السياسة:

فقد قدمت العلمانية للبشرية أبرز آفاتها، وأشد آثارها فتكاً لما فصلت الدين عن شؤون الدولة والسياسة، واعتمدت القوانين الوضعية والتشريعات الإنسانية بدلاً عن دين رب البشرية، وإبعاد كل اعتبار ديني عن الواقع، وحشر الدين داخل أسوار ما سموه " دور العبادة ".

"فليس من شرط الرئيس أو الأمير أو الحاكم أو من دونه أن يكون عدلا تقياً، بل ولا مسلماً؛ لأن هذه اعتبارات دينية، وليس من شرط الدولة الدفاع عن الإسلام ولا إقامة الشعائر ولا الدفاع عن الهوية الإسلامية، بل الدين في نظر العلمانية شيء شخصي متعلق بالضمير، فمن أحب أن يكون مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً فله ذلك".(2)

ومن آثار العلمانية الخبيثة تحت مسمى فصل الدين عن الدولة " رفض الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى، وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة، والاستعاضة عن الوحي الإلهي المُنزَّل على سيد البشر محمد بن عبد الله ﷺ بالقوانين الوضعية التي اقتبسوها عن الكفار المحاربين لله ورسوله، واعتبار الدعوة إلى العودة للحكم بما أنزل الله وهجر القوانين الوضعية، اعتبار ذلك تخلفًا

(1) العلمانية – المفهوم والمظاهر والأسباب، السلاوي، ص: 54.
(2) المرجع السابق، ص: 54.

ورجعية وردة عن التقدم والحضارة، وسببًا في السخرية من أصحاب هذه الدعوة واحتقارهم، وإبعادهم عن تولي الوظائف التي تستلزم الاحتكاك بالشعب والشباب، حتى لا يؤثروا فيهم".[1]

3- آثار العلمانية في الاقتصاد:

تسن في النظام العلماني القوانين والتشريعات والضوابط الاقتصادية بعيداً عن الدين، ولا مكان في العلمانية للحديث عن تحريم الربا والاحتكار والميسر وغير ذلك، ولا مكان لإيجاب الزكاة، لأنها معاملات ذات صبغة دينية، والدين لا دخل له في شؤون الدولة حسب المعتقد العلماني.

ويدور الاقتصاد العلماني على الربح والمنفعة، ولا يَهُم بما تحقق، سواء بخمور أو ربا أو ميسر أو أفلام إباحية، أو دور دعارة، أو حتى أسلحة للعصابات المسلحة، ولا اعتبار لأية كوابح دينية.

فقد كان من أهم نتائج العلمانية وآثارها غياب التصور الإيماني للاقتصاد، وسيطرة النظام الرأسمالي الربوي اليوم والنظام الشيوعي بالأمس، واستغلال التطور العلمي لحماية المصالح المادية وفتنة الناس، وقيام المؤسسات الدولية التي تدعم وتحمي مصالح المعتدين المجرمين.[2]

---

(1) العلمانية وثمارها الخبيثة: محمد شاكر الشريف- بدون دار نشر - السعودية - بدون سنة تأليف، ص: 13.

(2) انظر: المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية: عدنان النحوي - دار النحوي للنشر والتوزيع - السعودية - الطبعة الأولى - 1418 هـ - 1997م، ص: 159.

المطلب الثاني
جهود النحوي في الرد على العلمانية

إن العلمانية تعني "اللادينية" أو منع الدين من التدخل في شؤون الأمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وحصره في أماكن العبادة لا يخرج منها إلا عند وجود مصلحة دنيوية لقوى العدوان في دعم عدوانهم وأطماعهم".[1]

ومن الواضح أن النحوي – رحمه الله – يتفق مع من عرف العلمانية كمذهب سياسي واجتماعي واقتصادي عزل الدين عن الدولة، وحول الدين مجرد طقوس وشعائر، وأطلق حرية الاعتقاد والتدين؛ لأن الدين ما عاد له تأثير في مجريات الحياة العلمانية.

فالعلمانية دعوة لإقصاء الدين عن الحياة، وتحرير العقول وتنويرها – كما يقولون – عن رباط المعتقدات التي تحجم العقل وتمنعه من الإبداع والانطلاق في دنيا التقدم، وقد اختيرت كلمة العلمانية بدلاً عن المعنى الأصلي والأقرب وهو (اللادينية) حتى تتقبلها النفوس، وهي دعوة لا صلة لها بالعلم، لكنها دعوة لعزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع، وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه.[2]

ولقد رد النحوي – رحمه الله – على من قال أن العلمانية هي الحل للأزمات التي تحياها الأمة، وزعم أنها البديل للشعار الذي يرفعه أبناء الحركات الإسلامية وهو " الإسلام هو الحل "، ومن ضمن من قالوا بهذا – وقد رد عليهم النحوي – الكاتبة جميلة الشوا[3] التي اعتبرت أن جميع الشعارات التي طُرِحت كانت تصبُّ في هذا الشعار "الإسلام هو الحل". ثم تعيب على الحركات الإسلامية بأنها سرعان ما تأكل الشعارات وتحوّلها إلى وهم، وفرّقت بين الإسلام السياسي وبين الإسلام، وخلاصة كلمتها أن الممارسة كانت شيئاً وأن الشعار كان شيئاً آخر.[4]

---

(1) بناء الأمة الواحدة، ص: 50.

(2) انظر: الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة: مكتب التبيان – إشراف حسن أبو الخير – دار ابن الجوزي – مصر – الطبعة الأولى – 1432 هـ – 2001 م، ص: 839.

(3) جميلة الشوا: كاتبة فلسطينية يسارية لها تأييد شديد للنظم الحديثة، وتطالب بالالتحاق بركب الحضارة الغربية، قلمها سيال قاس على الحركات الإسلامية، ولها العديد من المقالات في ذلك. انظر:
http://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/65014.html

(4) "العلمانية هي البديل لشعار الإسلام هو الحل "، جميلة الشوا، 2015/9/15م،
http://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2006/11/26/64533.html

وقد ردَّ النحوي على هذه وأمثالها بأن هناك افتراقاً كبيراً بين الإسلام والعلمانية، وبيَّن من خلال ذلك حسن شرائع الإسلام وعدلها وقدرتها على الريادة، وبالمقابل بين شؤم وسوء العلمانية وما جرَّته على بلاد المسلمين من ويلات وظلم.

افتراق العلمانية عن الإسلام كما يراها النحوي:

1- اختلاف النظرة إلى الكون والحياة والإنسان:

فقد جاءت العلمانية لفصل الدين عن الحياة، وحصر التصور للحياة الدنيا وإغفال الآخرة، ولم تأت لتحمل نظرة شمولية لهذه القضايا الكبيرة، لتنظمها وتضبطها، وتنظم الميادين كلها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وشؤون الدولة والحكم، وذلك كله على نقيض الإسلام الذي حكم على كل هذا بميزان دقيق في القرآن والسنة، والذي جاء ليربط الآخرة بالدنيا، فينظم الحياة في الدنيا ويبصرهم بحياتهم الأخروية.[1]

ففي بدايات النظام العلماني أخذت الفجوة تتسع شيئا فشيئا بين الدين والحياة إلى أن سيطرت النزعة العلمية على الحياة في أوروبا وبدأت الكنيسة يتراجع سلطانها ويتحدد نشاطها داخل جدرانها فقط، وأخذت النزعة العلمانية تمد سلطانها لتحل محل الكنيسة في إدارة شئون المجتمع ونظام الحكم، وتبدلت النظرة إلى الكون وعلاقة الإنسان به، كما أخذت قضية اللاهوت وما يتبعه من قضايا إيمانية تتلاشى ويتلاشى أثرها من مظاهر الحياة.[2]

فالإسلام جاء ليحرم الخمر والزنا والفواحش التي تفسد حياة الناس، ونجح في فترة زمنية قصيرة لا تساوي في أعمار الأمم شيئاً أن يحول العرب من مدمني خمر، وعشّاق للزنا والفواحش، وعبّاد للأوثان إلى دعاة إلى الله، وفتح الله بهم قلوباً غلفاً وآذاناً صمّاً عاشت زمناً طويلاً أسيرة للخرافات والانحرافات. أما العلمانية فقد أحلّت هذه الفواحش والمنكرات تحت مسمى يسيل له لعاب العوام من الحرية الفردية، والثقة في الجيل، وتحمل المسؤولية، وأقرت كل هذا في مجالسها النيابية التي حادّت الله في الحكم، وهذا أنتج جيلاً يترنح في الطرقات والنوادي والملاهي الليلية لا همّ له إلا أن يقضي شهوته ووطره.

قال النحوي – رحمه الله:" ويبدو أن الصورة مضطربة لديها[3] لافتراق الإسلام عن العلمانية، فالإسلام يربط الحياة الدنيا بالآخرة، ويجعل أول مسؤولية الدولة حماية الإسلام والإيمان،

---

(1) انظر: المسلمون بين العلمانية وحقق الإنسان الوضعية، ص: 59 – 60.

(2) انظر: الوحي والإنسان – قراءة معرفية: محمد السيد الجليند – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – مصر – الطبعة الأولى – 1421هـ، ص: 113.

(3) جاءت كلمات النحوي هذه رداً على الكاتبة جميلة الشوا الكاتبة الفلسطينية في مقاله "العلمانية هي البديل لشعار الإسلام هو الحل".

ونشر دعوته بصورة علنية واضحة لأن الإسلام رسالة للعالمين، ويجب تبليغها للناس كافة، والإسلام يفرض أن يكون التشريع هو تشريع الإسلام في كل ميادين الحياة، وأن تكون كلمة الله هي العليا في كل عصر ومكان وحال. وهذه هي المهمة التي خلق الله الإنسان للوفاء بها في الحياة الدنيا، والتي سيحاسَب عليها يوم القيامة".[1]

والعلمانية أخذت بمذهب داروين ومن نسج على منواله في تصور أصل الحياة ومبدئها، تلكم النظرية المسخ الكفرية الخبيثة التي أنكرت خلق الله لآدم في أحسن صورة، والتي دعا لها أصحابها بأن الإنسان تطور من حشرة إلى أن أصبح إنساناً سميعاً بصيراً متكلماً!! والإسلام يدعو إلى النمو والتطور على نقيض ذلك كله، لكنه لما طرح قضية خلق الإنسان بين أن آدم خلق من أول لحظة في أحسن تقويم، وأحسن الصفات، وأسجد له الملائكة، بل جعله خليفة في الأرض ليدلك هذا على اكتمال خلق آدم عليه السلام.

قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلايِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة : 30)

بل ويقسم الله على خلق الإنسان في أحسن صورة وتقويم، قال تعالى: ﴿ **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ۞ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ (التين : 1-4)

2- اختلاف النظرة إلى الإيمان والتوحيد:

فالعلمانية تدعو إلى حرية التدين، وتعتبر الدين قضية فردية خاصة بين الإنسان وآلهته التي يؤمن بها، فله أن يختار منها ما شاء، أحادَ ومثنى وثلاث، بدون أن يؤثر هذا على حقوقه كمواطن، يعيش تحت ظل العلمانية الذي يجمع الكل في ميزان واحد، الكافر والمسلم والكتابي، والإسلام يرفض هذا لأنه يعتبر أن الإيمان والتوحيد أخطر قضية في حياة البشرية كلها، وأنها مسؤولية كل مسلم، مسؤولية الأمة ومسؤولية الدولة، وأن من أهم واجبات الخليفة أن يحمي الدين وينشره، ويدعو إلى الإيمان والتوحيد لتكون كلمة الله هي العليا في المجتمع.[2]

---

(1) العلمانية ليست هي البديل لشعار " الإسلام هو الحل "، عدنان النحوي، 2015/8/25م، http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=636

(2) انظر: المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 64 بتصرف.

يقول الدكتور شحاتة محمد صقر: "ومدلول العَلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيسًا في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فإن سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما".(1)

ومن هنا ظهرت في الإسلام أحكام تتعلق بالمسلمين، وأحكام طالت أهل الكتاب والذمة، وأحكام أخرى للمرتدين والكافرين، وأحكام للمحاربين والمعاهدين، وما هذا إلا تأكيداً على أن قضية الإيمان والتوحيد هي أساس في التعامل المجتمعي، خلافاً للعلمانية التي تغفل أساس الدين في التعامل مع المخالف.

بل إن العلمانية استغلت الدين ورجاله لتحقيق مآربها وأهدافها؛ فأصبح بعض رجال الدين ممن أغراهم بريق المال ودولبة الكراسي أداة طيعة لأرباب العلمانية، يخدعون السذج والعوام، ويسدلون ستار الدين على ممارساتهم، لتمرير قضاياهم على الشعوب التي عندها بقية من دين وإيمان.

يقول النحوي – رحمه الله :" وأمر آخر خطير هو أن العلمانية مع محاربتها الواضحة للدين، فإنها تستغل رجال الدين بالإكراه والإغراء لتحقيق مآرب شيطانية إجرامية، فالدول العلمانية هي التي تغذي الحركات التنصيرية في الأرض بالمال والتوجيه والأجهزة والرجال لتكون هذه الحركات بأجهزتها ورجالها في خدمة السلطة الحاكمة ... إن هذه القضية هي أهم اختلاف وأخطره بين الإسلام والعلمانية".(2)

ولقد اعتاد عدد غير قليل من المسلمين أن يستخدم مصطلحات عامة لا يرافقها تحديد ووضوح، ثم تتحول هذه المصطلحات إلى شعار لا يحمل الدقة كذلك، ولا المنهج، ثم ينتشر بين الناس حين يلامس رغبة في النفوس أو مجالاً للتنفيس عما في نفوسهم من ضغط وحيرة وآمال مضطربة، فيصبح الواقع كله يعيش في أجواء من الشعارات والتعبيرات العامة خالية من النهج أو تحديد الدرب والمسار، وتطوى قضايا الأمة في خضم الشعارات دون بلوغ هدف أو تحقيق غاية.

ومن أبرز الأمثلة على هذه المصطلحات العائمة " حرية العقيدة وحرية الرأي " وقد دأب على استخدام هذه المصطلحات بعض دعاة المسلمين وانتشرت بين الناس على أنها مطلب حضاري ينادون به.

---

(1) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ: شحاتة محمد صقر – دَارُ الفُرْقَان للتُرَاث – مصر – الطبعة الأولى. بدون سنة تأليف، 425/2.

(2) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 64 – 65.

3- الاختلاف في مصادر المعرفة:

لقد مدّ الله الإنسان بسبل جمة يحصل بها العلم والمعرفة، فالفطرة مثلاً في حد ذاتها تعرف الإنسان على خالقه بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، تدله على أنه متصرف قدير لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. والغيب كذلك الوارد في الكتاب والسنة من أغزر مصادر المعرفة والإرشاد، ففيهما خبر من قبلنا ونبأ ما بعدنا، فيهما الحلال والحرام، فيهما ما يصلح حياة الناس وآخرتهم، فيه ما يقبل الإنسان عليه من أمور الآخرة ما يجعله كأنه يراها رأي العين، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (الروم : 30).

يقول النحوي – يرحمه الله:" تعتبر العلمانية أن مصادر المعرفة والعلم ليس غيبياً ولا خارجاً عن نطاق الإنسان وعالمه، وتعتبر الإنسان هو مصدر المعايير، وتعتبر أن المعارف القديمة تحولت بسبب ثباتها إلى معتقدات، ولكنها يجب أن تنزاح وتتحول كما يتحول الإنتاج، وكما تتبدل العلاقات، على نحو يفرض الصراع مع المعتقدات ... أما الإسلام فيعتبر أن أول مصدر من مصادر المعرفة هو ما علمه الله للبشر، من تعليم الله لآدم عليه السلام الأسماء كلها إلى ما يسره الله سبحانه من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وإيداع الفطرة السليمة".[1]

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ (البقرة : 31).

ومن مصادر المعرف أيضاً السنة النبوية المطهرة التي ما قالها صاحبها ﷺ عن هوى إنما كانت وحياً يوحى.

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ۝ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ (الشعراء : 192- 194).

وكذلك اتصال الشعوب ببعضها وتعارفها ونسج العلاقات بين بطونها، والأخذ من خبراتها والاستفادة من تجاربها – حتى ولو كانت من الشعوب الغابرة – هو مصدر هام من مصادر المعرفة.

قال تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات :13).

(1) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 67

يقول النحوي – رحمه الله:" العلمانية تريد أن تقطع الصلة مع الماضي ومع التراث، إلا تراث الوثنية اليونانية بخاصة، ووثنية الأساطير بالذات، والإسلام يصل العصور كلها، الماضي والحاضر والمستقبل، ويحفظ التراث وينقيه من شوائبه، فيظل نقياً طاهراً متصلاً بمنهاج الله، فلا أساطير ولا خرافات في الإسلام، بل يحفظ الإنسان من الوهم والظنون".[1]

فمصادر المعرفة في الإسلام منحصرة في أمرين هما:

1 – مصدر تشارك في الاعتراف به المعرفة العلمانية؛ وهو الكون الذي لا نزاع في مصدريته.

2 – مصدر تفرد به الإسلام عن المعرفة العلمانية وهو وحي السماء الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.[2]

أهم العوامل التي مهدت للعلمانية في العالم الإسلامي

لا عجب أن تتمدد العلمانية في العالم الغربي وتترعرع، بعد ظلم طويل مارسته الكنيسة ورجالها على تلك الشعوب، لكن العجب أن تجد لها موطأ قدم في مجتمع يرفل بشريعة ربانية عادلة معصومة، رأى الناس صلاحها ونعيمها، وعاشوا في كنفها عصوراً كانت مثالاً يُحتذى به، وواقعاً لعيش رغيد تتطلع إليه الشعوب المقهورة في أصقاع الأرض. لكنه أمر دُبر بليل في أوكار الذين يتربصون بالمسلمين من داخل العالم الإسلامي وبني الجلدة، ومن أسيادهم خارج ذلكم العالم المترامي الأطراف، ثم من بُعد الكثيرين عن دينهم ومصدر عزهم وتمكينهم، وضعف الصلة بذلك النبع الصافي الذي فيه العز والخير كله في الدنيا والآخرة. فما هي العوامل التي هيأت للنبتة الخبيثة لتدخل إلى عالم يحكمه الكتاب والسنة حسب رأي الدكتور عدنان النحوي رحمه الله.

فلقد بدأ عداء الكافرين والمشركين وأهل الكتاب منذ أن بعث الله سبحانه محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، في مكة ثم في دار الهجرة في المدينة المنورة – على ساكنها الصلاة والسلام، وجمعوا الجموع لقتال المسلمين، فما هزم المسلمون إلا حين تخلوا عن الدعوة وغرقوا في زهرة الحياة الدنيا الفانية، وأخلوا بعهد الله والوفاء به.[3]

فمن العوامل التي مهدت للعلمانية لتغزو بلاد الإسلام:

1– الحرب على اللغة العربية:

ففهم كتاب الله وسنة محمد ﷺ بداية لا يتحقق إلا على قاعدتين أساسيتين: صفاء التوحيد

---

(1) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 70.

(2) انظر: أرشيف ملتقى أهل التفسير: رابط الموقع: http://tafsir.net، ص: 16002.

(3) انظر: المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 85

والإيمان واللغة العربية، لذا فإن اللغة العربية هي اللغة الأولى لكل مسلم مهما كان جنسه أو لغته أو أرضه، فبها يتعبد ربه، وبها يخاطب إخوانه من المسلمين، وبتعلمها يدرك المعنى الحقيقي للدين.

يقول النحوي – رحمه الله:" عمل أعداء الله على نشر اللهجات العامية، وتعليم اللغات الأجنبية وآدابها وتاريخها، فأصبح حديث المسلمين اليوم خليطاً من اللهجات واللغات، وتكاد لا تجد مسلماً يتحدث اللغة العربية الفصحى حتى من طبقة المتعلمين والمثقفين، وتجد من يحفظ القرآن الكريم كاملاً من غير فهم لكثير من ألفاظه وتدبر لطائفه، فانحسرت لغة القرآن كثيراً بل وألغت دول إسلامية اللغة العربية كلغة رسمية للدولة. وكان من وسائلها أنهم أوهموا المسلم أن اللغة العربية ليست شرطاً في الإيمان والدين، فيمكن أن تكون مسلماً لا ينقصك شيء بدون معرفة اللغة العربية، وهذا لا خلاف فيه من أن المسلم يكون كذلك إذا لم يتقن اللغة العربية، لكن هناك عبادات ومواقف لا غنى للغة العربية عنها مثل: النطق بالشهادتين، وقراءة القرآن وتدبره، وأداء الشعائر وغيرها".[1] ولا شك أن للغة العربية مكانة عظيمة في الإسلام، فهي لغة الوحي – القرآن والسنة – قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف :13).

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (النحل :103)، وغيرهما كثير.

وقال النبي ﷺ:" فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ".[2]

يقول النحوي – رحمه الله تعالى:" حسبنا لنعلم عظم هذه اللغة أن ندرك أن الله سبحانه وتعالى وهو الذي اختارها واصطفاها ورضيها لكتابه ولدينه ولعباده المؤمنين، فوسعت كتاب الله آياً وحكمة وبياناً معجزاً، يتحدى العرب أولاً، أهل الفصاحة والبيان أن يأتوا بمثله، ويتحدى الناس كلهم ويتحدى الإنس والجان، فأصبحت اللغة العربية لغة العبادة والطاعة في الصلاة وسائر الشعائر، ولا يعتبر القرآن قرآناً إذا نُقل إلى لغة أخرى".[3]

---

(1) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 89 – 91.

(2) صحيح مسلم، 371/1 – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب – رقم/ 523.

(3) اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء!: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1429 هـ – 2008 م، ص: 51.

يقول الأستاذ الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد: "فقد بان تلازم علوم القرآن وعلوم العربيّة، وتآخيهما؛ حتّى إنّه لَيَعْسُرُ فَصْلُ أحدِهما عن الآخر، في النشأة والتاريخ، والتكوين والتأليف، والدوافع والمقاصد، حتّى صار بينهما تزاوج مكين، وتمازج وثيق متين، بحيث لا يستغني طالب علمٍ عن العلم الآخر، ولا يُؤْتي شقٌّ ثمرته – على الوجه المرضيِّ – بدون الشِّقِّ الآخر؛ لافتقار كُلٍّ إلى شِقِّه، وتعذُّر استغنائه عنه. كما توحي بذلك نشأتهما وتاريخهما، وتأكيد أهل العلم ذلك، من خلال كلماتهم، ومؤلفاتهم، وتجاربهم العملية، في الحياة العلمية.[1]

ويتساءل – رحمه الله – عن سبب هذه الحرب فيجيب: " ليس الحرب على اللغة العربية ناشئة بسبب اللغة العربية نفسها، وليست هي المقصودة أساساً بالحرب، إنها جزء من مشروع متكامل عمل عليه أعداء الإسلام طويلاً، مستفيدين من تجاربهم الطويلة مع الإسلام والمسلمين، إنها الحرب الممتدة على الإسلام وما يمت لها بصلة".[2]

يقول الدكتور محمد المنجد:" علم أعداء الإسلام أن اللغة العربية هي الجزء المشترك من كيان الأمة، وهي الوطن المعنوي الواحد لحركة اللسان المعبرة عن حركة الفكر والوجدان، وأن مقياس رقي الأمم وانحطاطها في رقي اللغة وانحطاطها؛ هجموا على اللغة العربية، وأخذوا تراثنا ومخطوطاتنا إلى مكتباتهم وجامعاتهم، عندما أدركوا أن اللغة تربط بين المسلمين وتوحد بينهم ... وجعلوا لغتهم هي اللغة الإجبارية في المدارس، من المرحلة الابتدائية إلى الجامعية فما فوق، واعتبروها اللغة الأساسية في البلاد مع إهمال اللغة العربية، حتى ينشأ جيلٌ من أبناء المسلمين يتكلم بلغة الغزاة ويهجر لغته الأصلية، وصار طالب العمل والوظيفة لا يستطيع أن يجد وظيفة إلا إذا كان يتقن لغة الغزاة اتقاناً جيداً، حتى صارت الأجيال في بلاد المسلمين لا تحسن النطق بالعربية وتجيد لغات الغزاة، وابتعدت الأجيال عن الدين نتيجة لذلك، حتى صار الواحد يفتح المصحف ولا يحسن تلاوته، ولا قراءة حديث النبي ﷺ، فضلاً عن مقطوعة شعرية، أو قصة كتبت بالعربية".[3]

ولذلك كله، ولأهمية خطورة ضياع اللغة العربية، فإن الجميع مسؤول يجب أن يتحرك لرد اللغة العربية إلى كل الميادين، في البيوت والمعاهد والجامعات والإعلام وغيرها.

يقول النحوي – رحمه الله:" إن هذه الخطوةَ المباركةَ (تعليم اللغة العربية) دفاعٌ عن دينٍ وعن أمة وعن تاريخ، إنه واجب شرعيٌّ على كل مسلم، ولن تكون وحدك في هذا الأمر، فمعهدك

---

(1) عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم: أحمد بن محمد الخراط – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية – الطبعة الأولى – 1418هـ، ص: 2.

(2) المصدر السابق : ص: 111.

(3) دروس للشيخ محمد المنجد: محمد صالح المنجد – دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية – http://www.islamweb.net، درس: 317، ص: 3.

يدرّبك ويعلمك ويعينك وإخوانُك، ومَنْ حولك من العلماء، وإنها مهمّة يجب أن تتعاون الأمة كلها عليها، فكن أنت الانطلاقة إلى ذلك بعزمك وصدقك وبذلك، إنها ليست مهمة آنيّة تنتهي بين ليلة وضحاها، ولكنها مهمة عمر ممتد لتكون جزءاً من منهج متكامل لا تنفصل عنه، منهج يجمع الأسس كلها والخطوات كلها لنصرة دين الله وإعلاء كلمته".(1)

2- التخطيط لعزل المسلم عن الكتاب والسنة:

لقد كان العرب قبل الإسلام قصعة مستباحة، ولقمة سهلة، ومطمعاً لكل عدو متربص، كانوا قبائل متفرقة، وبطوناً ممزقة، تسودها النعرات الجاهلية والأحلاف الظالمة، حتى جاء الإسلام فاستقامت حياتهم بالكتاب والسنة، فالوحي الواحد المعصوم أنتج أمة واحدة معصومة. ولقد أدرك أعداء الله أن منهاج الله هو أساس حضارة المسلمين الإيمانية، أدركوا أن القرآن نور وحياة المؤمنين، وأن السنة هي الطريق الذي يضيء لهم سبل العزة والكرامة والسيادة، فعملوا ليل نهار على طمس ذلك النور لتعود الأمة مفرقة ممزقة كل ممزق.

قال النحوي – رحمه الله:" لقد أدركوا أن هذا القرآن نور وحياة المؤمنين، فإذا أفاق الناس وأضاءت لهم الدرب، وامتلأت خطاهم حياة وقوة، فعندئذ تتعطل برامج المجرمين الظالمة، وتُسد الأبواب أمام أطماعهم، فليس لهم إلا أن يخططوا بمكر وفتنة لعزل المسلمين عن منهاج الله – قرآناً وسنة ولغة عربية – حتى يتيسر لهم المضي في العدوان والأطماع والظلم".(2)

وهجر منهاج الله لا تقتصر نتائجه على تسلل تلك الأفكار الهدامة الغريبة إلى بلاد الإسلام كالعلمانية والرأسمالية والديمقراطية والحداثة، إنه يتعدى إلى انحراف في فهم وتطبيق قضية الإيمان والتوحيد، فتزداد الآثام وتكثر الذنوب، وتُستبدل مناهج صاغتها عقول بشرية بمنهاج رب البرية.

يقول – رحمه الله:" إن من أبرز مظاهر الخلل في واقع المسلمين اليوم هجر الملايين كتاب الله وسنة النبي ﷺ حتى غلب الجهل عليهم فوقع الانحراف عند الكثيرين، وأخذت المعاصي تزداد، وتسلل الأعداء إلى المسلمين ودلفوا بأفكارهم ومذاهبهم".(3)

ويذكر النحوي عوامل أخرى سببت بشكل كبير في عزل المسلمين عن منهاج الله، ومنها: المؤلفات التي منها الجاد ومنها المضطرب التي احتلت دوراً رئيساً في فهم المسلم لدينه، فأصبح

---

(1) لماذا اللغة العربية؟: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1434 هـ – 2013 م، ص: 99 – 100.

(2) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 94.

(3) لؤلؤة الإيمان فريضة طلب العلم ومسؤولية المسلم الذاتية، ص: 56.

المسلم يعتمد عليها وما فيها من اضطراب. وأيضاً ظهور الحركات الهدامة الضالة التي خلخلت فهم المسلمين بدينهم تبعاً لفهم أصحابها وأربابها، والتي كان لأعداء الله العامل الأكبر في قيامها.[1]

لكن هناك عوامل أخرى مهدت الطريق لتسلل الفكر العلماني إلى بلاد الإسلام غير التي ذكرها النحوي – رحمه الله تعالى، منها:

1- الانبهار بنهضة أوروبا:

فقد ادعى بعض المثقفين العرب والمسلمين فكرة أن أوروبا ما تقدمت وتحضرت إلا بعد أن ألقت الدين وراء ظهرها، وإلا بعد أن تحررت من قيود الدين و (كوابح) الشرع خلفها فانطلقت في نهضتها، وتركت العقل يفكر بحرية بدون قيود فكان التقدم.

" إن نهضة أوروبا المادية واكبت العلمانية، أو فصل الدين عن الدولة، ومن ثم أخذت ذلك شعوراً بأن التحضر والتمدن ومناهضة التخلف لا يكون إلا بطرح الدين خلف الظهور".[2]

والحق أن من ظن هذا فقد ظن في الإسلام غير الحق ظن الجاهلية، قارن – فقط – عصور الظلام والاستبداد الكنسي، وتأليه رجال الدين، والعمل على طمس العلم وقتل وحرق أصحابه، قارن هذا كله بما عند الإسلام من تعاليم وأخلاق ونسي من قال إن الدين يحجر على العقول ما كان يرفل به العالم الإسلامي من تقدم وحضارة وتكريم أهل العلم، وذلك في نفس الوقت الذي كانت غياهب الظلم والقهر تخيم على أوروبا بأسرها، وما أوقعهم في هذه الدياجير إلا دينهم المحرف وأطماع الرهبان، فكان من الطبيعي أن التخلص من هذا الطاغوت سيولد انفراجة لمعاش الناس وحياتهم.

لكن لما امتدت السنون، ودب الخلاف والشقاق وعدم الاهتمام بالعلم والعلماء وحب الدنيا والاقتتال عليه عند عامة الناس وحكامهم، وأصبح الصراع على السلطة السمة الواشحة في أواخر زمن الدولة العثمانية، اغتر كثير بتلكم الحضارة الغربية بعد أن ابتعدوا عن النبع الصافي والنور الهادي كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾ (النور: 40)، وأصبح من الطبيعي أن ينتقل الفكر من الأعلى للأدنى.

---

(1) انظر: المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 95 – 96.

(2) الاتجاهات الفكرية المعاصرة: علي جريشة – دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – مصر – الطبعة الثانية – 1409 هـ – 1988 م، ص: 68.

يقول الدكتور علي جريشة:" الفكر أشبه بالماء، ينتقل من أعلى إلى أدنى، وعندما كنا الأعلى كان فكرنا، وقبله ديننا وعلمنا ينتقل إلى غيرنا، إلى الأدنى، وعندما صرنا الأدنى، عندما رضينا بالسفح دون القمم، نزل إلينا كل وافد وكل رافد، يحمل معه بعض الخير، لكنه يحمل شراً كثيراً، بل شراً مستطيراً، يُحمل مع الماء الزبد والغثاء، ويُحمل داخل الماء الكثير من السموم".[1]

2- الغزو العسكري وما أعقبه من هزيمة نفسية:

كان " الرجل المريض"[2] يترنح عن اليمين وعن الشمال بعد أن أنهكه صراع الحكام على السلطة والإدارة العفوية لدولة مترامية الأطراف، فاستغل الغرب هذه الحالة، فانقض عسكرياً على جسد هذا المريض. "وقد مر ذلك بمرحلتين: مرحلة تقطيع أوصال الخلافة بالاحتلال العسكري لبعض المناطق الإسلامية، ثم إسقاط دولة الخلافة".[3]

لكن الأخطر من ذلك هو الهزيمة النفسية التي أعقبت الغزو الفكري، حين فقد المسلمون – شبابهم وشيبتهم – الثقة بالنفس، وفقدوا الأمل في هزيمة الغرب، وتسلل فكر أن الغالب هو الأصلح والأعلى والمثل والمقلَّد، وما حسب المسلمون أنهم نزلوا بهذا من عليائهم إلى العبودية، وتركوا مكانهم السامق الذي تبوأه أسلافهم، ما علموا أنه حين يتخلى أصحاب الحق عن حقهم، كشر أهل الباطل عن أنيابهم مستأسدين، وولغ الأقزام بالحق وأهله، وتجرأ الخدم على الأسياد، فأصبح السيد عبداً والعبد سيداً حين رضي الأخير أن يكون كذلك، وما استأسد الحمل إلا بعد أن استنوق الجمل.

يقول الشيخ محمد حسان : "قد يكون[4] الحق معنا، ولكننا لا نحسن أن نشهد لهذا الحق على أرض الواقع بأخلاقنا وسلوكنا، ولا نحسن أن نشهد لهذا الحق عرضاً وبلاغاً ودعوة لأهل الأرض بالحكمة البالغة والرحمة المتناهية، والكلمة الرقيقة الرقراقة. وقد يكون الباطل مع غيرنا لكنه يحسن أن يلبس الباطل ثوب الحق، ويحسن أن يصل بباطله إلى حيث أن ينبغي أن يصل الحق، وحينئذ ينزوي حقنا ويضعف كأنه مغلوب، وينتفخ باطلهم وينتفش كأنه غالب، وهنا يتألم أهل الحق لحقهم الذي ضعف وانزوى، وللباطل الذي انتفخ وانتفش، فنعبر عن ألمنا للحق بصورتين: إما أن نعبر عن ألمنا بصورة سلبية ساكنة فنزداد هزيمة نفسية على هزيمتنا، وعزلة عن المجتمع والعالم، وإما أن نعبر عن ألمنا بصورة صاخبة منفعلة متشنجة دموية، انفلتت من القواعد الشرعية القرآنية

---

(1) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص: 67.

(2) اسم أطلقه قيصر روسيا نيكولاي على الدولة العثمانية سنة 1853م بسبب ضعفها، ودعا بريطانيا أن تشترك معه في اقتسام أملاك الدولة، ثم شاع هذا الاسم بعد ذلك. انظر: موسوعة السياسة، 220/3.

(3) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص: 70.

(4) إن كانت " قد " بمعنى الشك فهذا فهم مردود، فالحق معنا – نحن المسلمين – لا محالة، وكذلك فإن الباطل مع غيرنا من غير شك أو ريب.

والنبوية، وهنا نخسر الحق للمرة الثالثة وللمرة الألف، لأن أهل الأرض سيزدادون بغضاً للحق الذي معنا، وإصراراً على الباطل الذي معهم".[1]

3- الغزو الفكري:

وهذا تالله أدهى وأمر، ذلك لأنه يغير قناعات ورواسخ امتدت مع الزمن وأفكار اتصلت بالنبع الغدق النبوي الصافي، فغُيرت المعتقدات، وانحرفت المسارات، فطلت رؤوس المثقفين والمثقفات، ومُجِّد الفنانون والفنانات، وما عاد يسمع للذكر والآيات البينات.

ولقد تم ذلك الغزو الفكري على مراحل مدروسة مرتبة؛ فبدأ بمحاولة إخراج المسلمين من دينهم دون دخولهم النصرانية بواسطة أسماء خادعة رقيقة مثل: التغريب، الحداثة، التمدن، التحضر، التغيير الاجتماعي، وكان لكل هذا أربابه؛ فالمستشرقون الذين بثوا أفكارهم المسمومة، وتفلت السذج الذين لم يثبت لهم في العلم قدم، ثم المبشرون الذين اتخذوا سبيل الكتابة والأقلام والفن والمدارس والمناهج حتى فرخ سعيهم ونجحت جهودهم في زرع نبتة خبيثة من بني الجلدة سمعت لهم وأطاعت، فكانوا أخطر من أسيادهم إسهاماً في وصول العلمانية إلى بلاد المسلمين، وهم يحملون من الألقاب الرنانة والشهادات المرموقة ما يُدخل به على العوام.[2]

آثار العلمانية على العالم الإسلامي:

لقد امتدت آثار العلمانية ونظامها على مختلف النواحي وإلى مختلف الشعوب أفراداً وجماعات، آثار تُفْقِد المسلم هذا الجو الضروري لإيمانه، وتضعه في جو يدفعه دفعاً إلى الفاحشة والخمر والآثار والمعاصي بوسائل شتى، في الحدائق والشوارع والساحات والإعلام وفي كل شيء.

يقول علي جريشة:" إذا نظرنا إلى الفرد فإننا نجد العلمانية قد أفرغت قلبه وعقله من الدين، لأنها أشعرته بعدم أهميته، بل بعدم لزومه، هذا الخواء الذي عاش فيه الفرد له أثر بعيد عليه، فهو إن بدا سعيداً بتوافر إمكانات الحياة المادية، لكنه في حقيقة الأمر غير ذلك، لأنه يحس هذا الخواء الذي لم تملأه فلسفة حديثة ولا قديمة، ولا محاولات اللهو التي بلغت في إسفافها وسقوطها دركاً بعيداً، تأنف منه الحيوانات".[3]

ويُجْمل الدكتور النحوي أهم آثار العلمانية ونتائجها فيقول:" نود أن نوجز أهم آثار العلمانية في الواقع اليوم كما نراها، وقد لا نلمُّ بها كلها ولا نحيط بها جميعاً، ولكننا نوجز ما نعتقده أنه الأهم

---

(1) دروس للشيخ محمد حسان: محمد بن إبراهيم بن حسان – دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية – http://www.islamweb.net، درس : 34، ص: 8.

(2) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص: 70-71.

(3) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص: 79 – 80.

ليكون فيه عبرة لمن يريد أن يعتبر. هذه الآثار هي: امتداد الظن والوهم وإنزاله منزلة العلم أو تسلله إلى ميادين كثيرة في الحياة، انحسار المبادئ والقيم الثابتة وظهور ردود الفعل في الفلسفة والفكر والسياسة والأدب، والنظام الديمقراطي وليد العلمانية وحامل شرورها، ضياع حقوق الإنسان بين الظلم والتخدير، التعامل بين الدول والشعوب على أساس المصالح المادية والتنافس عليها، غياب التصور الإيماني للاقتصاد وسيطرة النظام الرأسمالي الربوي حتى اليوم، والنظام الشيوعي لفترة، استغلال التطور العلمي لحماية المصالح المادية وفتنة الناس، الحروب الممتدة وصراع المصالح المادية، قيام المؤسسات الدولية التي تدعم وتحمي المعتدين المجرمين، وامتداد الحرب على الإسلام".[1]

نعم! كان لتسرب العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم، ومنها: رفض التحاكم إلى كتاب الله تعالى، وإقصاء الشريعة الإسلامية عن كافة مجالات الحياة، والاستعاضة عن ذلك بالقوانين الوضعية المقتبسة عن أنظمة الكفار، واعتبار الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية تخلفاً ورجعية، ومنها: جعل التعليم خادماً لنشر الفكر العلماني، ومنها: إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة، وهم المسلمون، وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد، وصهر الجميع في إطار واحد؛ فالمسلم والنصراني، واليهودي، والشيوعي، والمجوسي، والبرهمي، وغيرهم يتساوون أمام القانون، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني، ومنها: نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية.[2]

---

(1) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 144.

(2) انظر: العلمانية وموقف الإسلام منها، ص: 387.



المبحث الثاني

جهود النحوي في الرد على الديمقراطية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الديمقراطية.

المطلب الثاني: جهود النحوي في الرد على الديمقراطية.

المطلب الأول
تعريف الديمقراطية

تعريف الديمقراطية:

الديمقراطية كلمة غير عربية، فأصلها من اللغة اليونانية، فلا مجال لتعريفها كالعادة لغة واصطلاحاً.

"وأصل الكلمة من اللغة اليونانية، وتتألف من لفظتين. الأولى وهي (Demo)، وهي مأخوذة من الكلمة اليونانية (Demos) وتعني الشعب أو السكان. أما الثانية (Cracy) تدل على نمط الحكم أو السلطة. ومأخوذة من الكلمة اليونانية (Kratia) والكلمتان معًا في اليونانية (Demo Kratia)، وتعني حكومة من قبل الشعب. ومضت الكلمة في اللاتينية كذلك (Democratia). وفي اللغة الفرنسية (Democratie). وانتشرت في اللغات الغربية تحمل كل جذورها الفكرية والنفسية والاجتماعية، وتدور حول محور واحد هو ربط الحكم بشيء واحد لا ثاني له هو الشعب".[1]

وفي الديمقراطية تكون السلطة العليا للشعب، فما كانت عليه الأغلبية كان مقبولاً وإلا فلا مكان له في هذا النظام.

"فمعناها الحكم الذي تكون فيه السلطة للشعب، وتطلق على نظام الحكم الذي يكون الشعب فيه رقيباً على أعمال الحكومة بواسطة المجالس النيابية، ويكون لنواب الأمة سلطة إصدار القوانين".[2]

نشأة الديمقراطية:

أول ظهور للديمقراطية كانت في مدينتي أثينا وإسبرطة الإغريقيتين، فقد أطلقوا على نظام الحكم وقتئذ ب" حكومة المدينة "، ولقلة عددهم كانوا يجتمعون في صعيد واحد يتشاورون في كل القضايا، ولسن قوانين جديدة لم تكن من قبل ثم يشترك الجميع في تطبيق هذه القوانين، واستمر هذا حتى أتاهم المد النصراني واستفردت الكنيسة بالحكم.

يقول الدكتور غالب بن علي عواجي عن نشأة الفكر الديمقراطي :" أما عن نشأته فيذكر الباحثون أن أوَّل من مَارَسَ هذه النظرية هم الإغريق في مدينتي أثنيا وإسبرطة، ولكنه ارتبط في

---

(1) الشورى لا الديمقراطية: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الخامسة– 1421هـ – 2001 م، ص:45.

(2) مذاهب فكرية معاصرة، ص: 178.

الغرب بالنظام السياسي والاقتصادي بخلاف نشأتها عند الإغريق حيث كانت طريقتهم تتمثَّل في أنهم كانوا يشكلّون حكومة من جميع رجال المدينة، وأطلقوا عليها اسم "حكومة المدينة" حيث يجتمع رجال المدينة لبحث كل أمورهم، ينتخبون لهم حاكمًا، ويُصْدِرُون القوانين في كل قضية تعرض عليهم، ويتخذون لها حلًّا يكون حاسمًا، ويشرف جميعهم على تنفيذه بكل دقة وحزم، واستمروا على هذه الصورة الفريدة إلى أن انتهت حكومة المدينة في كل من أثينا وإسبرطة حينما غلبهم المدّ النصراني".[1]

أما عن نشأتها في أوروبا كنظام للحكم فقد ظهرت عقب الثورة الفرنسية التي جاءت رداً على الطغيان الكنسي، والإرهاب السياسي والفكري والعلمي الذي مارسته الكنيسة، معتمدة على فكرة الحق الإلهي المقدس المزعوم الذي استعبدت الناس به، وهذه الحقبة لا تقال افتراءً على القوم، بل هذا الذي سُطر في كتبهم، ونطقت به ألسنتهم، فهم أنفسهم الذين يسمون تلك الحقبة بعصور الظلام، وأصبحت حقيقة ليست عن الأفهام ببعيد. فجاء الفكر الديمقراطي كرد فعل على تسلط رجال "الدين" فرفض كل ما يتعلق به، وأُقصيت الكنيسة وكل ما يتعلق بها من عقائد وقدسية، فتنفس الناس هناك الصعداء، وعاشوا بعد عصور الظلام لما حسبوه رخاء.

"لقد علا نجم الدعوة إلى الديمقراطية في الغرب، وأصبحت هي الشغل الشاغل لهم؛ هي السياسة، وهي الدين، وهي النظام الاجتماعي بأكمله، هي التقدم بحذافيره، بل جعلوها هي الممثلة للحضارة الغربية وتقدمها الصناعي بكل ثقله، ولم يكتفوا بوقوعهم تحت تأثير هذا النظام الذي ألَّهُوه، بل إنهم يحاولون أن يعمِّموه على جميع سكان الأرض، على زعم أنه هو البديل عن الظلم وطغيان الطغاة، وأن الحياة السعيدة لا تَتِمُّ للشعوب إلا بتطبيقه كما تراه أمريكا وأوربا، بل وأقنعوا كثيرًا من الناس أنَّ من لم يحكم بالديمقراطية فهو ظالم مهما كان حكمه دون أي اعتبار آخر".[2]

ثم استورد هذا الفكر بكل ما فيه إلى بلاد المسلمين وما ثَمَّ عصور للظلام ولا طغيان علماء، بل جاء بعد أن رأت البشرية عدل الإسلام ورفقه ورغد العيش في كنفه، فاستبدل بعض المسلمين الذي هو أدنى بالذي هو خير!

---

(1) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها: غالب بن علي عواجي – المكتبة العصرية الذهبية – السعودية – الطبعة الأولى – 1427هـ – 2006م، 762/2.

(2) المصدر السابق، 759/2.

مبادئ الديمقراطية:

إن للديمقراطية مبادئاً وأسساً تقوم عليها وترافقها أينما حلت وحكمت، تُعتبر من الثوابت التي لا يمكن تغييرها أو تجاوزها، والتي من دونها لا تُسمى ديمقراطية. يذكر الباحث هذه المبادئ دون التعرض لمناقشتها فليس هذا موضعه، ولعدم الإطالة في البحث، ولنتناول بعضها عند سرد آراء الدكتور عدنان النحوي في الديمقراطية، فالديمقراطية على اختلاف تشعباتها وتفسيراتها تقوم على مبادئ وأسسٍ يوجز الباحث أهمها في النقاط التالية:

أولاً: الشعب هو مصدر السلطات:

تقوم الديمقراطية على مبدأ أن الشعب هو مصدر السلطات بما في ذلك السلطة التشريعية، ويتم ذلك عن طريق اختيار ممثلين عن الشعب ينوبون عنه في مهمة التشريع وسن القوانين.

"فالديمقراطية وفق تعريفها تعني حكم الشعب نفسه بنفسه، وأن الشعب هو مصدر السلطات سواء كانت تشريعية أو قانونية أو تنفيذية، فالديمقراطية عبارة عن نظام للحكم يقوم على أساس أن الشعب هو مصدر السلطات وإعطاؤه حق تشريع الأنظمة والقوانين".[(1)]

يقول النحوي:" فهذه الديمقراطية أصلها ومنبعها من الوثنية اليونانيّة التي تعتبر أن الحكم للشعب والتشريع للشعب، والأمر كله بيد الشعب، مهما كان هذا الشعب".[(2)]

ثانياً: حرية المعتقد:

تقوم الديمقراطية على مبدأ حرية التدين والاعتقاد، فللمرء – في ظل الأنظمة الديمقراطية – أن يعتقد ما يشاء، ويدين بالدين الذي يشاء، ويرتد إلى أي دين وقت ما يشاء، وإن كان هذا الارتداد مؤداه إلى الارتداد عن دين الله تعالى إلى الإلحاد وعبادة غير الله عز وجل!

يقول أحد دعاة حرية التدين والمعتقد:" لماذا يُكرَه الإنسان على وضعية لم يكن له الخيار فيها أصلاً؟ لماذا يُحرم الإنسان من حقه في اختيار دينه؟ لطالما تساءلت عن الحكمة من حد الردة في منظوره الفقهي الإسلامي، كيف يجيز الفقهاء قتل المرتد وكل جريمته أنه مارس حريته الدينية وحقه الطبيعي في اختيار دينه؟ كيف يمكن التوفيق بين حد الردة وبين مبدأ حرية الاعتقاد الديني؟"[(3)]

---

(1) الديمقراطية في الميزان: سعيد عبد العظيم – مكتبة الإسكندرية – مصر – الطبعة الأولى – 1410هـ – 1990م، ص: 41.

(2) إسلام رباني لا إسلام ديمقراطي، ص: 71.

(3) حرية الاعتقاد الديني، غسان المغربي، 2015/9/27م،

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=109554

ثالثاً: حرية الرأي والتعبير:

"تقوم الديمقراطية على مبدأ حرية التعبير والإفصاح، أيَّاً كان هذا التعبير، ولو كان مفاده طعناً وسباً للذات الإلهية، وكتبه ورسله، إذ لا يوجد في الديمقراطية شيء مقدس يحرم الخوض فيه، أو التطاول عليه بقبيح القول، وأي إنكار على ذلك يعني إنكار على النظام الديمقراطي الحر برمته، ويعني تحجيم الحريات المقدسة في نظر الديمقراطية والديمقراطيين".[1]

وغلف هذا الرأي بأنه من الحقوق الواجبة للأفراد، تحفظه الاتفاقيات الدولية، فليتكلم كل من شاء فيما يشاء بدون حسيب ولا رقيب، وليعترض من شاء على أي شيء فرأيه محترم مقبول.

"إن الأمم المتحدة وكافة الدول الديمقراطية والرأي العام الديمقراطي في العالم كله يكاد يجمع على أن حق الرأي والتعبير هو الركن الأساسي في كافة الحقوق الممنوحة للإنسان في المواثيق والعهود الدولية. وقد أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة أن حرية التعبير هي حق إنساني أساسي ... وهي محك الاختبار لكل الحريات التي كرستها الأمم المتحدة، وأكدت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان على أن حق حرية التعبير يشكل واحداً من الأسس الجوهرية للمجتمع الديمقراطي وأحد الشروط الأساسية لتقدم وتنمية الإنسان."[2]

رابعاً: مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات:

"تقوم الديمقراطية على مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين جميع شرائح وأفراد المجتمع بغض النظر عن انتماءاتهم العقدية والدينية، والسيرة الذاتية لأخلاق الناس؛ فيستوي في نظر الديمقراطية أكفر وأفجر وأجهل الناس مع أتقى وأصلح وأعلم الناس في تحديد من يحكم البلاد والعباد، وغيرها من الحقوق والواجبات".[3]

وهذا يُشْتَمُ منه تضييع عقيدة الولاء بين المؤمنين الموحدين وتضيع عقيدة البراء ممن يكفر بالله رب العالمين، فالكل له حقوقه في الدولة المدنية الديمقراطية، فمن حق الجميع تولى أي وظيفة في الدولة دون النظر إلى دينه أو معتقده، وهذا الذي قدم الرويبضة ليفتنوا الناس في دينهم ودنياهم.

---

(1) الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ص: 938.

(2) حرية الرأي والتعبير وفقاً للمعايير الدولة لحقوق الإنسان، د/ طالب عوض، 2015/9/27، http://www.madacenter.org/media.php?lang=2&id=334&category_id= 7

(3) الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ص: 938.

خامساً: مبدأ الأكثرية:

"وفيه يختار الشعب نواباً عنه يمثلونه في البرلمان يكون إليهم أمر التشريع وأمر الرقابة على السلطة التنفيذية، وأحياناً اختيارها، وأحياناً اختيار رئيس الدولة ... وإذا كانت النظم الأجنبية قائمة على تعدد الأحزاب، فإن الحزب الذي يفوز بالأغلبية هو الذي يحكم".(1)

فالحق في النظام الديمقراطي هو ما قالت به الأكثرية، فلو صوَّت واحد وخمسون عضواً مقابل تسعة وأربعين معارضاً لا يلتفت إلي المعارضة مهما بلغت**!**

"تقوم الديمقراطية على مبدأ اعتبار موقف الأكثرية، وتبنِّي ما تجتمع عليه، فالحق في نظر الديمقراطية الذي لا يجوز الاستدراك أو التعقيب عليه ما تقرره الأكثرية وتجتمع عليه لا غير، وكل شيء حتى ينال القبول يجب أن يخضع للاختيار والتصويت".(2)

كما تقوم الديمقراطية على مبدأ فصل الدين عن الدولة، وعن السياسة والحياة، فما لله لله؛ والدين هو العبادة في الصوامع والزوايا فقط، وما سوى ذلك من مرافق الحياة السياسة والاقتصادية، والاجتماعية وغيرها فهي من خصوصيات الشعب، وتقوم أيضاً على مبدأ الحرية الشخصية؛ فللمرء في ظل الديمقراطية أن يفعل ما يشاء، ويمارس ما يشاء مالم يتعارض مع القانون الوضعي للبلاد، وكذلك تقوم الديمقراطية على مبدأ حرية تشكيل التجمعات والأحزاب السياسية وغيرها، أياً كانت عقيدة وأفكار وأخلاقيات هذه الأحزاب والجماعات.

---

(1) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص: 123.

(2) الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ص: 938.

المطلب الثاني
جهود النحوي في الرد على الديمقراطية

الحديث عن الديمقراطية له بريقه عند من يلهثون وراءها، الذين ينظرون إلى الغرب كمثل أعلى بعد الانهزام النفسي الذي أصاب المرجفين، الذين ما ذاقوا عز الإسلام ولذة العمل له، بل والموت من أجله، إنما كان نصيبهم فتات موائد الفكر بعد أن أُتخمت عليها بطون الساسة الكبار، بريق يخدع كذلك العوام الذين اعتقدوا أن في الفكر والحكم الديمقراطي بصيص أمل لهم بعد طول عِشْرة مع الألم، فكانوا كالغرقى إذ تعلقوا جميعهم بقشة طافية على وجه الماء لا تمنع نفسها من تلاعب الأمواج بها، فضلاً أن تحمل على ظهرها شيئاً. والغريب أنه في الوقت الذي سيقت فيه الشعوب مختارة أو مكرهة إلى صناديق الانتخابات والخضوع للعبة الديمقراطية، انتشرت المجازر التي تشيب لها مفارق الولدان، وخيم الذل والظلم، ونهب الثروات، وصودرت الثورات، فشاب عليها الشيب وتربى عليها الأطفال، فأي شؤم جاءت به الديمقراطية! وأين الحرية والمساواة والعدل الذي لهث وراءه العوام والمخدوعون؟

ولقد كتب الدكتور الشيخ عدنان النحوي – رحمه الله تعالى – العديد من الكتب والمقالات يرد فيها على دعاة الديمقراطية، معذرة إلى الله ولعلهم يتقون، ومن هذه الكتب: كتاب (الشورى لا الديمقراطية)، وكتاب (إسلام رباني لا إسلام ديمقراطي)، ومقالة بعنوان (الثبات على الحق)، ومقالة بعنوان (الديمقراطية وبعض آثارها في العالم الإسلامي)، ومقالة بعنوان (وقفة مع الديمقراطية)، وغيرها.

ويمكن تجلية رأي الشيخ عدنان النحوي في الديمقراطية في العناوين المحددة التالية:

أولاً: شؤم الديمقراطية على العالم عامة والمسلمين خاصة.

يرى النحوي أن الديمقراطية، ونظامها الذي ضرب أطنابه في العالم كله الآن، هي المسؤولة المباشرة عما يتعرض له العالم كله من حروب ومجازر ومجاعة ومرض وجهل، فيقول – رحمه الله:" الديمقراطية تتحمل مسئولية الحروب الهائلة المريعة التي أثارتها في الأرض كلها والتي مازالت تشعلها هنا وهناك، من خلال أطماع لا تشبع، وجرائم لا ترتدع. لقد زاد عدد الحروب التي أشعلتها في القرن العشرين وحده إلى مائة وثلاثين حربًا، زاد عدد ضحاياها من القتلى عن مائة وعشرين مليونًا من البشر، خلاف ضحايا الفقر والجوع والمرض والمآسي التي ولدتها الديمقراطية بما نهبته من ثروات الشعوب، وبما نشرته من جهل وفجور وانحلال ومخدرات".[1]

---

(1) الشورى لا الديمقراطية، ص:130.

جاءت الديمقراطية من جهة الغرب تحمل معها شعارات رنانة، وعبارات حنانة، وخططاً لعقولٍ في الخبث فنانة، جرَّت على البشرية كلها أصناف البؤس وألوانه، وأطلقت العاتي الظلوم ليشن على البؤساء حربه وعدوانه، فأصبحت البشرية – بالرغم من قمة التقدم – تعيش مذلة ومهانة، وفقد الناس معيار العدل وميزانه، والله المستعان سبحانه!

يقول النحوي – رحمه الله:" حملت الديمقراطية زخرف المادة وفتنة حضارتها وشهواتها، وحملت معها سطوة القوة والعدوان والغلبة والقهر، وحملت معها الانحلال الخلقي بكل معانيه: من الانحلال الجنسي، ومساواة المرأة بالرجل، وانفلات المرأة في المجتمع تنشر الفساد بعريها ولهيب شهوتها، والخمر والقمار وغير ذلك. وأخطر من هذا كله، أنها حملت ميزان المصالح المادية لتزن به وحده جميع الأمور والحقوق والواجبات والأحداث. إن هذا الميزان المادي لأمور الحياة ألغى الدين ومبادئه، وألغى دور الإيمان والتوحيد في بناء المجتمع وعلاقاته ونشاطه، واعتبر "المصلحة" المادية هي أساس العلاقات والأخلاق والقيم والمبادئ، فاشتعلت الحروب العدوانية وامتدت المظالم".[1]

"حضارة ما حمـــلـــت	**ســوى شعـار ضيــق**
وكـــل مـــا تفـــــرزه	**يصيـــر نهباً للشقــي**
وملــة الكفــر بهـــا	**واحــدة فـــي فـــرِق**
أقسى جرائم العتـــا	**ة قتــلُ شعــبٍ مُعْرِق**
وقتل ما في المرء من	**إبائـــه المُـــــرَوَّق "** [2]

يقول الدكتور غالب عواجي:" بغَضِّ النظر عن الدعاية الرنَّانة للديمقراطية نقول: نعم بكل وضوح إن الديمقراطية لم تحقق العدالة الاجتماعية، ولم تحقق كذلك الحيلولة دون استعباد الأغنياء للفقراء، ولم تلحقهم بالطبقة العليا أصحاب الجاه والنفوذ، بل إنها أصبحت الوجه الآخر للدكتاتورية القديمة، ولكنها تحت ثوب ناعم، أو كالنار تحت الرماد. وإذا كان البرلمان هو ممثِّل الشعب، فإنه يمكن الالتفاف عليه بكل بساطة. أضف إلى هذا ما يئن منه المجتمع الغربي الديمقراطي من ظهور الناس على طبقات تسودها الأحقاد ومبادئ "مَنْ عَزَّ بَزَّ، ومن غلب استلب" لخواء ضمائرهم من مراقبة الله –عز وجل، فأين المكاسب في هذا؟"[3]

(1) الشورى لا الديمقراطية، ص:123.

(2) ديوان مهرجان القصيد، ص: 114.

(3) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، 780/2.

ويرى النحوي أن فكرة الديمقراطية ونظامها القائم عبارة عن مؤامرة كبرى افتعلها أرباب الأموال والثروات لحماية ملكهم، وهذا جرَّ على العوام والبؤساء الفقر والعوز، كما فصلت الإنسان عن أهم عامل تصلح به حياته وآخرته، فصلته عن الإيمان بالله سبحانه.

يقول – رحمه الله:" لقد صاغ الديمقراطية أهلها صياغةً تحمي مصالح الطبقة الرأسمالية ورجالها المفسدين في الأرض، المجرمين بحق الإنسان والبشرية كلها. لقد صاغوها صياغة حرمت الإنسان من جوهر حقوقه وأعزّها، وجردته من أعزّ قيمة، ونزعت منه مصادر قوته وعزلته بالعلمانية عن الإيمان وعن منهج الله. وفي الوقت نفسه، جعلوا الصياغة توفر ما يكفي من التخدير للناس في جرعات ثقيلة من فتات الحقوق والمصالح، ومن لهب الشهوات والأهواء، ومن حمى الصراع الذي يملأ الأرض، ثم يظهرون كأنهم لا علاقة لهم بما اقترفته أيديهم من جرائم صياغة حملت الزخرف المغري والفتنة القاتلة".[1]

وحتى لمّا أثبت الصالحون قاعدتهم الجماهيرية العريضة، وفازوا بالأغلبية الساحقة، انقلبت عليهم صاحبة الملمس الناعم، ونفثت سمها الزعاف في جسد الجماهير، وأظهرت وجهها الحقيقي المقيت، وتساقطت الشعارات المدوية تحت أقدام الفارين من البطش، فكان مكان من فاز إما قتل أو إثبات أو تضييق وحصار، فأي مكاسب للديمقراطية؟ وأي خير جلبته للأمة؟!

يقول النحوي – رحمه الله :" نادوا بالديمقراطية لإنقاذ فلسطين وجعلوا لها عُرْساً، فضاعت فلسطين وضاعت كل جهود لإنقاذها، وأصبحت الجهود شعارات تدوّي لا نهج فيها ولا خطة، إلا الانقسامات والصراع على الدنيا! ضاعت الأعراس وحلّت المآسي والأحزان، نادوا بالديمقراطية لإصلاح العراق، فدُمرت العراق وقُسّمت وتمزّقت شيعاً وأحزاباً، وفتناً وصراعاً! وقِسْ على ذلك سائر بقاع المسلمين كالصومال والسودان وغيرهما!

ومع كلّ هذه المآسي الممتدة، والمصائب المتتالية، والأخطار المتلاحقة فلا زالت "الديمقراطية " موضوع حديث قطاع واسع من الإعلام، من الصحف والمجلات والندوات".[2]

ثانياً: الافتراق الكبير بين الإسلام والديمقراطية.

يدعي بعض الكتّاب[3] أن الفكر الديمقراطي ما خرج إلا من رحم الإسلام، في محاولة منهم لإثبات جدية وشمولية الإسلام وأنه حوى جميع الأفكار منذ القدم وأنه يصلح لكل زمان

---

(1) الشورى لا الديمقراطية، ص:14.

(2) وقفة مع الديمقراطية، عدنان النحوي، 2015/9/20م،
http://aloglaa.com/index.php?section=article&SubjectID=1030

(3) مثل الكاتب فؤاد زكريا، ومصطفى النحاس. انظر: الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه: يوسف القرضاوي – مكتبة وهبة – مصر – الطبعة الأولى – 1997م، ص: 184.

ومكان، وتولى كبر الترويج له كتاب آخرون عن خبث ودهاء لتنحية الإسلام من الحكم، وقصره بين جدران المساجد، هؤلاء الكتاب رضعوا من فكرِ أصلِ الديمقراطية وهو الغرب الكافر، وتربوا في بلادها، فعادوا إلى بلاد الإسلام كالحمار يحمل أسفاراً، وكالببغاء يردد أشعاراً، وبآراء ورؤى تحمل دماراً، ويبثون في عقول المسلمين أفكاراً تجلب أخطاراً.

يقارن الدكتور عبد الحميد الأنصاري بين الشورى والديمقراطية في كتابه: **(الشورى وأثرها في الديمقراطية):** بأن هناك أوجه شبه بين نظام الشورى والديمقراطية المعاصرة، والمقارنة هي التي تبرز هذه الأوجه، وذلك لمعرفة إمكانية الاستفادة من الديمقراطية المعاصرة، ومن ناحية أخرى لنبين إلى أي مدى يساهم نظام الشورى في تصحيح بعض أوجه الحياة في الديمقراطية المعاصرة؛ ففي الإسلام تعرض القضية على أهل الشورى، وفي الديمقراطية تعرض على المجلس النيابي، ورأي الأغلبية ملزم سواء في نظام الشورى أو النظام الديمقراطي، وصفات أهل الشورى متحققة في أعضاء المجالس النيابية، وجواز اختيار المرأة والكتابي للمشورة ... في كل هذه الأمور لا تختلف الشورى عن الديمقراطية!! لكننا أبرزنا شرط الالتزام بالقيم الأخلاقية والدينية وحسن السلوك.(1)

لذا يلخص النحوي – رحمه الله – الفوارق الكبيرة والكثيرة بين نظام صاغته عقول البشر القاصرة، وبين نظام أنزله الله بقدرته القاهرة، يقارن بين ثوابت للديمقراطية فاجرة، ومعانٍ للشورى فاخرة، فيقول: "إن الشورى الإيمانية قضية ربانية، ووحي من عند الله، والديمقراطية إنتاج بشري نشأت في تربة الكفر والفساد.

إن الشورى نظام إيماني، تحمله رسالة السماء إلى الإنسان في كل العصور، والديمقراطية صورة بشرية لأجيال محددة.

إن الشورى نظام ينمو في أحضان الإيمان، وتربة الطهر، ومنابع الخير، والديمقراطية تنمو لتقدم الجريمة وتمهد للضياع.

إن الشورى نظام متماسك القواعد، متكامل الأسس، لا يحتاج إلا إلى صدق الممارسة والإيمان، وقوة العلم، وترابط الأمة، حتى تنمو الممارسة البشرية مع نمو الخير والبركة، ويستكمل تفاصيله من خلال الممارسة والتطبيق. والديمقراطية تجربة بشرية تحمل الأصباغ والطلاء والزخارف، لتغري وتخدر. وتحمل في طياتها بذور الشر والفساد، حتى يظهر الشر والفساد، وتتلاشى الزخارف والأصباغ، بعد سنين أو قرون.

---

(1) انظر: الشورى وأثرها في الديمقراطية (دراسة مقارنة): عبد الحميد إسماعيل الأنصاري – منشورات المكتبة العربية – لبنان – الطبعة الثالثة – بدون سنة تأليف، ص: 425.

إن الشورى توقظ في المؤمن كل شعور المسؤولية، وأحاسيس الأمانة وجدية العمل، حين تربطه بعقيدة ونهج، وخطة وقواعد، وإيمان بالله واليوم الآخر، وحين تتحرك فيه النية فلا يقبل الله عمله إلا بنية صادقة ولا يقبل الله عمله إلا إذا استقام على العقيدة والنهج. والديمقراطية تنفث فيه الخدر والسكر، وتطرحه في واد سحيق، أو فلاة مضلة".(1)

إن الذي يسوي بين الشورى خاصة والإسلام عامة والديمقراطية كمن يسوى الخالق بالمخلوق، أو يسوي بين الحق والباطل، وهو من باب تلبيس الثاني بالأول، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة : 42).

وأخطأ خطأً كبيراً من ساوى بين أعضاء البرلمان الفائزين في انتخابات مزيفة، أو المستلقين على ظهر الحزب الذي بذل الملايين في الدعاية الانتخابية، وأهل الشورى الذين تحققت فيهم الضوابط الشرعية من علم بالكتاب والسنة وورع وتقوى وخبرة، وهل يستوي المسلمون و المجرمين؟

يقول الشيخ سعيد عبد العظيم في كتابه (الديمقراطية في الميزان):" في النظام الديمقراطي يتولى الفساق والعصاة والكفار والنساء والمحاربون لدين الله والمعادون له الولايات العامة والخاصة ويتسلطون بذلك على رقاب المسلمين عن طريق انتخابات حرة كما يقولون، ولكن أين الضوابط الشرعية فيها؟ وما هي أهلية من يختار، وما هي موازينه؟ وهل علم هؤلاء شروط من سيختارونه؟ ولا يكفي أن يقال لعوام الناس اختاروا الأمثل والأصلح أو من يقدم خدمات أكثر، فهذه عبارات كثير من الناس لا يفهم لها معنى نتيجة غربة الحال وغيبة المعاني الشريعة".(2)

والديمقراطية فارقت الإسلام في الأصل؛ فأصلها الوثنية اليونانية الكافرة، صاغتها عقول البشر القاصرة، بخلاف أصول الإسلام الوافرة، فنصوص الوحيين فيه عامرة، وعلى كل تفاصيله ناهية أو آمرة.

يقول عدنان النحوي – رحمه الله:" الديمقراطية بكامل مفاهيمها نَبَتَتْ في تربة الوثنيَّة اليونانيَّة، ونشأت وحملت معها إلى أوروبا غراس الوثنية التي تفتَّحت على العلمانية الحديثة. والإسلام نشأ في أرض النبوَّات والتوحيد، في أرض الجزيرة العربية التي انطلق فيها إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وتوالى الرسل والأنبياء يدعون إلى دين واحد هو الإسلام، حتى خُتِموا بمحمد ﷺ. وشتَّان بين الغراس في تربة الوثنية وبين الغراس في تربة الإسلام والإيمان والتوحيد".(3)

(1) الشورى لا الديمقراطية، ص:49.

(2) المصدر السابق، ص: 64.

(3) الديمقراطية وبعض آثارها في الواقع الإسلامي، عدنان النحوي، 2015/9/26م، http://www.islaamlight.com/index.php?option=content&task=view&id=10585

والديمقراطية تُنسي أتباعها مجرد التفكير بالآخرة، الحياة الحقيقة للبشرية، فأغرت الناس بملذات الحياة الدنيا واستغلال كل دقيقة فيها لقضاء الوطر، أما في الإسلام فإن الحياة في الآخرة هي الحيوان، وبغير هذا فالإنسان في الدينا ذليل مهان، وفي الآخرة موعده نيران، فشتان بين الحياتين شتان!

يقول النحوي: "أساس الديمقراطية ومحورها عزل الدنيا عن الآخرة، والانصراف كلية إلى الدنيا، كأن الدار الآخرة هي مسؤولية الفرد وحده ليست مسؤولية الأمة كلها، والإنسانية كلها. وأساس الإسلام هو الدار الآخرة وإيثارها على الدنيا، لتكون هذه هي القضية الرئيسة في حياة البشرية، ولتكون قضية الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو هي الحقيقة الكبرى في الكون كله والحياة كلها، وفي حياة الإنسان والبشرية كلها، وهي مسؤولية الأمة كلها لتصوغ نظامها ومواقفها من الإسلام ! إنه فرق كبير واسع بين الإسلام والديمقراطية، فرق يجب أن لا يخفى على من يتلو كتاب الله ويدرس سنة محمد ﷺ، ولا يجوز أن يغيب عن بال العلماء المسلمين والدعاة المسلمين".(1)

والديمقراطية كذلك تكذب الرسل والبعث والنشور والحساب والجنة والنار، يقول – رحمه الله:" هذا الدين الحق، وهذا التصور للإيمان والتوحيد، والموت والبعث والحساب، والجنة والنار وما يتبع ذلك من تفصيلات جاءت به الرسل جميعاً يُصَدِّق بعضهم بعضاً. جاءت به الرسل الذين عُرِفوا وتميَّزوا بأنهم صادقون أمناء عقلاء. وتوالى الرسل في كلّ أمة زمناً طويلاً لم يعرف فيه تناقض أو اختلاف إلا ما أجراه بعض الناس من تحريف لا علاقة للرسل به .

أما الديمقراطية والعلمانية وما جاء من تكذيب الرسل وإنكار البعث والحساب والجنة والنار والدار الآخرة، والتمسُّك بالدنيا، فقد جاءت به ظنون بعض البشر دون أي دليل علمي على دعواهم، وإنما هو الظنّ والوهم والضلال".(2)

فالديمقراطية نأت عن الإسلام بعيداً من حيث الأصول والفروع، ولا التقاء بين منهج ساغه الله سبحانه وبين منهج قاصر بشري، "فالديمقراطية لها طرقها وأنظمتها الخاصة والمتباينة كل التباين عن الإسلام؛ فهو طريقة خاصة في الحياة، وفي التعامل والتعايش، في علاقة الجنسين بعضهما مع بعض، وفي الحكم والسياسة، وفي القانون والقضاء، وفي الشؤون الاقتصادية

---

(1) الديمقراطية وبعض آثارها في الواقع الإسلامي، عدنان النحوي، 2015/9/26م، http://www.islaamlight.com/index.php?option=content&task=view&id=10585

(2) إسلام رباني لا إسلام ديمقراطي، ص: 80-81.

والاجتماعية، وفي التربية والتعليم، حتى ممارسة الشعائر التعبدية لها نظرتها الخاصة بذلك، وهذا هو الدين، وإذا لم يكن هذا دين فأي شيء يُسمى ديناً!"[1]

ثالثاً: مفهوم الأكثرية (الأغلبية) بين الإسلام والديمقراطية:

إن من أعمدة الديمقراطية ومبادئها مبدأ الأكثرية النيابية؛ والتي تعنى أن يُطرح المشروع على نواب البرلمان ثم تتم مناقشته وصياغته ليصل إلى الصورة النهائية، ثم يتم عرضه على جميع النواب لإجراء عملية التصويت عليه، ويكون الحكم على القانون الجديد حسب الأغلبية، فإن كان غالب النواب قد وافقوا عليه أُقر، وإلا تم رفضه. فالحكم في النظام الديمقراطي يدور مع الأغلبية حيث دارت.

والأغلبية نوعان في الديمقراطية: الأولى أغلبية مطلقة؛ وهي التي تتحقق بتوافر النصف ويزيد واحداً، وهذه يتم العمل بها في أكثر شؤون البرلمانات. أما النوع الثاني فهي الأغلبية الساحقة؛ وتكون إذا حاز المشروع على ثلثي الأصوات أو يزيد، وهذا يُحتاج إليها للمسائل المهمة مثل: محاكمة رئيس الدولة أو عزله أو إجراء تعديل دستوري.[2]

ويرى النحوي – رحمه الله – أن دور مبدأ الأكثرية أو الأغلبية في الإسلام يختلف اختلافاً بيناً عن دوره في الديمقراطية؛ فلا إلزام على الأمة بأخذ رأي الأغلبية، فيقول:" نود أن نؤكد أن للأكثرية المؤمنة دورها في الحياة الإسلامية، ولكنه دور يختلف عن دورها في الحياة الديمقراطية، أو الاشتراكية، أو القومية، أو غيرها. إن هذا الدور لا يمثل في الإسلام قانونًا مطلقًا نزل به الوحي، ولا نصًا قاطعًا، تلتزمه البشرية في جميع أحوالها، وجميع قضاياها، وجميع أجيالها، لتجعل من رأي الأكثرية قرارًا ملزمًا للمسئول أو للأمة. وحتى لدى الشعوب التي تعتمد ذلك في ديمقراطيتها، فإن رأي الأكثرية لا يمثل دائمًا القرار الملزم، والوسيلة الوحيدة، والحق المطلق".[3]

والنحوي بهذا الطرح لا يقلل من رأي الفئة المؤمنة قلت أو كثرت، لكن الأمر منوط بالسمع والطاعة والالتزام بالبيعة ورد الأمور – حين الاختلاف – للكتاب والسنة لا للأكثرية؛ فمن المعلوم أنه لا اجتهاد مع وجود النص وبيان وجلاء معناه.

يقول – رحمه الله:" ومن هنا نرى أن مفهوم "الأكثرية والأقلية" في العقيدة الإسلامية في ميزان الإيمان، شيء آخر، يختلف عما تفهمه الديمقراطية، التي جعلت الشعب هو أعلى سلطة

---

(1) حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية: عبد المنعم حليمة– بدون ناشر – سوريا – الطبعة الأولى – بدون سنة تأليف، ص: 37.

(2) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص: 123.

(3) الشورى لا الديمقراطية، ص:93.

مطلقة لا يحكمها شيء، إلا ما تضعه هي من نفسها..! ولذلك نص القرآن الكريم نصًا قاطعًا، على أنه في حالة الاختلاف والتنازع، تجب العودة إلى الله ورسوله فقط، ومن لا يفعل ذلك فقد خرج من الإيمان".[1]

قال الله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** ﴾ (النساء : 59).

والمتتبع لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية يرى أنه لا وجود لأهمية الأغلبية وجعله ملزماً، وخصوصاً في أيامٍ كان الوحي ينزل غضاً طرياً ليبين الحكم في كل حادثة.

فالقرآن في أغلب الآيات التي تحدثت عن الكثرة سردها على سبيل الذم لا المدح، بل أمر النبي ﷺ وصحابته ﷺ ألا يركنوا إلى الغالبية من الناس، وحذرهم من ضلال وإضلال الكثرة، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ (الأنعام: 59)، وقال أيضاً: ﴿ **وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ** ﴾ (يوسف : 59).

وعلى النقيض مدح الله تعالى القلة في غير موضع من القرآن، فقال تعالى: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ** ﴾ (ص : 24).

بينما نجد السنة المطهرة مرة تمدح الكثرة ولزوم الجماعة وأخرى تمدح القلة، فمن مدح النبي ﷺ للكثرة والحث على الجماعة ما رواه ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" **مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ، فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**".[2]

ويمدح النبي ﷺ تارة أخرى القلة فيقول في الحديث الذي رواه ابْنُ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" **تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ، لَا يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً**"[3]

ويزيل النحوي – رحمه الله – هذا الإشكال والذي ظاهره التعارض بقوله: " فمبدأ الأكثرية والأقلية إذاً ليس ممارسة إيمانية ثابتة، لا خلاف حولها في حياة النبوة أو حياة الخلفاء الراشدين، وإذا فهم فريق من بعض الروايات تطبيق مبدأ الأكثرية، فإن النص القاطع في الرواية معدوم، وإن

---

(1) الشورى لا الديمقراطية ، ص:102.

(2) صحيح البخاري– كتاب الأحكام – بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً – 62/9 – رقم/ 7143.

(3) صحيح مسلم – كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ – بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً – 1973/4– رقم/ 2547.

آخرين يرون شيئًا آخر. وهو لا يمثل حقًا مطلقًا صالحًا لكل الحالات، ولجميع العصور والأجيال. فالحق المطلق لن نجده إلا في نص واضح من القرآن أو السنة، وفي المنهاج الرباني".[1]

فالحق يخرج من مشكاة القرآن والسنة، والله سبحانه أعلم بمن خلق، والنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ولا مجال للاجتهادات البشرية أمام النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية.

قال – رحمه الله:" من هذا كله، نخرج بنتيجة واضحة، وهي أن القرآن والسنة، لم يعالجا موضوع الأكثرية أو الأقلية بنص صريح قاطع، ليستخدم في ميدان الشورى، ومداولة الآراء. فآيات القرآن الكريم تعرض بصورة بينة أن الحق في الحياة الدنيا، لا يقاس بالكثير من الناس، ولا بأكثر الناس، ولا بأكثر أهل الأرض..! ولكن الحق يعرف بمنهاج الله الذي أنزل من السماء. والديمقراطية تعزل الدين كلية وتقول: الحكم للشعب".[2]

"إن الإسلام يضع "الْكِتابَ" الذي أنزله اللّه "بِالْحَقِّ" ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، يضع هذا الكتاب قاعدة للحياة البشرية، ثم تمضي الحياة؛ فإما اتفقت مع هذه القاعدة، وظلت قائمة عليها، فهذا هو الحق، وإما خرجت عنها وقامت على قواعد أخرى، فهذا هو الباطل. هذا هو الباطل ولو ارتضاه الناس جميعاً في فترة من فترات التاريخ؛ فالناس ليسوا هم الحكم في الحق والباطل، وليس الذي يقرره الناس هو الحق، وليس الذي يقرره الناس هو الدين. إن نظرة الإسلام تقوم ابتداء على أساس أن فعل الناس لشيء، وقولهم لشيء، وإقامة حياتهم على شيء لا تحيل هذا الشيء حقاً إذا كان مخالفاً للكتاب ولا تجعله أصلاً من أصول الدين ولا تجعله التفسير الواقعي لهذا الدين ولا تبرره لأن أجيالاً متعاقبة قامت عليه".[3]

(1) الشورى لا الديمقراطية، ص:96.

(2) المصدر السابق، ص:108.

(3) مِفْرَقُ الطَّرِيقِ في القُرآن الكَريم: علي بن نايف الشحود – السعودية – الطبعة الأولى – 1431هـ – 2010م، ص: 148.



المبحث الثالث

جهود النحوي في الرد على حقوق الإنسان في القوانين الوضعية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حقوق الإنسان في القوانين الوضعية ونقدها

المطلب الثاني: حقوق الإنسان في الإسلام كما يراها النحوي.

المطلب الأول

حقوق الإنسان في القوانين الوضعية ونقدها

إن نظرة سريعة لواقع الإنسان اليوم ليرى أنه يعيش مرحلة انتُهكت فيها الأعراض، واغتُصبت فيها البلاد، ونُهبت فيها الثروات، وزُهقت فيها أرواح الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، يحدث هذا في وقت تغنى فيه العالم كله باتفاقيات حقوق الإنسان، وتوقيع جميع دول العالم عليها، وتعهدها بالالتزام بها.

يصف النحوي – رحمه الله – حالة الإنسان في هذا العصر قائلاً:" ليس واقع المسلمين وحده هو الشيء الذي يحتاج إلى تفكير وتغيير وإصلاح، ولكن واقع الإنسان كله على الأرض يعاني اليوم من أمراض خطيرة مهلكة، أمراض فكرية واجتماعية، وسياسية واقتصادية، ونفسية وجسمية. إنها أمراض مهلكة للإنسان بالرغم من التطور الهائل في العلوم والصناعة، في الطب والهندسة، وبالرغم من العمائر الشاهقة والشوارع المعبَّدة، والطرق الممتدة، ووسائل التنقلات السريعة، والاتصالات المتطورة".[1]

تعريف حقوق الإنسان في القوانين الوضعية:

تعرف حقوق الإنسان بأنها: " تلك الحقوق التي يتعين الاعتراف بها للفرد لمجرد كونه إنساناً."[2] فتثبت لأي إنسان هذه حقوق من غير الالتفات لدينه أو جنسه أو جنسيته.

وأكثر ما يعرف حقوق الإنسان الوضعية هم أهلها التي خرجت الفكرة من عباءتهم، فقد عرَّفت الأمم المتحدة حقوق الإنسان بأنها :" ضمانات قانونية عالمية لحماية الأفراد والجماعات من إجراءات الحكومات التي تمس الحريات الأساسية والكرامة الإنسانية".[3]

ويلزم قانون حقوق الإنسان الحكومات ببعض الأشياء ويمنعها من القيام بأشياء أخرى، أي أن رؤية المنظمة الدولية لحقوق الإنسان تقوم على أساس أنها حقوق أصيلة في طبيعة الإنسان والتي بدونها لا يستطيع العيش كإنسان.[4]

---

(1) حتى نغير ما بأنفسنا، ص: 129.

(2) حقوق الإنسان في الإسلام والرد على الشبهات المثارة، سليمان الحقيل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط4، 1424هـ. ص: 17.

(3) انظر: أركان حقوق الإنسان، صبحي محمصاني، دار العلم للملايين، بيروت 1979.ص: 5.

(4) انظر: المصدر السابق، ص:6.

ومن خلال ما سبق، يتبين أن حقوق الإنسان ما جاءت إلا كمحاولة لحماية الشعوب التي ذاقت مرارة ظلم الحكومات، لضمان ألا يتعدى على هذه الحقوق أحد مهما كان مسماه. لكن الغريب أن الدول التي انتهكت جميع الحقوق الإنسانية، ومارست الظلم على مواطنيها وغيرهم هي الآن من توقع على هذه الاتفاقيات وتتحدث عن حمايتها!!

نشأة قوانين حقوق الإنسان:

"برزت فكرة إصدار إعلان عن حقوق الإنسان بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها مباشرة وأثناء توقيع ميثاق تأسيس هيئة الأمم المتحدة، وفي مؤتمر سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1945م، حين تقدم أحد الأعضاء في المؤتمر باقتراح إلى لجنة المؤتمر بوضع إعلان يتضمن الحقوق والحريات الأساسية للإنسان... وتم عرض مشروع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على الجمعية العمومية للأمم المتحدة في دورة عام 1948م في باريس، وتمت مناقشته وتعديله مادة مادة إلى أن أقرته الجمعية بإجماع الأصوات وأصدرته في اليوم العاشر من شهر ديسمبر 1948م".(1)

ثم جاء بعده ببضع سنين ما سُمي بـ(الميثاق العالمي لحقوق الإنسان) الذي صدر عن الجمعية العمومية للأمم المتحدة بحثاً عن ملاذ من ويلات الحرب الطاحنة التي دارت في أوروبا.

فالميثاق العالمي لحقوق الإنسان الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في1948/12/10م، تتويج لحضارة الغرب، ولجهود المفكرين والمصلحين فيه في العصر الحديث.

وقد صدر الميثاق بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بسنوات قليلة، تعبيراً عن الرغبة في وحدة البشرية، ووحدة حقوق الإنسان، في المجتمع الدولي، الذي قاسى من ويلات الحرب. وكان تناسي حقوق الإنسان، أو إهمالها، قد أفضى إلى أعمال همجية آذت الضمير الإنساني، كما ورد في الميثاق.(2)

لكن الشيخ عدنان النحوي يرى أن تفاهمات حقوق الإنسان الوضعية جاءت نتيجة تراكم ثورات الشعوب على الظلمة عبر التاريخ، لا كما يعتقد البعض أن بداية ظهورها كان نتيجة للثورة الفرنسية.

يقول – رحمه الله: " لقد أصبح من الخطأ المتعارف عليه اليوم أن يُقال إن حقوق الإنسان وقوانينها بدأت مع الثورة الفرنسية التي امتدت من سنة 1789م حتى سنة 1799م، ثم أقرتها الجمعية الوطنية وأعلنتها كوثيقة رسمية لحقوق الإنسان في 26 آب 1789م ... وظل كثير

(1) حقوق الإنسان في الإسلام والرد على الشبهات المثارة، ص: 68.

(2) انظر: حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله التركي، ص: 12

من الناس يعتقدون أن حقوق الإنسان ابتدأت لأول مرة مع هذه الفترة في التاريخ البشري ، وأن ما تلا ذلك كان مبنياً عليه. وفي ذلك مغالطة كبيرة؛ فالإنسان جاهد لأَجل حقوقه منذ قديم الزمان، وكلما قام ظلم من فئة ظهرت فئة من المظلومين تقود الثورة والصراع ضد الظالمين".(1)

وبعد أن ترسخت الفكرة عند الدول وتم التوقيع عليها، كثرت مصادرها وتعددت؛ فمنها مصادر وطنية تتمثل في الدساتير والتشريعات الداخلية للدول، وأخرى مصادر دولية جاءت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر في عام (1948م) والاتفاقيتين الدوليتين الخاصتين بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحقوق المدنية والسياسية في عام (1966م) بالإضافة إلى البروتوكول الاختياري الملحق بالعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية.(2)

وبعد ذلك أعطيت الدول مساحة لسن قوانين جديدة لحقوق الإنسان بما يتماشى مع وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تم التوقيع عليه، وكل هذه الإصدارات كانت تخرج من كنف البرلمانات والمجالس النيابية المنتخبة، فأصل حقوق الإنسان في القوانين الوضعية ثابت وفروعه ربما تختلف من بلد لآخر.

نقد مفهوم حقوق الإنسان في الدساتير الوضعية:

مثلها مثل أي قانون ينفصل عن دين الذي ﴿ **يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ (الْمُلْكِ: 14)، فيخرج مبتوراً خداجاً، يعبر عن رأي طائفة ضيقة من العقول – وإن أبدعت – التي لا تحيط بما يصلح للناس إحاطة المنهج الرباني، ولا يعلم علماً تاماً بأحوالهم والظلم الواقع عليهم، إنما جاءت مواثيق حقوق الإنسان كرد فعل للحرب العالمية الثانية – كما هو واضح من تعريفها السابق – بعد أن رأت البشرية كلها قوانين الغاب وتحكم الغالب.

وهذه القوانين وإن اتفقت في كثير من بنودها مع حقوق الإنسان في الإسلام، لكنها تفارقها في كثير من البنود والمفاهيم والحدود، وأنَّى لها أن تتطابق مع ما في القرآن والسنة اللذيْن جاءا وحياً من الله سبحانه، وفيما يلي بعض المفارقات بين المناهج الربانية والدساتير البشرية فيما يتعلق بحقوق الإنسان:

---

(1) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 245.

(2) انظر: المصادر الدولية لحقوق الإنسان، خولة راضي، 2015/10/24م، http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=22&lcid=42520

1- اختلاف المصدر:

وهذا فارق أساسي وجوهري بين التشريع الإسلامي، وبين كل النظم القانونية الوضعية، يظهر أثره واضحاً عند مقارنة بسيطة بين المنهجين في مجال حقوق الإنسان؛ فالشريعة الغراء هي مصدر الحق، تحيطه بالقدسية والإلزام، تضمن للناس تطبيقه، وتتوعد المنتهكين له بحدود في الدنيا، ونار يوم القيامة.

لذا يرى الشيخ عدنان النحوي أن حقوق الإنسان أخذت صورتها المتكاملة وخصائصها المفصلة وتشريعاتها العملية التطبيقية من مصدر واحد، من عند الله ومن خلال رسالاته لأنبيائه ورسله التي ختمت برسالة محمد ﷺ، فلم يعد لأحد من البشر أن يدعي أنه هو الذي وضع للإنسان حقوقه، ولا لأمة من الأمم. من هنا كان الاختلاف الأول بين مفهوم الإنسان في الإسلام ومفهومها لدى الحضارة الغربية.[1]

و" في الشرع الإسلامي، تعتبر الشريعة الإسلامية، هي مصدر الحقوق كلها، ولا يوجد حق مقرر للإنسان يخرج عن نصوصها أو قواعدها الكلية، وبذلك تكون الشريعة الإسلامية، هي أساس الحق ومصدره، وسنده وضمان وجوده والحفاظ عليه في المجتمع. أما في التصور الوضعي فإن الأمر على العكس من ذلك تماماً، فإن الحق فيه مصدره التشريع والقانون الوضعي".[2]

لكن في القوانين الوضعية، ما رآه الناس – برهم وفاجرهم – حسناً فهو حسن يُلزم الجميع به، وإن خالف نصاً صريحاً للقرآن، بل ما رأته الأكثرية فقط يطبق بقوة السلاح والمحاكم في الناس كافة.

" فالقاعدة التي تسن منها القوانين: أن كل ما يراه المجتمع حقاً، يصبح – تبعاً لذلك – قانوناً ونظاماً في المجتمع، وليس مصدره تشريعاً ربانياً، ولكن مصدره ما يراه الناس في وقت معين ومكان معين ومجتمع بذاته، وهو أيضا ما لا يراه جميع الناس، بل تراه الأغلبية منهم، أيا كان قدر هذه الأغلبية. أما نحن– المسلمين– فإننا نملك معياراً عاماً ومجرداً لتحديد الحقوق، هو الشرع الإلهي، وهو معيار، يخضع له الجميع عن إيمان واقتناع".[3]

"فتقرير الحقوق في النظام الإسلامي مصدره من الله عز وجل الذي هو الحق المبين، وتشريعه هو العدل الذي لا يحابي ولا يجامل، فالأحكام مبنية على أساس العقيدة الإسلامية التي

---

(1) انظر: المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 261.

(2) حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله التركي، ص: 29.

(3) المصدر السابق، ص: 30.

جعلتها تضفي احتراماً وقدسية على حقوق الإنسان، وشكلت ضمانة أكيدة لاحترامها والمحافظة عليها".[1]

إذاً، حقوق الإنسان في الإسلام تحظى باحترام بالغ من الدولة والخليفة والعلماء والعامة، فتطبيقها على أرض الواقع ملزم، يحقق مصلحة دنيوية بأن يعيش الناس في أمن على حياتهم وممتلكاتهم وأموالهم، وكذلك في تطبيقها مصلحة أخروية بما يكتبه الله سبحانه من جزاء للقائم عليها تطبيقاً وممارسةً.

2- التأثر بسياسة الدولة:

وهذا الفارق متعلق بما قبله أيما تعلق، فما دامت حقوق الإنسان في الشريعة الغراء جاءت في نص قرآني أو نبوي، فلا يملك أحد – كائناً من كان – أن يعدل عنها أو يلوي أعناق نصوصها فضلاً عن إلغائها، فإقامتها في دنيا الناس إقامة لشرع الله وتحيكم لكتابه وسنة نبيه ﷺ، وتعطيلها ربما أودى بصاحبه إلى الكفر.

ففي القرن السابع عشر، كانت فرنسا هي القوة المسيطرة، فرفعت بذلك شعارها الذي ينادي بدور فرنسا في " تحضر العالم "، مهملة كل شعوب الأرض وكل إنجازاتهم. ولما برزت بريطانيا كقوة مسيطرة رفعت شعارها بمسؤولية الرجل الأبيض في " تحضر العالم "، فارتكبت من المجازر والظلم والإفساد في الأرض ما ملأ تاريخها بصفحات سوداء، كما ملأت فرنسا تاريخها قبل ذلك. ولما جاء دور أمريكا اعتبرت نفسها سيدة العالم، واعتبرت نفسها مسؤولية عن نشر قيم حقوق الإنسان من حرية ومساواة وعدالة ورفاهية، فسحقت الهنود الحمر، واستعبدت الأفارقة، وميزت بين المواطنين، وأعلنت حروبها على الشعوب عدواناً وظلماً حتى خلفت حروبها المزيفة ملايين الضحايا الأبرياء.[2]

أما الدساتير الوضعية الأرضية لحقوق الإنسان فلقد نشأت نشأة سياسية، خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وكان هدف مفكريها وقادتها، هو تأكيد الحريات العامة في المجتمع، وجعلها بعيدة عن متناول السلطة المستبدة، حتى لا تستطيع إهدارها، دون جزاء قانوني. ولم يكن ذلك سديداً؛ لأن الأنظمة السياسية تختلف، ومن شأن ذلك، إضعاف فكرة حقوق الإنسان، وإضفاء طابع النسبية عليها، وجعل الحقوق والحريات العامة، كأنها تمارس ضد السلطة أو رغماً عنها.[3]

(1) حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ص: 37.
(2) انظر: العولمة والإسلام، ص: 68-69.
(3) حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله التركي، ص:18.

3- اختلاف المنهجين في مفهوم الحق:

الحق عند الفقهاء هو: مصلحة ثابتة لشخص على سبيل الاختصاص والاستئناء، يقررها الشارع الحكيم. وعند القانونيين: مصلحة ثابتة يحميها القانون.[1]

فتعريف الحق السابق أشار لمنشأ الحق في الشريعة الإسلامية وهو إرادة الشرع، فالحقوق في الإسلام منح إلهية تستند إلى المصادر التي تستنبط منها الأحكام الشرعية؛ فلا يوجد حق شرعي من غير دليل يدل عليه، فمنشأ الحق هو الله تعالى. والحق في الإسلام ليس طبيعياً مصدره الطبيعة أو العقل البشري.[2]

أما الحق في حقوق الإنسان الوضعية فهو ما اتفق عليه الذين ساغوا تلك الحقوق، اقتربوا من الحقوق المنصوص عليها في الشريعة أم ابتعدوا، فالأمر سيان. لذلك فإن هذه الحقوق في القوانين الوضعية جاءت مبتورة ناقصة لم تستوف الإنسان حقه الذي منحه الله إياه.

وهذا ما أكد عليه النحوي – رحمه الله تعالى – من أن جميع الحقوق التي صاغها البشر لم تستوف جميع حقوق الإنسان، ولم تستوفِ تطبيقاتها وتعريفها وخصائصها، وأن تطبيقها ظل يختلف من مجتمع إلى مجتمع، فقد جاءت معزولة عن كمال الشريعة وشموليتها... لذا بقى الإنسان مجرداً من حقوقه الأساسية الحقيقية في معظم بقاع الأرض، وأصبحت تطبق في بلد في الوقت الذي تنتهك فيه الحقوق في بلد آخر.[3]

كما أن الحق في الشريعة يطلق على أشياء ومفاهيم واستعمالات تختلف كثيراً عن استعمال اللفظة في القوانين الوضعية؛ فهناك حقوق في الدين لله جل وعلا، وهناك حق للعباد، وحقوق للآدمين عامة، وحق الجار، وحق النفس، وحق الأهل، ومن أسماء الله الحق، وهنالك حق للوالدين، وللأبناء والبنات حق، والجنة حق والنار حق، وللمسكين والفقير حق، ولليتيم حق، ولذي القربى حق، وابن السبيل له حق، وغيرها كثير.

فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " **يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟** "، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " **أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟** "، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " **أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ**".[4]

---

(1) انظر: حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الغربي، ص: 29.

(2) انظر: حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله التركي، ص: 45.

(3) انظر: المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص :253 –254.

(4) صحيح البخاري– كِتَابُ التَّوْحِيدِ– بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى– 114/9– رقم/ 7373، صحيح مسلم– كِتَابُ الْإِيمَانَ– بَابُ مَنْ لَقِي اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُو غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّار – 59/1 – رقم / 30.

فالمسلمون لديهم تعبير حقوق الآدمي، ولديهم أيضاً تعبير حقوق الأمة، وكذلك يتحدث المسلمون في وضوح منذ زمن بعيد، عن حقوق الله وحقوق العباد، وحقوق للسفر والحضر، فالإسلام ينظر إلى الإنسان وإلى حقوقه في هذه الحياة الدنيا نظرة شاملة تمتد مع مختلف الأحوال والظروف، ومع العصور والأزمان، ومع الأقطار والأجناس، نظرة عادلة دقيقة، متوازنة على أسس ربّانية.[1]

4- شؤم اتفاقيات حقوق الإنسان الوضعية على العالم:

فقد أفسدت الدساتير الوضعية لحقوق الإنسان أغلى ما لدى الإنسان، أفسدت فطرته التي فطره الله عليها.

قال تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾.(الروم : 30).

" إذا ذكرنا بعض النقائص والمآخذ على تلك البيانات والوثائق، فإننا نشير هنا إلى أكبر مآخذنا على تلك الوثائق، حين أهملت أهم حق للإنسان، الحق الذي تقوم عليه سائر الحقوق والمسؤوليات وتنبع منه، إنه الحق الأول للإنسان والحق الأكبر، إنه حماية (فطرة الإنسان) حماية فطرته التي فطره الله عليها، حمايتها من أن تلوث أو تشوه أو تنحرف ثم رعايتها... إن انحراف الفطرة خطر كبير على الفرد والأمة والمجتمع الإنساني، ومن هذا الانحراف تنطلق المفاسد في الأرض، وتمتد الفتن، وتثور الأهواء والشهوات والمصالح المتصارعة، وتنافس الدنيا، تحت جميع الشعارات المحببة إلى النفوس، المزخرفة للفتنة، من سلام ووطنية وقومية ودين".[2]

ولقد جَرَّد الغرب الإنسان من كثير من حقوقه حين جرّدوا المرأة من حجابها وسترها ، وحين ألقوها في لهيب فتنة الجنس مع الشباب والرجال ، وحين حطموا الأسرة وجرَّدوا المرأة من حقوق الأمومة والزوجية ، وجرّدوا الزوج من سكن الحياة الزوجية وحقّه في القوامة، وجرّدوا الأبناء من حقِّ رعاية الأبوة والأمومة. وحين جرّدوا الإنسان من سلامة فطرته التي فطره الله عليها، ومن حمايتها. ولا يختلف الوضع كثيراً بالنسبة لوثيقة الثورة الفرنسية التي ارتكبت أقسى الجرائم الوحشية.[3]

---

(1) انظر: امتداد حقوق الإنسان، عدنان النحوي، 2015/12/3م، www.alnahwi.com/default.asp@action=article&ID=224

(2) الحق الأول والأكبر للإنسان، عدنان النحوي، 2015/12/4م، www.alnahwi.com/default.asp@action=article&ID=223

(3) انظر: موجز المسيرة التاريخية للبيانات والوثائق الوضعية لحقوق الإنسان، عدنان النحوي، 2015/12/3م، www.alnahwi.com/default.asp@action=article&ID=225

يجمل النحوي أهم المآخذ على قوانين حقوق الإنسان الوضعية، والتي أفقدتها عدلها وإنصافها، وأظهرت ظلمها للإنسان، ومن أهم هذه المآخذ[1]:

1- عدم استنادها على قواعد راسخة تحدد مفهوم الشعارات المعلنة وخصائصها وامتدادها في الحياة الإنسانية، وفقدت بعدها الإنساني والعمق البشري؛ فارتبطت بالقومية والإقليمية، فوقع التضارب في كثير من الحالات، ويشتد التضارب كلما خرجنا إلى صعيد أوسع إقليمي أو دولي.

2- هذا التناقض والتضارب جعل من المفاهيم المعلنة في الدساتير كالحرية والمواطنة والمساواة والإخاء عباراتٍ نسبية تختلف من بلد إلى آخر، فمهد الطريق للمصالح المادية والسياسية.

3- لم ترتبط حقوق الإنسان الوضعية بمسؤوليات الإنسان في الحياة أو في أرضه، أو مع سائر الشعوب، لم تربطه إلى ركن ثابت في نفسه ثم جعلته ينطلق منه مثل الدين والعقيدة، بل بالعكس فإن هذه القوانين فصلت الدين عن الحياة، وأطلقت للإنسان حرية اختيار دينه ومعتقده بدون قيود.

4- قوانين حقوق الإنسان قسَّت قلوب الأبناء على الآباء بالقانون القائل إن الابن أو البنت إذا بلغا من العمر ثمانية عشر عاماً لا يجوز لوالديه التحكم في تصرفاتهما، فلهما أن يسرحا ويمرحا في الحرام.

5- أهملت هذه الوثائق الحق الأول والأكبر للإنسان وهو حماية فطرته التي فطرها الله عليها من أن يفسده شرك أو كفر بالله سبحانه، وهذا الحق الذي أهملته الدساتير هو الحق الذي تبنى عليها سائر الحقوق والمسؤوليات وتنبع منه.

6- هذه العيوب والمآخذ نابعة من الخطأ الأكبر ألا وهو عزل قضية الإيمان والتوحيد عن قضية حقوق الإنسان وعن سائر قضاياه.

والحق أن الواقع أكبر دليل على الزخرفة المزيفة والشعارات الجوفاء التي خدعت الشعوبَ وخدَّرت مشاعرهم، في الوقت الذي لم يكن لهذه الزخارف والشعارات رصيد على أرض الواقع، بل إن الباحث ليرى أن حياة الشعوب قبل هذه الدساتير الوضعية لحقوق الإنسان أفضل حالاً من حياتهم تحت هذا الزيف والخداع والاتفاقيات الوهمية، وما حال العالم اليوم من شرقه إلى غربه عنا ببعيد.

---

(1) انظر: المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 255-257.

المطلب الثاني
حقوق الإنسان في الإسلام كما يراها النحوي

اعتقد الغرب الذي ذاق ويلات الحروب والظلم أنه المبدع والسابق لسن قوانين تحفظ للإنسان حقوقه، ونسي أو تناسى أنه في الوقت الذي كانت أوروبا تعيش فيما سمى بعصور الظلام، تسلطت فيه الكنيسة على البلاد والعباد، حين قُسِّم الناس إلى طبقات اجتماعية حسب ما معهم من مال، نسي أن الأمة الإسلامية في ذلك الوقت كان مواطنوها يرفلون بحفظ الحقوق في ظاهرة فريدة يتساوى فيها الناس أمام الحقوق والحريات بموازنة ربانية لا يمكن بحال أن ينتج البشر مثلها، لأنها جاءت من لدن حكيم خبير الذي يعلم ما يصلح الإنسان ويليق به.

وحقوق الإنسان في الإسلام ليست منحة من ملك أو حاكم، أو قراراً صادراً عن سلطة أو منظمة دولية، وإنما هي حقوق ملزمة بحكم مصدرها الإلهي، لا تقبل الحذف ولا النسخ ولا التعطيل، ولا يُسمح بالاعتداء عليها، ولا يجوز التنازل عنها. ولقد شرع الإسلام – منذ أربعة عشر قرناً – "حقوق الإنسان" في شمول وعمق، وأحاطها بضمانات كافية لحمايتها، وصاغ مجتمعه على أصول ومبادئ تمكِّن هذه الحقوق وتدعمها.

والإسلام هو خاتم رسالات السماء، التي أوحى بها رب العالمين إلى رسله – عليهم السلام – ليبلغوها للناس، هدايةً وتوجيهاً، ليكفل لهم حياة طيبة كريمة، يسودها الحق والخير والعدل والسلام.

ويمكن تلخيص نظرة النحوي لحقوق الإنسان في أمرين اثنين:

الأمر الأول: منهاج الله هو مصدر حقوق الإنسان:

حقوق الإنسان تضرب جذورها عميقاً في الدين، بل هي جزء من رسالة المرسلين، رسالة محمد ﷺ، فمسيرة حقوق الإنسان التي أرساها النبي ﷺ هي اللبنة التي أتمت بناء هذه المنظومة الربانية بعد أن بدأ بناءها الأنبياء والمرسلون جميعًا.

يقول النحوي –رحمه الله–: "أعتقد أن هناك خطأً يقع فيه الكثيرون عندما يتحدثون عن حقوق الإنسان في الإسلام، كثير منهم يحصر الموضوع بخاتم النبيين وحده دون أي إشارة إلى الأنبياء والمرسلين قبله، وإلى دورهم في التاريخ البشري، ولمعرفة هذا الدور العظيم يكفينا ما جاء

في حديث الرسول ﷺ: "**مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**"[1]".[2]

إن أعظم حق للإنسان أن يُحفظ له دينه وتصلح حياته وآخرته، وأن تبعده عن كل ما يفسد عقيدته ومعاشه، وأن يحافظ على حقوق أخيه الإنسان، فلا يظلمه ولا يأخذ منه حقه، فيعيش الجميع في سلام وأمان، يتعاون الجميع فيما بينهم دون صدام أو تناقض، وهذا هو محض هدف إرسال الرسل منذ آدم عليه السلام إلى محمدﷺ، وهل بُعث الأنبياء إلا لإصلاح الدين والدنيا؟!

ثم إن الله هو الذي خلق البشر بعلمه وقدرته فهو يعلم حالهم وما يصلحهم ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ (الملك: 14).

يقول عدنان النحوي –رحمه الله–: "هكذا أخذت حقوق الإنسان صورتها المتكاملة وخصائصها المفصلة وتشريعاتها العملية التطبيقية، نابعة من مصدر واحد، من عند الله، ومن خلال رسالاته لأنبيائه ورسله الذين خُتموا بمحمد ﷺ، فلم يعد لأحد من البشر أن يدعي أنه هو الذي وضع للإنسان حقوقه، ولا لأمة من الأمم أن تدعي ذلك... ومن هنا كان الاختلاف الأول بين التصور الإسلامي لحقوق الإنسان وبين التصور الغربي".[3]

وظلت هذه الأمانة، أمانة نشر حقوق الإنسان الإلهية في أعناق أتباع الأنبياء عليهم السلام، وأمانة في أعناق كل المسلمين، ليقوموا بتبليغ دين الله ليعلو على كل عالٍ، ويسكت كل متكلم، ويضبط كل منفلت، ويرد كل شارد، وينصر كل مظلوم، ويردع كل ظالم، هذه الأمانة التي ترد لكل ذي حق حقه، فالقوي عندنا – نحن المسلمين – ضعيف حتى نأخذ الحق منه، والضعيف قوي حتى نأخذ الحق له.

"يا رسول الهدى! حملت ... الناس سلامًا يرعاهم لدين

ودفعت الرأس ورعشة خوف ... فاطمأنت إلى الوفاء العهود

أنت أرجعت لابن آدم حقًا ... كم أضاعته فتنة وجحود

(1) صحيح البخاري – كتاب المناقب – باب خاتم النبيين ﷺ – 186/4 – حديث رقم 3535، صحيح مسلم – كتاب الفضائل – باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين – 1791/4– حديث رقم 2286.

(2) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 209.

(3) المصدر السابق، ص:261.

إنها منحة من الله حق لم تشرعه عصبة وعبيد"[1]

فحقوق الإنسان ليست وثيقة تكتب ولا مؤتمراً يعقد، فهذا انتقاص لحقها، وبتر لها عن أصلها، وإذا أردنا وثيقة لحقوق الإنسان يجب أن نستعرض منهاج الله كله كتابًا وسنة، ففيه البيان والوثيقة الأوفى، بدون نقص في البنود أو خلل في الصياغة.

يقول النحوي: "إن البيان الأوفى والأعلى لحقوق الإنسان هو منهاج الله كاملًا كما أنزل على محمد ﷺ، وإنه البيان الحق الكامل الذي يجب أن ندعو إليه دون تفريق بين أجزائه، إنه الدعوة الإسلامية التي يجب ألا تتوقف".[2]

إذًا من خصائص حقوق الإنسان أنها تنبثق من منهاج الله، من العقيدة الإسلامية، فهي ثابتة لا تتغير بتغير الدساتير ولا تحكمها أهواء الطامعين.

"حقوق الإنسان في الإسلام تنبثق من العقيدة الإسلامية، فالإنسان في عقيدة الإسلام من أفضل خلق الله جل وعلا، وأكرمهم قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾(الإسراء : 70).[3]

نعم، جاءت حقوق الإنسان في الإسلام من الإسلام نفسه، لم تقرها سياسة أو علم اجتماع ولا بعد تطور طويل، واتفاقيات متعاقبة.

"إن أي حق للإنسان في الإسلام باعتباره آدميًا، إنما يكون نتيجة لما تقرر في الأحكام الشرعية، التي وردت في القرآن والسنة النبوية، ليست نتيجة تطور اجتماعي أو سياسي، كما هو الحال في الفكر الغربي، الذي بدأ يعرف ما يُسمى بحقوق الإنسان في العصر الحديث، بعد تطور طويل، ونمو في الدراسات القانونية والاجتماعية والسياسية"[4]

الأمر الثاني: شمولية النظرة الإسلامية لحقوق الإنسان:

الإسلام ينظر إلى حقوق الإنسان نظرة ممتدة ومترابطة ومتناسقة مع كل الأحوال والظروف، ومع كل العصور والأزمنة، ومع كل الأقطار والأجناس والأعراق، نظرة عادلة دقيقة متوازنة على أسس ربانية.

---

(1) درة الأقصى: عدنان النحوي – دار النحوي للطباعة والنشر – السعودية – الطبعة الأولى – 1422هـ – 2001م، ص:43.

(2) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 265.

(3) حقوق الإنسان في الإسلام والرد على الشبهات المثارة، ص: 53.

(4) حقوق الإنسان في الإسلام، ص:24.

يقول النحوي –رحمه الله–: "إن حقوق الإنسان تأخذ امتدادها وشمولها في الإسلام من القاعدة الربانية الأولى، قاعدة الإيمان والتوحيد، كما بينها الحديث الشريف: "**يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ؟، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُم**". [1]

من هذا التصور، ومن هذه القاعدة الربانية تنطلق حقوق الإنسان وتنطلق مسؤولياته وتترابط الحقوق والمسؤوليات بذلك... فهي تدخل في أعمال الإنسان وأعماق مصالحه الطاهرة في الدنيا كما شرع الله له".[2]

ولا يقف امتداد حقوق الإنسان في الإسلام عند هذا الحد، بل ترافقه في جميع مراحل حياته، من مولده إلى مماته، تحفظ في هذه المسيرة الطويلة كرامته وحقه في أن يعيش عيشة هنية، لا يعدو عليها ظالم ولا ينتهكها غشوم!!

يقول النحوي –رحمه الله–: "وتمتد نظرة الإسلام إلى الإنسان في جميع مراحل حياته، ويقرر لكل مرحلة حقوقها ومسؤولياتها، فالإسلام يقرر حق رعاية الجنين، والرضيع والفطيم والصبي والفتى والرجل والشيخ الهرم، وتمتد هذه الحقوق إلى الميت".[3]

هذا فيما يخص الامتداد الأفقي للحياة، أما بالنسبة للامتداد الرأسي ويقصد به: حقوق الإنسان ومسؤولياته من الأمير إلى الحقير، فقد ضبطها الإسلام أيما ضبط، فللأمير حق وعليه واجبات، وكذلك للخادم حق وعليه واجبات.

يقول النحوي – رحمه الله–: "ويمتد الشمول والاتساع إلى جميع مستويات الأمة ابتداءً من ولي الأمر، إلى العلماء حتى الخادم والمولى، لذا تجد أن من الموالي في الإسلام من بلغ منزلة من العلم عالية، رفعته في الأمة وتاريخها، فنافع مولى عبد الله بن عمر ﷺ كان من رواة حديث رسول الله ﷺ، الذي تأخذ الأمة عنهم دينها... وامتدت لتشمل الحقوق للأرحام، وللمرأة والأسرة، ولجميع الروابط الإيمانية".[4]

---

(1) صحيح البخاري – كتاب التوحيد – باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى – 114/9 – حديث رقم 7373، صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار – 59/1– حديث رقم 30.

(2) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص:278.

(3) المصدر السابق، ص: 288.

(4) المصدر السابق، ص: 289 .

وامتدت نظرة الإسلام الشمولية إلى حقوق الإنسان لتشمل جميع الطوائف والديانات، فأوجب دعوة أهل الكتاب والمشركين، وجادلهم بالتي هي أحسن، وحرص على إنقاذهم من النار رحمة بهم، وحفظ عهودهم ومعاهداتهم، ولم يلزم أحدًا في الدخول فيه إلا بعد إقامة الحجة عليه ممثلة بالدعوة، فإن أبوا فالعلاج الكي رأفة بهم وشفقة عليهم.

يقول النحوي –رحمه الله–: "أما بالنسبة للكافرين والمشركين فقد جادلهم الإسلام أدق جدال، ورد عليهم أعدل رد من خلال دعوتهم، وجاء الإسلام بمهمة سامية هي إنقاذ الإنسان من فتنة الدنيا وعذاب الآخرة... لذلك كان للكافر الحق أن يُدعى إلى الإسلام دعوة واضحة صريحة... وأما بالنسبة لأهل الكتاب فقد جعل لهم وضعًا مختلفًا من الحقوق– وإن كانوا من حيث المعتقد كافرين – لأنهم أصحاب كتاب أنزل من عند الله، وأتباع رسل بعثهم الله برسالته، فلا يخونوا ولا يغدروا".[(1)]

ولله در ابن القيم إذ يقرر أن رسالة محمد ﷺ نالت كرامتها الجميع، المسلم والكافر والكتابي وجميع أهل الأرض.

"إن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته؛ أما أتباعه فنالوا به كرامة الدنيا والآخرة، وأما أعداؤه فالمحاربون له عُجِّل قتلُهم وموتُهم خير لهم من حياتهم؛ لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة، وهم قد كتب عليهم الشقاء، فتعجيل موتهم خيرٌ لهم من طول أعمارهم في الكفر، وأما المعاهدون له فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته، وهم أقل شرًا بذلك العهد من المحاربين له، وأما المنافقون فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهليهم، واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره، وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه وتعالى رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض، فأصاب كل العالمين النفع برسالته"[(2)]

ويعدد النحوي –رحمه الله–: "أهمَّ الحقوق التي أعطاها الإسلام للإنسان والتي منها:

1– حق الإنسان في احترام إنسانيته في الحدود التي رسمها منهاج الله.

2– حق الإنسان في حماية فطرته التي فطره الله عليها ورعايتها.

3– حق الإنسان في حفظ الحياة الكريمة وأمنها على ضوء ما شرع الله سبحانه وتعالى.

4– حق العمل والسعي في طلب الرزق، وحقه في حالة العجز أو عدم توافر العمل تأمين حاجاته الأساسية.

---

(1) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 292–293.

(2) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: ابن قيم الجوزية – تحقيق: شعيب الأرناؤوط – دار العروبة – الكويت – الطبعة الثانية – 1407هـ – 1987م، ص: 181.

5- حق التعليم وأساسه المنهاج الرباني.

6- حق حرية التفكير والفكر والرأي وحدود ذلك.

7- حق حماية الكلمة والفكر وأمانتها.

8- حق الحرية وحدودها.

9- حق المساواة وحدودها.

10- حق العدالة.[1]

ومن المفيد هنا ضرب مثالين مفصلين من حقوق الإنسان في الإسلام كما يراهما النحوي:

1- المثال الأول: الحق في حفظ الحياة الكريمة وأمنها:

فالله هو واهب الحياة وهو قابضها، وهو الذي حرَّم أن تقبض إلا بما حده الله، فكان الحفاظ عليها من الضرورات الخمس في الدين، فأمر باحترام حياة الآخرين، وجعل التعدي عليها من ورطات الأمور.

لكن الإسلام لا يحترم أي حياة، إنه يحترم الحياة الطاهرة الصالحة، لا حياة الفتنة والفجور والظلم والعدوان، وهذا فيه افتراق كبير بين الإسلام والقوانين الوضعية في النظرة إلى كرامة حياة الإنسان وحفظها.

قال تعالى: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ (الأنعام : 122).

وقال ﷺ: " **مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**".[2]

يقول النحوي – رحمه الله :" إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ووهبه الحياة، فالله هو واهب الحياة وهو الذي يقبضها، وأمر عباده بحفظ حياتهم على النحو الذي أمر به، فأحل أشياءَ وحرم أشياء رعاية لحياة الإنسان وحفظاً لها، وبعث الله الأنبياء والرسل الذين ختموا بمحمد ﷺ وبالكتاب المبين مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه، منهاجاً ربانياً يرسم النهج الحق في حياة كريمة، عزيزة غنية بالعطاء، على درب ممتد للآخرة".[3]

---

(1) انظر: المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 327.

(2) رواه البخاري – كتاب الدعوات – باب فضل ذكر الله عز وجل – 86/8 – حديث رقم 6407.

(3) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص:332.

ويقول النحوي -رحمه الله-: "الإسلام يحترم الحياة للإنسان، لتكون الحياة الدنيا فرصة لأداء رسالته وأمانته التي كلفه الله بها، ولتكون ممرًا إلى الدار الآخرة، لذلك جاء التشريع من عند الله تأكيدًا على احترام حق الحياة، وتنظيمًا لهذه الحياة، وإلا فما قيمة احترام حق الحياة للإنسان إذا لم يصاحب الاحترام تشريع عادل للحياة وتنظيم لها".[1]

فحياة المؤمن غالية عند الله سبحانه وتعالى؛ لأنه يحمل رسالة ربانية يدعو الناس لها، حيث يسعى جهده بدعوة الناس لينقذهم من فتنة الدنيا وعذاب النار في الآخرة، إنه أعظم عمل في حياة البشرية وأعظم قانون وأجلُّ حق.

يا له من تكريم لحياة المؤمن حين يقول الله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**﴾ (النساء : 93).

يا له من وعيد لمنتهكي حرمة حياة الإنسان حين يقول محمد ﷺ: " **لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ**".[2]

أما عن أمن الحياة للإنسان يقول النحوي: "وأما الأمن فإنه ينبع أولًا من داخل الإنسان المؤمن، من إيمانه ويقينه، وإيمانه الذي يحوطه بالنور، ويدفعه إلى سبيل الهدى والعمل الصالح، لا يقترف إثمًا ولا يقوم بظلم ولا يشرك بالله شيئًا".[3]

وصدق الله إذ يقول: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾(الأنعام : 82)

2- المثال الثاني: حق الحرية وحدودها:

وهذه هي القضية التي شُغل الناس بها على مر العصور، الحجة التي قامت لأجلها الثورات والتغييرات على مر التاريخ، فادعى الغرب أنه هو الذي نادى بها أولًا، وانتفض وثار في سبيلها، ونسي أن كل الأنبياء والمرسلين قبله جاءوا بهذا الحق.

يقول النحوي: "أول من أطلق هذا الحق -يقصد الحرية- هو الإسلام الذي جاء به الأنبياء والمرسلون الذي ختموا بمحمد ﷺ، وبرسالته الجامعة الخاتمة المصدقة لما بين يديها من الكتاب ومهيمنة عليه"[4]

(1) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية ، ص: 333.

(2) رواه ابن ماجة – كتاب الديات – باب التغليظ في قتل مسلم ظلماً– 874/2 – حديث رقم 2619، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم/ 5078.

(3) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 335.

(4) المصدر السابق، ص: 356.

فأي حرية تتعدى أو تضاهي حرية أن ينطلق الإنسان ويتحرر من عبادة صنم من الحجر أو الشجر، أو السجود لنار تأجج أو التبرك ببول بقرة لها خوار، أو حتى التمسح بفضلات فأر وغيرها، إنها العبودية في أذل وأحقر صورها، إنها سلب حرية الإنسان في أبشع مقاماتها، إنها الإصابة الأخطر في حياة بني آدم، عندما تُنحى أعظم جوهرة وهبها الله للإنسان، جوهرة العقل التي هي مناط التكليف، والتي بدونها ينزل من مكانته العالية السامقة إلى مستوى الحيوانات التي لا عقل لها.

لذا يرى النحوي أن قضية الحرية ترتبط بحقوق أخرى، لا تنفك عنها ولا تقوم بدونها، بل هي أساسها التي تقام عليه فيقول: "إن قضية الحرية وأهميتها تبرز حين ندرك ارتباطها بقضايا كبيرة في حياة الإنسان، إنها ترتبط بمعنى العدالة وممارستها، وترتبط بمعنى المساواة وحدودها، وترتبط بالأمن معنى وتطبيقًا، ترتبط بالإخاء وتصوره وقواعده".[1]

وكذلك فإن الحرية مرتبطة ارتباطًا تامًا بقضية الإيمان والتوحيد، ومغروسة في الفطرة السليمة، تنبع من تحرير الإنسان من كل قيود العقائد الفاسدة، وتوحد نظرته للعبادة من خلال منهاج واحد هو منهاج الله سبحانه، وأيضًا لا تنفلت هذه الحرية من القيود والمسؤوليات التي سيحاسب الإنسان عنها يومًا.

يقول –رحمه الله–: "الحرية الحقيقية الطاهرة الصادقة مرتبطة كل الارتباط بالإيمان والتوحيد، وأسسها مغروسة في فطرة الإنسان، فطرته السوية التي فطر الله الناس عليها إذا لم تنحرف أو تشوه أو تفسد، ولذلك فلا حرية في نظر الإسلام دون مسؤولية وحساب، فحين يعطي الله سبحانه وتعالى حرية الاختيار للإنسان، ويوفر له أسباب ممارستها فإنه لا يتركه مع حريته هذه متفلتًا من مسؤولية اختياره، بل يجعل الله لكل اختيار يمضي إليه الإنسان نتيجة جلية وجزاءً عادلاً لا يستطيع أن يفرَّ منه أبدًا"[2]

ويرى الباحث أن الإنسان في المفهوم الإسلامي أكرم الكائنات وأشرفها، ومن أجله سخر الله له ما في السموات والأرض، ومنحه نعمة العقل والتفكير والتدبر، ومن آثار تلك الكرامة وكدليل عليها أن جعل قيمة حياة الإنسان تتساوى مع حياة النوع البشري كله واستمراره قال تعالى: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً**﴾(المائدة : 32).

(1) التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتماء الصادق إلى الإسلام: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1417 هـ – 1997 م، ص: 146.

(2) انظر: التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتماء الصادق إلى الإسلام، ص: 148–150.

ومنع من تعذيب الإنسان والاعتداء عليه ماديًا ومعنويًا، وحفظه أيضًا بعد وفاته من التمثيل بجثته، ولو في خضم المعارك، ولم يقم الإسلام حربًا على الإنسان إلا لأجل إحقاق الحق ودفاعًا عنه وبعد الإنذار والإعلان، ولم يشرع القتال لغنيمة أو تعصب قبلي أو قومي، ومنع من قتل غير المحاربين من النساء والأطفال وكبار السن والمنقطعين للعبادة.

قال رسول الله ﷺ للجيوش المنطلقة من المدينة المنورة:" **انْطَلِقُوا بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ تُقَاتِلُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلَا طِفْلًا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا تَغُلُّوا**".[1]

(1) مصنف أبي شيبة – كتاب السير – باب من ينهى عن قتله في دار الحرب – 483/6 – حديث رقم 33118. والحديث ضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، رقم/ 1346.



المبحث الرابع

نظرة النحوي إلى حوار الأديان

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم حوار الأديان.

المطلب الثاني: نظرة النحوي إلى حوار الأديان.

المطلب الأول
مفهوم حوار الأديان

مقدمة:

خلق الله آدم ﷺ، وندبه وذريته من بعده إلى عمارة الأرض بمنهج الله، ودعاهم تبارك وتعالى إلى التمسك بهديه الذي أرسل به أنبياءه، وشاء الله بحكمته البالغة أن يختلف البشر في اتباعهم لأنبياء الله ورسله، فمنهم شقي وسعيد، وأرسل الله الأنبياء يقيمون حجته على خلقه، يدعونهم إلى دين الله الذي ارتضاه لخلقه ديناً ليكونوا من السعداء، ويحذرونهم من عصيان أمره حتى لا يكونوا من الأشقياء، ولكن إرسالهم لن يمنع تحقق ما قد سبق في علم الله، فإن أكثر الناس لا يؤمنون.

وحين يعرض الناس عن دعوة الله ولا يؤمنون بها، فإن المسلم لا يتوقف عن التفاعل مع الآخرين اجتماعياً وحضارياً، ومن هذا التفاعل الحوار مع أصحاب الأديان والملل الأخرى، وهو مصطلح لم يعرفه الأولون لكنه على الألسنة اليوم، فوجب بيان معناه وحكمه، لذا سينتظم الحديث عن هذا الموضوع في النقاط التالية:

أولاً: التعريف اللغوي والاصطلاحي للحوار:

معنى الحوار في اللغة:

مراجعة الكلام وتداوله، والمحاورة: المجادلة، والتحاور: التجاوب، وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام. ومنه قولهم: لم يحر جواباً أي: لم يرد ولم يرجع الجواب. فمرجع الحوار التخاطب والكلام المتبادل بين اثنين فأكثر.[1]

معنى الحوار في الاصطلاح:

مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر دون وجود خصومة بينهم بالضرورة.[2] أو هو "مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلامٍ، وإظهار حجَّةٍ، وإثبات حقٍ، ودفع شبهةٍ، وردُّ الفاسد من القول والرأي".[3]

---

(1) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، 117/2، والقاموس المحيط، للفيروزابادي، مادة (حور).

(2) انظر: الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه: أحمد بن سيف الدين تركستاني – الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية – بدون بيانات، ص: 9.

(3) الحوار مع أتباع الأديان – مشروعيته وآدابه: منقذ بن محمود السقار – رابطة العالم الإسلامي – بدون بيانات، ص: 8.

فمقصود الحوار بمعناه العام هو التفهيم والإرشاد والدلالة إلى الحق، وذلك بأسلوب الإقناع وإقامة الحجة، من غير أن يكون بين الطرفين تشاحن ولا تباغض، وربما ينتهي الطرفان إلى الوصول إلى نقاط مشتركة بينهما فيتعاونان في المشترك ويسكت الجميع عن المختلف فيه.

ثانياً: حتمية اختلاف الناس في الدين:

إنَّ اختلاف الناس في أديانهم وعقائدهم سنة قدرها وقضاها رب العالمين لحكمة عظيمة وغاية جليلة وهي الابتلاء والاختبار. يقول تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾ (هود: 118–119) والمراد بالاختلاف هنا: الاختلاف في الدين[1] وليس في الألوان والأذواق واللغات ونحوها.

قال ابن كثير : "﴿ **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ** ﴾ أي: ولا يزال الخُلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم ... قال الحسن البصري: الناس مختلفون على أديان شتى. ﴿ **إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ** ﴾ فمن رحم ربك غير مختلف".[2]

ويقول الفخر الرازي: " والمراد اختلاف الناس في الأديان والأخلاق والأفعال".[3]

وأعمق خلاف بين الأديان هو الخلاف الواقع بين المسلمين وأهل الكتاب (اليهود والنصارى) على وجه الخصوص، فمنذ أن حاربهم رسول الله ﷺ وأصحابه وإلى آخر الزمان عندما ينزل عيسى عليه السلام، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويحكم بشريعة محمد ﷺ، والخلاف مستمر والصراع محتدم بأساليب متنوعة وطرق متباينة.

لذا فإن " فكرة الحوار بين الأديان منشؤها الأصلي من الكنيسة الكاثوليكيّة وأكثر جمعيات الحوار ومؤتمراته منها، وهذا في حدِّ ذاته مؤشرٌ للأهداف الخبيثة فيه. ومع كثرة المؤتمرات واللقاءات المعقودة في هذا الشأن إلا أنها لم تفد شيئاً يذكر في مجال التقارب الحقيقي و بناء أعمال مؤسسية لهذا الغرض. فبعد مفاوضات ماراثونية طويلة ومملّة لم يتوصل الإسلاميون المشاركون فيها إلى اعتراف النصارى بأن محمداً ﷺ نبيٌ من الأنبياء، وله رسالة صحيحة كغيره من الأنبياء".[4]

---

(1) انظر: تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – دار الحديث – مصر – الطبعة الأولى – بدون سنة تأليف، ص: 482.

(2) تفسير القرآن العظيم، 466/2.

(3) تفسير الرازي، 76/18.

(4) الحوار بين الأديان (حقيقته وأنواعه): عبد الرحيم بن صمايل السلمي. بدون بيانات، ص: 2.

ثالثاً: مشروعية الحوار بين الأديان:

الأصل الشرعي في الحوار مع أهل الأديان: الدعوة إلى الله وبيان الحق ورد الباطل بالأدلة الصحيحة، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت: 33)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِين ﴾ (يوسف: 18).

وهذا الأصل الشرعي مأخوذٌ من بيان الله تعالى لدعوة الرسل الكرام لأقوامهم، وقد كان أقوامهم على أديان مختلفة ومتباينة، يقول تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت﴾ (النحل: 36)، وكل نبيٍ يبعثه الله لقومٍ يقول لهم ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (الأعراف: 59).

"ومن خلال تتبع الآيات والأحاديث المبينة لحوار الأنبياء والرسل مع أقوامهم نجد أنها دعوة وبيان للحق وكشف للباطل وبيان لضرره في الدنيا والآخرة، ولم نجد شيئاً يدل على محاولة القرب من الأديان أو العمل معهم في القضايا المشتركة والبعد عن نقاط الخلاف لا سيما العقائد كما هو حال أكثر مؤتمرات الحوار اليوم، فليس في المنهج الرباني تحاور مع الأديان بمعنى التقارب فضلاً عن الوحدة، بل هو دعوة ومجادلة وبيان للحق".[1]

والمتتبع للآيات والأحاديث التي تناولت أشكال الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب يراها مرتبة ومتدرجة على النحو التالي:[2]

1- مرتبة الدعوة.

وهي أهم أنواع الحوار وأعظمها، حيث عمد أنبياء الله وورثتُهم من العلماء والدعاة إلى حوار الكافرين بغية تعريفهم بدين الله وإنقاذهم به، فالحوار الدعوي أحد أعظم وسائل الدعوة إلى الإسلام، حيث يعمد المحاور المؤمن إلى تبيان مبادئ الإسلام وفضائله ويوضح لمحاوريه ما أعده الله للمؤمنين به من عظيم الأجر وحسن المثوبة، وما توعد به الكافرين من أليم عذابه وعقابه.

---

(1) الحوار بين الأديان (حقيقته وأنواعه)، ص: 2.

(2) انظر: كتاب: رؤية شرعية في الجدال والحوار مع أهل الكتاب: الشريف محمد بن حسين الصمداني – الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية – بدون بيانات، ص: 26، وكتاب: الحوار مع أتباع الأديان – مشروعيته وآدابه: منقذ بن محمود السقار – رابطة العالم الإسلامي – بدون بيانات، ص: 25، وكتاب: دعوة التقريب بين الأديان: أحمد بن عبد الرحمن القاضي – دار ابن الجوزي – السعودية – الطبعة الأولى – 1421هـ، ص: 1543، وكتاب: الحوار بين الأديان (حقيقته وأنواعه)، ص: 8.

يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شيئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 64).

"هذه الآية الكريمة تعتبر نصاً في موضوع الحوار ولا يمكن أن يتجاوزها من أراد معرفة حكم الله تعالى في الحوار بين الأديان، وقد بين مدلول الحوار في هذه الآية رسول الله ﷺ في خطابه المرسل إلى هرقل، وهو يتضمن الدعوة إلى الإسلام لا التقريب بين دينهم ودين الإسلام، يقول ﷺ: " مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ[1]"، ثم قرأ الآية السابقة.[2]

يتضح من الآية تحديد موضوع الحوار، وهو إفراد الله تعالى بالعبادة وترك الشرك، ولهذا فسَّر الصحابة ومن بعدهم (الكلمة السواء) في الآية بـ (لا إله إلا الله).[3]

يقول الدكتور عدنان النحوي – رحمه الله:" إنَّ الله يريد أن تكون دعوته واضحة جليّة، وأن نُبلّغها كما أُنزلت على محمد ﷺ، وليست دعوة إلى التقارب مع "الآخر" فأيّ تقارب بين التوحيد والشرك؟ فلا بدَّ من أن نؤكِّد أنَّ أساس العلاقات هو الدعوة إلى الإسلام".[4]

2- مرتبة المجادلة.

مع ورود آيات كثيرة في النهي عن الجدال وذمه كقوله تعالى: ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ (غافر: 5)، إلاَّ أن ثمة آيات أخرى تأمر بالجدال كقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: 125).

---

(1) المقصود بالأريسيين الأعوان والخدم. انظر: فيض الباري على صحيح البخاري: محمد أنور شاه الديوبندي – تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي – دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة الأولى – 1426 هـ – 2005 م، 116/1.

(2) رواه البخاري – كتاب الجهاد والسير – باب بَابُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الإِسْلاَمِ وَالنُّبُوَّةِ، وَأَنْ لاَ يَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ– 45/4 – رقم / 2940.

(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، 483/6، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن الموسوم ب (تفسير البغوي)، 49/2، تفسير القرآن العظيم، 56/2.

(4) الحوار مع الآخر، عدنان النحوي، 2015/9/13،

http://consult.islamweb.net/ramadan/index.php?page=article&lang=A&id=152435

"والجمع بينهما هو أن الجدال المذموم هو الجدال بالباطل لنصرته، والجدال المحمود هو الجدال لنصرة الحق وإقامة الدليل عليه"[1]، وقد أمر الله تعالى بمجادلة أهل الكتاب بالأسلوب الحسن في قوله تعالى : ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت:46).

3- مرتبة المباهلة.

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ونساءنا ونساءكم وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: 61).

فقوله: ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾ أي: "نتداعى باللعن، يقال عليه بَهْلة الله وبُهْلَته أي لعنته"[2]، والابتهال هنا أي: التضرع في الدعاء باللعن[3]. وهذه الرتبة في الحوار مع أهل الأديان إنما تكون لمن يجادل بالباطل، أو اتضح له الحق وقامت عليه الحجة وأعرض عنها.

يقول ابن القيم – رحمه الله – في فقه قصة وفد نجران: "ومنها: أن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله، ولم يرجعوا بل أصروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك".[4]

4- مرتبة المفاصلة والبراءة.

المفاصلة والبراءة بين المسلمين والكفار بكل أصنافهم ثابتة قبل الحوار، ولكن المراد بها هنا نوع خاص هو بمنزلة البيان الختامي للحوار الذي يتولى ويعرض فيه المحاور عن الحق، كما قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: من الآية 64)، ويقول تعالى : ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة: 137).

---

(1) الحوار بين الأديان (حقيقته وأنواعه)، ص: 11.

(2) غريب القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة – تحقيق: أحمد صقر – دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة الأولى- 1398 هـ - 1978م، ص: 106.

(3) انظر: تفسير الجلالين، ص: 127.

(4) زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية – مؤسسة الرسالة – لبنان – الطبعة السابعة والعشرون – 1415هـ - 1994م، 3 / 623 .

"وبهذا يتبين أنه بعد الدعوة والبيان التام وكشف الشبهة وإقامة الحجة فإن المحاور يتحدد موقفه: إما الإسلام، وإما التولي، وحينئذٍ فلابد من الحجة والإعلان والإشهاد بعد المحاورات والمفاوضات المنتهية بالتولي والإعراض: بأنَّا مسلمون، ومن سوانا ليسوا كذلك".[1]

رابعاً: موقف الإسلام من فكرة حوار الأديان.

إنّ من أهم الأهداف للحوار بين الأديان بالمفهوم السائد اليوم هو التقريب بين الأديان، ومن المعلوم أن هذا الهدف لا يتفق وفكرة الدعوة إلى الإسلام على أساس أنّ الإسلام هو الدين الصحيح، وأنّه هو الدين المهيمن على سواه من الأديان، قال تعالى :﴿ **وَأَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّـمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ (المائدة : 48).

فلا يجوز الحوار للتقارب بين الأديان، بحيث تؤخذ الشؤون المتفق عليها، وتُترَك المسائل الخلافية، لإيجاد قاسم مشترك يتعايش الكل عليه، مع غض الطرف عن الخلافات، فهذا خروج عن الإسلام الصحيح، فلا يجوز التنازل عن شيء من الإسلام قلَّ أم كثر، قال تعالى: ﴿ **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَآ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ** ﴾ (المائدة : 49).

وحوار التقريب بين الأديان مخالف لأصول الدين، ومخالف لمنهج النبي ﷺ، ومخالف لإجماع الأمة الإسلامية، وذلك للأسباب التالية:

1- إن حوار التقريب بين الأديان هو موالاة للكفار ومخالفة لعقيدة الولاء والبراء، يقول تعالى: ﴿**يآ أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا لا تَتّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْـمَوَدّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ**﴾ (الممتحنة:1)، والمودة والموالاة في حوار الأديان هو الشعار البارز الذي يردد في اللقاءات والبيانات المشتركة.

2- إن حوار التقريب مناقض لهدي الرسول ﷺ وأصحابه وعلماء الأمة؛ لأن أصحاب التقارب يتركون نقاط الخلاف، ولاسيما مسائل العقائد، وهذه مناقضة لمنهج الدعوة النبوية؛ فإن رسول الله ﷺ دعا أهل الكتاب وغيرهم من أهل الأديان إلى تحقيق التوحيد ونبذ الشرك وجادلهم على ذلك، ولم يترك النبي ﷺ المخاطبة في العقائد، ولم يُعرض عن ذلك إلى قضايا مشتركة أخرى.

---

(1) دعوة التقريب بين الأديان: أحمد بن عبد الرحمن القاضي – دار ابن الجوزي – السعودية – الطبعة الأولى – 1421هـ، 1577/4.

3- إن هذا الحوار هو في الحقيقة مساواة بين الأديان، وعدم قبول الحقيقة المطلقة لأي منها، وهذا شك في الإيمان والإسلام، وتوسط بين الأديان.

4- ومن خلال تتبع الآيات والأحاديث المبينة لحوار الأنبياء والرسل مع أقوامهم لا نجد شيئاً يدل على محاولة القرب من الأديان أو العمل معهم في القضايا المشتركة والبعد عن نقاط الخلاف، لا سيما العقائد، بل نجد محاولة من المشركين للتقارب معهم، ولكنه قد رفض هذه المحاولة الباطلة الأنبياءُ الكرام كما حدث في عرض كفار قريش التقارب من الإسلام.[1]

إذاً، فكرة الحوار بين الأديان في حقيقتها دعوة كفر واتفاق معه، وهل الدين عند الله إلا الإسلام العظيم؟ وهل بعد الهدى إلا الضلال؟ والداعون إلى هذا إما أنه نقص علمهم وضاق عطنهم وساء فهمهم، وإما أنهم منتفعون من هذه المائدة الزاخرة بأنواع الملذات، وهم بين شرَّين مستطيرين: إما الإقرار بما عليه الكفار من معتقد، وهذا مخالف مخالفة واضحة لما نص عليه الكتاب والسنة،بل هو كفر مخرج من الملة، وإما إبقاء الكل على دينه مع الإقرار بكفر الآخر، وهذا كفر أيضاً؛ لأن فيه تعطيل الجهاد في سبيل الله سبحانه لتعبيد الناس له جل وعلا، ولا شك أن من أنكر الجهاد في سبيل الله فقد أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة.

(1) انظر: الحوار بين الأديان في ضوء القرآن، محمد قمر الدين القاسمي، 2015/9/19م،
http://www.darululoom-deoband.com/arabic/magazine/tmp/1404107866fix4sub7file.htm#_edn1

المطلب الثاني
نظرة النحوي إلى حوار الأديان

حوار الأديان هو المصطلح المعلب الأنيق الذي ظهر ليتساوى الحق مع الباطل، وليلتقي الكفر مع الإيمان، وللإقرار بالشرك والوثنية المنكرة، ليكون الالتقاء على قواعد مشتركة وسطية تجمع المختلفين، بأن يتنازل أصحاب الحق المطلق عن كثير من حقهم، ويتنازل أهل الباطل المطلق عن بعض ما عندهم من باطل، ولا يهم بعد ذلك ماذا يقرر ربنا سبحانه من عقائد القوم، ولا كيف رسم السبيل للتعامل مع الكافرين، فالكل أخوة في الإنسانية، لهم نفس الحقوق وأولها اختيار الدين، فليعبد من شاء ما شاء بلا إنكار ولا تكفير ولا تفسيق ولا تبديع، فقد التقى الجميع على حرية الدين!!

وتالله إنها محض دعوة العلمانية الخبيثة التي حشرت وحصرت الدين بين جدران دور العبادة – كما يسمونها – وتنحية لدين الله، للإسلام العظيم الحق، الذي كان وما زال وسيبقى رحمة للعالمين، إنه المقصود وعليه مدار هذه المؤامرة، إنها دعوة لتمييع العقيدة في قلوب الجيل، ليصبح الكل حراً في اختيار عقيدته، ولا يهم بعد ذلك إن كان من أهل النار أو من أهل الجنة، فهذا أمر لا دخل لنا فيه.

والخطير أن هذا الفكر مال إليه بعض الدعاة من بني الجلدة، زلت أقدامهم وقصر فهمهم، لا يتهمون بالخبث والتآمر، لكن غاية الكلام فيهم أنهم اجتهدوا فأخطؤوا القول والاستدلال، ووقعوا في المتشابه، لعدم رده للمحكم في الكتاب والسنة، فأبحروا في هذا التيار يدعون له اعتقاداً منهم أنه من باب الدعوة إلى الله سبحانه، ودفاعاً عن الإسلام بأنه يقبل الآخر ولا يلغيه ليعرف الكل سماحة ووسطية الإسلام. وكذلك تبناه بعض المنتفعين ممن خبث قصدهم، فلووا أعناق النصوص، وحمَّلوها ما لا تحتمل لإثبات فكرهم ومخططهم.

ولقد كان الدكتور عدنان النحوي من أكبر المناوئين الرافضين لهذا الفكر الخبيث، ولم يألُ جهداً – رحمه الله – في الرد عليه من خلال كتبه ومقالاته ومقابلاته، فمن الكتب: **حوار الأديان – دعوة أم تقارب أم تنازل، وكتاب: الانحراف، وكتاب: الإسلام والحريّة وحرية المعتقد، وكتاب: وقفات مع كتاب المسلم مواطناً في أوروبا، وغيرها. ومن المقالات : الحوار والتعاون مع الآخر، ومقال: التعددية الدينية، ومقال: حرية العقيدة وحرية الرأي، ومقال: حوار الأديان دعوة وبلاغ أم خلل واضطراب أم فتنة وإنحراف، ومقال: على أي أساس نقاتل و على أي أساس نتعايش.**

هذا، ومن خلال ما تقدم ذكره من كتب ومقالات، يمكن معرفة رأي الدكتور عدنان النحوي – رحمه الله رحمة واسعة – في حوار الأديان في النقاط التالية:

أولاً: مصطلح حوار الأديان لا أصل له في الإسلام:

يرى النحوي بداية أن مصطلح " حوار الأديان " و " حرية الاعتقاد " و "حرية الرأي " لا أصل له لا في القرآن ولا في السنة ولا في كلام السلف الصالح من العلماء، إنما هي مصطلحات زحفت من الغرب العلماني، وذلك نتيجة لعدم فهم الإسلام واعتباره ديناً من الأديان، بعيداً عن قضية الحق والباطل.

يقول – رحمه الله:" أعتقد أنها مصطلحات وافدة من الغرب العلماني الذي يقوم على تصورات خاصة مغايرة للإسلام، ولو رجعنا إلى الكتاب والسنة لا نجد مثل هذه التعبيرات. ولو رجعنا إلى أئمة الإسلام في العصور التي كان يحكم فيها الإسلام لا نجد مثل هذه التعبيرات. لقد جاء الكتاب والسنة في غاية الدقة والوضوح والتفصيل في استعمال التعبيرات والمصطلحات، وتعلَّم أئمة الإسلام هذه الدقة والوضوح فيما يستخدمونه من مصطلحات أو فيما يستحدثونه".(1)

ويؤكد ما ذهب إليه النحوي من أن مصطلح حوار الأديان مصطلح غريب عن البيئة الإسلامية ما ذهب إليه الدكتور عبد الرحيم بن صمايل السلمي من أن فكرة حوار الأديان أصلها الكنيسة الكاثوليكية لا الإسلام، بل إن الإسلام رسم طريقاً مغايراً للتعامل مع أهل الكتب هو نهج الدعوة أو الجهاد، فيقول: " فكرة "الحوار بين الأديان" منشؤها الأصلي من الكنيسة الكاثوليكيّة وأكثر جمعيات الحوار ومؤتمراته منها ... ولم يكن لدى العلماء المسلمين سابقاً في التعامل مع الأديان إلا الدعوة أو الجهاد بحسب الشروط الموضوعية والأحوال المتغيرة في التعامل مع أهل الأديان المختلفة التي واجهوها، ولم يكن هناك ثمة رأي يرى الحوار مع الأديان لتحقيق مصالح مشتركة مع الإهمال الكامل للدعوة وإقامة الحجة وبيان الحق وإبطال الشرك".(2)

ثانياً: خبث مفهوم حوار الأديان:

النصارى هم الذين يلهثون وراء ما يسمى "حوار الأديان"، فهل حقاً قصدوا بذلك الخير؟ الواقع يدل على خلاف ذلك، فهم ما اخترعوا هذه الفكرة إلا لأطماعهم الدنيوية والدينية على حد سواء، فعلوا ذلك تحت تأثير العلمانية والرأسمالية والتبشير والتنصير، والواقع أن النصارى – وبالرغم من المناداة بحوار الأديان والتقارب بينهما – لم يقدموا شيئاً للآخر الذين يريدون التقارب معه.

---

(1) حرية المعتقد وحرية الرأي بين الدقة والوضوح وبين التفلت والغموض، عدنان النحوي، 2015/8/31م، http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=227http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=227

(2) الحوار بين الأديان (حقيقته وأنواعه)، ص: 3.

"إن المتتبع لدعوة التقريب بين الأديان التي أطلقها النصارى في هذا العصر يجد عجباً! فرغم كل البيانات والشعارات والدعوات المنادية بالتقارب، والتي تقتضي – بداهة – أن يتقدم كل جانب نحو الآخر خطوة، إلا أن الواقع يكشف بوضوح أن النصارى لم يحيدوا قيد أنملة عن مواقفهم العقدية الأساسية، حتى ما عُد تحولاً لاهوتياً في تاريخ الكنيسة فسروه تفسيراً أن تكون مهمة الحوار الأخذ بأيديهم إلى الحقيقة الكاملة".(1)

ويقرر النحوي أن النصارى جاؤوا بعدتهم وعتادهم بخطة محكمة ونهج واضح من أجل خلخلة العقيدة في قلوب المسلمين، وتحقيق أطماعهم في ظل غياب النهج والتخطيط المبني على أساس القرآن والسنة في التعامل مع أهل الكتاب فيقول " إن هذه الدعوات تدور وصفوف أهل الكتاب أكثر تماسكاً وصفوف المسلمين أكثر فرقة. وهذه الظاهرة جعلت أهل الكتاب يتعاملون مع المسلمين على أساس من نهج وتخطيط يُغذِّي تعاونهم فيما بينهم لتحقيق أهداف عليا التقوا عليها، ولا يعطّلها اختلاف أطماعهم على الغنائم من ثروات العالم الإسلامي، وفي الوقت نفسه لا يحمل المسلمون نهجاً ولا خطة يلتقون عليها لتحقيق أهدافهم الربَّانيَّة التي تغيب في عجاج الخلاف والشقاق".(2)

ثالثاً: إن الدين عند الله الإسلام:

حوار الأديان يختلف عن أيّ حوار آخر؛ فالله جل وعلا قد بعث الأنبياء والمرسلين – عليهم السلام – بدين واحد هو دين الإسلام، وما عدا ذلك فهي إما وثنيات أو أديان محرّفة عن رسالة الأنبياء والمرسلين الحقة، فكيف يكون الحوار عندئذ؟ وما هي أطراف ذلك الحوار؟ وهل يتحاور الحق الأبلج مع الباطل اللجلج. إن الإسلامَ دعوةٌ إلى عبادة الله الواحد الأحد الذي لا إله إلا هو دون أي صورة من صور الشرك: ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ (آل عمران: 64).

يقول النحوي – رحمه الله:" الحوار مطلوب وضروري لمن كان له قضية يريد أن يدافع عنها ويدعو الناس إليها، فالحوار أول طريق الدعوة وشق السبيل إلى الهدف المحدَّد الثابت على صراط مستقيم. والمسلم صاحب رسالة ودعوة إلى الدين الحق، دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه، فحريٌّ بالمسلم أن ينهض إلى هذا الحوار على هذا الأساس، ثم يمضي على صراط

(1) دعوة التقريب بين الأديان، ص: 1459.

(2) على أي أساس نقاتل وعلى أي أساس نتعايش، عدنان النحوي، 2015/8/31م، http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=215

مستقيم، نِعْمَ الحِوارُ الذي يسعى لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، نِعْمَ الحوارُ الذي يسعى لإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الله العزيز الحكيم، نعم الحوار الذي لا يساوم على دين الله، ولا يتنازل ولا يهون ولا يضعف، ويظل قوّياً صادقاً بإيمانه، جليّاً بكلمته وبيانه، غنيّاً بحجته وسلطانه".[1]

فأنَّى تتساوى صلوات اليهود، وعقد زنار النصارى[2]، وبقر الوثنية في الهند، وكتاب الله! خرافة كبيرة من خرافات العلمانية، وشطحة من شطحاتها الكثيرة، وهي لا تخرج إلا من خيال مريض يظن أنه يتسامح إنسانياً، ولكنها فكرة خطيرة؛ لأنها تصادم سنن الله في الكون والحياة ومنها سنة الصراع بين الحق والباطل، بين الخير والشر. والجمع بين الكل على قدر المساواة هو خبث مركز لهدم الإسلام أو هذيان مقلد لا يدري ما يقول، وإلا فكيف نسوي بين من يعبد الله سبحانه وتعالى وحده وبين من يعبد البقر، أو حرف كتاب الله وقتل أنبياءه، كيف نجمع بين الإيمان والكفر؟

يقول النحوي – رحمه الله:" كيف يعقل أن يكون الرب واحد هو الله الذي لا إله إلا هو، ثم يرسل لعباده ثلاثة أديان متصارعة، فأي دين يتبع الناس؟ وهل هذا يتفق مع رحمة الله وعدله؟ لا يعقل أبداً، ونتيجة الحياة الدنيا إما إلى جنة أو إلى نار، وإذا كانت الديانات الثلاثة توحيدية، فلماذا يدعو القرآن الكريم أهل الكتاب للتوحيد؟"[3]

رابعاً: بطلان فكرة " حوار الأديان " بنصوص الكتاب والسنة:

والحوار بين الإسلام العظيم والنصرانية أو اليهودية، ومحاولة التقارب بين القرآن الكريم المعصوم المحفوظ والإنجيل والتوراة الذيْن تناولتهما الأهواء تحريفاً وتزييفاً ترده نصوص الكتاب والسنة.

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ (آل عمران : 19).

فلا يقبل الله ديناً إلا دين محمد ﷺ، دين الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة السلام، ولو اتبع أهل الكتاب ما هو مكتوب عندهم في كتبهم لما ملكهم إلا أن يدخلوا في دين الله أفواجاً، ولأكلوا من

(1) حوار الأديان دعوة وبلاغ أم خلل واضطراب أم فتنة وانحراف، عدنان النحوي، 2015/8/30م، http://www.alukah.net/sharia/0/63230/

(2) ما يلبسه النصراني يشده على وسطه في طقوسهم. انظر: لسان العرب، 330/4.

(3) ملحمة الإسلام، ص: 88

فوقهم ومن تحت أرجلهم، لكنهم اختلفوا من بعد ما جاءتهم بينات الحق ظلماً وحسداً، فكفروا بآيات الله، فأنى يتقارب كافر من مؤمن؟

وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (آل عمران: 85).

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " **لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ وَلَا يُؤْمِنُ بِي إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**"[1]

يقول النحوي – رحمه الله:" إن القرآن ما أقرّ بالتعددية الدينية، أما مشيئة الله وقدره بأن جعل في الحياة الدنيا مؤمنين ومنافقين وكافرين، فلا يعني أن الله يريد المنافقين والكافرين! كلا! إنما هو ابتلاء من الله لعباده وتمحيص لهم ليميز الخبِيث من الطيب! إنها حكمة لله بالغة، لا تعني أن الله سبحانه وتعالى أقرّ تعدّد الأديان.

ومن ناحية أخرى، فهل يعقل أن الله الواحد الأحد يبعث لعباده أدياناً مختلفة ثم يحاسبهم يوم القيامة؟ فلا من ناحية العقل والتفكير السليم، ولا من ناحية النصوص المحكمة من آيات وأحاديث يمكن أن يكون الإسلام أجاز تعدد الأديان!"[2]

خامساً: المسلمون – فيما بينهم– أولى بالحوار والتقارب:

إن الحوار الأول الذي يدعو إليه النحوي – رحمه الله – هو الحوار بين المسلمين أنفسهم، ليتدارسوا واقعهم وما يحيط بهم من أحداث وما ينزل بهم من نوازل وكوارث، وما يفاجئهم من زحف وكيد ومكر.

لذا يقول:" المسلمون أحق الناس أن يحاوروا أنفسهم قبل أن يحاوروا غيرهم، وأن يقفوا مع أنفسهم وقفة إيمانيّة يردّون فيها واقعهم إلى منهاج الله، عسى أن يكشف الله لهم سبيل الخروج من هذا الظلام، وعسى أن يمنّ عليهم بأسباب النصر والعزّة والمنعة، ويهديهم سبيل الرشاد".[3]

---

(1) رواه أحمد، صحيفة همام بن منبه، 235/8 – وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، رقم/ 157.

(2) التعددية الدينية، عدنان النحوي، 2015/8/30م، http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=810

(3) انظر: حوار الأديان دعوة وبلاغ أم خلل واضطراب أم فتنة وانحراف، عدنان النحوي، 2015/8/30م، http://www.alukah.net/sharia/0/63230/

سادساً: شبهات والرد عليها:

لقد أثار المبهورون بفكرة "حوار الأديان" والمعجبون بها مجموعة أدلة من الكتاب والسنة اعتقدوا أنها تخدم الفكرة وتؤيدها، فأخذوا يروجون لها مستدلين بنصوص الوحي، ونسوا أو تناسوا النصوص التي تعارض فهمهم، ولم يجمعوا النصوص التي وردت في هذه القضية ليكتمل الفهم والمعنى، فغاية ما ذهبوا إليه من فهم أنه من باب المتشابه الذي لا تنجلي عنه الشبهة إلا برده إلى المحكم.

قال تعالى :﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(آل عمران: 7).

ويرد النحوي – يرحمه الله – على مجموعة من الشبه التي أثارها الدعاة المتحمسون لفكرة حوار الأديان، والتي يمكن ذكر بعضها فيما يلي:

الشبهة الأولى: وجود الأديان دليل على إرادة ورضا الله لها:

وهذه الشبهة لا يقولها إلا العوام الذين يحتجون بالقدر، أو تقولها الجبرية الضالة الذين ما استطاعوا أن يفرقوا بين المشيئة والإرادة، وبين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية. فليس كل موجود يعنى أن الله أحبه ورضاه، لكنه شاءه، إذ كل شيء تحت مشيئته، ولا يكون في ملكه – سبحانه – شيء إلا بعد إذنه؛ فهو الذي خلق إبليس – لعنه الله تعالى – وهو أكفر الكافرين وهو قادر على إهلاكه بكلمة " كن "، لكنه ما أحبه، بل أمر المؤمنين أن يتخذوه عدواً، لذا أعلن إبليس المعركة على أولياء الله إلى يوم الدين، وما ذلك كله إلا امتحاناً للناس وتمحيصاً لإيمانهم.

يقول النحوي:" في واقع الحياة أديان مختلفة، أرادها الله لحكمة بالغة عنده، لا لأنه سبحانه وتعالى يرضى بجميع هذه الأديان، ولا لأنه أمرنا بقبولها، ولا لأن لها حقّاً في الوجود ... إنّ الله سبحانه وتعالى عنده دين واحد حقٌّ، بعث به جميع الرسل والأنبياء ليبلغوه لأقوامهم، وللناس كافة برسالة محمد ﷺ، وهذا الدين الحق الواحد هو الإسلام ... فوجود الباطل والجرائم والفواحش والظلم في الأرض كله يتمّ بمشيئة الله قدراً منه على حكمة بالغة، ولكن الله لا يرضى بوجود هذا الباطل والجرائم والفواحش، وإنما هي تظهر لمخالفة العباد أمر الله ربهم ابتلاء منه سبحانه وتعالى وتمحيصاً لعباده. وإن ما نراه من كفر وفتن في الحياة الدنيا، مما لا يأمر به الله ولا يرضاه ولا

يأذن به هو أيضاً من مشيئة الله وقضائه وقدره على حكمة بالغة، والله يأمر عباده المؤمنين أن يرفضوا الكفر والظلم والفاحشة والجرائم وكل أنواع الباطل، وأن يقاوموه ويجاهدوا من أجل إزالته".[1]

الشبهة الثانية: آية ﴿ لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ ﴾ :

عند طرح قضية ما لمعرفة حكم الله فيها يجب أن لا نذكر جزءاً من الآية أو الحديث فقط، بل يجب ذكر الآية كاملة وذكر الحديث كاملاً، كما يجب أن نورد سائر الآيات والأحاديث المتعلقة بالموضوع ما دامت تضيف جديداً إلى ما يُطرح، فلا يستدل بدليل خاص على عام، ولا بمقيد على مطلق، فهنا لا يقع أحد في المتشابه، ولا تُضرب النصوص – التي ظاهرها التعارض – بعضها ببعض. فلربما يستشهد البعض بقوله تعالى : (لا إكراه في الدين)، بأنه لا يُكره أحدٌ على اعتناق الإسلام، وأنه إقرار بما هو عليه من معتقد، وهذا باطل!

والشبهة هنا هي قول الله تعالى : ﴿ **لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لا انْفِصامَ لَها وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ**﴾ (البقرة:256 – 257).

يقول ابن كثير في تفسيره:" يقول تعالى: لا إكراه في الدين أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسوراً".[2]

فمن لم يدخل الإيمان في قلبه ويعلن شهادة الحق فهو الذي ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة، فمن يهديه من بعد الله؟ وهذا قمة الإنكار والتوبيخ والتحقير لمن يرد دين الله الحق، ولا إقرار في الآية البتة لدين غير الإسلام.

ويجلي النحوي – رحمه الله هذه الشبهة بقوله:" بينت الآيات أن الرشد هو الإيمان، وأن الغي هو الكفر، وأن من آمن فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، وأن وليه الله يخرجه من الظلمات إلى النور، وأن الذين يكفرون أولياؤهم الطاغوت يخرجوهم من نور الفطرة التي فطروا

---

(1) التعددية الدينية، عدنان النحوي، 2015/8/30م،
http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=810

(2) تفسير القرآن العظيم، 521/1.

عليها إلى ظلمات الكفر ليكون مصيرهم النار خالدين فيها. فللحرية في الإسلام أسس تقوم عليها ونتائج من مسؤولية وحساب وجزاء وعقاب".[1]

ف (**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**) تعني أن الله لا يقبل من عبد ادعاء الإيمان تحت ضغط الخوف أو المصلحة الدنيوية وهو يبطن خلاف ذلك. إن الله يقبل من عبده إيمانه وإسلامه حين يصدر عن قناعة ويقين، وهذا يعني أن الله يريد من المؤمنين أن ينهضوا ليبلغوا رسالة الله وحقيقة الإيمان والتوحيد ودين الإسلام بلاغاً صادقاً واضحاً دقيقاً، لا أن يبلغ كل إنسان هواه وتصوراته الخاصة ويطوي نصوص الكتاب والسنة، أو يبلغها محرفة أو ناقصة أو غير واضحة.

الشبهة الثالثة: آية ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾:

أقوى شبهة دليل للقائلين بـ"الحوار بين الأديان" من القرآن هي قوله تعالى: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شيئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** (آل عمران: 64)، وهذه الآية ربما يفهمها بعض المثقفين والكتَّاب على غير وجهها، بأن هذه دعوة من النبي ﷺ إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى للالتقاء في النقاط المشتركة الكثيرة بين الديانات الثلاثة، وربما اعتمدوا في ذلك على مجرَّد الرأي بعيداً عن الرجوع لأقوال الصحابة والتابعين والمفسرين السابقين.

والفهم الصحيح لها هو [2] : أن في هذه الآية دعوة لأهل الكتاب – وهي شاملة لغيرهم أيضاً –إلى التوحيد الخالص وعبادة الله تعالى وحده، فالكلمة السواء هي (شهادة أن لا اله إلا الله) ويبين ذلك قوله في الآية : **﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شيئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾**، وهذا يعني أنهم قبل هذه الدعوة ليسوا كذلك، وهذا ما يدل عليه حالهم وواقعهم. وقوله (ألا نعبد إلا الله) تفسير لكلمة السواء فأصل (ألا) هو أنْ لا. و أنْ هنا تفسيرية حيث تقدمها ما يدل على معنى القول وهي (كلمة)، وحينئذ تكون الجملة بعدها مفسرة لمعنى (الكلمة السواء).

يقول النحوي عن هذه الشبهة :" فأنَّى يكون بين التوحيد والشرك عوامل مشتركة، وإذا كانت هنالك عوامل مشتركة هم يؤمنون بها ونحن نؤمن بها، فلماذا ندعوهم إليها؟ فما ذكرته الآية الكريمة من سورة آل عمران: **﴿قل يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾** لا تعرض عوامل مشتركة، وإنما تعرض جوهر الخلاف والقضايا غير المشتركة لتذكّرهم بها؛ لأنَّها كانت هي أساس دينهم الذي

---

(1) الإسلام والحرية، وحرية المعتقد: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1429 هـ – 2008 م، ص: 53.

(2) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 299/3 ، تفسير القرآن العظيم، 45/2.

حرّفوه، حتى أصبحوا بسبب التحريف مشركين. وإذا كانت كلمة (سواء) عاملاً مشتركاً فلماذا ندعوهم إليها؟ إنَّ الله سبحانه وتعالى أمرنا أن ندعو أهل الكتاب إلى الحقِّ الذي فارقوه، وأمرنا أن نُجادلهم بالتي هي أحسن دون أن نُغيّر حقيقة الدعوة وأهميتها وقضاياها تحت ادعاء (بالتي هي أحسن) نعم! بالتي هي أحسن، إنها الأسلوب الذي يقنعهم بالحقِّ دون أيّ تنازل عنه، وهذا الحق هو الذي أُنزل إلينا فآمنَّا به وحفظه الله لنا، وهو الذي أُنزل إليهم كذلك فحرّفوه وبدّلوه فأشركوا. ثم تكون النتيجة هي الحسم والفصل: (ونحن له مسلمون). لا بدّ أن يكون أسلوب الجدال يجمع قوة الحجّة، وصدق النيّة، وسلامة المنهج".[1]

الشبهة الرابعة: حوار الأديان الحق هو من باب قول الله ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾:

قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(النحل : 125).

إن الآية الكريمة تمثّل حقّاً مطلقاً جاء من عند الله وحياً على محمد ﷺ، هذا الحق هو حق الدعوة إلى الله وإلى دينه الحق من غير تنازل ولا مهادنة، إنها آية رحمة على المخالفين لينبذوا ما هم فيه من كفر لتثبت أقدامهم على طريق الإسلام المبارك. فغاية ما في هذه الآية هو عرض الدعوة بأسلوب محبب للنفوس لتعود إلى منهاج الله، وليس في الآية ما يفيد الحوار والتفاهم مع أصحاب الديانات الأخرى، بل فاصلة الآية وعجزها يثبت أن الذي لا يؤمن برسالة الإسلام هو الذي ضل عن سبيل الله سبحانه وما كان من المهتدين.

"إن الآية تبتدئ بعرض القضية والموضوع :(ادع إلى سبيل ربّك) هذه هي القضية التي تتحدث عنها هذه الآية الكريمة متناسقة مع جميع الآيات الأُخرى في القرآن الكريم، الآيات التي تتحدث عن هذه القضية وأساليبها ووسائلها. إنها قضيّة الدعوة والإيمان والتوحيد، إلى الله ورسوله، إلى دين الله الحق، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، ومن عبادة العباد والأوثان والأهواء إلى عبادة الله الذي لا إله إلا هو. ومن أجل هذه القضية تقوم الدعوة الإسلامية في الأرض لإنقاذ الناس من عذاب الدار الآخرة لمن يموت على الشرك أو الكفر، ولإنقاذ الناس من فتنة الدنيا".[2]

---

(1) الحوار والتعاون مع الآخر، عدنان النحوي، 2015/9/1م، https://www.islamweb.net/ramadan/index.php?page=article&lang=A&id=152435

(2) ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، عدنان النحوي، 2015/9/4م، http://www.alnahwi.com/default.asp?action=article&ID=203

إذاً، ليس من الحكمة أن نُصَوِّر الإسلام أنه دين المسالمة والمساومة والتنازلات كي نركن إلى من لا يؤمن بالله، أو انحرف عن دين الله، أو دعا إلى غير الله، أو افترى على الله كذباً وادَّعى باطلاً أو أخفى وبدَّل وغيَّر، ولا هو من الحكمة أن نخفي ما فرضه الله نصاً صريحاً في الكتاب والسنة من عدم موالاة المشركين والكافرين والمنافقين، أو نخفي ما أمر الله به من جهاد في سبيل الله، فقد جاء الأمر من عند الله جلياً حاسماً في كل ذلك، وأمر المؤمنين بالصبر على ما يلقونه في سبيل الله.

قال تعالى : ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ** ﴾ (هود : 112 - 113).

يقول الإمام ابن كثير عند تفسيره للآية :" أمر تعالى رسوله وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد ونهى عن الطغيان ... وأعلم تعالى أنه بصير بأعمال العباد، لا يغفل عن شيء، ولا يخفى عليه شيء. وقوله: (**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا**) قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا تُدهنُوا، وقال أبو العالية: لا ترضوا أعمالهم، لا تستعينوا بالظلمة فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم".[1]

(1) تفسير القرآن العظيم، 354/4.



المبحث الخامس

جهود عدنان النحوي في قضايا المرأة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقف عدنان النحوي من قضايا المرأة.

المطلب الثاني: جهود النحوي في الرد على المخالفين في قضايا المرأة.

المطلب الأول
موقف عدنان النحوي من قضايا المرأة

لقد كانت المرأة العربية مهانة مظلومة قبل أن تشرق شمس الدعوة الربانية على الجزيرة العربية، وقبل أن تنير لأهل الصحراء القاحلة الموحشة دروبهم نحو العز والقيادة والسيادة بعدما ذاقوا مرارة الظلم والعدوان وتكالب الأمم، كان ممن ذاق مرارة هذه الأوضاع ذلكم المخلوق الضعيف، والكائن الذي يحتاج إلى كم كبير من العطف والحنان والرعاية، المرأة العربية في الجزيرة العربية التي كانت فيها مبتذلة ومهضومة الحقوق، تُوَرَّث للأبناء مع الشاء والبعير والمال، وإذا بشر العربي بأنثى ظل وجهه يعلوه السواد والخزي، ووئدت البنيات الصغيرات خوفاً من العار والسبي. ونتيجة لهذه الأوضاع، فإن مكانة المرأة لا تتعدى أن تكون سلعة أو تجارة في سوق النخاسة يشتريها من شاء بدراهم معدودة، وبعد أن يقضي وطره منها يكون فيها من الزاهدين، فيبيعها وقد أصبحت بضاعة مزجاة لا يرغب فيها أحد.

قال تعالى واصفاً الحالة المزرية المتردية التي كانت تحياها البنت في الجاهلية : ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ (النحل : 58 – 59).

يتساءل سيد قطب – رحمه الله تعالى– مستنكراً على من يدس الأنثى بالتراب خوفاً من العار مع أن الحياة لا تقوم إلا بها، فبموتها موت لحياة الرجال: "إن مجرد تصور الحياة نامية متطورة من نطفة إلى بشر– بإذن الله– ليكفي لاستقبال المولود– أيا كان جنسه– بالفرح والترحيب وحسن الاستقبال، لمعجزة الله التي تتكرر، فلا يبلي جدتها التكرار! فكيف يغتم من يبشر بالأنثى ويتوارى من القوم من سوء ما بشر به وهو لم يخلق ولم يصور، إنما كان أداة القدرة في حدوث المعجزة الباهرة؟

وحكمة الله، وقاعدة الحياة، اقتضت أن تنشأ الحياة من زوجين ذكر وأنثى؛ فالأنثى أصيلة في نظام الحياة أصالة الذكر. بل ربما كانت أشد أصالة لأنها المستقر، فكيف يغتم من يبشر بالأنثى؟ وكيف يتوارى من القوم من سوء ما بُشر به ونظام الحياة لا يقوم إلا على وجود الزوجين دائماً؟" (1)

ويصف الشيخ صالح بن فوزان الفوزان حياة المرأة قبل الإسلام باختصار قائلاً:" كانت المرأة في هذا الوقت في الأغلب الأعم تعيش فترة عصيبة – خصوصاً في المجتمع العربي – حيث كانوا يكرهون ولادتها، فمنهم من كان يدفنها وهي حية حتى تموت تحت التراب، ومنهم من

(1) في ظلال القرآن، 2178/4.

يتركها تبقى في حياة الذل والمهانة، فليس لها حظ من ميراث قريبها مهما كثرت أمواله، ومهما عانت من الفقر والحاجة؛ لأنهم يخصون الميراث بالرجال دون النساء، بل إنها كانت تُوْرَث عن زوجها الميت كما يورث ماله، وكان الجمع الكثير من النساء يعشن تحت زوجٍ واحدٍ حيث كانوا لا يتقيدون بعدد محدد من الزوجات غير عابثين بما ينالهن من جراء ذلك من المضايقات والإحراجات والظلم".[1]

فجاء الإسلام الذي رفع مكانة المرأة، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه؛ فالنساء في الإسلام شقائق الرجال، وخير الناس خيرهم لأهله؛ فالمسلمة في طفولتها لها حق الرضاع والرعاية وإحسان التربية، وهي في نفس الوقت قرة العين، وثمرة الفؤاد لوالديها وإخوانها، وستر من نار جهنم، وإذا كبرت فهي المعززة المكرمة، التي يغار عليها وليها، ويحوطها برعايته، فلا يرضى أن تمتد إليها أيد بسوء، ولا ألسنة بأذى، ولا أعين بخيانة، وإذا تزوجت كان ذلك بكلمة الله، وميثاقه الغليظ؛ فتكون في بيت الزوج بأعز جوار، وأمنع ذمار، وواجب على زوجها إكرامها، والإحسان إليها، وكف الأذى عنها، وإذا كانت أماً كان برُّها مقروناً بحق الله تعالى وعقوقها والإساءة إليها مقروناً بالشرك بالله، والفساد في الأرض، وإذا كانت أختاً فهي التي أُمر المسلم بصلتها، وإكرامها، والغيرة عليها.

" وما زالت مجتمعات المسلمين ترعى هذه الحقوق حق الرعاية، مما جعل للمرأة قيمة واعتباراً لا يوجد لها عند المجتمعات غير المسلمة؛ فللمرأة في الإسلام حق التملك، والإجارة، والبيع، والشراء، وسائر العقود، ولها حق التعلم، والتعليم، بما لا يخالف دينها، بل إن من العلم ما هو فرض عين يأثم تاركه ذكراً كان أم أنثى، ولها ما للرجال إلا بما تختص به من دون الرجال، أو بما يختصون به دونها من الحقوق والأحكام التي تلائم كُلاً منهما على نحو ما هو مفصل في مواضعه. ومن إكرام الإسلام للمرأة أن أمرها بما يصونها، ويحفظ كرامتها، ويحميها من الألسنة البذيئة، والأعين الغادرة، والأيدي الباطشة؛ فأمرها بالحجاب والستر، والبعد عن التبرج، وعن الاختلاط بالرجال الأجانب، وعن كل ما يؤدي إلى فتنتها. ومن إكرام الإسلام لها: أن أمر الزوج بالإنفاق عليها، وإحسان معاشرتها، والحذر من ظلمها، والإساءة إليها".[2]

يقول الدكتور عدنان النحوي – رحمه الله :" لقد رفع الإسلام المرأة إلى درجتها الحقيقية الكريمة، وأحاطتها بعنايته ورعايته، وأعزها بعد ذل. وما وجدت المرأة ما يحفظ لها كرامتها على مدار التاريخ البشري إلا في الإسلام، وما عداه فقد أذلها ودفعها دفعاً إلى أحط درجات الفاحشة والفتنة، وما رضي بذلك إلا من فسدت فطرته وضل طريق الرشاد".[3]

---

(1) تنبيهات على أحكام تختص بالمؤمنات: صالح بن فوزان بن الفوزان – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية – الطبعة الأولى – 1423هـ، ص: 8.

(2) الطريق إلى الإسلام: محمد بن إبراهيم الحمد – دار ابن خزيمة – الطبعة الثانية – بدون سنة تأليف، ص: 84.

(3) المرأة بين نهجين، الإسلام أو العلمانية : عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1420 هـ – 1999 م، ص : 95.

ولقد رعى الإسلام المرأة في جميع مراحل عمرها وجعل لها حقوقاً تشترك فيها مع الرجل، وحقوقاً خاصة بها لتحفظ لها حياتها وكرامتها وحقوقها طوال عمرها.

يقول النحوي – رحمه الله:" وامتدت حقوق الإنسان إلى شمولية النظرة لحقوق المرأة، فلا تنحصر الحقوق في الإسلام بالرجل، وإنما تشمل المرأة وترعاها في جميع مراحل عمرها وأحوالها، طفلة وصبية وزوجة وأماً، عند الزواج والطلاق، والميراث والعلم، وأعطاها حق التملك والتصرف بأموالها".(1)

ومن هنا، جاء الإسلام بالحرص الشديد والرعاية الحانية والحفظ الرشيد للمرأة، صوناً منه لتلك الدرة الغالية في بيوت المسلمين، الدرة التي تنجب الذرية، تربيهم بيد حانية، وقلب حنون، لتخرج من بيتها العباد والزهاد والمجاهدين، ولتنجب للأمة أمثال خالد والقعقاع وأبي دجانة رضي الله عنهم. فمن مثل نساء المؤمنين؟ من مثل نساء الإسلام؟ حفظ أعراضهن، وطيَّب عيشهن، وصان كرامتهن!!

ومن حفظ الشرع للمرأة أنه أحاطها بجملة من الأحكام تختص بها دون الرجال من أجل ألا يتعرض لها منفلت، أو يطمع فيها الذي في قلبه مرض، ومن هذه الأحكام:

1- حِفْظُ الإسلام لعقيدة المرأة:

إن أعظم تكريم للمرأة المسلمة – وهي تعيش في ظلال دين الله الحنيف – هو انتشالها من غياهب الشرك ودياجير الوثنية، لترى نور الإيمان وتذوق حلاوته وطعمه، أن تنتقل المرأة التي كانت تعيش في الصحراء وتتعلق بأصنام من الحجر لا تنفع ولا تضر إلى التعلق بمن يملك الضر والنفع، ومن بيده ملك السموات والأرض. إن أكبر تقدير من الإسلام للمرأة أن أنقذها من الولوج والخلود في نار تأجج، فيقاسي هذا المخلوق الضعيف حرَّها وسمومها والعياذ بالله تعالى.

وما وقعت فيه المرأة اليوم من اضطراب ممارستها الإيمانية، وما نتج عن هذا من وجود خلل كبير في حياة الأسر والمجتمعات هو نتيجة لضعف الإيمان في القلوب، وعدم تعظيم الأمر الرباني فيها.

يقول النحوي – رحمة الله عليه:" إن اضطراب سلوك المرأة في واقعنا اليوم ومطالبتها بمساواتها مع الرجل ورغبتها في نزع الحجاب كما يسمونه من فضائل الإيمان وواجبات الإسلام مرض ناتج عن اضطراب الإيمان وعن حب الدنيا وغرورها وزخارفها".(2)

---

(1) المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية، ص: 289.

(2) واقع المسلمين، أمراض وعلاج، ص: 86.

إذاً، إصلاح عقيدة المرأة وتهذيبها هي الهدية التي لا تقدر بثمن، فمنها نبدأ وبها ننتقل في خطا الدعوة، وبها ننتهي، وبها تلقى المؤمنة ربها.

يقول النحوي – رحمه الله:" حين تعرف المرأة ربها وخالقها وتؤمن به حق الإيمان، وحين تدرس كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، ستعرف حينئذ حقوقها وواجباتها من دين الله، وإن أي محاولة لإصلاح واقع المرأة يجب أن يبدأ بهذه القضية، قضية الإيمان والتوحيد، الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، والقضية الأخطر في حياة كل إنسان".[1]

والعقيدة الصحيحة تسمو بالمرأة عن الترهات، فتشق طريقها – واثقة وثابتة – نحو الآخرة، تبعدها عن الخرافات والانحرافات والشعوذة والسحر، فينعكس صفاء العقيدة على الأولاد والبنات وينشأ جيل صافي العقيدة، موحد بربه سبحانه وتعالى. أما إن فسدت عقيدة المرأة فستتخذ هواها إلهاً، تلهث وراء كل ناعق وناعقة، لا هم لها إلا تقليد موضات الغرب والشرق، وتقع في شرك العرافة والكهانة والشعوذة، وتغرق كل يوم في علم النجوم والأبراج وقراءة الفنجان والتعلق بالتمائم.

ومن هنا ظهر اهتمام الإسلام بربط المرأة بالتقوى في كثير من الآيات، حتى تكون دائمة المراقبة لربها سبحانه، يقول الدكتور عادل حسن الحمد:" إذا امتلأ القلب بالإيمان فاض على ظاهره بالطاعة والالتزام بأمر الله وشرعه، وقد تنشغل المرأة بصلاح ظاهرها عن صلاح باطنها فتكون عرضة للانتكاسة مع أي صدمة، ولذا حرص الإسلام بربط ظاهر المرأة بباطنها، لتحافظ على إيمانها من النقص؛ فرَبَطَ الأحكام بالتقوى، وذكَّر بها في كثير من الآيات المتعلقة بالنساء في القرآن الكريم لتوقن المرأة أن التزامها بحكم الله على الوجه الأكمل يحتاج إلى تحقيق التقوى في القلب، قال تعالى: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ (النساء: 128)".[2]

2- تحريم اختلاط الرجال بالنساء:

وهذا ليس اتهاماً للمؤمنين ولا قدحاً في تقواهم، لكن الإسلام دائماً وأبداً يقدم درء المفاسد على جلب المصالح، وخصوصاً إذا كانت المصلحة المرجوة متحققة بامرأة مثلهن كما في التطبيب والتعليم والبيع والشراء، فمنع أن يخلو رجل بامرأة ولو كان يحفظها القرآن الكريم الذي يصدح بالحلال والحرام، وتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، وكذلك تحريم جميع الوسائل المؤدية إلي

---

(1) المرأة بين نهجين: الإسلام أو العلمانية، ص: 56.

(2) دور المرأة العقدي في زمن النبوة: عادل الحمد – بدون ناشر – البحرين – بدون طبعة – 1436هـ، ص: 21.

الاختلاط. والكتاب والسنة فيهما من النصوص ما لا يدع حجة لمتأولٍ، أو شبهة لمتقولٍ، على تحريم الاختلاط وتحريم جميع الوسائل المؤدية إليه.

قال الله جل وعلا: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ (الأحزاب: 33).

فأمر الله أمهات المؤمنين – وجميع المسلمات والمؤمنات مخاطبات بذلك – بالقرار في البيوت لما في ذلك من صيانتهن وإبعادهن عن مواطن الفساد لأن الخروج لغير حاجة قد يفضي إلى التبرج كما يفضي إلى شرور أخرى.

يرد النحوي – رحمه الله– على من يستدل على جواز الاختلاط بأن النساء كن يصلين في مسجد واحد مع الرجال أيام حياة النبي ﷺ وعلى مرأى ومسمع منه وهذا لا يقوله إلا جاهل متقوّل على الله ورسوله ﷺ، فالحقيقة الشرعية هي عدم وجود الاختلاط أبداً؛ فقد كانت النساء يصلين في آخر المسجد ملتزمات بكامل لباسهن الشرعي، والرجال في أوله، وإذا انتهت الصلاة ظل الرجال جلوساً في مكانهم حتى تخرج النساء من المسجد ولا يبقى مجال للاختلاط، وما كان من اختلاط في حوادث أخرى كان بكامل الضوابط الشرعية. (1)

ويرى الباحث رداً على من يلوي أعناق نصوص الكتاب والسنة إرضاء للعلمانية أو ترويجاً لمشاركة المرأة السياسية أنه حتى لو صح فهمهم للآيات والأحاديث التي يتكئون عليها، فإن المخاطب بها هم الجيل الأول، والقرن الأفضل، أصحاب رسول الله ﷺ حملة مشاعل الهدى، الذين ملأ الله قلوبهم إيماناً وتقى، الذين علموا النصوص فلم يخروا عليها صماً وعمياناً، علموا مراد الله في: ﴿ **يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ** ﴾ (الأحزاب: 30) فامتثلوا، وقوله:﴿ **فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ (الأحزاب: 53) فلبوْا.

أَمَا وقد رقَّ الدين، وكثر المدَّعون، وتجرأ كثير من الناس على حرمات المسلمين، وسيق الكثير وراء شهوة عجز عن ضبطها، أو شبهة أخطأ في فهمها، فإن الأمر هنا يختلف عن الذي كان عليه الرعيل الأول، فالأحوط أن يُشدد على أمر الاختلاط بين الرجال والنساء بضوابط وشروط تضمن حفظ الأعراض، سواء أكان الاختلاط في المساجد أو المدارس أو الجامعات أو غيرها.

---

(1) انظر: مع مصطلح الاختلاط: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1431 هـ – 2010 م، ص: 98 – 100.

قال الشيخ بكر أبو زيد – رحمه الله – تحت عنوان (الاختلاط محرَّمٌ شرعًا):

"إن العِفَّة حجاب يُمَزِّقه الاختلاط، ولهذا صار طريق الإسلام التفريق والمباعدة بين المرأة والرجل الأجنبي عنها، فالمجتمع الإسلامي مجتمع فردي لا زوجي، فللرجال مجتمعاتهم، وللنساء مجتمعاتهن، ولا تخرج المرأة إلى مجتمع الرجال إلا لضرورة أو حاجة بضوابط الخروج الشرعية.

كل هذا لحفظ الأعراض والأنساب، وحراسة الفضائل، والبعد عن الرِّيب والرذائل، وعدم إشغال المرأة عن وظائفها الأساس في بيتها، ولذا حُرِّم الاختلاط، سواء في التعليم، أو في العمل، والمؤتمرات، والندوات، والاجتماعات العامة والخاصة، وغيرها؛ لما يترتب عليه من هتك الأعراض ومرض القلوب، وخطرات النفس، وخنوثة الرجال، واسترجال النساء، وزوال الحياء، وتقلص العفة والحشمة، وانعدام الغيرة".[1]

وإذا كان الاختلاط بين الطرفين محرماً تحريماً بنصوص الكتاب والسنة، فمن باب أولى فإن خلوة الرجل بالمرأة أشد تحريماً من مجرد الاختلاط، لأن الخلوة أدعى للوقوع في المحذور، فهو مزلة القدم منذ القدم، وهو تحذير من هو بالنفوس أعلم، ومَنْ منَ الناس الآن بيوسف الصديق عليه السلام يأتم، فكم انتهكت أعراض بسبب الخلوة والدخول على النساء في بيوتهن، وكم صال الشيطان وجال في بيوت فتحت أبوابها للغرباء، وأدخلت في حصونها الأشقياء.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " **إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**" فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: "**الحَمْوُ المَوْتُ**".[2]

قال النحوي – رحمه الله :" والخلوة أن ينفرد الرجل بامرأة أجنبية عنه، وذلك محرم تحريماً قاطعاً، إلا إذا كان على ملأ من الناس وأعينهم لضرورة شرعية مما يقطع صفة الخلوة ومعناها وفتنتها".[3]

3- السؤال من وراء حجاب:

من الأحكام التي خص الإسلام بها المرأة ليحفظها من خائنة الأعين التي تجوس الديار فتتبر ما علت العفة والأدب تتبيراً السؤال من وراء حجاب؛ ذلك لأن الصورة تساوي الكثير، بل قيل عنها أنها تساوي ألف كلمة، ووصف الشيء فرع عن تصوره، وكل الحوادث مبدؤها من النظر.

---

(1) حِرَاسَةُ الْفَضِيلَةِ: بكر بن عبد الله أبو زيد – دار العاصمة للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الحادية عشرة – 1426هـ – 2005م، ص: 65.

(2) صحيح البخاري – كتاب النكاح – باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة– 37/7– رقم/ 5232.

(3) المرأة بين نهجين: الإسلام أو العلمانية، ص: 84.

قال تعالى: ﴿ وَإِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾(الأحزاب: 33).

قال ابن كثير في تفسيره:" أي: وكما نهيتكم عن الدخول عليهن، كذلك لا تنظروا إليهن بالكلية، ولو كان لأحدكم حاجة يريد تناولها منهن فلا ينظر إليهن، ولا يسألهن حاجة إلا من وراء حجاب، وهذا الذي أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أطهر وأطيب".[1]

قال ابن القيم – رحمه الله – في كتاب الداء والدواء:" والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فإن النظرة تولد الخطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولا بد، ما لم يمنع منه مانع، فالصبر على غض البصر أيسر من الصبر على ألم ما بعده".[2]

وما جعل السؤال من وراء حجاب إلا حماية للمرأة من النظرة المحرمة، والعين الخائنة، لتحفظ قلبها ودينها، وليحفظ على الرجل دينه وقلبه، ذلك أزكى للقلوب وأمنع من الوقوع في الذنوب واقتراف ما يغضب علام الغيوم.

قال تعالى:﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (النور: 30).

"هذه الآية فيها مع قصرها ثلاثة معانٍ عزيزة: تأديب وتنبيه وتهديد.

فأما التأديب: فقوله تعالى: :﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، ولا بد للعبد من امتثال أمر السيد والتأدب بآدابه، وإلا كان سيئ الأدب فيحجب فلا يؤذن له في حضور المجلس والمثول بالحضرة، فافهم هذه النكتة، وتأمل ما تحتها فإن فيها ما فيها.

وأما التنبيه: فقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾، وينطبق على معنيين والله أعلم، الأول: ذلك أطهر لقلوبهم، والزكاة: الطهارة، والتزكية: التطهير، والثاني: ذلك أغنى لخيرهم وأكثر، والزكاة في الأصل: النمو، فنبه على أن في غض البصر تطهيراً للقلب وتكثيراً للطاعة.

(1) تفسير القرآن العظيم، ص: 455/6.

(2) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء): محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية – دار المعرفة – المغرب – الطبعة الأولى – 1418هـ – 1997م، ص، 195.

وأما التهديد: فقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾".[1]

والسؤال من وراء الحجاب – وإن كان الخطاب في الآية موجهاً لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن– إلا أن المقصود من الآية جميع نساء المؤمنين بلا استثناء، بل إن عوام نساء المؤمنين أولى بهذا الخطاب من أمهاتنا – رضي الله عنهن – لما عرفن بتقواهن وعبادتهن وورعهن.

يقول النحوي – رحمه الله تعالى:" ولقد جاء الأمر خاصاً بنساء النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿**وَإِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾ (الأحزاب: 53)، وإذا كان هذا أمراً خاصاً بنساء النبي ﷺ وبصحابة رسول الله رضي الله عنهم، وهم حيث نعلم من درجة تقواهم، فنحن أولى اليوم بأن نأخذ بهذا التوجيه الرباني من حيث المبدأ، إلا في حدود ما تفرضه علينا الضرورة الشرعية التي يبيحها الإسلام، كما يحدث في مجلس علم أو ساحة قتال أو غير ذلك".[2]

4- تقليد المرأة أعظم مسؤولية:

لم يعتبر الإسلام المرأة كمَّاً مهملاً لا فائدة منه، ولا يمكن الانتفاع به، بل استغل قدراتها التي حباها الله بها، فقلدها مسؤوليات يعجز الرجل – مهما بلغ من قوة بدن أو عقل– أن يباريها أو يجاريها. وأعظم مسؤوليات المرأة المسلمة أن تُخرِّج الأبطال والعباد والزهاد، وتربي النشء على دين الله وطاعته، إنها مسؤولية التربية وإحاطة البيت المسلم بسياج من الهدى والتقى والالتزام، وهذه هي وظيفتها الأولى والسامية التي تعبدها الله بها والتي ستحاسب عليها يوم القيامة، فهي راعية في بيت زوجها وستسأل يوم القيامة عن الأمانة التي وُكلت بها.

قال النبي: "**أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**".[3]

---

(1) صفقات رابحة(كيف تحجز لك مقعداً في الجنة): خالد أبو شادي – الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع – مصر – الطبعة الأولى – 1430هـ– 2009م، ص: 19.

(2) واقع المسلمين، أمراض وعلاج، ص: 118.

(3) صحيح البخاري، 31/7 – كتاب النكاح – باب المرأة راعية في بيت زوجها – رقم/ 5200، وصحيح مسلم واللفظ له، 1459/3 – كتاب الإمارة – باب فضيلة الإمام العادل – رقم/ 1829.

يقول النحوي – رحمه الله:" جعل الله للمرأة المسلمة مسؤولية ثابتة في رعاية أولادهما ورعاية زوجها، ورعاية بيت زوجها. هي مسؤوليتها الأولى التي ستحاسَب عليها بين يدي الله، فالبيت يحتاج إلى رعاية، فهل يُتْرك أمره إلى الخدم والمربيات؟ أليست الأم أولى بهذه الرعاية؟ أليست الزوجة أولى بذلك؟ هنا المرأة مكلفة شرعاً لأن تكون أمّاً وأن توفي بواجبات الأمومة وفاءً أميناً، ليس كما هو الحال في الغرب الذي جعل الأمومة شعاراً يتغنّون به في عيد الأم، إنه عيد الأم الذي ابتدعه الغرب بعد أن قتل الأمومة والأبوة ومزّق الأسرة شرّ ممزّق".[1]

ومسؤولية المرأة هي على صورة تكاملية مع مسؤولية الرجل، فالكل على ثغر في هذا الدين والكل مسؤول عن ثغره، فإذا اختلت هذه المسؤوليات واختلطت على حامليها حدودها، اضطربت وضاعت ولم تؤت أكلها، فكانت النتيجة على الأجيال وخيمة.

" فالرجل والمرأة مثل الليل والنهار، قال الله تعالى: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى**﴾ (الليل:1-2)، فلا تداخل ولا هضم حقوق، ولا تعالي نوع على نوع، بل الاثنان في تعاون وتناسق وتكامل. والمرأة لها دور في الحياة تقوم به، والرجل له دور يقوم به ولا يستطيع كل منهما أن يقوم بدور الآخر، وعندما تم التساوي بينهما في أمور معروفة انهارت أخلاق الرجل والمرأة، وكان نتاج ذلك خروج أجيال من الطرفين في غاية الانحلال والانحطاط البشري، لأنه عندما تم التساوي في أمور التخصص، ضاعت حقوق الأسرة الرجل والمرأة والأولاد".[2]

وكفى بالمرأة فخراً أنها كانت أول إنسان – بعد النبي ﷺ – تدخل هذا الدين العظيم، كفاها أنها جعلت أنساً للرجل الأول ومنذ بداية خلقه ليسكن إليها، وأنها كانت سكناً للمصطفى ﷺ، يكفيها أنها مهوى أفئدة الرجال من العلماء والمجاهدين والدعاة، ألا يكفيها أن تكون لها آخر وصايا النبي ﷺ بقوله: "**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**"[3]؟ هي الأم، وهي الأخت، وهي الزوجة، وهي البنت، ولا تصلح الحياة إلا إذا صلحت، ولا تطيب إلا إذا طابت، وخير الرجال خيرهم لأهله، يؤجر باللقمة التي يرفعها إلى فيها، وإن أحسن تربيتها كانت له حجاباً من نار جهنم يوم القيامة. فمن مثل المرأة المسلمة؟ ومن في مكانتها؟ وأي دين محرف ضال حافظ عليها وأعطاها حقوقها كما أعطاها الإسلام؟ فهنيئاً للمرأة بالإسلام العظيم!

---

(1) المرأة ومساواتها بالرجل ونزولها إلى العمل السياسي، ص: 39.

(2) صلاح البيوت في جهد الرسول ﷺ: محمد علي محمد إمام – مطبعة السلام – مصر – الطبعة الأولى – 2009م، ص: 14.

(3) صحيح مسلم، 1459/3 – كتاب الرضاع – باب الوصية بالنساء – رقم/ 1468.

المطلب الثاني
جهود النحوي في الرد على المخالفين في قضايا المرأة

جاءت شريعة الإسلام خاتمة الشرائع المنزلة من عند الله بما فيها صلاح أمر العباد في المعاش والمعاد ومن ذلك: الدعوة إلى كل فضيلة والنهي عن كل رذيلة، وصيانة المرأة وحفظ حقوقها خلافاً لأهل الجاهلية قديماً وحديثاً الذين يظلمون المرأة ويسلبون حقوقها جهاراً أو بطرق ماكرة، كالذين يدّعون الاهتمام بشؤون المرأة ويدْعون إلى تحريرها من الحدود الشرعية لتلحق بالمرأة الغربية الكافرة، ويسندهم في ذلك أعداء الإسلام سيّما في هذه الأيام التي تتعرض فيها الأمة الإسلامية إلى حملة شرسة من أعدائها لصدها عن دينها من خلال ما يدّعونه من حقوق المرأة وإثارة الشبهات بين الفينة والأخرى مستدلين بالمتشابه من الكتاب والسنة لما في قلوبهم من زيغ وابتغاء فتنة وتشكيك للمسلمة بدينها.

والمرأة في الإسلام ليست كأي امرأة في القوانين الوضعية أو المجتمعات الجاهلية القديمة والحديثة، إنها في مكانة لا تضطرب فيها مصالحها ولا حقوقها، بل جاء الإسلام ليعالج خللاً في المعاملة مع المرأة وليرفع عنها ظلماً كانت ترزح تحته منذ القدم.

يقول عدنان النحوي رحمه الله:" كان للمرأة قضية تثار في كل مجتمع مضطرب الموازين منحرف القيم أو جاهلي أو ملحد، كان للمرأة قضية في العصر الجاهلي في الجزيرة العربية وفي اليونان وفي روما، في عصور الانحلال والتفلت، ولها قضية كبرى في الحضارة الغربية التي سحقت المرأة وسرقت شرفها وحطمت كرامتها ورمتها في فتنة الدنيا. ولكن لم يكن للمرأة مشكلة في عصر النبوة الخاتمة، ولا في عصر الخلفاء الراشدين ولا في أي عصر ساد فيه حكم الكتاب والسنة وكانت كلمة الله فيه هي العليا".[(1)]

ويرى النحوي أن القضايا التي تثار اليوم حول المرأة ومكانتها في دين الله، اعتماداً على بعض النصوص أمر يراد به باطل، وعسل دس فيه سم زعاف، يشبه الحية في ملمسها الناعم وفي جوفها الموت الزؤام، فهذه المحاولات هدفها جر المرأة المسلمة إلى مستنقع الوحل الذي غرقت فيه المرأة الغربية في عصر التقدم والحضارة.

يقول النحوي – رحمه الله:" مساواة المرأة بالرجل شعار يعلن هكذا على عموميته، عمل المرأة، حجاب المرأة، حرية المرأة، وكثير غير ذلك، كل هذه القضايا لم تكن لتثار لولا أن المفسدين في الأرض والمجرمين يريدون المرأة في ميادين العمل متعة رخيصة، وهذا الواقع أمامنا اليوم في

---

(1) الإنسان بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات الدولية، ص: 44.

العالم الغربي حيث تعلن كل يوم فضائح رجال الدولة في مختلف المستويات، وحيث تعلن جرائم الفاحشة والفجور ممتدة في المجتمع".[1]

"هاتِ لنا الفتنة في	**زهـو الشباب الرَّيِّـقِ**
وجردي المـرأة من	**عـفـتها وانطـلـقـي**
وجرديها مـن بقايا	**ثوبهـا والخِـــــرق**
وارم بها عـاريــة	**علـى ثنايا الطــرق**
لكل ذئب جائـــــع	**وكل وحش مطبـــق**
ثم اقتلي بقيــة الإ	**نسان فيها واسحـقـي**
وغلفي الجريمة ال	**كبرى بثــوب خَــلـق**
بـرايـــــة كاذبـــة	**أو بشــعــار شيــق "[2]**

يقول الشيخ سعيد بن مسفر تحت عنوان **(هدف الأعداء من الدعوة إلى المساواة بين الرجل والمرأة):**" صعُب على أعداء الإسلام أن تبقى المرأة المسلمة في عرشها وعزتها وعليائها، صعُب عليهم هذا التكريم فعملوا في سبيل إنزالها لتكون منشفةً يتمسحون بها، ولعبة يتلهون بها ويحققون عن طريقها الاستمتاع بمآربهم متسترين بالشعارات الخادعة والهتافات الكاذبة حين نادوا إلى تحريرها، ولكن مم يحررونها؟ من الشرف، والفضيلة، والحياء! وهتفوا بالعطف عليها، ولكنهم قسوا عليها أشد من قسوة الجاهلية الأولى، كلفوها ما لا تطيق، ادَّعوا إكرامها فأوردوها موارد الذل والحقارة، أرادوا تحريرها فاستعبدوها، عطفوا عليها فأهلكوها، وهم حولها وحوش مفترسة، وكلاب شرسة، ولصوص مختلسة، همهم في الحياة إشباع النزوات، وغايتهم إرواء الشهوات، ومقصودهم التمرد على الأخلاق والعادات، ووقعت المسكينة في حبالهم في معظم بلاد المسلمين، وساقوها إلى أسواق الرقيق الأبيض، أسواق التبرج والاختلاط، وما أدراك ما التبرج والاختلاط؟"[3]

ومن أجل تحقيق هذا الشعار المغلف بأبهى الأشكال والألوان أثار دعاة "تحرير المرأة ومن يحملون همها" في بلاد الغرب وتلاميذهم من بني الجلدة مجموعة من الشبه، لووا أعناق النصوص المحكمات واندسوا وسط المتشابه كعادة أهل البدع والجهلة والمفترين، لكن ما موقع الذباب من ذي ناب، وهل يضر السماء يد شلاء، ومن يصد سنا شمس إذا طلعت، وماذا عسى يكون عض نملة،

(1) المرأة بين نهجين: الإسلام أو العلمانية، ص: 24

(2) ديوان مهرجان القصيد، ص: 112.

(3) دروس للشيخ سعيد بن مسفر: سعيد بن مسفر القحطاني – دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية –http://www.islamweb.net، الدرس: 35، ص: 15.

وما يكون قرص قملة، وابن بقة بأعلى نخلة، أين النباح وإن تكاثر أهله من نيل بدر قد سما فوق السما، شُبَهٌ فسادها يغنى عن إفسادها وبطلانها يغنى عن إبطالها. فامتثالاً لقوله تعالى : ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ (آل عمران : 187)، فقد انبرى حصن الأمة المتين من العلماء العاملين الربانيين الراسخين – الذين يكشفون عن الأمة كل مَلمَّة، وينيرون لها طريقها في كل مدلهمة – لهذه الشبه توجيهاً وتفنيداً. ومن هذه الشبه البائسة اليائسة الكاسدة الفاسدة:

1- شبهة المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء:

المساواة بين الرجال والنساء شعار رفعه "الحريصون على مصلحة المرأة" بقصد أن تتساوى في كل شيء مع الرجل: في الحقوق والواجبات، في فرص العمل، والعمل السياسي، والتمثيل النيابي، ومخاطبة الجماهير، والاختلاط غير المنضبط بضوابط الشرع، والخروج من البيت، والفن والتمثيل. وكان متكأ القوم على حديث **(إنما النساء شقائق الرجال)**، فادعوا أن الإسلام قد ساوى بين الجنسين، والتفرقة بينهما يعتبر إجحافاً في حقها وانتقاصاً من مكانتها وهدراً لإبداعها وقدراتها، ومخالفة لنص واضح.

وسبيل أهل العلم في فهم الأحاديث المشتبهة هي ألا تبتر النصوص وتقطع عن سياقها، فالحديث روته عائشة رضي الله عنها حين قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاماً قال: "**يغتسل**"، وعن الرجل يرى أنه قد احتلم، ولا يرى بللاً، قال: "**لا غسل عليه**" فقالت أم سليم: هل على المرأة ترى ذلك شيء؟ قال: " **نعم، إنما النساء شقائق الرجال**".[1]

نعم في هذا تتساوى المرأة مع الرجل، بل إن هناك مسؤوليات مشتركة كثيرة بين الطرفين يوضحها النحوي – رحمه الله – تزيد معنى التساوي وضوحاً فيقول:" لقد أراد الله أن تكون النساء شقائق الرجال حتى يكون الوفاء بالأمانة التي حملها الإنسان مسؤولية الرجل والمرأة معاً. لقد خلق الله الإنسان وأنزله على الأرض حتى يحقق مهمة كبيرة أرادها الله سبحانه وتعالى، وبينها لنا في كتابه من خلال أربعة تعبيرات: العبادة والأمانة والخلافة والعمارة، وهذه المهام عظيمة لا يستطيع الرجل الوفاء بها وحده ولا المرأة وحدها وإنما هي مسؤولية مشتركة بينهما. فميدان الدعوة إلى الله وميدان التمحيص والابتلاء، والمضي على الصراط المستقيم بنية صادقة وعزيمة وعلم وبذل في

---

(1) رواه أبو داود، 61/1 – كتاب الطهارة – باب في الرجل يجد البلة في منامه – رقم/ 236، والترمذي، 1/ 173 – أبواب الطهارة – باب فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً– رقم/ 113. وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

سبيل الله، والتعلق بما عند الله من رضوان ونعيم، والوفاء بعهد الله، والثبات على الدين كلها مجالات مشتركة للرجل والمرأة على حد سواء، وهذا الذي يعنيه النساء شقائق الرجال".[1]

ويوضح النحوي معنى المساواة ومجالها بقوله:" مساواة المرأة والرجل في أن كلاً منهما يجب أن يخضع لأمر الله، ودين الله، يتساويان في مسئولية الإيمان والتوحيد والعلم والمعرفة، وممارسة منهاج الله في الواقع لا في الأماني والشعارات فحسب. ويظل البيت – بيت الزوجية – ميدانها الأول فإذا أوفت فيه فإن الله فتح لها ميادين أخرى تدخلها داعية إلى الله ورسوله حاملة رسالة الله، مطبقة منهاج الله عن إيمان ويقين، وعمل صادق مبين". [2]

ويرى النحوي أن المسؤوليات تتكامل بين المرأة والرجل، فكل له وظائفه التي لا يستطيع الآخر أن يقوم بها، وإلا لاستغنى الرجل عن المرأة والعكس، وهذا محال.

فالمرأة لها وظائف خاصة بها لا يستطيع الرجل أن يقوم بها، والرجل له وظائف خاصة به لا تستطيع المرأة أن تقوم بها، وهناك أعمال مشتركة بين الرجال والنساء. ولا يمكن للحياة أن تمضي إلا أن تكون المرأة امرأة وأن يكون الرجل رجلاً، وأن يقوم كلّ منهما بما كلّفه به ربّه، ليتكامل العمل في الحياة الدنيا حتى يؤدّي كلٌّ دوره الذي خُلقَ له. إن هذا هو معنى حديث رسول الله ﷺ "**النساء شقائق الرجال**"، أيّ أنّ كلاً منهما يكمل الآخر. ولو كان المعنى أن المرأة مناظرة للرجل مساوية له، لاستغنى كلّ منهما عن الآخر. ولو كان الأمر كذلك لخلق الله الحياة تقوم بها المرأة دون وجود رجال، أو يقوم بها الرجل دون وجود نساء.[3]

ولقد عبّر القرآن الكريم أجمل تعبير عن تكامل أدوار الرجل والمرأة في آيات متعددة، ومن ذلك: قوله تعالى : ﴿**هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ**﴾ (البقرة : 187)، وقوله : ﴿**وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الروم : 21).

إذاً، هناك اشتراك وتكامل بين دوري الرجل والمرأة ولكن ليس المقصود التساوي المطلق، فهذا تأباه الفطرة السليمة والواقع فضلاً عن نصوص الشرع المعصوم.

---

(1) المرأة بين نهجين: الإسلام أو العلمانية، ص: 27- 28

(2) المصدر السابق، ص: 73.

(3) انظر: المرأة ومساواتها بالرجل ونزولها إلى العمل السياسي: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى- 1429 هـ - 2008 م، ص: 38.

يقول الدكتور عبد الله وكيل الشيخ:" إننا بجانب رفضنا لمبدأ المساواة المطلق، نعتقد أن هناك قدراً من المساواة بين الرجل والمرأة، والذي ينبغي أن يطلق عليه بأنه عَدْلٌ وليس بمساواة؛ فالمرأة تساوي الرجل في أصل التكليف بالأحكام الشرعية مع بعض الاختلاف في بعض الأحكام التفصيلية، والمرأةُ تساوي الرجل في الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي في الجملة، والمرأة تساوي الرجل في الأخذ بحقها، وسماع القاضي لها، والمرأة كالرجل في تملكها لمالها، وتصرُّفِها فيه، وهي كالرجل في حرية اختيار الزوج، فلا تُكره على ما لا تريد".(1)

لكن أن تتساوى المرأة في كل شيء مع الرجل فهذه الدعوة لا تسلم من غباء أو تغابي، فقد قدر الله وقضى أن الذكر ليس كالأنثى في صفة الخلقة والهيئة والتكوين، ففي الذكورة كمال خَلقي وقوّة طبيعية، والأنثى أنقص منه خلقة وجبلّة وطبيعةً لما يعتريها من الحيض والحمل والمخاض والإرضاع وشؤون الرضيع وتربية جيل الأمة المقبل، ولهذا خلقت الأنثى من ضلع آدم عليه السلام، فهي جزء منه، تابع له ومتاع له، والرجل مؤتمن على القيام بشؤونها وحفظها والإنفاق عليها وعلى نتاجهما من الذرية. ولقد كان من آثار هذا الاختلاف في الخِلقة الاختلاف بينهما في القوى والقدرات الجسدية والعقلية والفكرية والعاطفية والإرادية، وفي العمل والأداء والكفاية في ذلك، إضافة إلى ما توصّل إليه علماء الطبّ الحديث من عجائب الآثار في تفاوت الخلق بين الجنسين.

قال تعالى الذي يعلم منْ خلق : ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى**﴾ (آل عمران: 36).

يقول النحوي – رحمة الله عليه:" شعار مساواة المرأة بالرجل شعار مضلل خاطئ علميّاً، لأنهما لا يمكن أن يتساويا، وخاطئ عقلاً لأنه لا مفهوم له، وخاطئ ديناً لأنه مخالف للنصوص الحاسمة في الكتاب والسنة، وللتطبيق الواضح أيام النبوة الخاتمة والخلفاء الراشدين".(2)

2–شبهة أن الإسلام حبس المرأة بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب: 33).

قال المُدَّعون أن الإسلام بهذا الأمر حبس المرأة بين جدران منزلها ومنعها من الخروج لأخذ دورها الذي تستحقه.

جاء في موقع الحوار المتمدن عند الحديث عن آية (وقرن في بيوتكن) ما نصه " هنا يأمر القرآن النساء بالمكوث في المنازل وعدم الخروج من البيت. وهذا أمر إلهي واجب التنفيذ ومن تخرج من البيت تكون عاصية تتعرض لعذاب الله وغضبه. والقرآن يحرم المرأة من الخروج

(1) المرأة وكيد الأعداء: عبد الله وكيل الشيخ– بدون بيانات، ص: 10.

(2) المرأة ومساواتها بالرجل ونزولها إلى العمل السياسي، ص: 38.

للتعليم و العمل وقضاء مصالحها. والقرآن يريد المرأة جاهلة عاطلة ليست لها خبرة أو مهارات في الحياة. وهو بذلك يهمش المرأة ويكرس دونيتها و يجعلها مهملة، وهو يمارس التمييز ضدها بسبب جنسها".[1]

يقول النحوي – رداً على سوء الفهم للآية، أو خبث القصد في تأويلها– " اختلط على البعض مفهوم قوله ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ حتى حسب البعض أن البيت سجن للمرأة لا يحل لها الخروج منه أبداً. إن الإسلام جعل من بيت المرأة مودة وسكناً، جعله روضة وسعادة ودنيا ممتدة ... والإسلام الذي كرم المرأة كل التكريم، وحافظ عل شرفها وسائر طاقاتها لتكون عاملة في بناء الأمة المسلمة الواحدة لا يمكن أن يحجز المرأة ويحبسها، فالأمر من عند الله لم يكن فقط القرار في البيت. بل تبعه التحذير من التبرج تبرج الجاهلية الأولى، فالإسلام لا يريد المرأة المسلمة أن تكون مصدر فتنة وشهوة، ومصدر فساد وإثارة".[2]

إن الجوهرة الثمينة إن خيف عليها أن تمتد إليها يد سارق أو عابث فإنها تُحَصَّنُ في مكان أمين لا يدخله إلا صاحبه، وبالمقابل إن الخزف والزجاج تراه على قارعة الطريق تدوسه أقدام المارة، وتسترخصه الطبائع السليمة، وهكذا فإن المرأة إذا قرت في بيتها ولم ترها عين خائنة، ولم تختلط بما ينقص من قدرها والحفاظ عليها، فإنها تبقى عزيزة مصونة لا يراها أو يمسها إلا صاحبها.

" إذاً، القرار هو الراحة والطمأنينة وليس هو السجن كما يزعم أعداء الإسلام، والبيوت مضافة لكم أيتها النساء (في بيوتكن) فأنتن أولي بها من الرجال وإن كانت ملكاً لرجالكم، ولا تنهض البيوت إلا بهذه القيم العظيمة التي تحمي المرأة من التبذل والامتهان أمام الرجال، وتحمي الرجال من الإثارة.

والقرار في البيت أمر محبوب عند كثير من العقلاء، وأمر الله – عز وجل – المرأة بهذه القيم لتظل المرأة كالجوهرة (مثل اللؤلؤ المكنون) في واحة البيت لتنعم بالسعادة والراحة والعفة والكرامة والهدوء لتربي أولادها على الدين وحتى تربي الأبطال".[3]

وليس معنى القرار في البيوت حبس المرأة بالكلية من الخروج منه، فهذا فهم خاطئ للآية الكريمة، فالمقصود ألا تخرج المرأة لأتفه الأسباب فتكون مثار فتنة للرجال، فالإسلام أباح للمرأة

---

(1) إهانة الإسلام للمرأة والرد على المدافعين، نورا محمد، 2015/9/20،
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=164571

(2) واقع المسلمين، أمراض وعلاج، ص: 147.

(3) صلاح البيوت في جهد الرسول ﷺ، ص: 255.

الخروج من بيتها لكن بالضوابط الشرعية من الاحتشام ولبس اللباس الشرعي الساتر الذي لا يصف ولا يشف، والبعد عن العطور التي تجذب الأنظار.

ويدل على هذا المفهوم أن الإسلام سمح للمرأة أن تخرج من بيتها لأداة الصلاة، ونهى أن يُمنعن منها. فعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، قَالَ: كَانَتِ امْرَأَةٌ لِعُمَرَ تَشْهَدُ صَلاَةَ الصُّبْحِ وَالعِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ فِي المَسْجِدِ، فَقِيلَ لَهَا: لِمَ تَخْرُجِينَ وَقَدْ تَعْلَمِينَ أَنَّ عُمَرَ يَكْرَهُ ذَلِكَ وَيَغَارُ؟ قَالَتْ: وَمَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْهَانِي؟ قَالَ: يَمْنَعُهُ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "**لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ**"[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " **أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ**".[2]

فدلك هذا على أن الإسلام لم يحبس المرأة في بيتها كما زلت أفهام القوم، لكن الإسلام دائماً لا يريد للمرأة أن تكون باب شر وفتنة، فإذا خرجت التزمت اللباس المحتشم الذي حدد معالمه الكتاب والسنة، وألا تخرج إلا لحاجة.

3- شبهة أن الإسلام انتقص من قدر المرأة بحديث " نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ ".

والحديث بتمامه رواه أبو سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ إِلَى المُصَلَّى، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَوَعَظَ النَّاسَ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَقَالَ: "**أَيُّهَا النَّاسُ، تَصَدَّقُوا**"، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: "**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**"[3] فَقُلْنَ: وَبِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: " **تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ، أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ، مِنْ إِحْدَاكُنَّ**"[4].

فقد قال المشككون أن الإسلام اعتبر المرأة ناقصة عقل ودين، فاحتقرها بهذا القول، في وقت نرى المرأة أبدعت في كثير من المجالات، وأثبتت على أرض الواقع أنها كاملة العقل، بل ربما تفوق كثيراً من الرجال في مجال عملها.

---

(1) رواه البخاري، 6/2 – كتبا الجمعة – باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم – رقم/ 900.

(2) رواه مسلم، 228/1 – كتاب الصلاة – باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليها فتنة، وأنها لا تخرج مطيبة– رقم/ 444.

(3) كثرة عدد النساء في النار شبهة أخرى أثارها المخالفون سيأتي تفنيدها قريباً.

(4) رواه البخاري، 120/2 – كتاب الزكاة – باب الزكاة على الأقارب – رقم/ 1462، واللفظ للبخاري، ورواه كذلك مسلم في صحيحه، 86/1 – كتاب الإيمان – باب بَيَانِ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِنَقْصِ الطَّاعَاتِ، وَبَيَانِ إِطْلَاقِ لَفْظِ الْكُفْرِ عَلَى غَيْرِ الْكُفْرِ بِاللهِ، كَكُفْرِ النِّعْمَةِ وَالْحُقُوقِ، رقم/ 34.

"يحرم الإسلام المرأة من إقامة العبادات أثناء الحيض، ثم يعود فيعايرها بنقصان دينها، ويقرر أن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل في المحكمة، ثم يعايرها بنقصان عقلها وليس من العدل والرحمة أن يستغل الإسلام طبيعة المرأة البيولوجية التي ليس لها ذنب فيها ليقلل من شأنها ويهينها و يحقرها ويصفها بالنقصان".[1]

يقول النحوي – رحمه الله:" وهنا يثير المنحرفون الفتنة والشبهات ويدورون بالجدل حول نقص العقل والدين، فالحديث لم ينقص من قدر المرأة ومنزلتها وكرامتها، ودورها المهم في الحياة، وإنما أشار إلى طبيعة عامة في الرجال والنساء، وهي عدم كمال العقل أو الدين، فمن ذا الذي ما ساء قط؟ وأشار من خلال ذلك إلى ناحية من هذا النقص خاصة النساء لا يترتب عليها مسؤولية ولا حساب، وربما كان لبعض ذلك أجر من عند الله وثواب، ثم إن الذي خلق المرأة أعلم بحالها وما يناسبها".[2]

وبنظرة منصفة للحديث ومقارنة صادقة بأخلاق النبي ﷺ الحانية الرحيمة مع النساء وغيرهن، يفهم من هذا الحديث المدح للنساء لا الذم! وأنها كانت مداعبة من صاحب الرسالة المعصومة، فهن يغلبن الرجل الحكيم الحازم ذا العقل الراجح بذكائهن وعاطفتهن ومشاعرهن الجياشة، فإنك لترى الرجل العظيم المهاب بين الرجال، أو تجد الجندي المقدام والشجاع الذي لا يهاب الموت، والقائد الذي ترتعد فرائس جنوده فرقاً منه، إنك لترى هؤلاء بمجرد الدخول في البيوت ورؤية الزوجة يخضع ويسلم نفسه لها، بل ربما تأمره وتنهاه وتزجره وهو صامت لا يرد جواباً، فيا لخسارة المرأة التي حرمت هذا السلاح العجيب، ويا لخسارة رجل لا يخضع لها.

" فنقص العقل الذي أشارت إليه كلمات الحديث النبوي الشريف هو وصف لواقع تتزين به المرأة السوية وتفخر به، لأنه يعني غلبة عاطفتها على عقلانيتها المجردة، ولذلك، كانت " مداعبة " صاحب الخُلق العظيم الذي آتاه ربه جوامع الكلم للنساء، في يوم الفرحة والزينة، عندما قال بأنهن يغلبن بسلاح العاطفة وسلطان الاستضعاف أهل الحزم والألباب من عقلاء الرجال، ويخترقن بالعواطف الرقيقة أمنع الحصون! فهو مدح للعاطفة الرقيقة التي تذهب بحزم ذوى العقول والألباب. ويا بؤس وشقاء المرأة التي حرمت من شرف امتلاك هذا السلاح الذي فطر الله النساء على تقلده والتزين به في هذه الحياة! بل وأيضاً يا بؤس أهل الحزم والعقلانية من الرجال الذين حرموا في هذه الحياة من الهزيمة أمام هذا السلاح، سلاح العاطفة والاستضعاف".[3]

---

(1) إهانة الإسلام للمرأة والرد على المدافعين، نورا محمد، 2015/9/20، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=164571

(2) المرأة بين نهجين الإسلام أو العلمانية، ص: 157.

(3) شبهات المشككين: مجموعة من المؤلفين – تقديم: محمود حمدى زقزوق – موقع وزارة الأوقاف المصرية – بدون بيانات، 128/1.

4- شبهة حديث " يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ".

أثار أعداء الإسلام ومن يدعون الرأفة على المرأة أن الإسلام وجه هذا الخطاب القاسي والمخيف لذلك المخلوق الرقيق في يوم العيد! فأي رفق يتحدث عنه المسلمون، وهل هذا القول يتلاءم وأجواء العيد، الذي من المفترض أن تكون كلمات التهنئة والفرحة هي السائدة في ذلك اليوم!

بداية، من قال أن النساء اللاتي سمعن هذا الحديث هن المقصودات به، فالنساء منهن المؤمنة والكافرة، والمخاطبات بهذا الحديث صحابيات جليلات رضي الله عنهن وأعد الله لهن مغفرة أجراً عظيماً.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ وَالْقانِتِينَ وَالْقانِتاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِراتِ وَالْخاشِعِينَ وَالْخاشِعاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِماتِ وَالْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ (الأحزاب: 35). والنبي ﷺ أوتي جوامع الكلم يخاطب جموع الأمة سواء من كان في عصره أو ممن جاءوا بعده، وهذا معلوم بداهة.

يوجه النحوي – رحمه الله – فهم الحديث بأنه وإن كان ينص على أن النساء أكثر أهل النار يوم القيامة، فهذا حق لا مجال للشك فيه، ولكنه في الوقت نفسه لا ينقص من قدر المرأة المؤمنة التقية، وأهل النار يوم القيامة فئتان: فئة كافرة وفئة مسلمة. إذاً، أي نساء يقصد النبي ﷺ ؟ فلا يعقل أن يكن المسلمات المؤمنات، فهذا يناقض قوله تعالى : ﴿**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾، وبالرغم أن الخطاب جاء للنساء، فإن الله خص الرجال بأنواع أخرى من الخطاب مثل الأمر بالصدقة والاستغفار والتوبة، ثم إنه شرفٌ للمرأة بأن يخصها النبي بالتوجيه، فالنصيحة لا تكون تحقيراً أبداً، بل إن النصيحة الخاصة تعد من فضائل الصحابة فبعد أن عرفنا التكريم الكبير للمرأة في الإسلام والاهتمام الواضح، فأين التحقير لها؟[1]

ثم إن جنس النساء وعددهن كثير، وربما يكن أكثر من الرجال في الدنيا، فكان كذلك في الآخرة من أنهن أكثر من الرجال في النار بحكم العدد، وخصوصاً إذا تأملنا حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لاَ يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " **مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ**".[2]

(1) انظر: المرأة بين نهجين الإسلام أو العلمانية، ص: 143 – 145.

(2) رواه البخاري، 27/1 – كتاب العلم – باب رفع العلم وظهور الجهل – رقم/ 81. ورواه مسلم، 2056/4 – كتاب العلم – باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان– رقم/ 2671.

فما يمنع – بلغة الحساب – أن يكون عدد النساء الداخلات النار أكثر من عدد الرجال.

قال ابن حجر – رحمه الله– في الفتح:" " من آداب النَّصيحة جواز الإغلاظ فيها بما يكون سببًا لإزالة الصفة المعَابة، مع العتاب بأسلوب التعميم الذي يَسْهُل به الوصول إلى حسِّ السَّامع والتَّأثير فيه، وإشعاره بقيمته وأهميَّته والعناية به وتسليته، وتحاشي الإنكار عليه – مواجهةً بعينه دون سائر المجموعة – بالنصيحة المباشرة والشدَّة لأنه لا يكاد يثمر. وفيه شفقة النبي ﷺ بهذه الأمة رجالاً ونساءً ومحضهم النصح والتعليم، وهدايتهم لما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم، بالرفق والصبر على جاهلهم واللين لهم حتى يأنس السامع بمراجعته فيما لا يظهر له معناه ولا يدرك فهمه ويطيب نفسًا بسؤاله، كما استفهمت تلك المرأة عن علَّة الحكم".[1]

5- شبهة أن الإسلام سمح للمرأة بممارسة النشاط السياسي:

كل شبهة تلوكها ألسنة المخالفين تعتمد على دليل من القرآن أو السنة، لكن المشكلة في الفهم، والفهم رزق من الله يتمايز الناس به، ونور يؤتيه الله بعض عباده ليجلوا هذه الشبه من عقول العامة.

ودليل القوم على عمل المرأة السياسي أن رسول الله ﷺ قال يوم صلح الحديبية: " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، انْحَرُوا وَاحْلِقُوا**"، فما قام أحد، ثم عاد بمثلها، فما قام رجل، حتى عاد بمثلها، فما قام رجل، فرجع رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة، فقال: **يَا أُمَّ سَلَمَةَ، مَا شَأْنُ النَّاسِ؟**" قالت: يا رسول الله، قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمن منهم إنساناً، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق، فلو فعلت ذلك فعل الناس ذلك. فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحدا حتى أتى هديه فنحره، ثم جلس، فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون.[2]

يقول النحوي مفنداً هذه الشبهة : "وإذا كان رسول الله ﷺ شكا إلى زوجه أم سلمة ما حدث من أصحابه في الحديبية، فأشارت عليه برأي استحسنه وأخذ به، فهذه حالة طبيعية في جوّ الأسرة المسلمة أن يُفرغ الرجل إلى زوجته بعض همومه، وأن يستشيرها في ذلك، وأن يستمع إلى رأيها، فإن وجد فيه خيراً أخذ به، وإن لم يجدْ تركه. هذه حادثة نتعلم منها أدب الحياة الزوجيّة في الإسلام، ونتأسَّى برسول الله ﷺ ونسائه في ذلك، دون أن نعتبر ذلك نشاطاً سياسياً لنخرج منها بحكم عام مطلق ينطبق على جميع النساء في جميع العصور والأماكن في النشاط السياسي. وأم

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار المعرفة – لبنان – 1379هـ، 1/ 536.

(2) صحيح البخاري – كِتَابُ الشُّرُوطِ – بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ – 193/3 – رقم/ 2731.

سلمة بعد ذلك لم يُعرَف عنها أنها شاركت في النشاط السياسيّ مساوية للرجال على قدم سواء، وكذلك سائر النساء لم يعرف عنهن هذه المشاركة المساوية للرجال في المجتمع المسلم. فهذه حادثة تكاد تكون فريدة لا تصلح لإطلاق حكم عام".[1]

بل جاء التحذير من عمل المرأة السياسي صريحاً لما مرت عائشة ببعض مياه بني عامر وقد طرقتهم ليلاً فسمعت نباح الكلاب فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب قالت: ما أظنني إلا راجعة! قالوا: مهلاً يرحمك الله! تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله بك! قالت: ما أظنني إلا راجعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلابُ الحَوْأَب**".[2]

ولقد زخرت الأمة الإسلامية بنساء عالمات عابدات عاقلات في القرون المفضلة وفي غيرها ولم ينقل أن إحداهن شاركت الرجال في خضم السياسة، ولم ينقل عن إحداهن – على حرصهن على الدين – أنها طالبت الرجال بمشاركتها السياسية، ولا اعترضت على تفرد الرجال بهذا المجال. ثم إن الذي خلق المرأة هو أعلم بما يلائم قدرتها، فسياسة الدول تحتاج لقدرات خارقة بإدارة الأمور وحذق المناورة والتفاوض، والتنقل والسفر، وإقامة الحجة على المخالف، وكتابة الرسائل للقادة، والدعوة وإعلان الحرب والجهاد، وإمامة الناس في الصلاة، واستقبال الوفود وغيرها مما تعجز المرأة عن حمله.

---

(1) المرأة ومساواتها بالرجل ونزولها إلى العمل السياسي، ص: 44 – 45.

(2) رواه أحمد في مسنده – مُسْنَدُ الصِّدِّيقَةِ عَائِشَةَ بِنْتِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – 298/40 – رقم/ 24254. والحديث صححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح بن حبان، رقم/ 6697.



الخاتمة

وتشتمل على:

أولاً- النتائج.

ثانياً- التوصيات

الخـــاتـــمـــة

أولاً- النتائج:

1- بعد قراءة ما جادت به قريحة الشيخ الدكتور عدنان النحوي – رحمه الله – من كتابات ذات الصلة بالدراسة، يتبين أن الدكتور قد دان لله – سبحانه – بعقيدة سلفية صافية متبعاً في ذلك منهج السلف الصالح في الاعتقاد، إلا ما كان من اضطراب في استخدام بعض الألفاظ العقدية.

2- تبين من كتابات النحوي أن له نظريته الدعوية الخاصة التي لها نماذجها وخطواتها ومنطلقاتها وعناصرها، وقد سمَّى هذه النظرية " النظرية العامة في الدعوة الإسلامية ". والنظرية جديرة بالدراسة والتحليل لمعرفة فرائدها، ولتعم فوائدها. كما أن له العديد من المصطلحات الدعوية الخاصة به.

3- يتبين من خلال عناوين كتب الشيخ عدنان النحوي تعدد وتنوع مواضيعها، ليدلك هذا على سعة اطلاع الشيخ – رحمه الله – وغزاره فكره، وثقافته الواضحة، فقد برع في الكتابات الدعوية والشعرية والأدبية بشكل كبير، وأثرى المكتبة العربية والإسلامية بإضافات نوعية ومتنوعة.

4- ومن خلال كتاباته أيضاً، يتبين اهتمامه الواضح بقضايا الأمة الإسلامية على اختلاف أماكنها وأزمنتها، فلم يدع – رحمه الله – قضية تعيشها الأمة إلا وأدلى دلوه بها، مشخصاً للداء ومقدماً للدواء بنظرة وفكر إسلاميين أصيلين.

5- كما أن كتبات النحوي تميزت عن غيرها من كتب الفكر والدعوة بسهولة أسلوبها، والقرب في معانيها، واليسر في فهمها، والبعد عن الغريب والمهجور في ألفاظها، فناسبت بذلك كل المستويات، ولاءمت كل الخلفيات، وحوت كل الثقافات والمجالات.

6- يؤخذ على كتابات النحوي – رحمه الله – التكرار في المواضيع؛ سواء وقع التكرار في الكتاب الواحد، أو كان واقعاً في أكثر من كتاب، وهذا أدى إلى أن يكرر الشيخ نفس الألفاظ والعبارات، مما أثَّر على بعض ثراء وقوة كتاباته.

7- يتضح من مؤلفات الشيخ عدنان النحوي اهتمامه الشديد بالعقيدة الإسلامية؛ مبيناً لمعانيها، ومنبهاً على الخلل الواقع فيها، راسماً سبل إصلاحها، جاعلاً إياها الأساس المتين الذي تبنى عليه باقي القضايا.

8- كما تبين من خلال ثناء العلماء والمؤسسات والهيئات على الدكتور عدنان النحوي، ثم نعيهم إياه عند وفاته، تبين مكانة الشيخ المرموقة في الأمة، والاحترام الكبير الذي يحظى به في العالم الإسلامي.

9 – لقد أثبتت كتابات النحوي أنه مناوئٌ شرسٌ، وعدوٌ لدودٌ لكل الأفكار الهدامة الوافدة على الأمة من الغرب والشرق؛ كالديمقراطية، والعلمانية، والحداثة، وحوار الأديان، وقوانين حقوق الإنسان، وغيرها.

10- كان الشيخ مدافعاً قوياً عن اللغة العربية – لغة الوحي – واعتبر أن منهاج الله سبحانه – القرآن والسنة – لا يمكن أن تفهم أو تدرك إلا بمعرفة تامة باللغة العربية. كما حذر من الهجمة الغربية عليها، وبين أهداف هذه الهجمة، كما وحذر من انتشار اللهجات العامية في الأجيال، والألفاظ غير الأصيلة في اللغة.

11- لقد تبين مما كتب النحوي اهتمامه وشوقه الواضحان بقضية فلسطين – مسقط رأسه – من خلال متابعة أحداثها، ومواكبة تطوراتها؛ فقد كتب عنها العديد من الكتب، ناصحاً ومقوماً وناقداً.

12- لقد كان الشيخ – رحمه الله رحمة واسعة – مثالاً للمثابرة والاجتهاد والاطلاع؛ فبالرغم من أنه كان متخصصاً في الهندسة، لكنه برع في مجال الكتابات الشرعية والأدبية، ولا شك أن الأمة بحاجة إلى المهندس المثقف، والطبيب الواعي، والمعلم الملم بواقع الأمة.

ثانياً- التوصيات:

1- تعريف الأجيال بالشيخ عدنان النحوي بصفته واحد من مفكري ودعاة الأمة العاملين، له جهود طيبة في معالجة مختلف قضايا الأمة، وخصوصاً القضية الفلسطينية.

2- العمل على جمع كتب الشيخ في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية، لتكون بين يدي طلبة العلم، وكل العاملين للإسلام.

3- يوصي الباحث الدعاة جميعاً بالاستفادة من فكر الشيخ الدكتور عدنان النحوي الأصيل وتجربته الدعوية الطويلة.

4- يدعو الباحث طلبة العلم من كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة لكتابة رسالة ماجستير مستقلة في نظرية النحوي الدعوية والتي أسماها " النظرية العامة في الدعوة الإسلامية "، وخصوصاً أن جميع المراجع اللازمة لهذه الدراسة متوفرة، ولله الحمد.

5- يوصي الباحث طلاب الماجستير في كلية التربية في كافة الجامعات بكتابة رسالة مسماها " منهج الشيخ عدنان النحوي في التربية ".

6- يوصي الباحث طلاب كلية الآداب – قسم اللغة العربية – بدراسة الملاحم والدواوين الشعرية للدكتور عدنان النحوي، فقد كتب الشيخ عشرة دواوين وخمس عشرة ملحمة شعرية.

7- يلتمس الباحث من كليته الميمونة – كلية أصول الدين – تنظيم مؤتمر علمي أو – على الأقل – يوم دراسي يخصص للتعريف بالشيخ الدكتور عدنان النحوي، وكيفية الاستفادة من فكره ودعوته.



الفهارس العامة

وتشتمل على:

أولاً- فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ ﴾	**44**	67
﴿ وَأَنْزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّـمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ... ﴾	**48**	282
﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ ... ﴾	**49**	282
﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾	**51**	133
﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ ... ﴾	**83**	133
الأنعام		
﴿ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ ﴾	**20**	103
﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾	**55**	159
﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ... ﴾	**59**	118
﴿وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى....﴾	**68**	20
﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ ...﴾	**82**	273
﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ...﴾	**83**	68
﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى نُوراً ... ﴾	**91**	68
﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ ...﴾	**122**	272
﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا ... ﴾	**148**	125
﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ ...﴾	**153**	195
الأعراف		
﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ ﴾	**54**	122
﴿ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ ﴾	**59**	164، 279
﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾	**62**	176
﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾	**65**	86

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَعَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ﴾	**121**	126
الأنبياء		
﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾	**23**	128
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا ...﴾	**25**	86
﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾	**92**	179
الحج		
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾	**78**	90
المؤمنون		
﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾	**32**	69
﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾	**86**	77
النور		
﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ... ﴾	**30**	301
﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾	**40**	239
الفرقان		
﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾	**43**	96
﴿ تبارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّماءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيها سِراجاً ... ﴾	**61**	76
الشعراء		
﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ۝ عَلَى قَلْبِكَ... ﴾	**192 -194**	234
النمل		
﴿وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا﴾	**14**	103

الصفحة	رقمها	طرف الآية
191	**59**	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ ... ﴾
1	**70**	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾
1	**71**	﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ .. ﴾
		سبأ
ث	**13**	﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ ﴾
205	**33**	﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ﴾
193	**46**	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ ... ﴾
		فاطر
81	**1**	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ... ﴾
		الصافات
120	**96**	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾
		ص
256	**24**	﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾
		الزمر
أ	**9**	﴿ أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَقائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ... ﴾
119	**62**	﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾
		غافر
280	**5**	﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾
		فصلت
279	**33**	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي ... ﴾
151	**53**	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ ... ﴾

ثانياً- فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً- فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً – فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

أولاً: كتب الشيخ الدكتور عدنان النحوي

1. **الاختلاف بين الوفاق والشقاق:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1425 هـ – 2004 م.
2. **إسلام رباني لا إسلام ديمقراطي:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1431 هـ – 2010 م.
3. **الإسلام والحرية، وحرية المعتقد:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1429 هـ – 2008 م.
4. **أضواء على طريق النجاة:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1414 هـ – 1994 م.
5. **بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الرابعة – 1417 هـ – 1997 م.
6. **بين الارتجال وبين النهج والتخطيط والإعداد والبناء:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1433هـ – 2012م.
7. **تجربتي الشعرية وامتدادها:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1427 هـ – 2006 م.
8. **التربية في الإسلام(النظرية والنهج):** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1420 هـ – 2000 م.
9. **التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتماء الصادق إلى الإسلام:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1417 هـ – 1997 م.
10. **تمزق العمل الإسلامي بين ضجيج الشعارات واضطراب الخطوات:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 2516 هـ – 2004 م.

11. **التوحيد وواقعنا المعاصر:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1413 هـ – 1993 م.

12. **الثبات على الحق بين الابتلاء والصبر:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1433 هـ – 2012 م.

13. **حتى نغير ما بأنفسنا:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1423 هـ – 2002 م.

14. **الحقيقة الكبرى في الكون والحياة:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1416 هـ – 1996 م.

15. **حوار الأديان، دعوة تقارب أم تنازل:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1421 هـ – 2001 م.

16. **الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الرابعة – 1417 هـ – 1997 م.

17. **الخشوع:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع– السعودية– الطبعة الأولى– 1415 هـ – 1995 م.

18. **درة الأقصى:** عدنان النحوي – دار النحوي للطباعة والنشر – السعودية – الطبعة الأولى – 1422هـ – 2001م.

19. **الدعوة الإسلامية بين الأحزاب والجماعات:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1425 هـ – 2004 م.

20. **دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة السادسة – 1414 هـ – 1993 م.

21. **ديوان الأرض المباركة:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1418 هـ – 1998 م.

22. **ديوان مهرجان القصيد:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1414 هـ – 1993 م.

23. **الشريعة والحياة المعاصرة:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1428 هـ – 2007 م.

24. **الشورى لا الديمقراطية:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الخامسة – 1421 هـ – 2001 م.

25. **الشورى وممارستها الإيمانية:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الرابعة – 1425 هـ – 2004 م.

26. **الصحوة الإسلامية ... إلى أين؟:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثالثة – 1414 هـ – 1993 م.

27. **عبد الله عزام، أحداث ومواقف:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1414 هـ – 1994 م.

28. **على أبواب القدس:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثالثة – 1422 هـ – 2001 م.

29. **العهد والبيعة وواقعنا المعاصر:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1411 هـ – 1990 م.

30. **العولمة والإسلام:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1428 هـ – 2007 م.

31. **فقه الإدارة الإيمانية في الدعوة الإسلامية:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1419 هـ – 1999 م.

32. **فقه الاستشهاد في سبيل الله:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1429 هـ – 2008 م.

33. **فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الرابعة – 1414 هـ – 1993 م.

34. **قبسات من الكتاب والسنة(تدبر وظلال)** : عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1418 هـ – 1997 م.

35. **قبسات من الكتاب والسنة، الجزء الثاني(تدبر وظلال):** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1423 هـ – 2002 م.

36. **كيف تلتقي الجماعات الإسلامية:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الرابعة – 1413 هـ – 1992 م.

37. **لتكون كلمة الله هي العليا:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1430 هـ – 2009 م.

38. **اللغة العربية بين مكر الأعداء وجفاء الأبناء!:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1429 هـ – 2008 م.

39. **لقاء المؤمنين (أسسه وقواعده):** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الخامسة – 1428 هـ – 2007 م.

40. **لقاء المؤمنين (الأهداف):** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الرابعة – 1416 هـ – 1996 م.

41. **لماذا اللغة العربية؟:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1434 هـ – 2013 م.

42. **لؤلؤة الإيمان فريضة طلب العلم ومسؤولية المسلم الذاتية:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1431 هـ – 2010 م.

43. **المرأة بين نهجين، الإسلام أو العلمانية** : عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1420 هـ – 1999 م.

44. **المرأة ومساواتها بالرجل ونزولها إلى العمل السياسي:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى– 1429 هـ – 2008 م.

45. **المسلمون بين العلمانية وحقوق الإنسان الوضعية:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1418 هـ – 1997 م.

46. **المسلمون بين الواقع والأمل:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1424 هـ – 2003 م.

47. **المسؤولية الفردية في الإسلام(أسسها، تكاليفها، تميزها):** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1419 هـ – 1999 م.

48. **مصارحة ونصيحة : مراجعات دعوية ووقفات إيمانية:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1429 هـ – 2008 م.

49. **مع مصطلح الاختلاط:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1431 هـ – 2010 م.

50. **ملحمة أرض الرسالات:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1421 هـ – 2000 م.

51. **ملحمة الإسلام من فلسطين إلى لقاء المؤمنين:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1423 هـ – 2003 م.

52. **ملحمة التاريخ! قيام الدول الإسلامية وسقوطها:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1427 هـ – 2006 م.

53. **ملحمة فلسطين:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة السادسة – 1419 هـ – 1998 م.

54. **منهج المؤمن بين العلم والتطبيق:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الخامسة – 1415 هـ – 1995 م.

55. **الموجز الميسر عن مدرسة لقاء المؤمنين:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1426هـ – 2005م.

56. **موجز النظرية العامة للدعوة الإسلامية والنهج العام وأساس لقاء المؤمنين:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثالثة – 1419 هـ – 1999 م.

57. **النبي العظيم والرحمة المهداة محمد ﷺ:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1427 هـ – 2006 م.

58. **النظرية العامة للدعوة الإسلامية، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثالثة – 1417 هـ – 1997 م.

59. **النهج الإيماني للتفكير**: عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1421 هـ – 2000 م.

60. **نهج الدعوة وخطة التربية والبناء:** عدنان النحوي – دار السلام للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1414 هـ – 1993 م.

61. **النهج في موضوعاته ومصطلحاته:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الرابعة – 1425 هـ – 2004 م.

62. **النية في الإسلام وبعدها الإنساني:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1412 هـ – 1992 م.

63. **هوان المسلمين أمام الواقع وتعدد المواقف والاتجاهات والاجتهادات:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1427 هـ – 2006 م.

64. **واقع المسلمين أمراض وعلاج:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الثانية – 1431 هـ – 2010 م.

65. **الوجيز في دراسة الأسلوب والأسلوبية:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1424 هـ – 2003 م.

66. **الولاء بين منهاج الله والواقع:** عدنان النحوي – دار النحوي للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الرابعة – 1420 هـ – 2000 م.

ثانياً: المصادر والمراجع الأخرى

67. **الاتجاه الإسلامي في شعر عدنان علي النحوي(رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الأدبية)** : ليلى الشبيلي – إشراف صلاح الميه – كلية التربية للبنات بجازان – السعودية – 1424 هـ – 2003 م.

68. **الاتجاهات الفكرية المعاصرة:** علي جريشة – دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – مصر – الطبعة الثانية – 1409 هـ – 1988 م.

69. **أحكام القرآن:** أحمد بن علي الجصاص الحنفي – تحقيق: محمد صادق القمحاوي – دار إحياء التراث العربي – لبنان – 1405هـ.

70. **الاختلاف في المصطلحات العقائدية والفكرية وأثره على الأمة الإسلامية (رسالة ماجستير):** حسن حلس، إشراف/ سعد عاشور – الجامعة الإسلامية – فلسطين – 1428هـ – 2007م.

71. **الإرشاد إلى توحيد رب العباد:** د.عبد الرحمن بن حماد آل عمر – دار العاصمة – الرياض – الطبعة الثانية – 1412 هـ.

72. **أرشيف ملتقى أهل التفسير:** رابط الموقع: http://tafsir.net.

73. **أَركانُ الإيمانِ:** علي بن نايف الشحود– السعودية – الطبعة الرابعة– 1431 هـ– 2010 م.

74. **أركان حقوق الإنسان:** صبحي محمصاني – دار العلم للملايين – لبنان – الطبعة الأولى – 1979م.

75. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل:** محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثانية – 1405 هـ – 1985م.

76. **الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه:** د. يوسف القرضاوي – مكتبة وهبة – مصر – الطبعة الأولى – 1997م.

77. **الأسئلة والأجوبة في العقيدة:**د. صالح الأطرم – دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى – 1413 هـ.

78. **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث:** أحمد بن الحسين البيهقي – تحقيق: أحمد عصام الكاتب – دار الآفاق الجديدة – لبنان – الطبعة الأولى – 1401هـ.

79. **الأعلام:** خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي – دار العلم للملايين – مصر – الطبعة الخامسة عشرة – 2002م.

80. **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان:** محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – تحقيق: محمد حامد الفقي – مكتبة المعارف – السعودية.

81. **أفعال العباد عند الفرق الإسلامية** (بحث مقدم من): د. سعد عاشور – الجامعة الإسلامية – غزة – بدون بيانات.

82. **الإنسان بين الشريعة الإسلامية والاتفاقات الدولية:** يزن ساجد وفايز محمود – مركز الدراسات الإقليمية – بدون بد نشر – بدون طبعة – بدون سنة تأليف.

83. **الإيمان بالقضاء والقدر:** محمد حسان – مكتبة فياض – مصر – الطبعة الثانية – 1427 هـ – 2006 م.

84. **التبشير والاستعمار في البلاد العربية:** مصطفى خالدي وعمر فروخ – المكتبة العصرية – بنان – الطبعة الخامسة – 1973م.

85. **التبيان شرح أركان الإيمان:** سعد عاشور – مكتبة الطالب الجامعي بالجامعة الإسلامية – فلسطين – الطبعة الرابعة – 1430هـ – 2009م.

86. **التحف فِي مَذَاهِب السّلف:** محمد بن علي الشوكاني – تحقيق: سيد عاصم علي – دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع – مصر – الطبعة الأولى – 1409 هـ – 1989م.

87. **تخريج العقيدة الطحاوية:** أحمد بن محمد بن سلامة المعروف بالطحاوي – شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – لبنان – الطبعة: الثانية – 1414هـ.

88. **التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها:** عاطف السيد– باقي بيانات الكتاب غير موجودة.

89. **تفسير الجلالين:** جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – دار الحديث – مصر – الطبعة الأولى – بدون سنة تأليف.

90. **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير):** إسماعيل بن عمر بن كثير – تحقيق: محمد حسين شمس الدين – دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة الأولى – 1419هـ.

91. **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل):** عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي – تحقيق: يوسف علي بديوي – دار الكلم الطيب – بيروت – الطبعة الأولى– 1419 هـ – 1998م.

92. **تنبيهات على أحكام تختص بالمؤمنات:** صالح بن فوزان بن الفوزان – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية – الطبعة الأولى – 1423هـ.

93. **التوحيد أولا يا دعاة الإسلام:** محمد ناصر الدين الألباني – موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.

94. **التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية:** عبد الله بن حميد – تحقيق: أشرف بن عبد المقصود – مكتبة طبرية – السعودية – الطبعة الأولى – 1412 هـ – 1992م.

95. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** عبد الرحمن بن ناصر السعدي – تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى – 1420هـ –2000م.

96. **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري):** محمد بن جرير الطبري – تحقيق: أحمد محمد شاكر – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى – 1420 هـ – 2000م.

97. **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي):** محمد بن أحمد القرطبي – تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – مصر – الطبعة الثانية – 1384هـ – 1964م.

98. **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام:** بن قيم الجوزية – تحقيق: شعيب الأرناؤوط – دار العروبة – الكويت – الطبعة الثانية – 1407هـ – 1987م.

99. **الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة:** سليم الهلالي – دار الفكر – الأردن – الطبعة الثالثة – 1417هـ – 1997م.

100. **جمالية الفن عند الدكتور عدنان علي رضا النحوي، قراءة في الدلالات والمقومات والسمات:** عبد الجبار البودالي – دار أطلس الخضراء – السعودية – الطبعة الأولى – 1429هـ – 2008م.

101. **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء):** محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – دار المعرفة – المغرب – الطبعة الأولى – 1418هـ – 1997م.

102. **حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة:** جميل المصري – كلية الدعوة وأصول الدين – السعودية – بدون سنة التأليف.

103. **حاضر العالم الإسلامي:** تاج السر أحمد حران – إشبيليا للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الأولى – 1422هـ – 2001م.

104. **حاضر العالم الإسلامي:** علي جريشة – دار المجتمع للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الرابعة – 1410 هـ – 1989 م.

105. **حاضر العالم الإسلامي:** فرغلي علي الهريدي – العلم والإيمان للنشر والتوزيع – مصر – الطبعة الأولى – 2010م.

106. **حِرَاسَةُ الْفَضِيلَةِ:** بكر بن عبد الله أبو زيد – دار العاصمة للنشر والتوزيع – السعودية – الطبعة الحادية عشرة – 1426هـ – 2005م.

107. **حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الغربي:** محمد فتحي عثمان – دار الشروق – الطبعة الأولى – 1402هـ – 1982م.

108. **حقوق الإنسان في الإسلام والرد على الشبهات المثارة:** سليمان الحقيل – مكتبة الملك فهد الوطنية – السعودية – الطبعة الرابعة – 1424هـ.

109. **حقوق الإنسان في الإسلام:** عبد الله بن عبد المحسن التركي – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية – الطبعة الأولى – 1419هـ.

110. **حقوق الإنسان:** محمد الغزالي – دار نهضة – مصر – الطبعة الأولي. بدون سنة.

111. **حقيقة التوحيد:** محمد حسان– مكتبة فياض – مصر– الطبعة الأولى– 1427 هـ – 2006 م.

112. **حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية الحزبية:** عبد المنعم حليمة– بدون ناشر – سوريا – الطبعة الأولى – بدون سنة تأليف.

113. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:** أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني – دار السعادة – مصر – 1394هـ – 1974م.

114. **الحوار بين الأديان (حقيقته وأنواعه):** عبد الرحيم بن صمايل السلمي. بدون بيانات.

115. **الحوار مع أتباع الأديان – مشروعيته وآدابه:** منقذ بن محمود السقار – رابطة العالم الإسلامي – بدون بيانات.

116. **الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه:** أحمد بن سيف الدين تركستاني – الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية – بدون بيانات.

117. **الخطب المنبرية:** محمد حسان – مكتبة فياض – مصر – الطبعة الأولى – 1427هـ – 2006م

118. **خلق أفعال العباد:** محمد بن إسماعيل البخاري – تحقيق: عبد الرحمن عميرة – دار المعارف – السعودية – بدون سنة نشر.

119. **الدرر السنية في الأجوبة النجدية:** علماء نجد الأعلام – تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – الطبعة السادسة – 1417هـ – 1996م.

120. **دروس في شرح نواقض الإسلام:** صالح الفوزان – مكتبة الرشد – السعودية – الطبعة الثالثة – 1425 هـ.

121. **دروس للشيخ سعيد بن مسفر:** سعيد بن مسفر القحطاني – دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية – http://www.islamweb.net.

122. **دروس للشيخ محمد المنجد:** محمد صالح المنجد – دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية – http://www.islamweb.net.

123. **دروس للشيخ محمد حسان:** محمد بن إبراهيم بن حسان – دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية – http://www.islamweb.net.

124. **دعوة التقريب بين الأديان:** أحمد بن عبد الرحمن القاضي – دار ابن الجوزي – السعودية – الطبعة الأولى – 1421هـ.

125. **الدعوة إلى الله (أصولها ووسائلها وأساليبها):** يحيى الدجني – مكتبة آفاق – فلسطين – الطبعة الثانية – 1428هـ – 2007م.

126. **الدعوة إلى الله، أصولها ووسائلها وأساليبها:** يحيى الدجني – مكتبة آفاق – فلسطين – الطبعة الثانية – 1428 هـ – 2007 م.

127. **دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ:** شحاتة محمد صقر – دَارُ الفُرْقَان للتُرَاث – مصر – الطبعة الأولى. بدون سنة تأليف.

128. **دور المرأة العقدي في زمن النبوة:** عادل الحمد – بدون ناشر – البحرين – بدون طبعة – 1436هـ.

129. **الديمقراطية في الميزان:** سعيد عبد العظيم – مكتبة الإسكندرية – مصر – الطبعة الأولى – 1410هـ – 1990م.

130. **رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر:** مرعي بن يوسف المقدسي – تحقيق: أسعد محمد المغربي – دار حراء – السعودية – الطبعة الأولى – 1410هـ.

131. **روضة المحبين ونزهة المشتاقين:** محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – دار الكتب العلمية – لبنان – 1403هـ–1983م.

132. **رؤية شرعية في الجدال والحوار مع أهل الكتاب:** الشريف محمد بن حسين الصمداني – الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية – بدون بيانات.

133. **زاد المعاد في هدي خير العباد:** محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – مؤسسة الرسالة – لبنان – الطبعة السابعة والعشرون – 1415هـ – 1994م.

134. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة:** محمد ناصر الدين الألباني – دار المعارف– السعودية – الطبعة الأولى – 1412هـ – 1992م.

135. **سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني(المشهور ابن ماجة):** تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله – دار الرسالة العالمية – الطبعة الأولى – 1430هـ – 2009م.

136. **سنن أبي داود:** سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني – تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – لبنان.

137. **سنن الترمذي:** محمد بن عيسى الترمذي – تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – الطبعة الثانية – 1395 هـ – 1975م.

138. **السنن الكبرى:** أحمد بن الحسين الخراساني البيهقي – تحقيق: محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة الثالثة – 1424هـ – 2003م.

139. **شبهات المشككين:** مجموعة من المؤلفين – تقديم: محمود حمدى زقزوق – موقع وزارة الأوقاف المصرية – بدون بيانات.

140. **شرح أصول العقيدة الإسلامية:** نسيم ياسين – مطبعة التقوى للطباعة والنشر والتوزيع – فلسطين – الطبعة الثانية – 1420 هـ – 1999 م.

141. **شرح السنة:** الحسين بن مسعود البغوي – تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – سوريا – الطبعة الثانية – 1403هـ – 1983م.

142. **شرح العقيدة الطحاوية:** عبد الرحمن البراك – دار التدمرية – السعودية – الطبعة الثانية – 1429 هـ – 2008م.

143. **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسُّنَّة:** سعيد بن علي القحطاني – مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان – السعودية.

144. **شرح كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد:** محمد حسن عبد الغفار – : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية – الموقع: http://www.islamweb.net.

145. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل:** محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – تحقيق: بدون – دار المعرفة – لبنان – الطبعة الأولى – 1398هـ–1978م.

146. **الشورى وأثرها في الديمقراطية (دراسة مقارنة):** عبد الحميد إسماعيل الأنصاري – منشورات المكتبة العربية – لبنان – الطبعة الثالثة – بدون سنة تأليف.

147. **صحيح البخاري:** محمد بن إسماعيل البخاري – تحقيق: محمد الناصر – دار طوق النجاة – الطبعة الأولى – 1422هـ.

148. **صحيح الجامع الصغير وزيادته:** محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – لبنان – الطبعة الثالثة – 1421هـ – 200م.

149. **صفحات مشرقة من حياة الدكتور عدنان علي رضا النحوي:** نعيم شبير – دار أطلس الخضراء – السعودية – الطبعة الأولى – 1429هـ – 2008م.

150. **صفقات رابحة(كيف تحجز لك مقعداً في الجنة):** خالد أبو شادي – الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع – مصر – الطبعة الأولى – 1430هـ– 2009م.

151. **صلاح البيوت في جهد الرسول ﷺ:** محمد علي محمد إمام – مطبعة السلام – مصر – الطبعة الأولى – 2009م.

152. **الطريق إلى الإسلام:** محمد بن إبراهيم الحمد – دار ابن خزيمة – الطبعة الثانية – بدون سنة تأليف.

153. **العالم الإسلامي والاستعمار السياسي:** أنور الجندي– دار الكتاب – لبنان – الطبعة الثانية — 1983م.

154. **عدنان النحوي ومنهجه في تحقيق قضايا عصره (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإنسانية)** : مريم موافي – إشراف سلمى تليلاني – جامعة الحسن الثاني – المغرب – 1424 هـ – 2002 م.

155. **عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك:** صالح بن فوزان الفوزان، بدون ناشر، السعودية، بدون سنة تأليف.

156. **عقيدة الولاء والبراء:** محمد أحمد إسماعيل المقدم – دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية – http://www.islamweb.net.

157. **العقيدة في الله:** عمر بن سليمان الأشقر – دار النفائس للنشر والتوزيع – الأردن – الطبعة الثانية عشرة – 1419 هـ – 1999م.

158. **العلاقات الدولية في الإسلام:** محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي – مصر – 1415هـ – 1995م.

159. **العلمانية – المفهوم والمظاهر والأسباب:** مصطفى باحُو السلاوي المغربي – جريدة السبيل – المغرب – الطبعة الأولى – 1432هـ – 2011م.

160. **العِلمانيَّة – نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة:** سفر بن عبد الرحمن الحوالي – دار الهجرة – السعودية – الطبعة الأولى – 1422هـ.

161. **العلمانية وثمارها الخبيثة:** محمد شاكر الشريف– بدون دار نشر – السعودية – بدون سنة تأليف.

162. **العلمانية وموقف الإسلام منها:** حمود بن أحمد الرحيلي – الجامعة الاسلامية – السعودية – الطبعة الأولى – 1422هـ .

163. **عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم:** أحمد بن محمد الخراط – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية – الطبعة الأولى – 1418هـ.

164. **غريب القرآن:** عبد الله بن مسلم بن قتيبة – تحقيق: أحمد صقر – دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة الأولى– 1398 هـ – 1978م.

165. **الغزو الثقافي:** محمد الغزالي – دار نهضة – مصر – الطبعة الأولى– بدون سنة تأليف.

166. **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار المعرفة – لبنان – 1379هـ.

167. **فتح القدير:** محمد بن علي الشوكاني – دار ابن كثير ودار الكلم الطيب – سوريا – الطبعة الأولى – 1414 هـ.

168. **فقه الواقع:** الألباني – بدون بيانات.

169. **فقه الواقع:** ناصر العمر – بدون بيانات.

170. **في ظلال القرآن:** سيد قطب – دار الشروق – القاهرة – الطبعة السابعة عشرة – 1412هـ.

171. **فيض الباري على صحيح البخاري:** محمد أنور شاه الديوبندي – تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي – دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة الأولى – 1426 هـ – 2005 م.

172. **قادة الغرب يقولون دَمِّرُوا الإِسْلاَمَ أَبِيدُوا أَهْلَهُ:** جلال العالم، عبد الودود يوسف الدمشقي، 1395هـ – 1974م.

173. **القاموس المحيط:** مجد الدين الفيروزآبادى – تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع– لبنان – الطبعة الثامنة – 1426 هـ – 2005م.

174. **قاموس المورد:** منير البعلبكي– دار الكتاب – بيروت – الطبعة الأولى –1970م.

175. **قضايا العصر ومشكلات الفكر في ضوء الإسلام:** أنور الجندي– مؤسسة الرسالة – لبنان – الطبعة الأولى – 1401هـ – 1981م.

176. **كتاب الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه:** محمد نعيم ياسين – دار عمر بن الخطاب – مصر – بدون بيانات.

177. **كتاب الشريعة:** محمد بن الحسين الآجُرِّيُّ – تحقيق: عبد الله بن عمر الدميجي – دار الوطن – السعودية – الطبعة الثانية – 1420هـ – 1999م.

178. **لسان العرب:** محمد بن مكرم بن على ابن منظور – دار صادر – لبنان – الطبعة الثالثة – 1414 هـ.

179. **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية:** شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي – مؤسسة الخافقين – سوريا – الطبعة الثانية – 1402 هـ – 1982م.

180. **المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي):** أحمد بن شعيب النسائي – تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة – مكتب المطبوعات الإسلامية – سوريا – الطبعة الثانية – 1406هـ–1986م.

181. **مجموع الفتاوى:** أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – تحقيق: عبد الرحمن قاسم – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية – 1416هـ–1995م.

182. **مجموع رسائل الإمام الشهيد حسن البنا:** حسن البنا – دار الطباعة والنشر الإسلامية – مصر – الطبعة الأولى – 1412هـ – 1992م.

183. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز: عبد العزيز بن عبد الله بن باز – بدون بيانات.

184. **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة:** الكتاب لابن قيم الجوزية، واختصره: محمد بن محمد البعلي ابن الموصلي – تحقيق: سيد إبراهيم – دار الحديث – مصر – الطبعة الأولى – 1422هـ – 2001م.

185. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي – دار الكتاب العربي – لبنان – الطبعة الثالثة – 1416 هـ – 1996م.

186. **المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها:** غالب بن علي عواجي – المكتبة العصرية الذهبية – السعودية – الطبعة الأولى – 1427هـ – 2006م.

187. **مذاهب فكرية معاصرة:** محمد بن قطب بن إبراهيم – دار الشروق – مصر – الطبعة الأولى – 1403هـ–1983م.

188. **المرأة وكيد الأعداء:** عبد الله وكيل الشيخ.

189. **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** أحمد بن حنبل – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى – 1416 هـ – 1995 م.

190. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ(صحيح مسلم):** مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري – تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – لبنان.

191. **مشكاة المصابيح:** محمد بن عبد الله التبريزي – تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – لبنان – الطبعة الثالثة – 1985م.

192. **المصنف في الأحاديث والآثار:** أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد العبسي – تحقيق: كمال يوسف الحوت – مكتبة الرشد – السعودية – الطبعة الأولى – 1409هـ.

193. **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي):** الحسين بن مسعود البغوي – تحقيق: عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي – لبنان – الطبعة الأولى – 1420هـ.

194. **معجم مقاييس اللغة:** أحمد بن فارس – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – دار الفكر – 1399هـ – 1979م.

195. **مفاتيح الغيب(التفسير الكبير للرازي):** محمد بن عمر بن الحسن الرازي– دار إحياء التراث العربي – لبنان – الطبعة الثالثة – 1420هـ.

196. **مِفْرَقُ الطَّرِيقِ في القُرآن الكَريم:** علي بن نايف الشحود – السعودية – الطبعة الأولى – 1431هـ – 2010م.

197. **المفيد في مهمات التوحيد:** عبد القادر صوفي – دار الإعلام – الطبعة الأولى – 1422هـ- 1423هـ.

198. **مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها:** على أحمد مدكور – دار الفكر العربي – الطبعة الأولى – 1421هـ – 2001م.

199. **مناهج الدعاة:** محمد بخيت ويحيى الدجني – مكتبة الطالب الجامعي الجامعة الإسلامية بغزة – فلسطين – الطبعة الرابعة – 1433 هـ – 2012 م.

200. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية:** أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية – تحقيق: محمد رشاد سالم – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الطبعة الأولى – 1406هـ – 1986م.

201. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي):** محيي الدين يحيى بن شرف النووي– دار إحياء التراث العربي – لبنان – الطبعة الثانية – 1392هـ.

202. **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة:** عثمان بن علي حسن – مكتبة الرشد – السعودية – الطبعة السادسة – 1429هـ – 2008م.

203. **الموسوعة التاريخية:** مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف – موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net – 1433 هـ.

204. **موسوعة السياسة:** عبد الوهاب الكيالي – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – مصر – الطبعة الأولى – 1410 هـ – 1989 م.

205. **الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة:** مكتب التبيان – إشراف حسن أبو الخير – دار ابن الجوزي – مصر – الطبعة الأولى – 1432 هـ – 2001 م.

206. **الموقف السياسي في شعر عدنان النحوي، دراسة مقدمة لمؤتمر قضايا الأدب والتحديات المعاصرة المنعقد في الجامعة الإسلامية:** موسى أبو دقة – كلية التربية – غزة – 2007م.

207. **نظرية دراسة القرآن الكريم في مدرسة الإمام العلامة الدكتور عدنان النحوي المعاصرة ودورها المنشود في بناء الجيل المؤمن وتنميته،** عبد السلام اللوح– دار أطلس الخضراء – السعودية – الطبعة 1432هـ – 2011م.

208. **نور الإيمان وظلمات النِّفَاق في ضوء الكتاب والسنة:** سعيد بن علي بن وهف القحطاني – مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان – الرياض – الطبعة الأولى – بدون سنة تأليف.

209. **واقعنا المعاصر والغزو الفكري:** صالح الرقب – مكتبة الطالب الجامعي – فلسطين – الطبعة الجديدة – 1431هـ– 2010م.

210. **واقعنا المعاصر:** محمد قطب- دار الشروق – مصر – الطبعة الأولى – 1418هـ- 1997م.

211. **الوحي والإنسان – قراءة معرفية:** محمد السيد الجليند – دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع – مصر – الطبعة الأولى – 1421هـ.

212. **الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف:** محمد بن سعيد القحطاني – دار طيبة – السعودية – الطبعة الأولى. بدون سنة.

ثالثاً: مواقع الشبكة العنكبوتية:

213. www.al-forqan.net
214. www.drsregeb.com
215. www.youtube.com
216. www.saaid.net
217. www.ar.wikipedia.org
218. www.qaradawi.net
219. www.adabislami.org
220. www.alnahwi.com
221. www.iugaza.edu.ps
222. www.binbaz.org
223. www.islamweb.net
224. www.dialogueonline.org
225. www.safsaf.org
226. www.alukah.net
227. www.ikhwanwiki.com
228. www.islamtoday.net

229. www.adab.com

230. www.alwatanvoice.com

231. www.ahewar.org

232. www.madacenter.org

233. www.al-oglaa.com

234. www.islaamlight.com

235. www.uobabylon.edu.iq

236. www.un.org

237. www.darululoom.com

238. www.startimes.com

خامساً– فهرس المحتويات

ملخص الرسالة

تناول الباحثُ في رسالته دراسة عقيدةَ ودعوةَ الشيخ الدكتور عدنان بن علي النحوي – رحمه الله – كعالم جليل من علماء الأمة الإسلامية المعاصرين، تطلَّع الباحثُ من وراء ذلك إلى معرفة عقيدة الدكتور – رحمه الله – وكيفية تقريره لقضايا العقيدة، ثم الإحاطة بتجربته الطويلة في الدعوة إلى الإيمان والتوحيد؛ فالشيخ لم يدعْ قضيةً يعيشها العالمُ الإسلامي اليوم – بل العالمُ بأَسْرِهِ – إلا طرحَ رؤيتَه الإسلاميةَ الأصيلةَ، مبيناً سبلَ تقويمها والاستفادة منها. لذا فإن الدراسة لها من الجِدَّةِ والمُعَاصَرة لقرب وفاة الشيخ رحمه الله.

ومن أجل هذه الغاية، قسَّم الباحثُ دراستَه إلى أربعةِ أبوابٍ، ثم قسَّم البابَ إلى مباحثَ ثم مطالب. ففي الباب الأول تناول الباحثُ التعريفَ بعصر الدكتور عدنان النحوي من حيث الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية والثقافية التي تحياها الأمةُ باعتبارها أهم العوامل التي تُشَكِّلُ شخصيةَ الفرد عامة، واكتشاف كيف أثَّرت هذه الأوضاع على شخصية النحوي خاصة، ومدى حضورها في كتاباته الكثيرة. ثم جاء المبحثُ الثاني ليلقي الضوء على حياة النحوي نفسه؛ مولده ونشأته، هجرته من فلسطين، وفاته، وحياته العلمية، ومؤلفاته، ثم الدراسات التي تحدثت عن أدبه وشعره.

أما البابُ الثاني تناول موقفَ النحوي من قضايا العقيدة؛ فالمبحث الأول جاء مركزاً على معرفة عقيدة الشيخ في أركان الإيمان الستة وأقسامه الثلاثة المقررة عند سلف الأمة، ثم عرج الباحثُ بعد ذلك على أهمية ومكانة قضية الإيمان والتوحيد كما يراها النحوي، وأسباب هذه الأهمية. ثم كان المبحث الثاني خاصّاً بذكر مظاهرِ انحراف الناس اليوم عن التوحيد الخالص الذي كان عليه محمد ﷺ وأصحابه ﷺ، والأسبابِ التي كانت وراءَ هذا الانحراف الكبير، ثم كان المطلب الثالث من هذا المبحث لإلقاء الضَّوْء على جهود الشيخ الكثيرة والمتنوعة لمحاربة هذا الانحراف الحادث. ثم رصد الباحثُ في المبحث الثالث عقيدةَ النحوي في أخطر قضية عقدِّيةٍ ميَّزت أهلَ السنة والجماعة عن غيرهم من أهل البدع والأهواء، ألا وهي قضيةُ خلقِ أفعالِ العبادِ، فوضحت عقيدةَ الشيخ بجلاءٍ في هذه العقيدةِ الحسَّاسةِ. وخُتم البابُ الأولُ بذكر موقف النحوي – رحمه الله تعالى – في عقيدة الولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين والمنافقين.

تناول البابُ الثالثُ منهجَ النحوي في إصلاح الفرد والجماعة المسلمة ثم الأمة الإسلامية بأسرها. جاء المبحثُ الأولُ موسوماً بمنهج النحوي في إصلاح الفرد، وتناول إصلاح عقيدة وفكر الفرد ليكونَ في مأمنٍ من الشُّبهاتِ والأهواءِ، ثم العمل على أن يكون الفردُ المسلمُ واعياً مدركاً فاهماً للواقع المجتمعي الدولي القائم حوله ليكون أقدرَ على مجابهةِ تحدياتِه. أما المبحثُ الثاني فقد

تناول منهجَ الشيخ في إصلاح الجماعة الإسلامية؛ جمع الباحثُ في المطلب الأول منه الأسبابَ التي يرى النحويُّ أنها سببُ الخللِ في العمل على الساحة الإسلامية اليوم، ثم بين المطلبُ الثاني سبلَ إصلاح هذا الخلل الواقع. ثم كان المبحثُ الثالثُ ليرصدَ رؤيةَ النحوي لإصلاح الأمة كلها من خلال نظريته الخاصة " النظريةُ العامةُ في الدعوةِ الإسلاميةِ "، بين الباحثُ فيه معنى النظريةِ، وأصالتَها، وطريقةَ تطبيقِها، ثم كان ختامُ المبحث في رؤيةِ النحوي لقضيةِ فلسطين خاصة وسبيلِ حلِّها.

أمَّا الفصلُ الرابعُ فقد جمعَ جهودَ الشيخ عدنان النحوي – رحمة الله عليه – في الرد على الخصوم والمخالفين والمناوئين للإسلام العظيم. كان المبحثُ الأولُ مخصصاً لمعرفة ردود الشيخ على الفكر العلماني الوافد من الغرب. والمبحثُ الثاني تناولَ ردَّهُ على الديمقراطيةِ وفسادِها، وردَّه المفحمَ على من ساوى الشورى بالديمقراطية. أما المبحثُ الثالثُ من هذا الباب فقد جاء لمعرفةِ رأي الشيخ في قوانين واتفاقيات حقوق الإنسان الوضعية، وكيفيةِ تقييمِه لها. أما رأيُ النحوي في مصطلح حوار الأديان ومعناه ومدى مشروعيته فقد جاء في المبحثِ الرابعِ. وجاء المبحثُ الخامسُ ليختمَ جهودَ الشيخ بذكر رأيه في القضايا المثارةِ حولَ المرأةَ وحقوقِها، فبيَّن المطلبُ الأولُ مكانةَ المرأة كما يراها الشيخُ عدنانُ النحوي، ثم شَهَرَ قلمَه البتَّارَ على من أراد بالمرأةِ المسلمةِ العفيفةِ سوءاً.

وبعدَ هذا كلِه، ذُيِّلتْ دراسةُ الباحثِ بخاتمةٍ اشتملتْ على أهمِّ النتائجِ والتوصياتِ الملحةِ.

Abstract

This study examines the doctrine studies and the Islamic preaching method of Dr. Adnan bin Ali Al-Nahwi, as an eminent contemporary Muslim scholar. The researcher investigates the studies of Dr. Al-Nahwi in Islamic Doctrine and his method of presenting doctrine issues. This includes exploring his long experience in preaching for Islam and monotheism. Dr. Al-Nahwi expressed his Islamic view on issues experienced in the Muslim world in particular and the world in general, providing ways of evaluating such issues and benefiting from them. The essence of this study lies in its novelty and contemporariness whose benefits can be utilized in the Muslim world today.

To this end, this study is divided into four chapters. Each is subdivided into sections and parts. Chapter one explores the era of Dr. Adnan Al-Nahwi in terms of social, political, educational and cultural aspects as key factors to formulating the individual's personality in general, and how such aspects affected Al-Nahwi's personality in specific and to what extent such factors affected his writing. Section two of chapter one highlights the biography of Dr. Al-Nahwi including his birth, upbringing, immigration from Palestine, death, career, publication and studies on his literature and poetry.

Chapter two discusses Al-Nahwi's view on faith issues. Section one focuses on his doctrine studies relating to the six pillars of faith and its three established divisions. The researcher then discusses the importance of faith and monotheism as seen by Al-Nahwi and reasons for such importance. Section two explores the aspects of deviation from absolute monotheism which was followed by the Prophet Muhammad (peace be upon him) and his companions (may Allah be pleased with them), and the factors which led to such significant deviation. Section three sheds light on Al-Nahwi's efforts to defy such deviation. In this section, the researcher highlights Al-Nahwi's doctrine studies on a critical faith issue which distinguishe *ahl as-sunnah wa l-jamāʻah* (people Sunnah and the consensus of the Ummah) from the followers of *bida'* (innovations in religious matters), which is the issue of the creation of people's acts. The section clearly explains Al-Nahwi's doctrine studies on this critical faith issue. Chapter two concludes with Al-Nahwi's view on *al-wala'* (loyalty) to fellow Muslims and *al-bara'* (disavowal) from disbelievers and hypocrites.

Chapter three discusses Al-Nahwi's method in reforming Muslim individuals, community and nation. Section one explores Al-Nahwi's method in reforming the individuals. This section discusses reforming the individual's creed and thoughts to protect individuals from suspicions and promoting the awareness of the Muslim individual to better understand the international social reality to be more capable of meeting its challenges. Section two discusses Al-Nahwi's method in reforming the Muslim community. In part one of this section, the researcher mentions the factors which Al-Nahwi believes to be causing the shortcomings of work in the Islamic arena today. Part two discusses the mechanism of action to overcome such shortcomings. Part three explores Al-Nahwi's view on reforming the nation as a whole by his theory entitled "General

Theory of Islamic Preaching". In this part, the researcher defines the theory and explains its authenticity and application. The part concludes with Al-Nahwi's view on the Palestinian question and the suggested method to resolve it.

Chapter four explores Al-Nahwi's efforts to respond to the opponents of Islam. Section one highlights Al-Nahwi's responses to the western secular thought. Section two discusses the responses to democracy and its shortcomings as well as his decisive response to those considering Shura (consultation) equal to democracy. Section three explores Al-Nahwi's opinion on the positive human rights laws and agreements and his evaluation of the same. Al-Nahwi's opinion on interfaith dialogue and its legitimacy is highlighted in section four. Section five concludes with Al-Nahwi's opinion on women rights issues. Part one of this section explores Al-Nahwi's view on women status. Part two discusses his responses to the critics of Muslim women's rights.

The thesis concludes with key findings and recommendations.